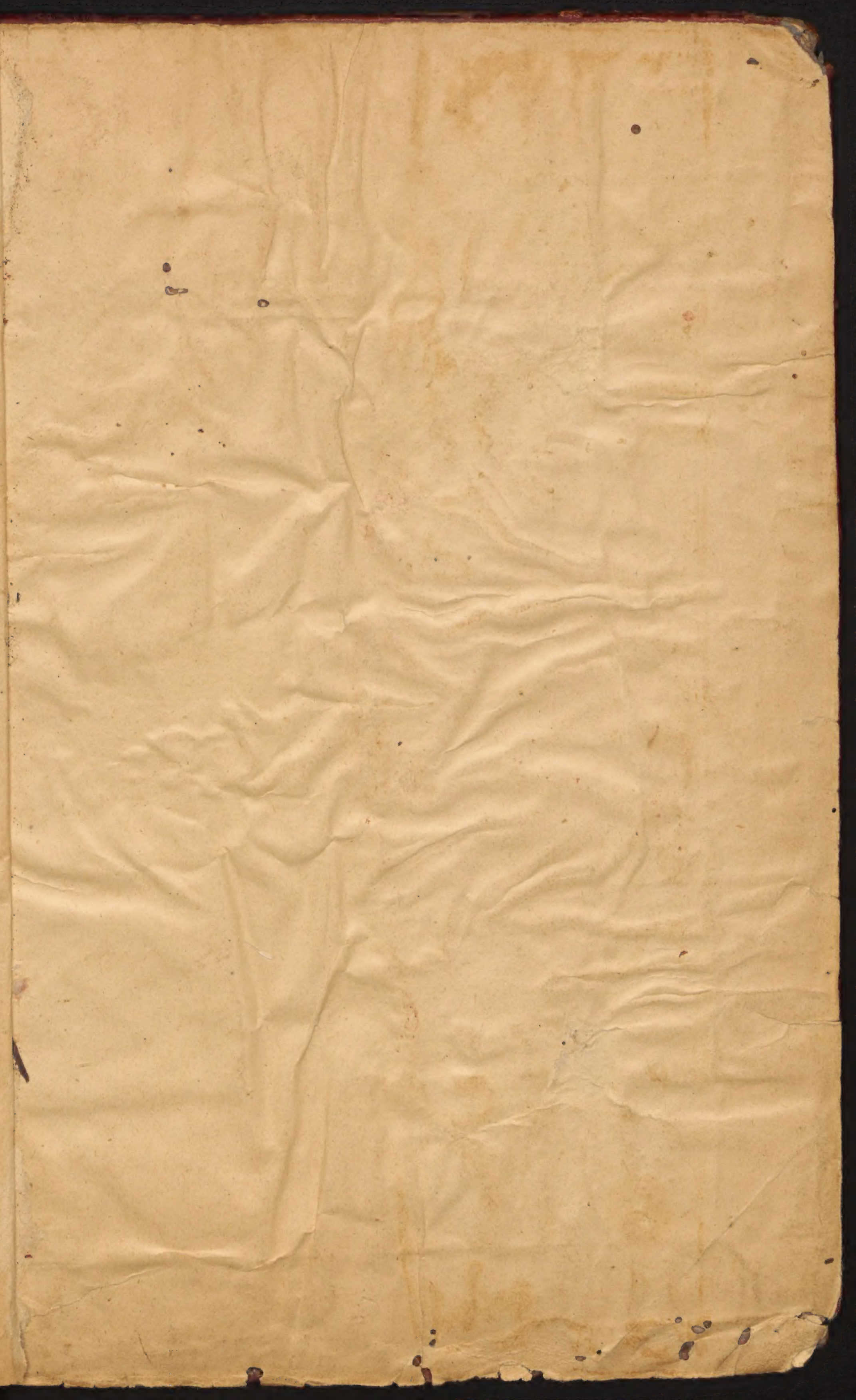
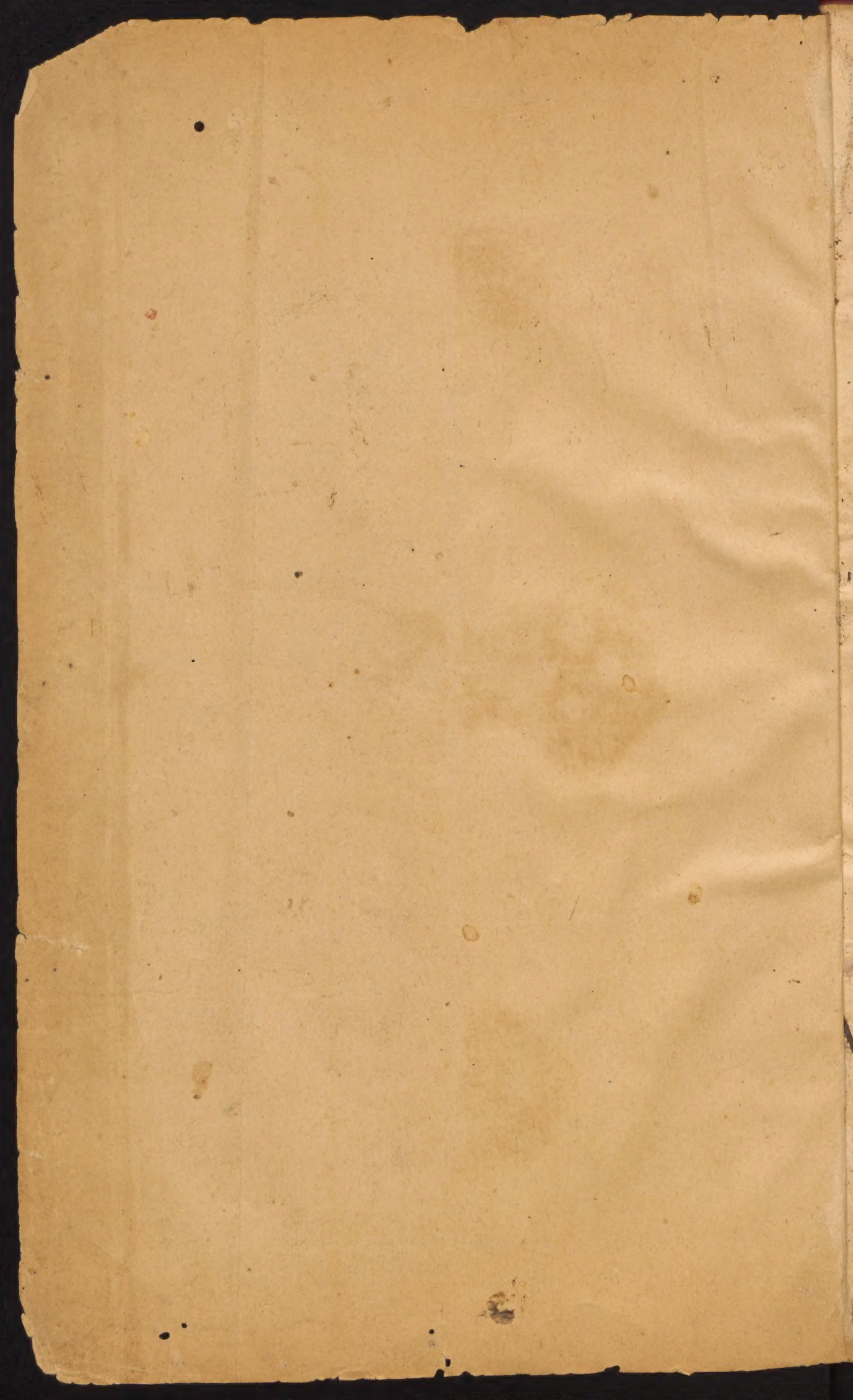






45
5
5
1
1
6
80

42
6
252

صحيفة

صحيفة

صحيفة

انتهت

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خير الاخيار الاسم الساري
نوره في جميع الاكوان وعلى آله واصحابه بدور الاقمار العابدين بتعظيم الجبار
المنزه عن كل الاستار

يقول المتوسل بالرسول الماحي . احمد بن عبد المولى العلمي البلاجي
نحمدك اللهم على ما شرحت من صدور وافئدة ونمنحك من تيسير فوائده
وبثثت من تفكير جميل وانلت من فهم جليل وعلمتنا من علم جزيل وجليت من
غرائب البيان ونفائس التبيان ونفثت من سحر الافكار في حدائق بدائع فنون
صنوان وغير صنوان واشرقت من اقمار باهر ما استودع في الانسان من
بدائع حكم حسان وجواهر الفهم كالاقمار ونشكرك على ما ابرزت للوجود
بمحض الكرم والجود من ازهار علوم تقتنى وفواكه آداب تجتنى وفتح حدائقها
كنوز المنى ونكت وشوارد واخبار ونكت تستحلى في كل مضمار وامثال سائرة
والسن لك في البلاغة ناطقة وشاكرة وبراعة اقلام لعقود البراعة
ناشرة وكم وكم مما لا يحصى من متكاثره ونصلي ونسلم على سيدنا محمد
ينبوع الحكمة الذي هو بجوامع الكلم في المعاني الجمة المعرب عن صنوف الفصاحة
ببديع لفظه المتفنن في اساليب البلاغة في خطبه وحديثه ووعظه الآمر
بما يعود نفعه دنيا وأخرى القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعلى
آله واهل بيته الكرام البررة والاصحاب والانصار وصحبه اجمعين وبعد
فمما يتنافس فيه ويجتنيه اللبيب ويقتنيه علم الادب المرشد الى كل ادب
والاجتهاد في نشره وتدوينه وتفريعه وترصيعه وتزيينه لانه الجامع
لاشتات العلوم المتكفل بفهم سر ما المكتوم الظافر فيها بسهم وافر ناهز
من نفيسها بحظ متكاثر فلعمري انه لكمال شرف الانسان وعنوان فضل يترجم به
اللسان وشفيع لطيف يتوصل به لأي غرض كان وصاحبه لا يهان بل يعز عند
الافتخار وقد قال من قال لاولادكم علموا اولادكم الادب وقيل الادب اشرف من
النسب وحيث كان بمنزلة المثابة العليا ونتيجته الفلاح في الدين والدنيا فاكثر
الاعتناء بتحصيله والبحث في فهم اجماله وتفصيله اذ هو كالرمز لعلم الاذواق
المبلغ لكمال المحبة والاسرار التي تورث للمرء وتجمع غاياتها في المقعد

وإن أحسن ما نظم فيه أرجوزة العالم النزيه الأديب الإمام النبيه
نابغة وقته وسحبان أهل زمانه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الونداني
سقى الله ثراه بغيث الرضى والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، وطرزها
العلامة الأمثل المتفنن الذي فضل حاز الأدب اللوذعي النحرير السميدع ذو
الملكة والاقتدار والنبل الكامل وجودة الإشعار الذي له في كل قريحة بترع وباع
الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن خالد الناصري السلاوي أبقى الله وجوده ومتع
به وسنى سعوده بهذا الشرح العجيب المنوال الغريب الشكل والمثال البالغ
الغاية القصوى في التحقيق والتدقيق المغني لكل متفنن شيق عن غيره وشيق فيا له
الكوكب الوقاد الجهبذ النقاد لقد جمع فأوعى وأحسن ترتيبا ووضعا ولم
يأل نصحا ونفعا ما بين لغة تشنف عن وجهها اللثام وإعراب يحل بفعله بعض
الختام ونكت بديعية يعم بها عن العي والاعجام ومعان تعتني بها من الأكمام
وبيان يتزوج بشعرها وتجاوز عن الأغلاق وتدبيع يكفي سماحتها وملاحتها وما
اختصت به من حسن التكلم فيحق ما أنضم لذلك من شجاني معانيها وتتبع
عشاقها بسماع تلك المعاني شرح يا له من شرح لم يبرز قبل هذا الزمان في
العيان لكان رحلة أوفى بديع ابنه لنعمان أو كان حلية مصوغة لكان تاجا على رأس
كسرى أنوشروان أو كان سيفا صقيلا لتقلده النعمان وبارز به الأقران في الحرب
والطعان وفيه وفيه مما لا أستوفيه غير أني أقول على لسان فيه

شكلي جميل وإنك الحسن تعشقني ... والشمس مني وجهتي تلوى والقمر
ومنكف العرب للألباب مستلب ... ومنتهى تضربه الزرز والثمر
وعيني زهرة الدنيا وزينتها ... والسفر متكلمت والقبح والكدر
عرفي يفوح هدا الألباب أعبق من ... ند وأكمل حسني النفيح والعمرز
للأعلام من خزف ومن خزف ... ومن مزايا بدا في السمع والبصر
ما شئت من فكه أو شئت من ملح ... أو شئت أبدال عنت العقل والكدر
في البيت ذو هي للأنس لدى ترح ... سجيلا ولولا احمرار الشفق والعذر
ألا هيف الصب رفقا بي أو دبه ... ومن غرام عنه شفى عنت له العبر
عن ذي رقيق ونفس الهم في خميس ... ومن يمنى ينال النيل والوطر

كم

كم من عيون شرحت للصدور وكم … من معضلات أبنت حلها الخطر

للازم فنائي وانعم بنا ثمري … واسمع مكالمتي يفسر لك الخبر

فوائدي الجم في النادي مزينة … حتى ترى عمت ذلك الأنس والسمر

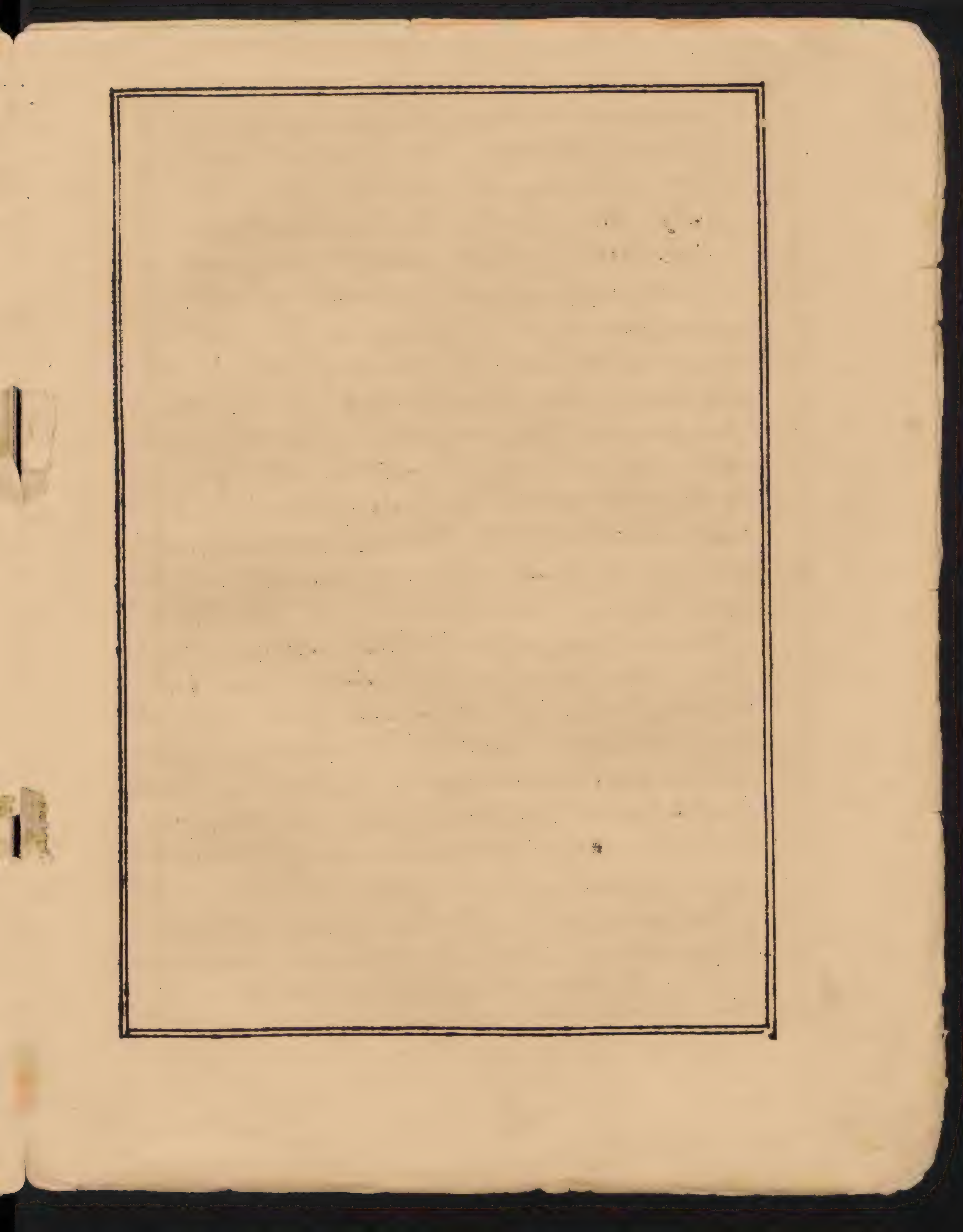
وبالخزينة أمير المؤمنين أجمعه … وفي صفاتي ينال الفكر والنظر

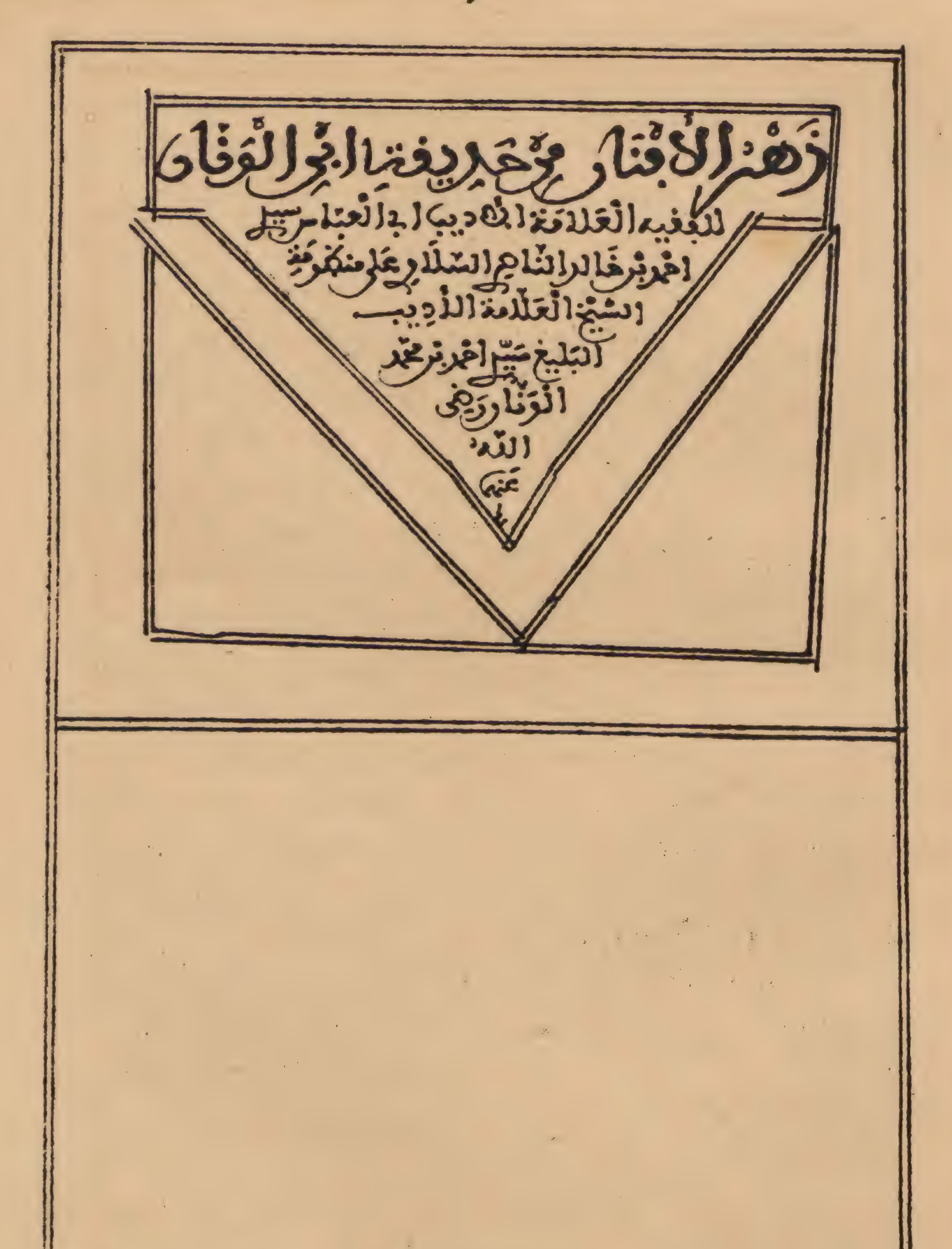
طبعي لكم به ورب الطبع جملني … والوشي من زخرفي والحلو والدرر

للناظرين يا وجه الناظر القمر … يحميه من شر ما تجري به القدر

ولما كان وفاء الذكر كذلك وتعذر ما منازله وكان هذا الشرح غرة في جبين الأدب وهذا تحفيا في فنه وللألباب جلب وتسلقت إليه النجباء عن سماعه من كل حدب وتعين تعرفه نسخه ونشرها وتكثيرها حتى يفوح عرفها ولا ينكر ذلك إلا بطبعه وتداولها بأهلها لعزته فبادر لاغتنام منزلة المزية والقيام بمزيد هذه المنية اللبيب الأريب الخير الحسيب الأمير الأعز التاجر الأمين الحاج إدريس ابن جلون تولى الله أمره في جميع ما كان ويكون بنية خير المتولي في غاية الافتقار وبذل ما يتوقف عليه الطبع أعمار وشرع في طبعه على نفقته ووفقه فيه المطبعة الحجرية ذات المحاسن الفاسية الحريرية المذكور اسمها في أول هذا الكتاب المتكفل على أيدي العلم في مقابلته ومراجعته في ظل السلطان الهمام من سعدت بطلعته الأيام وافتخرت بنشر محاسنه المحابر والأقلام ذو الهمة عمر الملك وعماده وغيث الندى ومزاده سليل سلسلة الذهب الإبريز أبو السلطان وأبو الربيع مولانا عبد العزيز أيد الله في الفتح والنصر رايته وخلد في المعالي فخره وعنايته والملك على الدوام وأدام به شعث المسلمين ويسر له مآثرهم الأيام وجعل نيته على قدم جده سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام آمين وكان ابتداؤه في خامس عشرة شعبان الأبرك عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف ومن الله نطلب الإعانة على الإتمام وتيسير الإكمال وفور الختام بجاه سيدنا محمد ليبلغ التمام ومسك الختام عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام أفضل الصلاة

وأزكى السلام





زهر الأفنان من حديقة ابن الونان

للفقيه العلامة الأديب أبي العباس سيدي
أحمد بن خالد الناصري السلاوي على منظومة
الشيخ العلامة الأديب
البليغ سيدي أحمد بن محمد
الونان رضي
الله
عنه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وحباه بالأصغرين
القلب واللسان، وشرفه بهما على سائر الحيوان، وأمده بضروب الإحسان
حتى برز في ميادين العرفان، فأبدى من غرائب العلوم ودقائق الفهوم ما
يكشف حرارة الشغاف ويحل من القلوب العطاش محل الغمض من الأجفان
نحمده تعالى ونشكره، ومنه الكفيل بالزيادة لمن أدام الحمد والشكران
ونستعينه جل وعلا ونستقيله ونستغفره، وهو أهل الإعانة والإقالة
والغفران، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلاها عظيما
ليس له في ملكه ثان، وربا حكيما كل يوم هو في شان، وهو الله الحي الدائم
الباقي وكل من عليها فان، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده
ورسوله سيد الماضي والآتي والقاصي والدان، المبرز في كل فخر والسابق في
كل ميدان، والآتي من جوامع الكلم وبدائع الحكم بما يزري باللؤلؤ والمرجان
والمستمد من علومه الفياضة كل من عرف الحق من ملك وإنس وجان، صلى الله
وسلم عليه وعلى آله وأصحابه غيوث الندى وليوث الردى ونقلة السنة
وحملة القرآن، وسيوف النصر وحتوف العدا وملجإ المضطر ومنهل الظمآن
صلاة وسلاما يتصلان بفضل الله ما اتصلت الأزمان، ونكون بهما إن
شاء الله من الفزع الأكبر في أكنف عيش وأسبغ أمان، وبعد فيقول
مؤلفه أحمد بن خالد الناصري السلاوي غفر الله ذنوبه وستر بمنه عيوبه
لا يخفى أن علم التاريخ من أشرف علم يقتنى وأجل ذخر به يعتنى وأربح متجر يتنافس
عليه، وأسمى مفخر يبادر إليه، وأن العلوم وإن كثرت أجناسها وتعددت
أنواعها وتباينت أغراضها وتمايزت أوضاعها فمصباح جميعها الوقاد

وزمامها

وإن مما الذي به تنفرد هو علم الأدب الجامع لأشتات محاسن العرب
والكفيل من علوم الشريعة المحمدية بغاية الأرب بل لا يمكن أن يحصل أن شيء منها
إلا بمعرفته ولا يتأتى أن يلوح في باب من أبوابها إلا بالمرور على معرفته بنور الهداة
إلى صراطها المستقيم والسبب في الكشف عن سر ما أراد الله تعالى بنعيمها المقيم وإن من
أجل ما ألف في هذا الفن الكثير الأفنان الذي لا يختلف في فضله وشرفه اثنان أرجوزة
الأديب الماهر العلامة الشهير أبي العباس أحمد بن محمد الزواوي بن يحيى المعشري
المنظومة التي اخترع فأحكم بها كنانة الأدب فيها ونثل وشاد وذكرها من طلاب العلم
ورواة الشعر سنة المثل حتى لقد أجمل ذكرها ذكر ما تفرق فيها من المحكوكات والمفاهيم
وعقدت بكتابها من الآداب الدرية والعازمية وغيرهما من المفاهيم فلله
در ناظمها الذي جمع فأوعى ورام النكتة فأجاد وضعا وأحسن صنعا وقد
كان الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله السلاوي سقى الله ثراه قد
تصدى لوضع شرح عليها ورفع سترها وتفسير شواردها وتقييد ما درها من زوائدها
فاستفرغ في الكلام على أبياتها جهده وأتى في ذلك بما لا يزيد وحده فيستراه
هذا الشرح لم يزل الذي حكم القدح ومع مبعض صريح وجوده على سلوك ذلك فإنه
بما أنه لم توجد منه نسخة صحيحة الترتيب سالمة من البتر والتصحيف والتشذيب
الماضي أصعاف أوراق قد ذهبت أجزاؤها ورزئت أخلاق قد قلت أشلاؤها
وقد نبل أن نسخة كاملة منه بعض الفرابن الشلكانية وهذا أرفع بعمل أعز
من بيض الأنوق وأبعد منالا من العيوق وكنت أيام شبيبتي قد أولعت بهذه
المنظومة الغريبة المثال العزيزة المنال الغريبة المنوال إلا أني كنت إذا عرفت
على فهمها وتحصيلها وتخليص إجمالها من تفصيلها أعوزني وجود نسخة صحيحة
أستعين بها على فهمها إذ رواية واعية ينظر في أبياتها ويسفر عما أريد منها واختلاف
على النسخ حتى كاد يتعذر انتفاعها وكثرت فيها التحريفات والتحريف حتى اختل
نسقها واتساقها فظهر لي أن سبب هذا الاختلال والموجب لهذا الداء العضال
هو أن بعض الناس بعد أن بدل بها ذلك نظرا ورام تقريب مبانيها واقتفاء آثارها عمدا
وذلك أنه يوجد فيها من الحذف والتقديم والتأخير ما لا يرتكب مثله
من له أدنى إلمام بالأدب فضلا عن ناظمها الذي نسلت إليه علومه من كل حدب

وهذا الذي قلناه من ان هذا هو مقصود الناظم فيدل عليه غير ما موضع من
كلام الناظم مثل قوله: فبشرن الخ مقصوده البيت وقوله خصصتها بسورة
النجم البيت الى غير ذلك من كيفيات وكيف يتم انه تكلمت الوقوف على بعض ما بقي
من شرح ابي عبد الله الجديري على بعض فقرته بلفظ الكبير ومنه الا نحو العشر ورقات
فرأيته رحمه الله قد شرع على نسخة بتراء تنقص عن النسخة التي شرحنا عليها
نحو الثلث مع ما انضم الى ذلك من تقديم ابيات وتاخير اخرى وتحريف كلمات
غير ما بالمقام اخرى فعلمت ان نسخته رحمه الله قد وقع من الهذيان خارجة وانه
ازاد عمرا او زاد الله خارجة وهو لعمري معذور في عدم الاصابة عمرو اذ تلك هي
النسخة التي سقطت الى سلا في اول الامر فحينئذ شمرت عن ساعد الجد في
تنقيحهما وبذلت غاية الجهد في تصحيحهما بعد ان اجتمع الي منها نحو سبع نسخ
من جهات مختلفة فجردت من مجموعها نسخة صحيحة موثوقا بها يغلب على الظن
انها الاصل الذي انشأه الناظم اولا والمنوال الذي لا ينبغي الاديب به بدلا
ولا عنه تحولا وقلت ان ما ثبت في هذه المذكورة الرواية لم تثبتها فيها
والحمد لله الرواية ولا بدع في هذا المذهب الذي افتتحناه والمنهج الذي
انتحيناه فعند ابي ع كليلة ودمنة فراجع امر اصلها بسببه الخلل والزمنة
وهذا شارح الحمازية يقول انه لم يكتبها من اصل صحيح ولا رواها عن رواية
معتمد ثم لم يمنعه ذلك عن تقييدها بالشرح والكتابة وابراز ما تضمنته
من المعاني المستطابة بعد ان اعمل في تصحيحها بكده واتى بما امكنه فيه بذل
الغزلة واذا اوقات الحمازي من قال اخوان الجميع فعلا يتخذ البعض منها
بضيع وقد قيل

اذا لم تستطع شيئا فدعه ۞ وجاوزه الى ما تستطيع

فلذا عولنا في عملنا على ما صححناه من هذه المذكورة وسلكنا في ذلك والحمد لله
طريقة لم يسلكها معلومة فقد حفظنا ابياتها وسهلت مراقيها ووضحت معانيها
وبينت مبانيها فعادت والحمد لله الارجوزة الوترية اي شيء بها
وكشفت قناع ستائرها لمطالعها فاذا اوردته من شيئها وسهل عليهم الولوج في
غايتها فاذا لله من عجائبها وقف من نقد على حقائقها فاعطه من نقائها

وكيفية

وكشفته من حللها بما جلاه هذا الشرح والحمد لله شرحا جميلا جامعا
لفنونها وباغراضها كفيلا وسميته: بزهر الافنان من حديقة
ابن الونان ومن الله استوهب القبول في حصول النفع وبلوغ المامول
آمين وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول اعلم ان كل كلام
مركب فالنظر فيه من اربعة اوجه الوجه الاول في شرح معاني الالفاظ الثاني
في حكم تركيبها على نهج تركيب الفاظ العرب الثالث في شرح معانيه التي افادتها
تلك التراكيب الرابع في شرح كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فالاول
علم اللغة والثاني علم الاعراب والثالث علم المعاني والرابع علم البيان
ويتبع هذه الاربعة النظر في الوجوه المحسنة اعني التي تكسب الكلام حسنا ورونقا
وهو المسمى بالبديع وبعبارة اخرى اذا نظرت في الكلام العربي فالبحث فيه
اما عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما عن ذات اللفظ بحسب
ما يعرض لمادته من التغيير وهو علم التصريف واما عن المعنى الذي يفهم من الكلم
المركبة بحسب تغيير اواخرها وهو علم النحو واما عن مطابقة ذلك الكلام
لمقتضى الحال بحسب الغرض العربي وهو علم المعاني واما عن اختلاف الكلام في الدلالة
وضوحا وخفاء بحسب العقل وهو علم البيان واما عن وجوه تحسينه بحسب
مشاكلة معانيه او الفاظه ومناسبتهما وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة
الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم
واتباع منهجهم والعلوم الثلاثة الاخر يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم
من فحول المولدين لانها راجعة الى المعنى دون اللفظ ولا فرق فيه بين العرب
وغيرهم قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله المولدون يستشهد بهم في المعاني
كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ قال ابن رشيق في العمدة هذا الذي ذكره
ابو الفتح صحيح لان المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب
بالاسلام في اقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا في المطاعم والملابس
وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره اهـ
واعلم ان هذا كله اذا كان الكلام نثرا فاما اذا كان نظما فلا بد فيه من
بحث سابع وهو النظر في الوزن والقافية وذلك علم العروض اذا عرفت هذا

فاعلم ان الشعر في اللغة من العلم وشرعه الراغب بكونه دقيقا وقال في
القاموس الشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وان كان
كل علم شعرا وفي اصطلاح اهل الميزان اعني علماء المنطق هو قياس مؤلف
من القضايا المتخيلة والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير ونحوهما
كقولهم الخمر ياقوتة سيالة والعسل مرة متهوعة ولا يشترط فيه عندهم ان
يكون نظما نعم ان كان كذلك كان اكثر تاثيرا قاله الالوسي في الغريبة وفي
اصطلاح الادباء هو الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية
وبحوره على ما للخليل خمسة عشر بحرا منقسمة على خمس دوائر فالدائرة الاولى
تسمى دائرة المختلف وتشتمل على ثلاثة ابحر الاول الطويل الثاني المديد الثالث
البسيط والدائرة الثانية تسمى دائرة المؤتلف وتشتمل على بحرين الاول الوافر
الثاني الكامل والدائرة الثالثة تسمى دائرة المشتبه وتشتمل على ثلاثة
ابحر الاول الهزج الثاني الرجز الثالث الرمل والدائرة الرابعة تسمى
دائرة المجتلب وتشتمل على ستة ابحر الاول السريع الثاني المنسرح الثالث
الخفيف الرابع المضارع الخامس المقتضب السادس المجتث والدائرة الخامسة
تسمى دائرة المتفق وتشتمل عند الخليل على بحر واحد وهو المتقارب وعند الاخفش
على بحرين بزيادة المتدارك وهو بحر عثر عليه فزاده في هذه الدائرة فعلى
ترتيب الخليل بحور الشعر خمسة عشر وعلى ترتيب الاخفش ستة عشر ثم الرجز
منها هو سابع البحور وهو الثاني من دائرة المشتبه كما مر ومعنى الرجز لغة
ما قصرت اجزاؤه من الشعر سواء كان من هذا البحر المذكور او من غيره وفي عبارة
الرجز كل ما كان على جزءين او ثلاثة من اوزانهم ويقابله القريض وهو كل ما
كملت اجزاؤه من الشعر واذا طال الرجز وكثرت ابياته قيل فيه ارجوزة واذا
كان القريض قيل فيه قصيدة والرجز ايضا داء يصيب الابل في اعجازها فاذا
ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعة ثم تنبسط يقال بعير ارجز وناقة رجزاء
ومنه اخذ رجز الشعر ومعناه اصطلاحا كما في القاموس ضرب من الشعر وزنه
مستفعلن ست مرات سمي لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس
بشعر وانما هو انصاف ابيات واثلاث والارجوزة منه كالقصيدة من غيره

وجمعها اراجيز وقد رجز وارتجز اذا انشد ارجوزة فهو راجز سمي لتقارب اجزائه وقيل
سمي لاضطرابه على اللسان كعجز الناقة وقيل غير ذلك قالوا والرجز يستعمل
في الاسماع وللعرب فيه تصرف واتساع لكثرته في كلامهم وارتجالهم اياه في مواطن
الحرب والفخر والمفاخرة واستعملوه على خمسة اوجه التام والمربوع والمجزوء والمشطور
والمنهوك قلت ولهذا المعنى اختاره الناظم على غيره من الابحر فان قلت
كان من حق الناظم رحمه الله ان يجتنبه لانحطاط درجته عن سائر بحور الشعر
وخساسته بالنسبة اليها عند العرب ولهذا قال قائلهم *

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدني * وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

وربما نقل عن الخليل انه جعله من انه ليس بشعر فقال المازني قد ذهب الاخفش ان
الرجز ليس بشعر واستدل الاخفش بانه لو كان شعرا لما تكلم به النبي صلى الله
عليه وسلم مستقيما في قوله يوم حنين *

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب *

مع انه صلى الله عليه وسلم كان من عادته اذا انشد شعرا كسره كما اتفق
له في قول طرفة * ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * البيت فانه صلى الله
عليه وسلم انشد عجزه منكرا ويأتيك من لم تزود له بالاخبار وفي قول
العباس بن مرداس السلمي * أتجعل نهبي ونهب العبيد * البيت فانه
صلى الله عليه وسلم انشد عجزه منكرا بين الاقرع وعيينة فراجعه ابو بكر
رضي الله عنه فلم يستقم على لسانه صلى الله عليه وسلم الا منكسرا حتى
قال ابو بكر او غيره من الصحابة اشهد انك كما قال الله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له فلما تكلم صلى الله عليه وسلم بقوله * انا النبي لا كذب *
مستقيما علمنا انه ليس بشعر قلت اما الحكم بانحطاط درجته عن غيره من
البحور فمسلم لا نكير لانحطاطها وانما ذلك في انشاء الفصحاء له من المشطور والمنهوك
التي لم تنتظم حسن الكلام ولا جزل اللفظ ولم تشتمل على محاسن الشعر الحسنة
ومن المعاني المعتبرة من النسيب الرقيق والمدح البليغ والحكم البالغة والامثال
السائرة كمنظومة الارجوزة واضرابها والابحر من انواع الشعر واخرجوه جملته
وقد كان رجز العرب جار مشهور وان يقعنا به فنازلهم عن الطلاء بجيدة

كأبي النجم والعجاج وابنه رؤبة وغيرهم وقد اقتصروا انما هم فيه بفحول الشعراء
من المولدين كابن دريد وحازم وغيرهما من اصحاب المقاصير وغيرهما ممن نظم في
الرجز واما ما نقل عن الخليل والاخفش من انه ليس بشعر فالمنقول عن الخليل
هو ما تقدم عن صاحب الفائق صريحا ومثله في الكشاف وكلاهما يقتضي ان ذلك
في غير المشطور والمنهوك والمنقول عن الاخفش تاوله بعضهم بانه انما
عنى المشطور والمنهوك فقط كما نقله غير واحد عن الاخفش نفسه لا التام
كمنزلة الارجوزة وما استدل به من انشاده صلى الله عليه وسلم له مستقيما
أجيب عنه بان الشعر ما قصد وزنه لا ما اتفق وزنه مستقيما فقد يقع في كلام
وقوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب مما اتفق وزنه من غير
قصد فلا يكون شعرا وليس من غرض هذا الكلام على هذه المسالة ولا بد من
تتميم الفائدة في الرجز بذكر اضربه واعاريضه وما يدخله من الزحاف
وغير ذلك مما يتعلق بها فيتعين فنقول الرجز عندهم مركب من مستفعلن
ست مرات وله اربع اعاريض وخمسة اضرب والعروض هو الجزء الاخير
من المصراع الاول والضرب هو الجزء الاخير من المصراع الثاني كما قال الخزرجي

وقل آخر الشطر العروض ومثله ... من العجز الضرب اعلم الجزء فاعتنا

فالعروض الاولى من الرجز تامة اذ لم يحذف منها شيء ولها ضربان ضرب
مثلها وشاهده من كلام العرب

*

دار لسلمى اذ سليمى جارة ... قفر ترى آياتها مثل الزبر

تقطيعه وتفعيله

دار لسل مستفعلن ما اذ سلي مستفعلن ما جا رتن مستفعلن قفرن ترى
مستفعلن آياتها مستفعلن مثل ززبر مستفعلن ومن هذا الضرب ارجوزة
الناظم رحمه الله والبيت الذي استشهدنا به فقوله

فالعلم في الدنيا وفي الاخرى له ... فضل وتشريف به شأن سمي

ولا يخفى عليك تقطيعه وتفعيله على الكيفية التي بيناها واذا تم هذا الرجز
وسلم من الزحاف كمن ذين البيتين سالما والكامل المخمس كقول عنترة

اني امرؤ من خير عبس منصبا ... شطري واحمي سائري بالمنصل

الضرب الثاني من ضربي العروض الاولى من الرجز مقطوع ومعنى القطع حذف
النون من مستفعلن وتسكين اللام قبلها فينقل الى مفعولن وشاهده

القلب منها مستريح سالم ... والقلب مني جاهد مجهود

تقطيعه وتفعيله

القلب من: مستفعلن، ها مستري: مستفعلن، ح سالمن: مستفعلن، والقلب من: مستفعلن، ني جاهدن: مستفعلن، مجهود: مفعولن. العروض الثانية مجزوءة
ضربها مثلها ومعنى المجزوء اسقاط جزئين من البيت فيبقى على اربعة اجزاء او
بعد ان كان على ستة وشاهده

قد هاج قلبي منزل ... من ام عمرو مقفر

تقطيعه وتفعيله

قد هاج قل: مستفعلن، بي منزلن: مستفعلن، من ام عم: مستفعلن، رن مقفرو: مستفعلن. العروض الثالثة مشطورة ضربها مثلها والشطر اسقاط
شطر البيت فيبقى على ثلاثة اجزاء بعد ان كان على ستة ويصير الضرب مع العروض
حينئذ لكون البيت يبقى على مصراع واحد وشاهده

ما هاج احزانا وشجوا قد شجا

تقطيعه وتفعيله

ما هاج اح: مستفعلن، زانن وشج: مستفعلن، ون قد شجا: مستفعلن. العروض
الرابعة منهوكة ضربها مثلها والنهك اسقاط اربعة اجزاء من البيت فيبقى
على جزئين بعد ان كان على ستة ويصير الضرب مع العروض ايضا شيئا واحدا لما سبق في
تمييز العلة والتغيير قبلها اشار الخزرجي بقوله

واسقاط جزئيه وشطر وجزئه ... من الجزء ثم الشطر والنهك اذكرا

وشاهد المنهوك

يا ليتني فيها جذع

تقطيعه وتفعيله

يا ليتني: مستفعلن، فيها جذع: مستفعلن. ومن احكام الاوجه التي يستعمل
عليها الرجز انه يدخله من الزحاف ثلاثة انواع الخبن بالسين والطي
والخبل باللام فاما الخبن فهو حذف ثاني الجزء الساكن كحذف السين من مستفعلن

منها فينقل الجزء معه الى مفاعلن ويسمى زحافه عقلا وشاهده

وكالنا وكالنا وكما لنا   سعى لكفافنا البر والكرما

تقطيعه وتفعيله

وكالنا: مفاعلن وكالنا: مفاعلن وكما لنا: مفاعلن سعى بكفا: مفاعلن فنا البرر: مفاعلن والكرما: مفاعلن ونظيره من كلام الناظم

وناعم متيكل وناعم   مرفل وخاطب مرفق

وتفكيكه كما علمت **وأما الطي** فهو حذف رابع الجزء الساكن كالفاء من مستفعلن منها فينقل الجزء الى مفتعلن ويسمى زحافه طيا وشاهده

ما ولدت والدة من ولد   أكرم من عبد مناف حسبا

تقطيعه وتفعيله

ما ولدت: مفتعلن والدتن: مفتعلن من ولدن: مفتعلن أكرم من: مفتعلن عبد منا: مفتعلن ف حسبا: مفتعلن ونظيره من كلام الناظم

فاه عن ذكر ليال سلفت   في معهد كان بها رواد من تليس

إلا الجزء الخامس منه فانه سالم فاختبره بالتفكيك ان شئت **وأما الخبل** بالكلام فهو حذف كل من ثاني الجزء ورابعه الساكنين معا كالسين والفاء من مستفعلن فينقل الجزء الى فعلتن ويسمى زحافه خبلا وشاهده

وثقل منع خيره طلب   وعجل منع خيره تؤده

تقطيعه وتفعيله

وثقلن: فعلتن منع خي: فعلتن رهطلب: فعلتن وعجلن: فعلتن منع خي: فعلتن رهتؤده: فعلتن وقد اجتمعت أنواع الزحاف الثلاثة مع السلامة في قول الناظم

وعشر وشيم والخبل مع طي وتمام وتفكيك

فالجزء الأول والثاني والرابع كل منها مخبول بالكلام والجزء الثالث مخبون بالثوران والخامس مطوي والسادس سالم وتفكيكه كما مر فيما فرغنا من هذا ما يتعلق بهذا البحر من حيث العروض وأما ما يتعلق به من حيث القافية فنذكر منه ما يخص الجزء الذي مشى عليه الناظم فنقول اختلف الناس في القافية على أقوال انهاها شيخ الإسلام الى اثني عشر قولا الأول المشهور

منها

منها فقوله راعتزمها لأبي الحسن الاخفش ان القافية هي الكلمة الاخيرة من
البيت فما كانت الشاهد للخليل وهي التعقيب انها من اخر ساكن في البيت الى
اول ساكن يليه مع المتحرك قبله وقيل هي مع الحركة التي قبل ذلك الساكن
وان قد ذهب الخليل اشار ابن الحاجب في الأمية بقوله

والساكنان اخير ما اكتنفا ❊ مع ما يليهما قافية جعلا

وان المذهبين معا اشار الخزرجي بقوله

وقافية البيت الأخير لدى من ❊ المتحرك قبل الساكنين او انها

واشار اليهما ايضا مع الإشارة الى مذهب الخليل الشيخ حمدون ابن الحاج الفاسي
في منظومته بقوله

من المنتهى منه الى ساكن يلي ❊ مع متحرك قبله هي تجتلى
وقيل من الحرف المحرك ذو سمه ❊ وقيل اخير البيت من كلم تنجلي

فالقافية عند الخليل قد تكون بعض كلمة كما في قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ❊ يقولون لا تهلك اسى وتجمل

فهي من الجيم الى الياء وقد تكون كلمة برمتها كما في قوله

ففاضت دموع العين مني صبابة ❊ على النحر حتى بل دمعي محملي

فهي من الميم الى الياء وقد تكون كلمة وبعض اخرى كقوله

دمن عفت ومحا معالمها ❊ هطل أجش وبارح ترب

فهي من الحاء الى الباء وقد تكون كلمتين كقوله

مكر مفر مقبل مدبر معا ❊ كجلمود صخر حطه السيل من عل

فهي من الصاد الى الياء ومثله قول الناظم ❊ ولا تكلفنا بما لم نطق ❊
فالقافية من لام لم الى الياء الى الوصل اخر البيت وذلك كلمتان وعند الاخفش
هي الكلمة الاخيرة من البيت ما كانت فهي في قول امرئ القيس لا تهلك اسى
وتجمل: تجمل، وفي قوله حتى بل دمعي محملي: محملي، وفي قوله الآخر هطل أجش
وبارح ترب: ترب، وفي قوله حطه السيل من عل: عل، وفي قول الناظم ولا تكلفنا
بما لم نطق: نطق، ثم القافية باعتبار تحرك رويها وعدم تحركه قسمان
مكلفة وهي التي رويها متحرك اما بالفتح كقول ابي الطيب ❊

فبينا نحن من ربع وقارزه تنا كثيبا · فلاح كأنه الشرق للشمس والغربا

أو بالكسر كقوله

فقلنا له أمرر النابين سهما إلى قلبه · واقتلهم للرائعين بلا حرب

ومثله قافية الناظم فإنها مطلقة مكسورة الروي أو بالفتح كقول أبي الطيب

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب · وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

ومقيدة وهي التي رويها ساكن كقول جار الله

مليح ولا كالحسن عند كل جعفرة · ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر

والروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال مثلا قصيدة لامية كلامية العرب ولامية العجم وهمزية كهمزية البوصيري وقافية كقافية الأزهرية التي نحن بصدد الكلام عليها وحركة الروي من فتحة أو كسرة أو ضمة تسمى المجرى بفتح الميم وقد تضم وحرف اللين الناشئ عن حركة الروي من ألف أو ياء أو واو يسمى الوصل وهو حرف الإطلاق فالروي في أرجوزة الناظم القاف والمجرى الكسرة التي عليه والوصل الياء الناشئة عن إشباع حركة الكسرة وتنقسم القافية أيضا باعتبار الفصل بين ساكنيها وعدمه إلى خمسة أقسام لكل قسم لقب يخصه فإذا لم يفصل بين ساكنيها بفصل فهو القسم المسمى بالمترادف كقول الهمامية في النبي صلى الله عليه وسلم

يا ليت شعري والمنى يا الهوى · هل تجمعني وحبيبي الدار

بإسكان الراء وإن فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك فهو المتواتر كقوله

وقد زعموا أن المحب إذا دنا · يمل وأن النأي يشفي من الوجد

وإن فصل بينهما حرفان متحركان فهو المتدارك كقوله

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل · بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وإن فصل بينهما ثلاث متحركات فهو المتراكب كقول العباس في النبي صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت في الظلال وفي · مستودع حيث يخصف الورق

وإن فصل بينهما أربع متحركات وهو أقبح ما يكون من القوافي يسمى المتكاوس كقوله

لغزالة في الديار مجيبة · وقد لقيت من هواك نصبا

والعراقي لا يعد هذا القسم ويجعله من قسم المترادف لأن تعليله إنما هو مستقل
في خلده أن يحتمل للام اهـ إذا عرفت هذا فاعلم أن قافية الناظم تارة تكون من
القسم الثالث أعني المترادف وهو الأكثر فيها وذلك إذا سلم الضرب من
الخبن كقوله * بكل فج وفلاة سملق * وتارة تكون من القسم الرابع أعني
المتراكب وذلك إذا كان الضرب مطويا كقوله * ولا تكلفها بما لم تطق *
وتارة تكون من القسم الخامس أعني المتكاوس وذلك إذا كان الضرب مخبولا بالطي
كقوله * من نقب ومن وعر وسلس * وقصرنا بالإكالة هنا أن
يتوقف ناظر هذه الأرجوزة فيما يحتاج إليه فيها من هذا الفن على كتاب آخر
والله تعالى أعلم ثم إن الناظم رحمه الله سلك مسلك من تقدمه من
الشعراء في افتتاح شعرهم بالنسيب وهو أمر مجمع عليه عندهم وإن كان
المتنبي قد انتقد عليهم ذلك حيث قال

*

إذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل فصيح قال شعرا متيم

لحب ابن عبد الله أولى فإنه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختم

لكن الناظم لم يعرج عليه اقتداء بالجمهور على أن أبا الطيب إنما قال ذلك
تفننا في أساليب البلاغة واكتفاء بالانتقاد عليهم بدليل أنه لم يخل شعرا
له من النسيب إلا في القليل وإلا فالنسيب من أحسن ما حلي به الشعر وخرج
به للمدح قالوا وسبب الافتتاح به أنه مما تنفعل له النفس ويرق
الطبع وتنشط له الجوارح ويحيا من القلب منه أريحية تبعث على مكارم الأخلاق
والفتوة فلا ينبغي للمنشد أن يتخلص إلا وقد طابت النفس وسكنت الجوارح
وتوفرت الدواعي على الاستماع فيقع المدح من السامع موقعا عظيما ويكون
ذلك أدعى لقضاء حاجة المادح وأسرع في بلوغ غرضه من الممدوح والعرب
تسمي الشعر رقية الشيطان وقد جعل أبو علي ابن رحال رحمه الله النسيب في
صدر المدح بمنزلة التوشية بين يدي الغناء ولا شك أن التوشية تنشط النفس
وتهيج همتها على السماع وتقبل عليه بكليتها قال ابن مسلم في شرح الكعبية
النسيب عند المحققين من أهل الأدب جنس يجمع أربعة أنواع أحدها ما في المحبوب
من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد وكالجلالة والتنعم

الثاني ذكر ما في المحب من الصفات ايضا كالنحول والذبول وكالسهر والشغف
قلت والى هذين النوعين اشار مالك بن المرحل في نظم الفصيح بقوله

وتنسب الشاعر بالفتاة ... ينسب والنسيب في الابيات
ان يصف الفتاة بالجمال ... ونفسه بالحب والبلبال

الثالث ذكر ما يتعلق بهما معا من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء واخلاف
الرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ونحو ذلك ه قلت
وبيان النسيب في كلام الناظم انه اشار الى فراق احبته ورحيلهم عنه وافتقاده
اثارهم ووصف شيء من اطلالهم بعدهم وانه شيء حسي وشوقه عنهم فيحتمل ان يكون
كذلك في نفس الامر ويحتمل انه تخيله بصورة الحسي وان لم يكن كذلك لان من
شان المحب ان يتخيل المعنى بشيء يحول بينه وبين التنعم بالقرب من محبوبه متكيفا
فيه الحال في عشاء هذا الاطلال ثم انتقل منه الى وصف المحبوبة بالبرع ووصف
والكلام كما سياتي بيانه ان شاء الله واقبح حاله انه لو وجد السبيل الى منع احبته
من الرحيل لما سمحت نفسه بتركهم كما قال ابو الطيب

قد كنت احذر بينهم من قبله ... لو كان ينفع حائنا ان يحذرا
ولو استطعت اذا اغتدت روادهم ... لمنعت كل سحابة ان تقطرا

لاكنه لما لم يقدر على ذلك اتى بما في طوقه فقام حاديهم بالتمهل في السير تعللا
بذلك لو كان يغني عنه شيئا فقال

(مهلا على رسلك حادي الاينق ... ولا تكلفها بما لم تطق)

اللغة قوله مهلا المهل بسكون الهاء وتحريكها اسم مصدر امهل الرباعي بمعنى
الامهال وهو السكينة والرفق في الامر ويقال بهلا بالباء الموحدة بدل الميم
وقيل ان مهلا مركب من مه بمعنى اكفف ولا النافية وهو ضعيف ولا تلحقه
علامة الفرعية اذا استعمل في الطلب كما هنا فتقول مهلا يا زيد ومهلا يا هند
بلفظ واحد وكذلك في التثنية والجمع وتقول مجيبا لمن قال ذلك لا مهل والله
ولا تقل لا مهلا بالتنوين لان اسم لا المفرد يبنى على الفتح وتقول ما مهل والله بمغنية
عنك شيئا مرفوعا منونا قال الكميت

اقول له اذا ما جاء مهلا ... وما مهل بواعظة الجهول

قوله على رسلك الرسل والرسلة بالكسر فيهما والترسل الرفق والتؤدة وترسل
في قراءته تمهل وافعل كذا على رسلك اي على تهينتك والهينة بتشديد الياء ضد
العجلة واصلها الواو وقوله حادي الحادي اسم فاعل من حدا الابل يحدوها
حدوا وحداء بضم الحاء وكسرها والدال مهملة اذا زجرها وساقها كذا في القاموس
وقال الجوهري الحدو سوق الابل والغناء لها ثم قال ويقال للشمال حدواء لانها
تحدو السحاب اي تسوقه قال العجاج * حدواء جاءت من بلاد الطور *
والانيق جمع ناقة وهي الانثى من الابل قال ابو عبيدة ولا تسمى ناقة حتى تجذع
وذلك في السنة الخامسة وقال الجوهري الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها
جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد
جمعت في القلة على انوق ثم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا اونق حكاه
يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق ثم جمعوها على اياني
وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا ان الواو صارت ياء لكسرة ما قبلها
وانشد ابو زيد للقلاخ بن حزن

* ابعدكن الله من نياق * ان لم تنجين من الوثاق *

وبعير منوق اي مذلل مروض وناقة منوقة. قوله بحالة لم تكن الكآفة الغزالة على
الشيء اضعفته اكافة فدرت عليه فانا مكيو والاسم الكآفة مثل الكآبة اسما
من الهلاع والجبانة اسما من الجبن وفي المثل اساءة سمعا فاساءة جابة وكذلك الغارة
بالمعجمة والعارة بالمهملة قال المفضل الضبي هذه خمسة احرف جاءت هكذا بمعنى
انها اسماء وضعت موضع المصدر والله اعلم **الاعراب والتصريف**

قوله مهلا مفعول مطلق عامله محذوف تقديره امهل مهلا ولذا ناب المصدر عن
الفعل جوازا ووجوبا لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه قوله على رسلك جار ومجرور
يتعلق بمحذوف واجب الحذف ايضا تقديره سر على رسلك وانما وجب الحذف لان هذا
اللفظ جار في كلامهم مجرى المثل بسبب استعماله وكثرة دوره على الالسنة نظير
ما قالوه في قوله تعالى انتهوا خيرا لكم مما مقتضى القواعد وفي كلام بعضهم ما يقتضي
ان الحذف جائز لكن قد يتفق على وجوب الحذف في عبارة الناظم من اجل مشاكلتها
لما قبلها ومحله في مقام الطلب كما هو الموضوع واما في مقام الاخبار فيجوز

الكلمة لانعدام بلا اشكال كقوله

لئن فرقت قبل رجال بطعنة *** فسيت على رشط وكنت المقدما *

وقوله فرقت مبني للفاعل وكذلك المقدم آخر البيت كقوله تعالى لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله وقول الناظم رحمه الله فمهلا على رسلك جملتنا ركلبيناه
أولاهما ذات مفعول مكلم والثانية ذات مفعول ربع ويكثر هذا التركيب في قول امرئ
القيس أفاطم مهلا بعض هذا التدلل *** وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
فقوله فاطم منادى مرخم مبني على تقدير حرف النداء أي يا فاطمة الذي قال
ابن مسلم لا يقدر عند حذف حرف النداء إلا يا خاصة لأنها أم باب النداء
فاختصت من بين سائر أدواته بالحذف فمنه هذا وحذف النداء ثابت مع
والجملة معه بقلبه بتقدير يا عبد الله أي عبد الله وتقدير يا حادي الإبل
أي حادي الأبل أناديه وقس على هذا وفسر الناظم الفتحة في المنقوص
مع خفتها إما ضرورة وإما على لغة من يجيز ذلك من العرب قال الدنوشري ومن العرب
من يسكن الياء في النصب قال الشاعر

ولو أن واش باليمامة داره *** وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا *

قال أبو العباس المبرد ومن أحسن ضرورات الشعر لأنه حمل حالة النصب
على حالتي الرفع والجر قلت لا ممنوع لقوله ضرورات الشعر بل هو لغة
كما قرئ وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه من أوسط ما تطعمون
أهاليكم بسكون الياء وأصل حادي حادو بالواو ولما تقدم من أنه مشتق من الحدو
فلما تطرفت الواو وانكسر ما قبلها وصارت عرضة لسكون الوقف قلبت
ياء لأن ذلك عادة كلام العرب أن الواو لا تسكن عقب كسرة كما أن الياء لا تسكن
عقب ضمة والحكم في ذلك إذا اتفق شيء منه أن تقلب الواو ياء والياء واوا
والحداة جمع حاد كالقضاة والغزاة والغزي كما تقدم ويدل لحذفهما في الفعل في قول طرفة
للمسيب بن علس استنوق الجمل أي تحول ناقة ثم قدمت عين الكلمة التي هي الواو
على فائها التي هي النون فصار أينق فنقل الضمة على الواو فصار أونق على وزن
أعفل ثم قلبت الواو ياء مبالغة في التخفيف فصار أينق قال الراجز

جمعتها من أينق موارق *** ذوات ينهض بغير سائق

أي اللاتي يتمضين وتصغير اللذين الذي تكلم به الناظم اللذيان والقياس اللذيين
قوله ولا تكلفهما لا ناهية وتكلف مجزوم بها وفاعله ضمير المخاطب واجب
الاستتار والضمير المنصوب يعود على اللذين قوله بما لم تكن جار ومجرور
يتعلق بالفعل قبله وكان الأولى للناظم أن يقول ولا تكلفهما ما لم تكن بدون
باء لأن كلف المضعف يتعدى إلى اثنين بنفسه قال الله تعالى لا يكلف الله
نفسا إلا وسعها والكلام من أنه زادها في المفعول الثاني كما زادها حسان
رضي الله عنه فيه حيث قال *

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تسقي الضجيع ببارد بسام

ومع ما في الباء من الإشعار بمعنى الإلصاق الذي هو وضعها الأصلي الذي
وضعت له أولا ويحتمل أن يخرج كلام الناظم على معنى التضمين بأن يضمن لا تعنيهما
بما لم تقدر عليه وتصل إليه وما يحتمل أن تكون موصولة واقعة على الشيء الصعب
الذي دل عليه السياق ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء والعائد محذوف
على كل حال ويرجح الأول أن حذف العائد من الصلة أكثر منه من الصفة لأن
الموصول لا غنى له عن الصلة فيتوجه إليها بذاته فحسن حذف الرابط معه
بخلاف الصفة ويرجح الثاني أن تقديره بما قاله أدل على اعتنائه بأمر
اللذين واهتمامه في احتفائه بشأنهما حيث نهاه أن يكلفهما كل شيء لا تطيقه
أيا كان من شأن التي بالفعل والبلغ في الفراغ وأصل تكن تكون بالنون فبل آخره
فلما دخل الجازم والتقى ساكنان حذف الأول لكونه حرف لين المعتل فيه
في كلام الناظم رحمه الله إيجاز الحذف والإيجاز هو أداء المقصود بأقل
من عبارة المتعارف ويقابله الإطناب وهو أداؤه بأكثر منها وبيان الإيجاز
الحذف في كلام الناظم أنه مشتمل على حذف العاملين من الجملة الأولى والتي بعدها
أعني قوله مهلا وقوله على رسلك ويقل حذف حرف النداء من قوله
اللذين وارتكب الفصل أعني ترك العطف في ثانية الجملتين أعني على رسلك لما
بينهما من كمال الاتصال لأن الثانية نفس الأولى في المعنى فهي منزلة منها
منزلة التوكيد اللفظي منها قبله وتكريرها قول الغير في الغيث كما مر *
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * البيت وارتكب في الجملة الثالثة أعني جملة

ولا تكلف في الوصل الذي هو العطف لما بينهما وبين المعطوف عليهما من التوسط
بين الكمالين أعني كمال الاتصال وكمال الانقطاع لأنهما وإن اتفقتا في
الفعلية والانشائية فقد اختلفتا في الأمرية والنهيية فكان لذلك بينهما
توسط بين الكمالين يوجب الوصل والجامع بينهما التضاد الحاصل بين الرفق
المأمور والعنف المنهي عنه وهذا الجامع وهمي لأن الوهم ينزل المتضادين
منزلة المتضايفين في أن كلا منهما يحضر في الذهن بحضور صاحبه وحسن هذا
الوصل كون كل منهما جملة فعلية طلبية ونظيره قوله تعالى واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وقوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت ونحو كثير وإنما قال له علل حزنك من النداء مع ابعاد
الديار بشرك قربه منه وأن البشر وحمله على أن هذا ربعهم وأحبته لم يتخلف
عنهم فيه شيء بخلاف ما لو صرح بحزن النداء فإنه يوهم بعد الحادي عنه وأن
ذلك من أجل تخلفه عن أحبته وبروده في حبهم من قلبه وأيضا حذفه قصدا
للاختصار واحترازا عن العبث في الكلام من وقع ضيق المقام بسبب ما هو فيه من
ألم الفراق وتعب السير وما خامر قلبه من الوجد الذي أضله عمن أشرك ومن قد
عما يغنيه من وصف الحمى المعاشية والمعادية وأقبل يعتسف البلاد خلف
أحبته ويتبع آثار ريهم أين ما سلكوا وأين ذهبوا وأن في الأبيات للحضور

البيان في كلام الناظم رحمه الله الكناية ومعنى لفظ أريد به لازم
معناه مع جواز إرادته معه كقولهم في الكناية عن الجود فلان كثير الرماد
وفي الكناية عن البلادة فلان عريض القفا وبيانها في كلام الناظم أنه كنى
عن استيفاء محبوبته مضيئة عن سمعا لا يفوز منها بتذكرة حسبما أفصح عنه
بعد بقوله * فربما يبدو إذا ابتز لي * البيت باستعمال الحادي وتعبيره
عن أن يكلف الإبل ما لا تطيق والكلام في جدال هذا الحادي وخطابه في شأنه لا
وكل ذلك غير مقصود له وإنما مقصوده ما على الإبل لا الإبل لأنه تستر
بمنزلة الكناية خوفا من الوشاة إذ من قوم المحبوبة أن يفطنوا عليه فيكيدوا أو
أن يقطعوا صحبته بالكلية فعدل عن ذكر المحبوبة إلى الإبل وقد تلطف في ذلك
ما شاء وبعضهم يجعل هذا ونحوه من باب الدلالة بالسياق والتبعية لا من باب

الكناية وتقريرها يطول والله تعالى اعلم البديع في كلام الناظم
رحمه الله حسن الابتداء وهو عبارة عن كون الابتداء عذب اللفظ حسن
السبك صحيح المعنى فاذا انضم الى ذلك كونه مشعرا بغرض الناظم ومؤذنا بما
سيق الكلام من اجله كان براعة استهلال وهي اخص منه كما ترى واورد ابن
المعتز في هذا الباب قول النابغة *

كليني لهم يا اميمة ناصب — وليل اقاسيه بطيء الكواكب

قال زكي الدين ابن ابي الاصبع رحمه الله لعمري لقد احسن ابن المعتز في الاختيار
فانه لو نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فان ابتداء امرئ القيس على تفرده وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا
لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني وليس
في الشطر الثاني شيء من ذلك وعلى هذا التقدير فمطلع النابغة افضل من جهة
ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس اكثر معاني وما
يحكم ابتداء امرئ القيس في النفوس من الافتقار على سماع عجز البيت فانه
وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واذا تأمل
الناقد البيت بكماله حكم له بتفاوت القسمين **قلت** واذا تأملت
ابتداء الناظم رحمه الله وجدته مستجمعا لهذه الشروط وزيادة فانه عذب
اللفظ حسن السبك صحيح المعنى لطيف الاشارة متناسب القسمين مع ما
بينهما من التناسب ومطلع الناظم قول الشريف ابي جعفر البناي في الرقو بالارق الكلف

ما شاء رفقا بمن تحملا ظلما حيرانا * او ما تراهما اعكمها وعلودا *

ومنه القصيدة كم فيها الغريب التي يشكلها غيره لان ناظمها نسج جميعها على هذا
المنوال ومنها قوله *

يغلين ناصية الفلا بمناسم — خضبت الوجى بدماء من البيدا
وكأنما تشري رداء الحنك — وتقص منه بسيفها من عقودا

واعلم ان مشايخ البديع قد نبهوا على ان الشاعر يجب عليه ان يتأنق في حسن
الابتداء ويجتنب في المطلع ما يتطير منه فانه اول شيء يقرع الاسماع ويتعين

فعليه التكرر في احوال الجنا كثير والمقرر حيث يشترى بها اثمانا سبب الجمال وبواعث
الثناء لا سيما في خطاب الملوك ومنه العمدة في حسن الادب والله اعلم وفي
كلام الناظم التصريع قال ابن حجة وهو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر
البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب وقال غيره هو ان يوافق
العروض الضرب في الشعر الذي اختص بالضرب قال ابن حجة وهو الذي لم يكن
بمطالع القصائد بروايته وسببها قرينة تنبه الاسماع والاذواق قلت
وفي كون التصريع يزين الشعر حسنا ورونقا يقول بعضهم في وصف جميل قده
وفرقه وابن غرته

عجبا لهذا الشعر زاد بفرقه * حسنا كحسن الشعر بالتصريع

قال الشعر في صدر البيت يشبه التشبير وفي عجزه يكسرها وقسمه ابن الاثير في المثل
السائر وكذا الصفي في الشرح الى سبعة اقسام وجعل الاول اعلاها وهو ان
يستقل كل واحد من المصراعين بنفسه كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

ويسمى الكامل قلت ومثله بيت الناظم رحمه الله وبعض المتاخرين يسمي
ما وقع في بيتي امرئ القيس والناظم تذهيبا وهو اعم من التصريع وفرق بينه
وبينهما بان التصريع لا بد ان تتغير فيه العروض كقول كعب بن زهير رضي الله عنه

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

بخلاف التقفية فلا يشترط فيها ذلك والله اعلم ومعنى الكلام
يقول اجملا ايها الخليلان وارفق بنفسك وتان في سيرك ولا تكلف هذه الابل
فالبشر في كونها من هذا السير العنيف الذي اخترتماه واخذتما به ما سيما
او لا تكلفها كل ما لا تطيقه من سير وحمل ثقيل وغير ذلك من
ضروريات السفر وارفق عليها تجمع ما فيها فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى كما قال صلى الله عليه وسلم ومن اداب السفر الشفقة وغير ذلك
او اسكتها وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وانما صرح الناظم اللائمة ان الخليلين وخصهما بالعتاب دون غيرهما وتعب لهـ

لأنه جنس من جنود الفراق ومن أفردوا اشتقاق البين وذلك أن للشعراء في التشاؤم
بأسباب البين مذاهب فمنهم من ينسب ذلك الى الغراب ولذا اهتدوا أن البين
وسموه الحاتم لأنه يحتم عليهم بالفراق ويتشاءمون به في زعمهم وضربوا به المثل في
الشؤم فقالوا أشأم من غراب البين وقال عنترة

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الأبقع

وقال قيس بن ذريح

لقد نادى الغراب ببين لبنى ... فكاد القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى ... وتنأى بعد ودّ واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب ... وكان الدهر سعيك في تباب

ومثله كثير في اشعارهم ومنهم من ينسب ذلك الى الإبل لأنها التي تحمل الأحبة
وتقطع بهم المفاوز الشاسعة وتسير بهم الى حيث يتعذر الوصول اليهم الا
بالمشقة الفادحة ومن هذا المعنى قول بعضهم

غلط الذين رأيتهم بجهالة ... يلحون كلهم غرابا ينعق
ما الذنب إلا للأباعر إنها ... مما يشتت جمعهم ويفرق
إن الغراب بيمنه تدنو النوى ... وتشتت الشمل الجميع الأينق

ومثله قول ابن [illegible]

لعمر الهوى لم يكن عوننا على النوى ... ولا زال منها ظالع وحسير
وما الشؤم في نعق الغراب ونعبه ... وما الشؤم إلا ناقة وبعير

وقول أبي الشيص

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
وما إذا صاح غراب في الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

ومنهم من ينسب ذلك الى الحادي ومنهم الناظم وقد أحسن حازم في الكشف عن
المراد من هذا المذهب حيث قال

ما لمت في يوم النوى ابن داية ... ولا بنات العيس بل من زجرا

ابن داية هو الغراب سمي بذلك لأنه يقع على داية البعير أي دبرته كما مر فيه ما وبنات العيس الإبل منسوبة إلى العيس وهو فحل كريم كان لهم. قال المبرد من أفصح الأبيات الذي يقول

ألا قد عموا أنه الرواحل إنما ... مطايا قلوب العاشقين الرواحل

على أن بين الراحلات غير النوى ... إذا ما نأى بالأليفين التواصل

وفي معناه قول الآخر

زعموا بأن مطيهم سبب النوى ... والموت ذاك بفرقة الأحباب

لو أنها تحنو لما أبغضتها ... وبها لهم سبب من الأسباب

ذكر الحداء وما قيل فيه

الحداء سوق الإبل بضرب من الغناء قال

بغيتها ومني لك الحداء ... إن غناء الإبل الحداء

ويكون بالرجز غالبا وأول من حدا الإبل مضر بن نزار بن معد بن عدنان كان في إبل لمضر فقصر فضربه ثم على يده فأوجعته فقال يا يداه يا يداه وكان حسن الصوت فأسرعت الإبل لما سمعته في السير فكان ذلك مبدأ الحداء رواه ابن سعد بسند صحيح عن طاووس مرسلا وأورده البزار موصولا عن ابن عباس من دخل حديث بعضهم في بعض قاله في إرشاد الساري وفي طرب الإبل للحداء ونشاطها للسير عند سماعه يقول البوصيري رحمه الله

فما رنت عن ربات البلد ربع هبا ... وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

وقال كشاجم

إن كنت تنكر أن في الألحان فائدة ونفعا

فانظر إلى الإبل التي لا شك أغلظ منك طبعا

تصغي لأصوات الحداة فتقطع الفلوات قطعا

وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب السماع من الإحياء لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي

أن يظهر ذلك للفهم وعلة التأثر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه
الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف
يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فإنه يسكته الصوت
الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه والجمل مع بلادة
طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة
نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره
ويولهه فترى الإبل إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال
تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى الحادي
ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها
وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد
حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي رضي الله عنه قال كنت
بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه
فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت
وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف
ولك حق فتشفع في إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا
القدر فعساه يحل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل
ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت
ماذا فعل فقال إن له صوتا طيبا وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملت
أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من
طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت
ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره
أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام الجمل وقطع
حباله ووقعت أنا على وجهي فما أظن أني سمعت قط صوتا أطيب منه ولما
انقضى أمر بني أمية بالمشرق وقتل مروان الحمار آخر خلفائهم أتى أبو جعفر
المنصور بغنائمهم وفيهم عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهم
المنصور بقتلهم فقال البعلبكي استبقني يا أمير المؤمنين فإني مؤذن منقطع النظير

قال وما بلغ من أدبك قال أنا أمتحن جارية بتحريك اليد كيسنا وتأخذ بين يديها إبريقا
وتصب الماء على يدي فانتبه بالأذان فإذا سمعت الأذان دهشت وذهب
عقلها حتى تلقي الإبريق من يديها وهي لا تعلم فأمر المنصور جارية ففعلت
ذلك وأخذ المغلبكي في الأذان فكان كما قال سواء وقال سلام الغادي استبقني
يا أمير المؤمنين فإني أحسن القراءة قال وما بلغ من قراءتك قال تقرأ الإبل فتخمصها
ثلاثة أيام ثم تورد بها الماء فإذا أخذت في الشرب رفعت صوتي بالقراءة فترفع
رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تعود إليه حتى أسكت فأمر المنصور بإبل ففعل بها
ذلك فكان الأمر على ما قال فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه وقال عبد الحميد
استبقني يا أمير المؤمنين فإني من الزمان في الكتابة والبلاغة فقال المنصور ما
عرفني بك إلا أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وأنزلت بنا الدواهي وأمر به فعذب
ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه رحمه الله

*

فكم لها كلفتها وسقتها * سوق فتى من حالها يشقى

اللغة قوله فكم لها الكلف أي الفرح خلاف العسر وكذا الكلفة اشتركا اشتكال
صغر كلفة وبلي وكلف الكفراء وهي كلفة وكالة كذلك والجمع كلف وكلف بالكسر
فيهما والكلف الكبار الشجر في الكفل والكلالة المرأة ولدت أولادا كلالة وفي
المثل إن الفصيل إذ قد تكمل وقال الجوهري وابن الأثير أنه حديث وقولهم في المثل
قصير من طويلة يريدون تمرة من نخلة يضرب للاختصار في الكلام قوله وسقتها
السوق خلاف القود سقتها والدابة سوقا وسياقة ومساقا واستاقها فهو سائق
وسواق قال الراجز

* *

قد لفها الليل بسواق حطم   ليس براعي إبل ولا غنم

قال الخليل القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذا بقيادها والسوق أن يكون
خلفها وتساوقت الإبل تتابعت قوله فتى الفتى الشاب والفتى من الإبل والأنثى
فتاة الجمع أفتاء وفتية ولعله المراد للناظم ثم استعير للعبد والأمة وإن كان شيخا مجازا تسمية
له باسم ما كان عليه والفتى أيضا السخي الكريم يقال هو فتى بين الفتوة في
الكرم وقد تفتى وتفاتى والجمع فتية وفتوة غلبت الواو فيهما ويثنى الفتى بالياء كثيرا وبالواو
قليلا فيقال فتيان وفتوان وفي التنزيل وذكر فتاه ودخل معه السجن فتيان ويجمع في القلة على فتية

وفي الكثرة على فِتيانٍ وفِتيةٍ قوله تعالى وقال لفتيته بالوجهين ويجمع ايضا على فُتِيّ
بضم الفاء وكسرها على لغة الياء كعُصِيّ وعلى فُتُوّ بضم الفاء على لغة الواو
كعُلُوّ وقال سيبويه ابدلوا الواو في الجمع والمصدر شذوذا قوله من حالاتها
حال الشيء صفته التي هو عليها يذكر ويؤنث فيقال حال حسن وحسنة ومن التانيث
قوله * اذا اعجبتك الدهر حال من امرئ * فدعه وواكل امره واللياليا
وقد تؤنث بالهاء فيقال حالة وتجمع على احوال واحولة وتصغر على حويلة وحالات
الدهر واحواله صروفه وتقلباته وبعض اهل الفن يفرق الحال انها كانت من الصفات
غير راسخ في النفس لانها مشتقة من التحول والانتقال فاذا كانت الصفة راسخة
فهي ملكة ويقرب من هذا المعنى اصطلاح السادة الصوفية رضي الله عنهم
فانهم يطلقون الحال على الواردات التي تزول فاذا دامت فهي مقامات
قوله لم يشفق قال في المصباح اشفقت من كذا بالالف حذرت واشفقت
على الصغير حنوت وعطفت والاسم الشفقة وقال الجوهري اشفقت عليه فانا
مشفق وشفيق واذا قلت اشفقت منه فانما تعني حذرته واصلهما واحد

الاعراب والتصريف

قوله فكما انما كان الفعل ماضيا اجوف واوي
العين مضموما حملا له على نقيضه اي من قصر ونحي الوصف منه على فعيل
وقيل من مفتوح العين وعلى كلا الوجهين فقد تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت
الفا وهذا الفعل مكفوف لا فاعل له كقل وكثر اذا وصل كل منهما بما الكافة
قال ابن هشام ما الكافة عن عمل الرفع لا تتصل الا بثلاثة افعال قل وكثر
وطال وعلة ذلك شبههن برب ولا يدخلن حينئذ الا على جملة فعلية صرح بفعلها
كقوله قلما يبرح اللبيب الى ما * يورث المجد داعيا او مجيبا
فاما قول المرار *
صددت فاطولت الصدود وقلما * وصال على طول الصدود يدوم
فقال سيبويه ضرورة ه وقال الفارسي وابن جني ما جعلت هنا عوضا عن الفاعل
اذ كان الفعل لا يخلو عن فاعل مضمر او مظهر ولما خلت منه وقع بعدها الافعال
فانه يكن يقع قبل ذلك لهما فصارتا موضوعة للفعل خاصة بمنزلة ربما فلا يليها
اسم البتة وقال ابن جني ينبغي ان تكتب قلما وطالما موصولتين لانهما غير مفصولتين

فيها وذلك انها خلطت بها وجعلت جزءا منها وهيأتها لوقوع الفعل
بعدها فلما اتصلت بها معنى وجب ان تتصل بها خطا وكان ذلك يجب في كثير
من ابنية ان التاء لا تتصل بما بعدها ه قلت نحا هذا ابو البقاء في كلمتا ان تكون
ما مصدرية وحينئذ فيجب الفصل والله تعالى اعلم قوله كلفتها اهل التكليف
ان يفعلوا او يفعلوا لئن يقال كلفته الامر فتكلفه كذا في المصباح لاكن الناظم لم
يأت هنا بالمفعول الثاني اما لكونه ضمنه معنى فعل لا يتعدى الى اثنين نحو اتعبتها
او عنيتها وما اشبه ذلك واما لعدم تعلق الغرض به فتركه للعلم بالنسبة
اليه فلا يذكر معه ولا ينوى اذ المنوي كالثابت قوله وسقتها من فعل
من اجوف واوي العين واصله قبل الاعلال سوقتها بفتح الواو ومربها فنقل
ثم قلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الالف والقاف
فحذفت الالف التي هي عين الكلمة ونقلت الحركة المقدرة فيها بعد حذفها
ضمة الى فاء الكلمة التي هي السين هذا مذهب الاكثر وبعضهم يقول لما حذفت
العين حركت الفاء بحركة مجتلبة للدلالة على ان العين واو والضمير المنصوب
في كلفتها وسقتها للابيات قوله سوق فتى مفعول مطلق اصله سوقا مثل سوق
فتى فحذف الموصوف وناب عنه المضاف اليه من الصفة ثم حذف المضاف وناب
عنه المضاف اليه فانتصب انتصابه كقولك ضربته ضرب الامير وكقولهم في
المثل كلمه كلمى الحنيفاء ركز عبد وهو لقب سيار الذي خرج منا رثا من حمود
ابن الحيز وكان قد قتل اخاه عمرا فلقيه ابن عم له وبيده قناة وزاد
فقال ابن ... ان الله يعفو كي لا يفقد به عمرو بفقد فقتلت اخاه فقال له اخر
اخرى ابنا فتيبر وسنا كرمه زاد له عقدا ولم يغضب فقال له الحنيفاء بسيفه فقتله
واخذ ابنا فتيا للاخر وقيل ان ابلر سمع منا ثقبا يقول

كمثل المنتقى جوز فيه للفاعل جوز

ورفاه بسيفه فقتله تضربت العرب بكلمة المثل فقالوا كلمة كلمة الحنيفاء
وكلم ولا ككلم الحنيفاء قوله فتى اختلف في لام الفتى هل هي ياء او واو
قال سيبويه انها واو وبه قال الفراء والاستاذ ويشهد لكل منهما جمعهما بوجه
لما قال لاكن سيبويه يقول ان الواو في المفرد والجمع بدل من الياء شذوذا بعلى

مذهبه يكتب بالياء ويجوز اهماله وعلى مذهب غيره يكتب بالالف ولا يبدل
فقوله من عطف المفرد على المفرد ويجوز ان يتعلق بمشتهر والجملة نعت لمشتهر والانسب
ان يكون الاشتهار بمعنى الظهور والغلبة لا بمعنى الخبر ولولا ما يبعده من
تعرية الناظم له من الغير في تعريفه عن الجزئين انما اذا قلت اشتهرت منه فلما تعين
عن ذكره ويجاب بان من جملة من ان اطلقهما واحد فكل منهما يستلزم الاخر والاذنه
تعالى اعلم **العطف في** الفاء في قوله فيكفي لما للسببية المحضة وليست
عاطفة لئلا يلزم عطف الخبر على الانشاء وهو ممنوع عند الجمهور والمحققين
وفي ذلك يقول بعضهم

*

وعطفك الانشا على الاخبار وعكسه فيه خلاف جار
اهل البيان وابن مالك ابوا كذا ابن عصفور وبالجل اقتدوا
وجوزته فرقة جليلة كسيبويه وابن هشام ليلة

وبيان السببية في كلام الناظم انه يقول انما امرتك بالتمثل وتعيينه عن
تكلف الدليل فالا تكلف بسبب انه لما كلفتهما في كلامه على من اتجاز
الحذف وقد مر تفسيرك واعلم ان مثل الفاء من التي لورايتهما في مثل هذا التي كما
مضارع لكان متصرفا نحو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وفي قوله سرو وبتّ ايجاز حذف ايضا اذ التقدير سروا مثل سرو وبتّ مثل بيتهما
بينا له في الاعراب وارتكب الناظم في جملة وسعتها الوصل لما بينهما وبين التي
قبلهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية ووجود الجامع بينهما المناسبة
الكاملة بين التكليف والسرو والبيت وحسن هذا الوصل كون كل منهما بغلبة
ماضوية واما تقديم المعمول في قوله من عطا بما لم يشعر بالتقديم انه للافادة
القصر ان سار في قوله سرو وبتّ التشبيه المؤكد وهو الذي حذفت اداته
حذفا مستمرا وعادت نسيا منسيا بحيث لا تكون مقدرة في نظم الكلام للاشعار
بان المشبه عين المشبه به كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب اي مثل مر
مر السحاب ثم تحرى فيه بالحذف والاضافة وكذا قول الناظم سرو وبتّ
اصله سروا مثل سرو وبتّ مثل بيتهما من تكلفا فلو كانت الاداة مقدرة فلا يكون
التشبيه مؤكدا فالا بحسب المحققين وفيه ايضا مجاز الحذف وهو كثير في التلخيص

كلمة تغير حكم اعرابها بحذف لفظ او زيادة فمثال الحذف ومثال القرينة ومنه
ناصفا لمن هو كذا من الشطح بان لا انسان يفعل فعل غيره ومثال الزيادة في
ليس كمثله شيء وفيه ايضا الكناية على حد قولهم مثلك لا يبخل بل يجود اي انت
لا تبخل وبيانه في كلامه انه اطلق الملزوم الذي هو نفيها عن مثله سيق فيه لسوء ممن
لا يشفق واراد اللازم الذي هو نفي الشفقة عنه اي انت لا تشفق الا عليك من
هنا احد من غيرك فان قلت فما وجه احتياج الناظم الى هذه الكناية قلت
وجه احتياجه اليها انها ابلغ من التصريح لانها كدعوى الشيء ببينة وايضا
فكانه تستر بها اتقاء لشر هذا الحاكم وخوفا من ان يغري مع فرط محبوبته
فيصرف وجهه عنهما والحاكم هو اعظم منزلة منه لديهم لانه قايم بشؤونهم وساع في
مصالحهم وفي ذلك مزية منه عليهم ويرى له عندهم توجب له سماع قوله
وقبول رأيه ونصحه وايضا عدل عن مواجهته بالمكروه رفقا به لان الرفق
في كثير من المواطن ابلغ في نيل المقصود من العنف بكثير وفي قول الله تعالى
لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا الاية فالعاقل العارف
بوجوه السياسة يستعمل الرفق اولا مع العدو والقريب والغريب والبعيد
حتى اذا لم يجد انتقل الى غيره من التنكيل والنفي او الاضمحلال بالكلية وهذا
كثيرا ما يتعرض في النفوس الابية والاغراض الزكية وفي المعنى يقول ابو الطيب

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني

ويقول ايضا يصير عداوات البغاة بلطفه ... فان لم تبن منهم اباد الاعاديا

وهذا مذهب الناظم رحمه الله الا ترى انه ابتدأ الحاكم اولا بالرفق حيث
لم يواجهه بالمكروه ولم يصرح بنسبته الى عدم الشفقة وان كان يلزم من كون حاله
حال من لم يشفق ان يكون غير مشفق فلما لم يجد ذلك جبهه بعد هذا بقوله
* اسات للغير وللنفوس حق * فواجهه بنسبته الى الاساءة من غير كناية
ثم انتقل الى ما هو اعظم من تهديده اياه بالقتل والدعاء عليه حيث قال
* ثم لم يكن يغب حلم الحنفي * البيتين مع قوله * فسوف لا نعم عمرو بن
ولا امن خوفه * **البديع** في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق
اعني في قوله وشفقتها شفوق وفيه كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم ومن النوع

الناظم

ليس

لنشر من اجنحة من الصغير وانما هو ملحق به لا غير والله تعالى اعلم ومعنى
الكلام لما انكر على الصادي سوقه العنيف ونهاه عن ان يكلفها الا بما فيه
لا تكليف من السير وكان الصادي لم يسلم له هذا الانكار وقال ما الذي انكرت
من فعلي في شأن هذه الابل حتى تقرعني هذه المبادرة وفي اعتقادي اني لم اعد عن
الصواب. ولم آت ذنبا استوجب به منك هذا العتاب. اجابه بقوله فكيف لا
انكر اذ انا انكرت عليك ما انكرت لأنك كما ترى اوردتها المشاق والعظيمة.
وحملتها اشقا عن الجسيمة. وسقتها سوق من يريد بها الهزيمة. ليست عنده
شفقة بما عراها من الكلال. ولم تاخذه رأفة بما لحقها من سوء الحال.

ولم تزل ترمي بها بين النوى ☆ بكل فج وبلاد سملق

اللغة قوله ولم تزل قال في المصباح ما زال يفعل كذا ولا ازال افعله
لا يتكلم به الا بحرف النفي وما يراد به فلا زلت افعل الشيء وافعال الزائدة مثل ما برح
وزنا ومعنى. قلت مثل النفي النهي والدعاء فالنفي كما في النظم وكما في قوله
تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك والنهي كما في قوله

صاح شمر ولا تزل ذاكر الموت ☆ فنسيانه ضلال مبين

والدعاء كما في قوله

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ☆ ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وهذا البيت موجود في كتاب الصحاح لما فيه من الدعاء بالسلامة وباستمرار النفع
قوله ترمي بها يقال رميت الشيء ورميت به القيته وارتمى القوم وتراموا فيه مراماة ورماء
وترماء ورميا بالكسر والقصر مع تشديد الميم والياء وفي سيرة في غزوة الخندق
واخذ المشركون عليهم فيما من شعر لم تكن بينهم حرب الا الرميا بالنبل والحجارة
ورمى الله في يده وانفه وغير ذلك دعاء عليه قوله بين النوى والبين الكف او من
المنكب الى اطراف الاصابع وهي مؤنثة ولا بنيه مذكرة ومن لغاتها البين كما في النظم
والبين كالعنق والبيان كالسنة والبين مشددة وتثنية الاولى بين وجمعها في القلة
ابين وفي الكثرة بيون كعبر جمع المجمع ايان منقوصة وفي المثل مبنوا ايادي سبا
متفرقين وسبح في يده بينه ولا يد لك بهذا الامر اي لا قوة لك به والنوى
البعد والوجه الذي ينويه فيه كالنية فيهما قاله في القاموس وقال الجوهري النوى

فتنبني

ابن أسحاق

الوجه الذي يبدو منه للمسافر من قرب أو بعد وهي مؤنثة لا غير فقوله بكل فج الفج
الطريق الواسع بين جبلين كالفجاج بالضم وأما الفجاج بالكسر فهو جمع فج قال الله
تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وأفج القوم سلكوا الفج فقوله وفلاة الفلاة
القفر وقيل المفازة لا ماء فيها وقيل الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات
وفلي بضم الفاء وكسرها كعصي وجمع الجمع أفلاء وأفلى القوم دخلوا الفلاة
فقوله سملق السملق كجعفر القاع الصفصف أي المستوي والجمع سمالق قال جميل

ألم تسأل الربع القواء فينطق ❊ وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

الإعراب والتصريف

فقوله ولم تزل الواو عاطفة عطفت
الجملة التي بعدها على التي قبلها ولم حرف جزم وتزل مجزوم به وأصله تزال بالألف
قبل اللام فلما دخل الجازم حذفت الألف التي هي عين الكلمة لالتقاء الساكنين
واختلف فيها فقيل هي منقلبة عن واو وهو مذهب الفراء قال غيرت زال الناقصة
من زال التامة ليفرق بينهما أي فعل بكسر العين بعد أن كانت فعل بفتحها فرقا بين
التام والناقص ويعني بالتامة التي معناها الانتقال كما في قوله تعالى إن
الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا الآية وقيل هي منقلبة عن
ياء وهو الصحيح حسبما يعلم من صنيع القاموس والمصباح لاقتصارهما على
ذكره في الياء واسم تزل ضمير مستتر فيه يعود على الأينق وجملة ترمي بها بعد
النوى خبره ويحتمل أن يكون تزل مسندا إلى بعد النوى على أنه من باب التنازع فيه وبين ترمي
فإن أعملت الثاني على مختار البصريين كان اسم تزل ضميرا مستترا فيه يعود على
البعد وفاعل ترمي هو الاسم الظاهر وإن أعملت الأول على مختار الكوفيين كان
فاعل ترمي ضميرا مستترا فيه يعود على البعد وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير
ولم تزل بعد النوى ترمي بها وعلى كلا الوجهين فجملة تزل مع جملة ترمي بعدها هذا
وقد منع جماعة من النحاة لأنه يشترط في باب التنازع وجوب توجه العاملين
إلى المتنازع فيه فإن كان أحدهما يحتمل توجهه إليه وإلى غيره كما مثل
وكما في قوله تعالى وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا فإن العامل الأول
وهو كان يحتمل أن يكون مسندا إلى الظاهر وهو سفيهنا ويحتمل أن يكون مسندا إلى
ضمير الشأن امتنع التنازع وإلا فكما قدمناه فقوله بعد النوى البعد اسم ثلاثي

الوضع محذوف اللام اصله يديٌ بسكون الدال على الصحيح قال الجوهري في جمعها
أيدٍ ويُدِيّ وهذا جمع فَعْل مثل فلس وأفلس وفلوس ولا يجمع فَعَل على أفعُل إلا في أحرف
يسيرة معدودة مثل زمن وأزمن وجبل وأجبل وعصى وأعصٍ انتهى قالوا وليس في كلام
العرب كلمة فاؤها ياء ولامها ياء الا يديت كما انه ليس في كلامهم كلمة فاؤها واو
ولامها واو الا واو اعني الحرف الهجائي والف الندى منقلبة عن ياء فتكتب بياء
قوله يكفي في الثناء ثم فيه بمعنى في كقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر اي فيه قوله
وبلاء الفم منقلبة عن واو وتكتب لذلك الفا والوقوف عما حشوا في الكلمة قوله
سملو صفة لبلاء قال ابو البقاء فيه دال زائدة واصله سلو بالتحريك ومنه القلاع
المقعقع ويجمع على سلقان كحلق وخلقان وعليه فوزنه فعل فيه دال زائدة بين الفاء
والعين ومقتضى القاموس انها فيه اصلية فوزنه فعلل والله اعلم **المعاني**
استعمل الناظم الوصل في جملة البيت مع التي قبلها لما بينهما من التوسط بين
الكمالين كما هو وانقطاع بينهما باعتبار المسند لمناسبة الثلاثة بين الشيء العيني
والرفق في المعاني او يقال انهما متحدان معنى وباعتبار المسند اليه لما بين الحمد
والندى من شبه التماثل اذ كل منهما معروف بين الاحبة وحامل للابل على لزوم التشمير
واركان وهذا المعنى في الندى على سبيل المجاز لا غير وهذا الجامع وهمي كما في قول
الشاعر يمدح الخليفة المعتصم بالله *

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وقول الآخر يمدح الوزير ابا بكر بن زهر وكان طبيبا *

يا ملك الموت وابن زهر ... جاوزتما الحد والنهايه

ترفقا بالورى قليلا ... في واحد منكما الكفايه

لكفر ان ابا اسحاق ليس من جنس الشمس والقمر وان ابن زهر ليس من جنس الملك
وان الحمد ليس من جنس الندى ولكن الوهم يحتال في جعلهما من جنس واحد وانما
اختلفا بالعوارض والله اعلم **البيان** في اسناد الرفق الى الندى المجاز العقلي
وهو اسناد الفعل او ما في معناه الى غير ما هو له لملابسة كقولهم بنى الامير
المدينة وبيانه في كلام الناظم ان الرفق كان يكون مسندا بحسب الكلام الى الندى لذلك
يرمي بعض الناظم عن ذلك واسنده الى النير التي هي آلة للرفق فهو مجاز عقليا

وهذا كما لو قلت رمى زيد بكرا ورمت يداه به فالأول حقيقة والثاني مجاز وهو واضح
والحاصل أن العقلي من قبيل الإسناد لما هو له من قبيل المجاز خلافا لما يقتضيه صنيع التلخيص وفي
قوله يد الشمال استعارة بالكناية تبعتها استعارة تخييلية كقول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرة * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

قال المكنية فاختلفوا في تفسيرها على أقوال ثلاثة آخرها وهو الأصح ما للسلف
من أنها نفس المشبه به المكنى المرموز إليه بلازمه الثاني ما للسكاكي من أنها
نفس المشبه المبالغ به الثالث ما للقزويني من أنها التشبيه المضمر في النفس
فمثلها على القول الأول والثاني قبل الأظفار وعلى القول الثالث فعل المتكلم ليست
لفظا وإنما هي أمر معنوي ومثاله البيت المتقدم وقول الهذلي

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فعلى ما للسلف يسمى الاستعارة هو لفظ السبع المكنى الذي شبهت به المنية
المرموز إليه بالأظفار وعلى ما للسكاكي يسمى الاستعارة هو لفظ المنية
المستعمل في السبع بادعاء السبعية لها وعلى ما للقزويني يسمى الاستعارة
هو تشبيه الشاعر المنية بالسبع الذي هو معنى نفسي لا لفظي قال في
التلخيص قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ويدل
عليه بأن يثبت للمشبه أمر يختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية
أو مكنيا عنها ويسمى إثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول
الهذلي * وإذا المنية أنشبت أظفارها * البيت شبه المنية بالسبع في اغتيال
النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الأظفار التي
لا يكمل ذلك الاغتيال في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه ه‍ وكذا نقول
في كلام الشارح إنه شبه الدنيا بكونها تفرق بين الأحباب وتقطع ما بينهم من
الأسباب بإنسان هماز فلا يتصور منه ذلك الفعل على الكمال وجه وأبلغه تشبيها
مضمرا في النفس ودل عليه بأن أثبت للمشبه المذكور ما يختص بالمشبه به وهو اليد
التي بها تكمل القدرة في الإنسان على التفرقة وغيرها مما لا بد منها تحقيقا للمبالغة ه‍
هذا شرح المكنية وما فيها من الخلاف وأما التخييلية فاختلف فيها أيضا على
قولين أحدهما ما للسلف والقزويني من أنها إثبات ما يختص المشبه به للمشبه

كالاقعار في بيت الشرح والتيسير في بيت الناظم فيكون امرا معنويا ايضا وفعلا
للمتكلم لتيسير من قبيل الاتفاق والله اعلم وفي قول الناظم ترقي هنا استعارة
ثالثة تصريحية وتقسيمها ان الاستعارة التصريحية وهي التي تقابل المكنية
تنقسم الى قسمين اصلية وهي التي تقع في اسماء الاجناس من سواء كانت ذوات
او معاني كقولك لقيت اسدا متقلدا سيفا تعني شجاعا عدا وشهرت قتل زيد تعني
ضربه الشديد وتبعية وهي التي تقع في المشتقات والحروف مثالها في الفعل

قوله * جمع الحق لنا في اعلام * قتل البخل واحيا السماحا *

وانما سميت تبعية لان التصرف اولا انما وقع في المصدر بمعنى ان الشاعر شبه
نقص البخل وعدمه بنقص القتل واقتصر على ذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية
وشبه نقص الجود بنقص الاحياء كذلك ثم اشتق من القتل قتل ومن الاحياء
احيا فجاءت الاستعارة اصلية في المصدر تبعية في الفعل وكذا تقول في كلام
الناظم انه استعار الرقي بالابل السير مثلا السريع بجامع السرعة والتعرض في
كل ثم اشتق من الرقي ترقي فكانت الاستعارة اصلية في المصدر تبعية في
الفعل والحاصل ان الاستعارة لا يجمع فيها بين ركني التشبيه فان اقتصر
فيها على ذكر المشبه به فهي التصريحية وان اقتصر فيها على ذكر المشبه ورمز
للتشبيه بما يلائم المشبه به فهي المكنية وذلك الملائم المرموز به هو التخييلية
مثل ولو جعل الناظم رحمه الله البناء من قوله ببنائه وجعله مفعولا بترقي
لحصل على استعارة رابعة وهي ان يكون قد شبه البناء بسلم فرمز بها اغراض
من تلك الابتهاج فيكون كقول ابن الرومي

عزائم ما تنفك الا مناخة * على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا

لا سيما انني بالبناء التخريجية بعد ذلك وقد احسن البوصيري رحمه الله حيث

تمم منة الاستعارة وبشر منا بقنا الجمهور بيته *
ورقيتنا بها الابتهاج اذ دنيت * والسير بالخفة بالرفق *
باشتنا عن فوق سما عن القرب * ونعم المنية الكوقة *

وغنى الكلام منه النبت ايضا مرفوعا عطفا على ما قبله ويكون جملة ثانية
لمعاقبة الناظم للغاية اي وانما غنا نبت من اقبل النبت كما ذكر لغنيتها و قد احتمل انه

من ترانيم الاشجار في المعاهد الموحشة ، وترددها الاشكال فيها مثل
السراج المعكوسة ، وذلك لما يكسوها فتقطع ثوب الغضب ، او تنسلم بالكلية
الى العطب . فإن قلت كيف يصح ان يكون هذا البيت علة لما قبله الدالة
للحادي والقرينة الزاجر للابل في تلك المعاهد انما هي النوى لا غيرها فهي اي
هذا الحادي ليس على معرفة العنيف بانه يعضد فيه الزجر اذ تب . ومن جملة جن فيه
الزجر السبب . فكيف يدل على فعل البشر منه في قيل ولا ذم . ولم يكن منه في النعيم
ولا في النعيم . فما الحق هذا الحادي بان ينشر في هذه العلة قول الشاعر

يحن حنيني وانا لمعافب بيكم * فكأنني سبابة المتندم

قلت المعلوم عاكم عليه بانه السبب في ذلك كله ولولا هو ما سلكت هذه
الابل حقيقا ولا بالفعل . ولا احرقت منهلا ولا قرنت نعلا . فهو الجناية على المحب
والمحبوب . وكل ذنب فبرأسه تعصب . واما الشكوى من النوى ونسبة التعب فيه
اليها واستعارة البين لها فهو كثير في كلامهم ومنه قول لسان الدين ابن الخطيب

ولله عينا من رآنا وللأسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد برزت ذو الخدور بنا النوى * وللشوق اشجان يضيق بها الصدر

وقول الامام العقبي وأحسن

تنادي رأيت الغور بعد صبابة * فقال عجيب كل امرئ في الهوى
هبوا لكربي اذ رحلتم بسماهم * ولم تنصبوا اذ ردتم النوى

وقد اعتذر ابن الخطيب عن النوى وابدع في الجواب عنها حيث قال

تلوم النوى في كلمها غاية الكلم * لعل بها مثل الذي بي من السقم
فلولم تغب لم ترو عيني لقاءكم * ولولم تريدكم لم تكن فيكم خصمي

وما الثلث ترزع كل بكر * اذ رعيها وكل قاع فروي
وكل ابطح واجرع وحزن * ع وهم يبغ وكل ابرق

اللغة قوله وما الثلث الاثل والائتلاف التعميم والانعطاف يقال الزه
الغرا والغرا تعلو وايضا كعصي والتنالية والتلى التلاء قصر وانبها والتلى
ايضا القسم وعليه كالتوتالي وقوله تعلى ولا ياتل اولوا الفضل منكم بيسر
بالمعنيين والكلام فيه التلذ وقولهم في المثل الاحكية فلا ابنة هو من المعنى

الاول اجدر لان اسكن فلا ازال اطلب ذالك واجمع نفسي فيه يضرب في الحث
لمن اراد الانتصار والتؤدة دالتبين للاذى والى الحاجات منهم قوله ذرع كل قرقر اذا
تقيسه باذرعها يقال ذرعت الثوب ونقول ذرعها من باب نفع اذا قسته بالذراع
والعرب تجعل الفلاة والمكان القلب الغليظ والمرتفع ايضا والارض المستويه
والجمع قراقر قوله اذرعها جمع ذراع وحين كما في المصباح اليد من كل حيوان
لكنها من الانسان من المرفق الى اطراف الاصابع ونقول في القوائم فالذراع في
من يدي البقر والغنم فوق الكراع ومن يدي البعير فوق الوظيف وكذالك من الخيل
والبغال والحمير وذراع القياس مونثة في الاكثر وعن ابن السكيت الذراع انثى
وبعض العرب يذكرها وانشد الفراء شاهدا على التانيث قول الراجز

ارمي عليها وهي فرع اجمع * وهي ثلاث اذرع واصبع

وقال الزجاج التذكير شاذ وتجمع على اذرع وذرعان وزعم سيبويه انه لا جمع
لها غير اذرع للقلة فلا يقال غيرها خلافه وقولهم في المثل لا تكن كالعنز الكراع
فيجمع في الذراع فالتفت الجارية لعمرو بن عمرو اللخمي وستاتي عن قريب ان شاء الله
قوله وكل قاع القاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والاكام
والجمع قيع وقيعة وقيعان بكسر من واقواع واقوع وفي التنزيل فيذرها قاعا
صفصفا وفيه ايضا والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قوله قرق القرق
كسكته وجبل والاول افصح المكان المستوي وقاع قرق اي مستو وقرق كفرح سار فيه
وفي المثل تجار الرزق الى انقاع القرق يضرب لمن عدل بحاجته عن الكريم الى اللئيم
وقال الراجز يصف ابلا بالسرعة وهو من ابيات الكتاب *

كان ايديهن بالقاع القرق * ايدي جوار يتعاطين الورق

قوله وكل ابطح الابطح والبطحاء والبطيحة مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع
اباطح وبطاح وبطائح على غير قياس وتبطح السيل اتسع في البطحاء والابطح بمكة
المشهور بالمحصب وقريش البطاح الذين ينزلون بين اخشبي مكة وقريش الظواهر
الذين ينزلون ظاهرها قوله واجرع الاجرع والجرعاء والجرعة بسكون الراء وتحريكها
الرملة الكثيبة المنبت لا وعوثة فيه وقيل الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل
الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة وقيل غير ذالك ويجمع الاجرع على اجارع

قوله وجزع الجزع بالكسر وقال ابو عبيدة اللائق به الفتح منعطف الوادي
ووسطه وقيل منقطعه وقيل منحناه وقيل الجزع لا يسمى جزعا حتى تكون له سعة
تنبت الشجر والجمع أجزاع قال الفرزدق

* * *

لجولك بالأجزاع من إضم كملل ... وبالسفح من قوّ قفار وتحتمل

قوله وصرمة الصريمة بفتح الصاد وكسر الراء المهملتين القطعة من الرمل
تنصرم أي تنقطع عن معظمه يقال أرض صريمة وصريم وكثيب صريمة وهي فعيلة قال
الفرزدق ولما قلانا زياد

* * *

أتوك عدا أتاني نعيمة ... بذي الكثيب بالصريمة أغبرا

قوله به لا بكثيب هذا مثل يقال أغبر السماتة بالحصا دعاء عليه بأن لا تجاوز
نصيبته إلى غيره وقد جمع ابن تمام التي قول الفرزدق وهذا حيث قال

فقلت له بشراي ثم فلا كنت جمرة ... قول الفرزدق ولا بكثيب أغبر

وجمع الصريمة صرائم قاله من قوله وكل أبرق الأبرق والبرقاء غلظ من الأرض فيها
حجارة ورمل وطين قال الأصمعي من قال أبرق فإنما أراد المكان ومن قال برقاء
فإنما أراد البقعة وجمع الأبرق أبارق والبرقاء برقاوات والأبرق أيضا الجبل
الذي فيه لونان

الإعراب والتصريف

قوله وما أثلت الواو
عاطفة عطفت جملة على أخرى وما نافية وأثلت فعل ماض وحرف اللام
لا نقلا بها الياء واجتماعهما مع سكون تاء التأنيث واصلها الواو ثم صارت باء
لمجاورتها الكسرة ثم الياء لتحركها وانفتاح ما قبلها وفاعل أثلت ضمير الأيدي
وجملة تنزع كل ... حال منه ويحتمل أن يكون أثلت مسندا إلى الأذرع على
سبيل التنازع بينه وبين تنزع فيجري فيه ما جرى في إعراب البيت قبله وقوله
تا ... مجرور التنزع مفعول به وكل خلاع معطوف عليه وألف قاع منقلبة عن
واو ... ومعه لقاع وكل أبطح معطوف على ما قبله منصوب وكل أبرق كذلك
واعلم أن أبطح وأجرع وأبرق ممنوعة من الصرف للوصف المتأصل والوزن
الغالب ومثلها أدهم للقيد وأسود وأرقم للحية وإنما قلنا الوصف المتأصل
لأنه وضعت في الأصل وصفا ثم غلبت عليها الاسمية وبقيت على منعها من
الصرف اعتبارا بالأصل قال في الخلاصة * وألغين عارض الوصفية *

* كان بمعنى عارض الاسمية . قال سيبويه لم تختلف العرب في منع صرف
البيت من الصرف وان استعملت استعمال الاسماء وحكى غيره ان من العرب
من يصرف ابطح واجرع وابرق اعتبارا بالاسمية نبه على ذلك ابن مالك في
التسهيل فيحتمل ان يكون صرف ابرق هنا في البيت جريا على هذه اللغة ويحتمل
ان يكون صرفه لاجل القافية والله اعلم . **المعاني** في قوله وما اتلت
في البرق المتفرق والجامع بينه وبين ما قبله باعتبار المسند المناسبة
الكاملة بين الزمن في الجامع وفي زمن الفلاة ونحوهما مقدران وباعتبار المسند
اليه اجتماع بين النوى وازمن الابل في ان الكل حامل على السير ومعين عليه كما
في الجامع بين الجياد والنوى واما في الاذرع اي ضمير الابل للعموم اي جميع
اذرعها ثم ان كلام الناظم لا يخلو من الكناية لسرده اسماء منازل البقاع
وتعداده ايامها والكلام نفسه فيها مع انه كان يمكنه ان ياتي بعبارة اتم
منها واجمع بعضها للاكتفاء بما كان في مقام التنزيل على الجادة وتفجيع لها
عليه كي يقبل من غيره ويعبر به عن عزمه ناسب ان ياتي بعبارة فكتبه
ويعدد اسماء منازل البقاع على اختلاف انواعها وان منها الحزن والسهل
والحزن والوعث . **البيان** في اسناد النزوع الى الاذرع المجاز العقلي كما في
اسناد الرقي الى بنات النوى وفي قوله تنزع كل [illegible] استعارة تهكمية تبعية بان
شبه حركة ايدي الابل في حال سيرها بحركة يد انسان في حال نزعه لثوب ونحوه
بجامع [illegible] الفتح والبسط مع السرعة في كل ثم افتصر على
ذكر المشبه به الذي هو النزع ثم اشتق منه تنزع فجاءت الاستعارة الاصلية
في المصدر تبعية في الفعل ولك ان تعتبر في كلام الناظم استعارة اخرى بالكناية
وذلك في ضمير الابل بان يكون شبه الابل بانسان على وجه [illegible]
على الوجه المعهود وطوى ذكر المشبه به على طريقة الاستعارة بالكناية
ودل على هذا التشبيه بالاستعارة التحقيقية التي قررت في قوله تنزع فان قلت
فاين التخييلية التي تلازم المكنية **قلت** التحقيق ومذهب الجمهور ان يجعل
قرينة المكنية قد تستغني عن التخييلية وتكون قرينتها حينئذ الاستعارة التحقيقية
كما هنا وقد قرره صاحب الكشاف في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله فقال

انما ساغ استعمال التفقير في انفطار العمر من حيث تسميتهم العمر بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من بيان الوصلة بين المتعاشرين ومن اسرار
البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر
شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو شجاع يفترس اقرانه
ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد من كلامه فقال الموفي سعد الدين فيما استشعرنا
منه ان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد تكون
تحقيقية كاستعارة التفقير لانفطار العمر ولا يخفى جريان مثل المعنى في
كلام الناظم والله اعلم **البديع** في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق
بين تزرع وازرعها وذكر الكفعمي قول كشاجم في خادم اسود منكتا بالظلم

يا مشبها في فعله لونه * لم تعد ما اوجبت القسمة
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمة

يشير لقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وفيه التعديد
وهو عبارة عن ايقاع اسماء مفردة على سياق واحد كقوله تعالى ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع الاية وكقول ابي الطيب *

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وهو من كلام الناظم في البيت الثاني وفيه ايضا التسهيم وهو ان يجعل قبل
العجز من البيت ما يدل عليه اذا عرف الروي وذلك كقوله

اهلكتني من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلل * وليس الذي حرمته بحرام

وكذا بيت الناظم فان من سمع صدره وكان عالما بقافية الشعر وكلام العرب
استدل على آخره بالقافية ابتداء واخرج كثيرا مما تذكر منها لعلة ابن روح كتب
العربية والادب وفيه مراعاة النظير وهي جمع الشيء الى ما يناسبه
من نوعه او يلايمه من وجه ما كقول البحتري وانشد في ابل الخليفة السير

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وقال بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم *

انتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك في الكتاب المحكم

وبنو

وبنو الأتابك والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

جمع البحتري في بيته بين الفسيح والأشم والأوتار وجمع الأخرس في البيت الأول بين أسماء سور القرآن وفي الثاني بين البقاع الحجازية وكذا الناظم فإنه جمع في كلامه بين أسماء البقاع المذكورة ولا تخفى هنا سلامته وأنه هل يكون فيه لطف التوجيه مع الجناس المصحف أو الزيادة في المنزلة في الأول وهو الكامل واعلم أن البيت الثاني يسميه العروضيون المدمج وعرفته أن يكون آخر النصف الأول من البيت قد انقضى ببعض كلمة منه وتمام تلك الكلمة في أول النصف الثاني ككلمة جزع منها فإن نصف البيت قد انقضى عند الزاي منها والعين في أول النصف الثاني وقد ارتكبه الناظم في أبيات تقدمت له في هذه الأرجوزة وهو مستعمل وإنما يقبح في التقفية كقول البحتري المتقدم وكقول الشاعر

إن إخواننا الأراقم يغلو * ن علينا في قيلهم إحفاء
يخلطون البريء منا بذي الذنـ * ـب ولا ينفع الخلي الخلاء

فإن نصف البيت الأول قد انقضى عند النون من يغلون ونصف الثاني قد انقضى عند النون من الذنب والله أعلم **وعني الكلام** هذان البيتان أيضا من تمام ما قبلهما يقول الناظم إنه لما قضيت في ملازمة الشيخ ولا زلت منه بيمنه حتى تقطع البسيطة غورا ونجدا وتقسيمها في نجد لها حدا لا تمام من قوله لفظه التشبيه بالشرق ولا تتبعها حدب الأزمة والبروق ومثلها للناظم في استعارة ذرع الأرض للسير فيما قال في الهيجاء قصيدة طويلة البكري المعروف بشبل الدولة في الوزير ناصر الدين بن أبي العلاء الكرماني

دع العيس تذرع عرض الفلا * إلى ابن العلاء وإلا فلا

وقد امتحن الكاتب أبو الحسن بن زريق البغدادي على التشبيه الذي تضمنه منزل ابن شبل هذا فقال

ما آب من سفر إلا وأزعجه * رأي إلى سفر بالرغم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الأرض يذرعه

وقريب من هذا المعنى قول علي بن الخليل في الرشيد رحمه الله

يا خير من وخدت بأرحله * نجب تخب بمهمه جلس

تكلو السماء بسيب في أزرقتها   كمن الغبار عمائم البرنس

وأحسن منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة *

وربّ كموج العزم أدهم جسرة   يفل بها عزمي على البيد جسر

كفوت بها راعي وحدي ما شقة الفلا   وكف الثريا في دجى الليل تشتم

فجاء بمثل فجار بيمين الفصا * لادفنة للارسم دار فن يفني

الكمأة فقوله كما مثل جمع بجمل كفعل ومن الفعالة التي لا يفلح فيها يغنى

بها قال مزاحم العقيلي *

غدت من عليه بعدما تم ظمؤها   تصل وعن قيض ببيداء مجهل

وزعم الحريري في الغامض أن مجهلا لا يثنى ولا يجمع لذكر الوارد في كلام العرب

والأدباء بخلافه قال أبو محمد الثقفي رضي الله عنه

أأنى تسرت نحونا أم يوسف   ومن دون مسراها فياف مجاهل

وممن نطق به مجموعا من العلماء أبو محمد الحريري في المقامات والقاضي عياض

في كتاب الشفاء وناهيك بهما أسوة للناظم فقوله كمأة الخبيرة هذه الرواية

يقال أكمأ الرجل في أمره مرتابا ومع كما رجيم أوجبرة وجبة أوجبر أنا بالتعريف فيهما

وخبير واشتقاقه إذا لم يزرع وجه الصواب بشرعين أو المرأة حين روى الجمع

خبار بالفتح وبكم قال أبو منصور الأزهري وأهله أن بنكم الأنصاري شيء

فيغشاه شوء فيصرف بمرأه بمنه فقوله الفقعا من اسم جنس جمعي يفرق بينه

وبين مفرده بسقوط التاء فيقال في الواحد فقعة ذكرا كان أو أنثى وفي الجمع

فقعا ويجمع على فقعات بالواو قال الكسائي وربما قالوا فقعان ولعلها ما

في جمع أمثاله الأنسان وعلة منهما لكن كثير يجعلون الألف التي أظنها

واوا لقلبها في الفعل فلا يقولون في غزوات غزيات بل غزوتا كثير

معروف في الكلام وفي المثل لشر فقعا مثل فقع في لشر الأكل لا غير

والفقعا ضرب من الكمأ والكمأ عند العرب كل ما هو من الفقعا والفواغث

والغمار والرواجر والعرا أشير وسما وحر وأشباه ذلك وإنما سمي هذا النوع

بالفقعا مثلا كله لصوته فإن الفقعة إذا صوتت قال فقعا فقعا فكأنها

تخرج عن نفسها بلرا وصفتها العرب بالمرة فقالوا أمر من فقعة قال الكميت

لا تكذب القول إن قالت فعلت فكلما مررت اذ كل في نسبة للابرين تنتمي
وقيل إنما سميت بذلك لأنها تعكو أي تقارب في مشيها يقال فلان يعكو
إذا قارب في خطوه ولذا وصفتها العرب بحسن المشي وشبهت بها مشي النساء
الخفرات ومن ذلك ما أنشدته هند بنت عتبة يوم أحد *
نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا النواتق
قالوا والقطا نوعان كدرية وجونية فالكدرية غبر الألوان رقش الظهور
والبطون صفر الحلوق قصار الأذناب وهي ألطف من الجونية والجونية سود
بطون الأجنحة والقوادم وكدرها أغبر أرقط تعلوه صفرة قال الشاعر يصفهما
أما القطاة فإني سوف أنعتها * نعتا يوافق عندي بعض ما فيها
سكاء مخطومة في ريشها طرق * سود قوادمها صهب خوافيها
والجونية أكبر من الكدرية وأعراب نجد تقول بكري بكري وإنما سميت جونية
لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت وإنما تغرغر بصوت في حلقها والكدرية
فصيحة تنادي باسمها قوله الدمنة الرقمة بكسر فسكون وموضع الرقمة في البحر
والرقمة أيضا آثار الناس فاسود وأو الموضع الذي فيه من الدار جمع الكلأ من
كسرة وسيرة وفي الحديث إياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن يا رسول
الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء قال أبو عبيدة نراه أراد فساد
النسب إذا خيف أن يكون لغير رشدة وإنما جعلت خضراء الدمن ما تدمنه الإبل
والغنم من أبوالها وأبعارها لأنه ربما نبت فيها النبات الحسن فيكون منظره
حسنا أنيقا ومنبته فاسدا قوله لا رسم دار الرسم الأثر وقيل بقيته وقيل
ما لا شخص له والجمع أرسم ورسوم ورسم الغيث الديار رسما باب نصر عفاها وأبقى
أثرها لاصقا بالأرض وترسمت الدار تأملت رسمها قال ذو الرمة
أأن ترسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم
والدار المحل يجمع البناء والعرصة مؤنثة وإنما قال الله تعالى ولنعم دار المتقين
بالتذكير على معنى المثوى والموضع كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على
المعنى وقد ذكر المجد في الدار لغة بالتذكير وجمعها في القلة أدؤر وآدر بالهمزة
مكان الواو وقد آدر على القلب وأدوار وفي الكثرة ديار وديارة وديارات والله أعلم

الاعراب والتصريف فقوله مجاملة هذا البيت وما بعده الى تمام
سبعة ابيات كلام معترض بين الجملتين المتعاطفتين لا محل له من الاعراب كقوله
تعالى رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني
سميتها مريم بين قراءة بسكون تاء وضعت اذ الجملتان رب اني من قول مريم
عليها السلام وما بينهما اعتراض فقوله مجاملة خبر لمبتدا محذوف اي هي مجاملة
وحرفه ضرورة ومن الناس من يجوز حذف هذا الجمع في الاختيار وفي ذلك يقول
بعضهم والحذف في الجمع اتى كثيرا * حتى لقد عدوا به التكسيرا *
وهذا منه قوله تعالى سلاسلا واغلالا بالوجهين في السبع وكذا قوله تعالى
كانت قواريرا قواريرا من فضة وخرج الحذف فيهما على التناسب وزعم قوم
ان صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة قال الاخفش وكانه لغة الشعراء لانهم اضطروا
اليه في الشعر فجرت السنتهم على ذلك في الكلام فقوله تحاز بمعنى الفكا
جملة في محل النعت لمجاملة والف تحاز منقلبة عن ياء اصله تحيز كتفرح نقلت
حركة الياء التي هي عين الكلمة الى الحاء التي هي فاؤها وقلبت الياء الفا
لتحركها اصالة وانفتاح ما قبلها عروضا وقوله بهن الضمير للمجاملة وكان من
حقه ان يقول فيها لانه ضمير الكثرة والمقام يقتضيها قال الله تعالى منها اربعة
حرم اي من الاثني عشر شهرا وقال فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في الاربعة الحرم
قال الفراء الاولى رجوع فيهن الى الاربعة لان العرب تقول فيما بين الثلاثة
الى العشرة فيهن فاذا جاوزوا هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه ان جمع القلة
يكنى عنه كما يكنى عن جماعة مؤنثة ويكنى عن جمع الكثرة كما يكنى عن واحدة
مؤنثة كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال يلمعن ويقطرن لان الاسياف والجفنات جمع قلة ولو جمع جمع الكثرة لقال
تلمع وتقطر هذا هو الاختيار نعم يجوز اقامة احدهما مقام الاخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فقال بهن وهي السيوف جمع كثرة ومثله عبارة الناظم وانما ارتكبها مع انها
خلاف المختار اعتمادا على فهم معنى المقام والف الفكا منقلبة عن واو وتكتب الفا

فقوله لا دافع لا نافية للجنس ودافع اسمها وهو مفرد فيبنى وجوبا على ما
ينصب به لو كان معربا وهو هنا الفتح وعلة بنائه عند سيبويه وأتباعه
تركيبه مع لا كخمسة عشر وقيل وهو الأصح لتضمنه معنى من الاستغراقية فيه
بدليل ظهورها في قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه ... وقال ألا لا من سبيل إلى هند

والناظم نون اسم لا المبني ضرورة كما نون الأحوص اسم المنادى في قوله

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

وخبر لا أشبه بباب النداء من الخفاء بالمد يتحمل ما عليه وخبر لا محذوف
لدلالة خبر الثانية عليه أي لا دافع موجود فيما أي في تلك الجملة ولا راسم
دار يعني بها فإن قلت هلا جعلت قوله في بعض أواخر البيت خبرا
للأولى وجعلت خبر الثانية محذوفا لأن الحذف من الأواخر لدلالة الأول أولى
من العكس قلت يمنع ذلك إتيان الناظم به مستندا إلى ضمير المذكر ولو كان
خبرا للأولى لقال فيها أي في بقية بناء الثانية أي الدمنة ونكتة هذا التركيب قوله

خليلي مر بي ما صبت فإني وأنتما ... وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

وتثنية الخبر تدل على أنه للثاني ولأن مذهب سيبويه في نحو زيد وعمرو قائم
أن المحذوف فيه من الأول لسلامته من الفصل وقد رجحوا تمكنا لأن فيه الحمل وفي البناء
العكس فيهما فقوله لا راسم دار فيه نوع من التعقيد والتقدير لا دافعة ولا راسم
دار وإن فيمتنع أن تعمل لا لاجزائه قوة الأولية بدون حكمه في قوله تعالى
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وهو كثير في القرآن وشعرا وغيرهما وحذف من العكس
بابه الشعر كما في المغني فقوله في بعض خبر لا الثانية وإذا علم خبرها كثر حذفه
عند الحجازيين ووجب عند التميميين كقوله تعالى قالوا لا ضير ولا قول أصلا مع ذلك
فيكون الناظم قد أتى به على لغة الحجازيين والأظهر أن جملة لا دافعة في محل نعت لأطلال
لما من الإعراب ويحتمل أن تكون صفة ثانية لجلاميد وتكون مع معمولها الحال فلك
لو كانت صفة لعكست على التي قبلها ليشتركا في حكمهما قلت مر أن المشهور
ابن هشام أن الصفة تتعدد بغير عاطف وإن كانت جملة كما في باب الخبر والله أعلم
تنبيه ما لا يخفى في قوله لا دافعة ولا راسم دار الأوجه الخمسة التي في لا حول

ولا قوة الا بالله لأن موضوع الحذف فيهما اذا كان الذي يشملان رفعا فيتنبه
وعندنا البلد معروف بأهل الاضافة هذا وقد نص علماء الخط على ان زوى
القصيرة اذا كان موصولا بحرف الياء وجب اثبات ذلك الوصل سواء كان موجودا
في اصل الكلمة كالعطف بغير معنا ام لا كالنون في المتفرقة وبعض الآتية ومنه
ايضا الكنونا والرسولا والسبيلا في سورة الاحزاب لاكن عمل الناس اليوم
شرقا وغربا بخلافه ومن الاقتصار على حذف الزروق وتعلم وعدم رسم حرف اللين
سواء كان موجودا في اصل الكلمة ام لا فتأمله **المعاني** ارتكب الناظم
الفصل في جملة البيت اعني قوله فاعمل تمارين لما بينهما وبين التي قبلها من
شبه كمال الاتصال لانها مرتبة على سؤال مقدر اقتضته الجملة السابقة فنزل
ذلك السؤال المدلول عليه بالفحوى منزلة المصرح به ووجه فصل الكلام مقصود
كما يفصل الجواب عن السؤال المصرح به ويسمى هذا الفصل في الاصطلاح استئنافا
وبيان ذلك ان الناظم رحمه الله لما مر على القواعد بذكر تلك المقاصد التي من
بحر رد سلوكها واكثر من تعداد اسمائها ومنوعها فكانه جمع من القواعد استشرافا
وتطلعا لمن يروم فيه حال هذه المقاصد وانه لابد ان يسأله عن فقهها ومن يقوى
مسلوكة ام لا ومن بها اعلام يهتدي بها ام لا فيجاب من اتى الجواب قبل التصريح
بالسؤال فقال امرا فاعمل من تعلمها كيفا وكيف والمناسبة ان اتى الجواب اما كراهية
لسماع كلامه لانه يغيظ اليه فلا شيء اثقل عليه من مكالمته او لكونه خشي
ان يقطع عليه كلامه وانشاده او غير ذلك مما يليق بالمقام وفي كلام الناظم
الاعتراض وهو من وجوه الاطناب ويكون من هذا الفن وبعضهم يلحقه بالبديع
وحقيقته ان يؤتى في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل
لها من الاعراب لغرض كالتنبيه والتقوية ونحو ذلك ومثاله قوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار وبيانه في كلام الناظم انه لما رسم
معالم القواعد في شان الابدال قطع الكلام في ذلك واعترض بوصف الاعراب التي
تسلكها من الابدال ونها ان من جهتها كيفا وكيفا واستمر في هذا المنزع الى تمام
سبعة ابيات ثم رجع الى الكلام مع القواعد في شان الابدال فقال ولم تزل تقطع
جلباب الزحاف ومنزلة الاثبات التي اذ رحمنا الناظم رحمه الله منها افادنا الكلام

قصورية وزيادة في غرضه اذ كان غرضه التعويل على المعاهد كي يتم تفجعه
عليها من بعدها ولا شك انه اذا وصف منزله الاول بانتباذ اهله عن العمران
وخلوه منهم وعفوه فسلكها وان ليس بها الا الرياح الرامسة :: والاشجار
الفانية :: والوحوش الهائمة : وسمع الجاهل ذلك عن بما كسر من غربه وبث في
عضده :: وافلع عما هو بصدده :: وازمع الرجعة والعودة الى بلده :: وكان ذلك
كمال مراد الناظم وغاية مقصده :: وحذف الناظم المسند اليه في جملة من عفا لـ
للعلم به وجريا على ما هو الغالب في نحو هذا المقام من عادتهم انهم يذكرون رجلا مثلا
ثم يقولون فتى من شانه كذا وكذا اي هو فتى ويذكرون الديار والمنازل ثم يقولون
ربع صفته كذا وكذا اي هو ربع ومنزله بقية مستمرة عندهم وعليه مشى الناظم
وبما تقرر من ان كلامه مشتمل على تقدير السؤال وعلى حذف المسند اليه وغير ذلك
والمعنى بان يكون فيه ايجاز الحذف من منزله الجنسية وقد تقدمت الاشارة اليه ونكر
لعله قابل للتكثير ويحتمل ان يريد معه التعظيم ايضا كقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ::: فمما ارتكبه الناظم من تنوين اسم لا المبني على الفتح
وحذف العاطف من قوله لا رسم دار فخل بالفصاحة لمخالفته القياس اللغوي
بزيادة التنوين في الاول وخصوا ضعف التاليف بحذف العاطف في الثاني وارتكب
الفصل في جملة لا دمنة لانها مستانفة جواب عن سؤال مقدر كانه لما اخبر
عن منزل الحامل بان الفكا على حكم من ابنيته فما زيفها فكانه قيل له وما ذلك
فقال لا دمنة فيه ولا رسم دار واما جملة لا رسم دار مع التي قبلها فالواجب
فيهما من الوصل لما بيناه عليه في الاعراب وعلته لا تخفى بما بيناه سابقا واحد
اعلم البيان في كلام الناظم رحمه الله الكناية وذلك انه نفى الدمنة والرسم
واراد بذلك لازمه وهو نفي السكان وان منزل الاول ليس فيه ديار ولا نافخ نار
للكناية عن ان عن منزل التعمير الى الكناية لانها ابلغ لانها كدعوى الشيء ببينة
فكانه قال ليس بمنزل الاول ساكن بدليل انه لا دمنة فيه ولا رسم دار البديع
في كلام الناظم منه التلميح وحقيقته ان يشار في فحوى الكلام الى قصة معلومة
او شعر مشهور او مثل سائر ومنه قول ابن المعتز *

اترى الجيرة الذين تداعوا ۞ عند سير الحبيب وقت الزوال

عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي ... رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الجِمَالِ
مِثْلَ صَاعِ العَزِيزِ فِي أَرْحُلِ القَوْ ... مِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي الرِّحَالِ

فلمح الى قصة يوسف عليه السلام مع اخوته وهي معلومة ومنه ايضا قول بعضهم في مليح اسمه بدر

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا ... وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي
وَقَبَّحُوا لَكَ وَصْلِي ... وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا ... لِأَنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

لمح الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم والتلميح في كلام الناظم موافق لما اشار اليه المثل السائر وهو قولهم اشترى فذكاه وقد استعمل رحمه الله التلميح في مواضع كثيرة من هذه الارجوزة ونحن ننبه عليها ان شاء الله ومعنى الكلام يقول اذا سالت اهل السنة بل عامة الناس كانوا او غيرهم عن هذه المنزلة الاخيرة فاعلم انها معا ومن ذي قبل معطلة المعاطن والمناهل ليس بها ماء ولا علم ولم يسلكها ذو همة ولا قدم فدرستها متبعة المسالك والركبان وعفت آياتها منذ ازمان حتى لو سلكتها القطا على عادتها لاهتدت بها لضلت او رامت فكاكها مع شدة هديها لكلت فما ظنك بغيرها لم يستنر في سلوكها الى غيرها ولم يهتد في تفهمها بمنار ولا خبير فامرها الى العطب اقرب وما له من خلاصها الا العجب وكما قيل في وصف الفلوات قول كعب بن مالك رضي الله عنه من قصيدة قالها يوم احد

هَمَائِرُ أَعْلَامٍ كَأَنَّ قَتَامَهَا ... مِنَ البُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ
تَظَلُّ بِهِ البُزْلُ العَرَامِيسُ رُزَّحًا ... وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيُمْرِعُ
بِهِ جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا ... كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التِّجَارِ المُوَضَّعُ

البزل الابل التي دخلت في السنة التاسعة والعراميس الشداد الشديدة والحسرى الكالة الاعياء فكانه من شدة السير وقال علقمة الفحل من قصيدة يمدح بها ملك غسان

هَدَانِي إِلَيْكَ الفَرْقَدَانِ وَلَاحِبٌ ... لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ المِتَانِ عُلُوبُ
بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

الاصواء بالمهملة الاعلام من الحجارة والمتان الاماكن المرتفعة والعلوب الآثار

وقال أبو الطيب المتنبي

سلكت صروف الدهر حتى لقيته ... على ظهر عزم مؤيدات قوائمه
مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه ... ولا حملت فيها الغراب قوادمه

ذكر هداية القطا وما قيل فيها

قالوا القطا لا تسكن إلا بالفلاة ولا تأوي الشجر ولا الجبل وأفحوصها الذي تبيض فيه إنما هو موضع تحفره بصدرها في الأرض حتى إذا انحفر فيه باضت فيه ولا تضع فيه إلا فردا أو زوجا وإذا احتاجت إلى الماء بكرت إليه قبل سائر الطير وربما ذهبت لذلك فإذا نهضت أن تبعث من أفاحيصها أسرابا غير متفرقة فتقطع فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من العشر مراحل إلى عشرين فترد الماء فتشرب نهلة والنهل الشرب الأول فإذا نهلت أقامت حول الماء متشاغلة مقدار ساعتين أو ثلاثا ثم تعود إلى الماء ثانيا فتشرب عللا والعلل الشرب الثاني ثم تأخذ في حواصلها شيئا من الماء فتنثني راجعة إلى أفاحيصها فلا تخطئ والجونية منها أشد تكبرا من الكدرية وقد ذكرت العرب ذلك في أشعارها أما الكدرية فقد قال مزاحم العقيلي

أذاك أم كدرية ظل فرخها ... لقى بشرورى كاليتيم المعيل
غدت من عليه بعدما تم ظمؤها ... تصل وعن قيض ببيداء مجهل
غدو الكوى يوفين عنه انخلالها ... فيلتقين من شق الفلاة غير مؤتل
فلما دعته بالقطاة أجابها ... بمثل الذي قالت له لم يبدل

اللقى المطروح الذي لا يلتفت إليه وشرورى جبل لبني سليم واليتيم المعيل المهمل وغدت من عليه أي من فوقه ويعني الظمء زمن الظمء وهو ما بين الوردين وأرض مجهل للذي بلا ماء وتصل أي تصوت أحشاؤها من اليبس والعطش والقيض بالضاد المعجمة قشر البيض الأعلى وغير مؤتل غير مقصر وقوله فلما دعته أي صوتت لفرخها فأجابها بمثل ما صوتت به وأما الجونية فقد قال فيها ابن الدمينة يخاطب محبوبة له

وأنت التي قطعت قلبي حزازة ... ومزقت قرح القلب فهو كليم
وأنت التي كلفتني دلج السرى ... وجون القطا بالجلهتين جثوم

رأيت ابني اصطفت قومي بكلهم | بعيد الرضى داني الصدود كظيم

يقول انه شبه ولد القطا بجوزية بالشكل اي بحبوبته مع انها اشد تكبرا وانما لهمتها وبلاحيتها النزاهة قال ابو زياد الكلابي ان القطا تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة وقد تفعله ونحن نتبعها فتشرب البير مع الفجر فترده مع طلوع الشمس ثم تصدر وفي حواصلها ماء لفراخها فاذا امارت حيا لها ما حث فكما فكها ووقعت عليهم فلا تخطئ واردة ولا صادرة فلا علم ولا شجرة ولا امارة فيشبها من هذا المعنى لذلك فلذلك ضربت العرب بها المثل وذكرتها الادباء في شعرها ونثرها فمن كلام القاضي عياض رحمه الله في هذا الشفاء ومما هنا عاملة فيح تحار فيها القطا وتقصر فيها الخطا ومن كلام الحريري في المقامة الشعرية وجبت في بيد وغور لم تر فيها الخطا ولا اهتدت اليها القطا وقال الشاعر والناس اهدى في القبيح من القطا | واضل في الحسنى من الغربان

وقال الطرماح يهجو بني تميم

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى | خلال المخازي عن تميم تجلت
تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا | ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو ان برغوثا على ظهر نملة | يكر على صفي تميم لولت

وقرأ الحسن ابو الحسين محمد بن لنكك البصري على قوم رؤساء مجلسا منهم وضمن من بيت الطرماح فقال

عرفت مراكم من وجوه لبلدة | تكنفهما جهل ولؤم فافرطا
وان زمانا انتم رؤساؤه | لأهل بأن يعزى عليه ويقنطا
الى كم تعيبون الطرماح وانتم | ارى لكم بطرق اللؤم اهدى من القطا

وذكر شمس الدين ابن خلكان انه كان يقع بين سعد بن محمد التميمي الشاعر المعروف بحيص بيص وبين ابي القاسم بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان مداعبات ونوادر منها انهما حضرا يوما على سماط الوزير ابي الحسن علي بن طراد الزينبي وذلك في شهر رمضان فاخذ ابن القطان قطعة مشوية وقربها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص يا مولانا هذا الرجل يؤذيني فقال الوزير وكيف ذلك قال انه يشير الى قول الشاعر ۞ تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ۞ ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ومثل

ومثل هذا ما روي أن رجلا من بني تميم قال لشريك النميري ما في الجوارح أحب إلي من
البازي فقال له شريك وخصوصا إذا كان يصيد القطا أشار التميمي إلى قول جرير

أنا البازي المطل على نمير … أتيح من السماء لها انصبابا

وأشار شريك إلى قول الطرماح * تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا : البيت
تتمــة مما يوصف بالهداية أيضا الحمام الزاجل فإنه ربما غاب عن وكره
عشر سنين أو أكثر وهو على ثباته وقوة حفظه حتى إذا وجد فرصة طار وعاد
إلى وكره ولهذا اتخذ من صنعه البرد تحمل الأخبار وذلك معروف بأرض الشام
والعراق وخصوصا البصرة وبغداد ويشترى بالأثمان الغالية ويرسل من الغاية
البعيدة بكتب الأخبار فيقطع العشر مراحل وأكثر في يوم واحد ويرد بها ثم يعود
بالأجوبة قال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة
دينار ولم يبلغ ذلك الفرس ولا شيء من الطير غيره ومن أنشاد رأى جاوز الغاية
قال ولقد غلت ببغداد والبصرة وجرت ذلك بلا مغالاة ولو صدقنا أن برذونا
أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك شيئا وقد تباع البيضة الواحدة من
بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا والمركار له زوج منه فلان
في الغلة فقام ضيعة وأصحابه يتفقدون من أثمانه الدور والحوانيت ومن وقع ذلك
قلبه عجيب ومنظر أنيق قال ولولا أن هذا الصنف من الحمام لما جاز أن يعلم أهل
الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة أو حدث بالكوفة في يوم حتى تكون
الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة عشية وذلك مشهور متعارف
ويقال إن حمام البصرة بلغ في الهداية أن جاءت الحمامة من مصر ومن أقاصي بلاد
الروم إلى البصرة وللقاضي الفاضل من فصل في هذا المعنى قوله ومما يجب أن يعتنى
به تربية الحمام التي سكنت في البروج جمل نجم : وأعدت كتائبها للعروج فهي
أسهم : أن أرقال : بقد كادت سوابق الحمام : تعد من الملائكة الكرام : إذ أنيطت
بها الرقاع : صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع : *

(تنشر بها غير السوافي والثرى * هب الهراجيج وكل زعل سوى)

اللغة قوله السوافي جمع سافياء بالمد كقاصعاء وراهطاء وهي الريح التي
تسفي التراب أي تحمله وتذروه وقيل السافياء الغبار قال ذو الرمة

بمَيْثَة الأطلال بعد زرود وابل * عفتها السوافي بعدنا والحواصب
قوله والحواصب جمع حاصب بكسر الصاد المهملة وهو الريح التي ترمي بالحصباء
وقيل الحاصب ما تناثر من دقاق الثلج والبرد وبالمعنى الأول فسر قوله تعالى
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وقيل الحاصب في الآية الملائكة الذين رموا قوم لوط
قوله الهراجيج جمع هرجوج كعصفور ومعناها الريح الباردة الشديدة فأما
قول ذي الرمة * هراجيج ما تنفك إلا مناخة * على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا *
فالمراد بها النوق ومعناه الطوال قوله وكل زعيم الريح الشديدة

الإعراب والتصريف

ليس بها في الجملة مستأنفة ويحتمل أن تكون
صفة ثالثة للمنازل وليس كلمة تنفي مضمون الجملة في الحال وقد تنفيه في غير الحال
بقرينة كقول الأعشى في قول النبي صلى الله عليه وسلم *
له نافلات ما يغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
وهي فعل لا ينصرف وزنه فعل بالكسر ثم التزم تخفيفه بالتسكين قال القصباني
دخلت على المبرد لأني في مرضه فقال أبو بكر قلت عند الزعيم أي قال فقيل كنتما
قلت سألني عن وزن ليس فقلت فعل أو فعل يعني بفتحها أو ضمها فقال أخطأت وإن
لم يعلم بخطئه وإنما هي فعل بالكسر ولم أسأله عن علة ذلك ومات وفي قلبي
منه الحزازة فرأيته في النوم فسألته فقال إنما هي فعل بالفتح لأنه لو كان بالفتح
أو بالضم لأبدلت العين ألفا فأتت مضمومة أي لأن مثله يعبر أو يكون وفعل بالكسر ثم
خفف كعلم في علم وقال ابن السراج والفارسي ليس حرف بمعنى ما وقيل هي مركبة
من لا وأيس كرهت الهمزة والزقت اللام بالياء فقال ليس والصحيح الأول وهي
فعل ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر واسمها عين السواقي وخبرها في المجرور
قبله وفي الكلام موصوف مقدر أي ليس بها شيء غير السوافي ومن أين استثناء
مفرغ وإنما تقدير الموصوف أمر اقتضته الصناعة وحذف حرف العطف مع الهراجيج
ضرورة والله أعلم **المعاني** فأما بعد أن الشاعر جملة من الأبيات عما قبلها
في نعت منشئا نعته بأنه لما أخبر عن منازل الحبائب بأنها لم تدرك فيها وإن رسم دار
بكاء السامع استغرق في السؤال فقال وليس بها شيء أصلا فقال ليس بها غير
الرياح المثيرة الغبار والأمطار المعادية للنمار والسباع الكبيرة المضارة

ثم

ثم ان الحصر الواقع في كلام الناظم الاكثر انه من باب قصر القلب لا الافراد
ولا التعيين لان المقصود رد ما عسى عن سلوك مزلة الانفراد والتوغل بها حتى كان مفتقرا
الى ما يخالف ما هو عليه في نفس الامر والا بان جوز ان فيها شيئا من مزلة الفواصع
العكسية وما افرع عليها حسبما تشعر بذلك العبارة وفي كلامه ايضا النوع المسمى
بالمساواة وهي الايجاز في الصيغة المشتملة على المقصود ونظيره قوله تعالى ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله وزعم ابن الاثير وصاحب عروس الافراح ان صيغة الحصر من
باب ايجاز القصر لا من باب المساواة واما تعداد اسماء الرياح فهو من باب الاطناب
فان قلت كيف يصح الجمع بين المساواة والاطناب والمقام اذا اقتضى احدهما
لا يقتضي الاخر قلت هما من اعتبارين على مقصدين فحيث اراد ان يعين الشايل على ما
كان او غيره ما اشتملت عليه من الزيادة اتى بعبارة مساوية في اصل المعنى وحيث
اراد التعويل على ما عليه الكتب والاخذ بالصواب وما يعرف للاستنباط او بدليل قوله وكل
زعيلو واما عدد الفاظها مع الرابع فهو موجب لخفة التاليف ويمل بالفصاحة
كما مر والله اعلم **البديع** في كلام الناظم منه مراعاة النظير بجمعه بين
اسماء الرياح وقد تقدم الكلام عليه وفيه ايضا التعريب وقد تقدم ايضا واما
معنى الكلام فهو كما مر والله اعلم

* *

والمرخ والعفار والعضاه والبشام والاذر ونبت الخروع
والرتم والحنظل والسعدان والشمر وشري وسنا وسمسم
وعشر ونشم واسحل * مع ثمام وبشار فوفي

اللغة والمرخ والعفار هما ضربان من الشجر كلاهما سريع الورى قال ابو زياد
ليس في الشجر كله اورى زنادا من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعا ملتفا وهبت
الريح فحك بعضه بعضا فاورى واحترق الوادي كله ولم نر ذلك في سائر الشجر وقال
المازني اكثر الشجر نارا المرخ ثم العفار ثم الرقلو وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب وفي المثل في كل شجرة نار واستمجد المرخ
والعفار اي اخذ من الصنفين فاستكثر من النار دون غيرهما ومنهما تتخذ العرب
زنادهما فيقطع احدهم منهما غصنين مثل السواكين اخضرين يقطر منهما الماء فيسحق احدهما
على الاخر فتنقدح النار قالوا وكيفية ذلك ان ياخذ احدهم من المرخ عودا مقدار

الشجر وهو الأنثى فيثقب في وسطه ثقبا غير نافذ ويجعله من أسفل ثم يأخذ من
العفار عودا مقدار الذراع وهو الذكر فيجرده ثم يدخله في ذلك الثقب من
أعلى ويضعه بين رجليه ثم يفتله فتنقدح النار بإذن الله وذلك قوله تعالى
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون قال ابن عباس المراد
بالشجر في الآية المرخ والعفار وهما زناد العرب ووقع للزمخشري في الكشاف أن المرخ
هو الذكر والعفار هو الأنثى والصواب العكس كما تقدم قال الكميت

إذا المرخ لم يور تحت العفار * وضن بقدر فلم يثقب

وقال الأعشى

زنادك خير زناد الملو * ك صادف منهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح في ظلمة * صفاة بنبع لأوريت نارا

وهذا الكلام تمثيل وإنما يصفه بجودة الرأي وفيه تلميح إلى المثل وهو قولهم فلان
لو اقتدح بالنبع لأورى نارا أي هو جيد الرأي وإنما قال لو إذ الأن النبع لا نار فيه
كذا قالوا ولعل فيه نارا ضعيفة قوله والعضاه بكسر العين المهملة كل ماله شوك
من الشجر ومن مشهوره الطلح والعوسج والسلم والسيال والعرفط والسمر بضم
الميم وهو شجر أم غيلان والقتاد والسدر وبعضهم يستثني هذين الأخيرين فلا
يجعلهما منه وقيل العضاه كل ما عظم من الشجر وكان له شوك قال حميد بن ثور الهلالي

أبى الله إلا أن سرحة مالك * على كل أفنان العضاه تروق

وكنى بالسرحة عن المرأة قوله والبشام هو بوزن سحاب شجر طيب الرائحة يستاك
بأغصانه وورقه يسود الشعر قال جرير

أتذكر يوم تصقل عارضيها * بفرع بشامة سقي البشام

قوله والأثل هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأجود عودا إذا حركته
الريح ترنح وسمع له صفير وفي التنزيل وأثل وشيء من سدر قليل
وقال أبو حنيفة الأثل شجر وهو نوع من الطرفاء الواحدة أثلة والجمع أثلات
وفي كلام بيهس الملقب بنعامة لكن بالأثلات لحم لا يظلل يعني نحن إخوته القتلى
ومنه قيل للأصل أثلة يقال فلان ينحت أثلتنا إذا قدح في حسبه ونسبه قال الأعشى

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا * ولست ضائرها ما أطت الإبل

وفي الصحيح أن منبر النبي صلى الله عليه وسلم كان من أثل الغابة وفي رواية أنه

غيلان

تكون

انه كان يرعى بها وفي القاموس ان الكلأ اربعة اصناف منها الالاء فقوله
ونبت الخزامى هو نبت زهره طيب نبت ورقه كالنبات المسمى بالسنا والحمل وهو من نبات
البر واحده سعدة وكلاهما واحد وراء نافع فقوله والرمث والحلمة اما الرمث فهو بكسر
الراء المهملة وبالثاء المثلثة آخره وهو من مراعي الابل معروف في الحمض
والرمث ايضا شجر يشبه الغضى ورمثت الابل مرضت من اكله ورمثت اشتكت
من اكله واذا رعته كثيرا وأما الحلمة فهي بفتح الحاء المهملة وهي كل ما فيه
حلاوة من النبات ويقابلها الحمض وهو كل ما فيه ملوحة منه والعرب تقول الخلة
خبز الابل والحمض فاكهتها فقوله والسعدان قال الميداني عن بعض الرواة السعدان
اخثر العشب لبنا واذا خثر لبن الراعية كان افضل ما يكون واطيب واكثر دسما ومنابت
السعدان السهول وهو من انجع المراعي في المال ولا تحسن على نبت حسنها عليه قال
النابغة * الواهب المائة المعكاء زينها * سعدان توضح في اوبارها اللبد
وفي المثل مرعى ولا كالسعدان يضرب للشيء يفضل على اقرانه واشكاله قال
ابو علي البصير يمدح عبيد الله بن خاقان

* يا وزراء السلطان * انتم من الخاقان *
* كبعض ما رأينا * في سالف الازمان *
* ماء ولا كصدا * مرعى ولا كالسعدان *

وشوك السعدان تشبه العرب به حلمة الثدي ومن ذلك يقال للحلمة سعدانة
الثدي وفي الحديث في وصف جهنم اعاذنا الله منها وفيها كلاليب مثل
شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك
السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى وفيه في وصف الصراط
مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء
تكون بنجد يقال لها السعدان واما مزنة المذكورة في البيت المتقدم فهي ركية
عذباء لم يكن عند بني العنبر ماء عذب غيرها قال الجوهري قلت لابي علي النحوي بعض
افتراه مشتقا من المشتق فقال نعم وانشد لعارق بن عتبة العبسي الشعر

كأني من وجد بزينب هائم | يخالس من احواض مزنة مشربا
يرى دون برد الماء هولا وذادة | إذا شد صاحوا قبل ان يتحببا

أي قبل أن يزوروا وبعضهم يقول الهمزة أي بالهمز مثل مرعاة قال وسألت عنه في
البادية رجلا من بني سليم فلم يهمزه قوله والثغر من بفتح الثاء المثلثة وسكون
الغين المعجمة وقد يفتح نبت شجيرة الرعي من أفضل العشب وقد رجح الشيخ أبو علي
اليوسي رحمه الله في بيت من قصيدة له بين السعدان والثغر فقال

ولكم ترى من عي ولست ترى * كرعاية السعدان والثغر

قوله وشرى الشرى بالتحريك الحنظل يقال للعلا طعمان أري وشري أي عسل
وحنظل قال الشاعر

وله طعمان أري وشري * وكلا الطعمين قد ذاق كل

والشري أيضا شجر الحنظل أو الحرارة شرية وهو من الأدوية النافعة قوله
وسنا السنا مقصور وهو نبت مسهل للصفراء والسوداء والبلغم وهو معروف
وفي الحديث عليكم بالسنا والسنوت أي العسل وهذا النبت يوجد بمصر وكذا
شرفها الله كثيرا والعامة تضيفه إليه فيقولون سنا الحرم وقد يضيفه أهل البلد
بالأذخر في جواز أخذه وأنه ينتفع به من نبات الحرم قوله وسمسق
فيه لغات كجعفر وزبرج وقنفذ وجندب وهو الياسمين والمرزنجوش ضرب من الرياحين
وفيهما منافع أيضا وذكر المبرد في كامله أن خالد بن صفوان التميمي الفصيح المشهور
دخل على يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان
فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها فقال وما أكلت قال
أتيت ضيعتي في إبان الغراس وأوان العمارة فجلت جولة حتى إذا صخدت
الشمس وأزمعت الركود ملت إلى غرفة لي في حديقة هفافة قد فتحت أبوابها
ونضحت بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران
نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع
العقيق وسمك بناني بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر
غلاظ القصر ودقة وخلول وقريص وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف
غير أكدر لم تبتذله الأيدي ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت من هذا ثم من هذا
فقال يزيد يا أبا صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مزروع
٥ الزرقة بالضم التوابل والمري بضم الميم وتشديد الراء والياء نوع من الإدام

قوله وعُشَر بوزن صُرَد وهو شجر فيه حُرّاق بضم الحاء وشد الراء لم يقتدح الناس في أجود منه ويحشى به المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر معروف وفيه مرارة، قاله المجد ويقال إن أول ما يكون العشر ومنابت الشجر بأرض العرب ظلم الفيل وفي المثل الخبز من البزور ومن أمثالهم أن رجلين من العرب خرجا في فلاة فلاحت لهما شجرة فقال أحدهما أرى قوما قد رصدونا فقال الآخر إنما هي عُشَرة يعني شجرة من العُشَر فظنه يقول عَشَرة بفتح العين فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة ويفر كذلك حتى مات وقيل فيه غير هذا قوله ونشم هو بفتح النون والشين المعجمة شجر تتخذ منه القسي قال عمرو بن أحمر يصف قوما بالعجز

عيّوا بأمرهم كما ... عيّت ببيضتها الحمامة ❖
جعلت لها عودين من ... نشم وآخر من ثمامة ❖

إنما قال ابن الأعرابي تصف الحمامة بالخرق لأنها لا تحكم عشها كسائر الطير قوله وإسحل بكسر الهمزة وسكون السين وكسر الحاء المهملتين شجر له أغصان ناعمة يستاك بها قال امرؤ القيس

* * *

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحل

الأساريع دود بيض حمر الرؤوس تشبه الأصابع بها البنان المخضوب وتكون في واد يقال له ظبي وهو أسروع في البيت قوله مع ثمام هو بالثاء المثلثة بوزن غراب نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به وسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة وبه سمي الرجل ومنه ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه وثممت الشيء أثمه بالضم ثما إذا أصلحته ورممته بالثمام ومنه قيل ثممت أموري إذا أصلحتها ورممتها قال الشاعر

* * *

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

ومن أحسن ما قيل فيه للمولدين قول بعضهم

* * *

حكاني بهار الروض حين ألفته ... وكل مشوق للمشوق مناسب
فقلت له ما بال لونك شاحبا ... فقال لأني حين أقلب راهب

والشعراء تشبه بالبهار صفرة الخد كما تشبه بالورد حمرته قوله ومعجب وأبو الشيء أنفاه من باب فرح وراع حسنه وأعجب وأعجبت أنا به أعجبت

ويتعدى بالهمزة فيقال أقلقه وشيء دائب مضطرب وزنا ومعنى والقلق حركة
الفرح والسرور وتأنق في عمله اتقنه واحكمه كتنوق والله اعلم الاعراب
والتصريف قوله والمرح والقلق من قبيل الاسماء وكلها مجرورة بالعطف
على قرة عين في البيت قبله وقوله العضاه هو بكسر العين جمع عضة واختلفوا
في واحده فقيل بالهاء وهي اصلية اي انها لام الكلمة ومنهم من يقول انها محذوفة
وهي واو والهاء للتانيث التي هنا عوضا عنها فيقال عضة كما يقال عزة
واصله عضو ومنهم من يقول ان لامها المحذوفة هاء وربما ثبتت مع هاء التانيث
فيقال عضهة وزاد عضهة فالده في المصباح والف القنا منقلبة عن واو وتكتب
الفا وقوله مع نظم كقوله يتعلق بالقا ثم ان نعتا للنكرة قبله وهو نعت لمقدار
وهو اسم فاعل كمكرم ويجوز في فائه ان ينطق بها بمنزلة وهو الاصل وان تتبع بالابدال
دالا من جنس حركة ما قبلها كما في مزمر ونحوه وفي كلام الناظم على المغربة وهو
سابغ البديع في كلام الناظم شبه التعبير كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع الآية وفيه مراعاة النظير وهو جمع الشيء الى ما يناسبه وكلامه
من تقدم وفيه ايضا التنكيت وهو عبارة عن ان يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون اشيا
كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود لكان القصد اليه دون غيره
خطأ كما هو عند اهل النقد ومن جاء من ذلك في التنزيل قوله تعالى وانه هو رب
الشعرى فانه تعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم لان من العرب من عبدها
فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيتم لها الربوبية مع ان في النجوم
ما هو اعظم منها ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

* يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس

فخصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة
المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم فعرا بذكر طلوع الشمس
للغارات وغروبها للضيفان وبيان التنكيت في كلام الناظم انه ذكر هذه النبات تاما من
بين سائر النبات لانها ارض العرب وفي ذلك من التشنيع لهم والتنويه بذمهم والطعن
بذكرهم ما لا يخفى اقامهم الله منه ازعجهم بجلاء نبيهم صلى الله عليه وسلم ومعنى
الكلام هو هذا ايضا من جملة المستثنيات التي اشتملت عليها هذه الارض التي ليس

فيها إلا الرياح المثيرة للنقع ۔ والأشجار العديمة النفع ۔ وهذا لما تقول العادة
إذا وصفت أرضا بقلة الخير ليس فيها إلا الشيح والربع عيشه إن الناظم رحمه الله
ذكر في جملة النباتات بعض ما هو مرعى للإبل بل إن ما هو أفضلها وأجوده كالسعدان
والثغر وما كان من صنفه ذلك لأن ذكر هذه المراعي في هذا المقام ربما يكون إغراء
للحاضر وتشبيها له على سلوك هذه الأرض والدخول فيها كي تصيب إبله من هذه
المراعي المستحسنة فإنها من أطلع شيء لها وقد علم من حال سكان البادية وأرباب
المواشي الانتجاع بمواشيهم إلى هذه المراعي وقطع المفاوز إليها واتخاذ هذه دونها
استصلاحا للإبل وتنمية لمواشيهم فلم لا يكون حال هذا الحاضر كحال هؤلاء فجعله
الناظم منتج لعكس ما قصده في تنشيطه الحاضر وهربه عن وجهته ولم أر من نبه على
هذا فإن قلت وكذلك كان من صنفه أن لا يذكر هذه النباتات المشتملة على الأدوية
والمنافع لأنها ربما تحمل على طلبها أيضا قلت لا يخفى أن ذكرها مثل
الغول من هو عليه لأن أهل علم الطبيعة نصوا على أن هذه النباتات المشتملة على الخواص
والمنافع المشتملة في الزاد لا توجد إلا في الأقاليم المنحرفة عن الاعتدال والأقطار
المنتبذة عن العمران وأنها قد تكون كذلك إلا لغلبة أحد الكيفيات عليها ووجود
فضل فيها فيها خرجت بها عن حد الاعتدال من أجل سوابغها المنحرف فيكون في ذكر الناظم
لها رمز إلى أن هذه الأرض من هذا القبيل وذلك أوحش لها وأصعب لسلوكها وأيضا
هذه النباتات التي ذكر الناظم أكثر ما توجد ببلاد العرب كما قررنا حتى كاد يخصها
ولم يفصلها إنما هي مفروقة بالبؤس والشقاء وقلة الخير ووعورة المسالك
وكثرة الحشرات المؤذية والسباع العادية وأن أهلها لم يوصفوا إلا على الجفاء
وكذا بركة البشرة وغلظة الطبيعة كما هو معلوم في أخبارهم وسيرهم وما ذاك
إلا لانحراف فكأنهم أي جهة الجنوب وكثرة حرارته فإن بعضه في الإقليم الأول كبلاد
اليمن وبعضه في الإقليم الثاني كبلاد الحجاز ونجد والله أعلم *

والسمع واليعقوب والقنفذ والسيد السبنتى والقطا وجوزل *
والبرق النهار والرئال والسهيم مع عكرمة وخرنق

اللغة قوله والسمع هو بكسر السين المهملة ولد الذئب من الضبع والأنثى
سمعة فهو سبع مركب وفرقها وهو إذا الزبد وخفته يزعمون أنه لا يعرف العلل

ان الاشتغال ولا يموت حتى ينبع كالحية وانه في عدوه اسرع من الظبي ومن شأنه
تزيد على ثلاثة اذرعا وسيأتي للناظم التمثيل بذنوبه ويضرب به المثل في قوة السمع
فيقال اسمع من سمع واسمع من السمع الازل قال الشاعر يصف شخصا بالنجابة

تراه حديد الطرف ابلج واضحا * اغر طويل الباع اسمع من سمع

قوله واليعقوب هو ذكر الحجل قال ابن السيد من عمر بن صبيح واما يعفور فرس النبي
عليه السلام فهو اعجمي وجمع اليعقوب يعاقيب والحجل طائر معروف وهو والحمامة اعم
الذكر احمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وهو عند العرب منقار يحمر ويتغنى في
الفجر والغنم والقطا من ابيض ويضرب المثل باليعقوب في سرعة الركض قال الشاعر

اودى الشباب الذي مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب
ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

قوله والقشة بكسر القاف وتشديد الشين المعجمة قال ابن دريد هي القردة
وقال الاصمعي هي الانثى من اولادها وفي المثل ادنى من قشة يضرب للصغار خاصة
قوله والسيد هو بكسر السين المهملة الذيب يقال سيد وسيدة والجمع السيدان والانثى
سيدة عن الكسائي وابن السيد النحوي وابن سيده اللغوي الاندلسيان من هذا وربما
سمي الاسد به ايضا قال الشاعر * كالسيد في اللبدة المستأسد الضاري *
قوله السبنتى ابو عمرو السبنتى والسبندى الجريء المقدم من كل شيء والياء
فيه للالحاق لا للتأنيث لانه ترى الهاء تلحقه يقال سبنتاة وسبنداة قال
ابن احمر يصف رجلا

كأن الليل لا يغسو عليه * اذا زجر السبنتاة الامونا

يعني الناقة والسبنتى والسبندى ايضا النمر ويشبه ان يكون سمي به لجراءته قال
الشماخ يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وما كنت اخشى ان تكون وفاته * بكفي سبنتى ازرق العين مطرق

قوله والثعالة من ثعالة تفرع الكلام عليه قوله وجوز وهو كجوز ذكر
الثعالب ويقال له الكليم لان زعم العرب ان الثعالة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا
اذنيها ولم يعطوها شيئا فكانت كلموها فاشتقوا لها اسم الكليم وهذا من
خرافاتهم قوله والدئل والدئل دويبة شبه ابن عرس وفيه وأما الدئل فهو فرخ الكروان

وقيل فيه غير ذلك واما النهار فهو فرخ الحبارى وفي قولهم في المثل اخبر من
ليل واخبر من نهار يعنون من ابن الكامن يرين فقال ابن السيد في شرح ادب الكاتب
اختلف اللغويون في النهار فقال قوم هو فرخ القطاة وقال قوم انه ذكر
البوم والانثى صدى وقيل انه ذكر الحبارى والانثى ليل وقيل انه فرخ الحبارى
وهذا القول هو الصواب وتعرف في عشرة قال قوم جعفر بن سليمان العباسي من عند
الخليفة المهدي يعني الى البصرة فبعث الى يونس بن حبيب فقال اختلفت انا وامير
المومنين في قول الفرزدق

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فما الليل والنهار فقال يونس الليل الذي تعرف والنهار النهار الذي تعرف فقال
زعم امير المومنين ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى قال ابو عبيدة
القول عندي ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة
قال ابن السيد جعل الليل والنهار في بيت الفرزدق بمعنى الطائرين وان كان صحيحا
لغة لكنه غير مناسب وانما الكلام مجاز لانه جعل الليل كالمنهزم والنهار يصيح
خلفه كما جعله المتنبي قتيلا حيث قال

لقيت بدرب القلة الفجر لقية * شفت كمدي والليل فيه قتيل

وقد اغرب ابن برد في الليل في المقامة الكتبية فقال ابن عمر يعني الطائر في
اكل ليلة فاز الحديث للقدماء ذيلا: وبعده قول الاخر

فبت كأني في وكر الحلال مسافرا * واعلن في وكر الحرام جهارا
ولذا كان يأتي في الصلاة جماعة * ويأكل في شهر الصيام نهارا

فالنوم وكر الفرخ والحلال والحرام المكانان او غيرهما مما يتخذ منزلا والصلاة
الكاوانيا ومنه قوله تعلى وبيع وصلوات والنهار الطائر المذكور وقال غيره

ونهار رأيت منتصف الليـ * ـل وليل رأيت وسط النهار

فقوله والرئال هو ككتاب جمع رأل بفتح الراء وسكون الهمزة ويجوز ابدالها
الفا كراس وباس وهو فرخ النعام والانثى رألة والجمع رئال كما نطق به الناظم قال
الفرزدق بيتا من علق اثاره كأنما * رئال دعاها للمبيت نعامها
وقال حسان رضي الله عنه

فأشعر آل الله في قريش * كآل السقب من آل النعام

الآل القرابة والرهط والسقب ولد الناقة قوله والقثم بالثاء المثلثة
قيل معناها من قثم العطاء وقال ابن دريد هو من قثم العقاب وقال في كفاية
المتحفظ هو فرخ النسر وبه سمي القثم بن عباس وغيره قوله مع عكرمة هو
بكسر العين والراء المهملتين الأنثى من الحمام وقيل أنثى سام حرقاصة ويقال
عكرمة بدون لام فيكون علم جنس ويقال العكرمة باللام فيكون اسم جنس وبه
سمي عكرمة مولى ابن عباس وغيره وقد اشتهرا وورى به الشيخ علاء الدين
الوداعي في علقمة وعكرمة حيث قال

وفي أسانيد إن زاد حافظ * للعنبري ومبراه عن علقمة
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمة

قوله وخرنق هو كزبرج الفتي من الأرانب وقيل ولد الأرنب يكون أولا خرنقا ثم سخلة
ثم أرنبا وبه سميت خرنق الشاعرة أخت طرفة بن العبد التي ذكرها ويضرب به
المثل في اللين فيقال ألين من خرنق قال الراجز

إذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق
واعمد لأخرى ذات دل مونق * لينة المس كمس الخرنق

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم درع تسمى الخرنق للينها والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله والسبع واليعفور في الأسماء كلها
مجرورة بالعطف على مدخول عن كما سبق والياء في لفظ السيد منقلبة عن
الواو التي هي عين الكلمة لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن مالك في الكافية

والواو إن يسكن وما قبل انكسر * فياء اقلبنه كميزان اشتهر

والسبنتى صفة للسيد ومعناه النمر كما مر والألف للإلحاق بسفرجل وتكتب
ياء للرجوع إليها في التثنية وفي الجمع بالألف والتاء ولذا تجوز إمالتها
ويجوز كتبها ألفا اتباعا لجماعة من النحاة ذهبوا إلى كتابة الياء في كلمة بالألف
حملا للخط على اللفظ قال في الشافية سواء كانت الألف ثالثة أو رابعة أو
منقلبة عن ياء في علم أو غيره وفاقا لشيخ الإسلام لأنه القياس ولأنه أنفى
للغلط وتمنع السبنتى من الصرف في التعريف وتصرف في التنكير وتجمع على سبانت

وسيأتي معناهما لانه لما كانت النون والالف فيه معا من بزتين ولا مزية لاحدهما
على الاخرى حذفا ثم ثبتهما معا بجعل بنية الجمع كانه لما حذف بعد ارادة الجمع مخيرا
بينهما وهكذا ما اشبهه نحو الحبنطى والمحبنطى والسرندى والعلندى وقال ابن مالك في
الخلاصة * وخيروا في زائدي سرندى * وكل ما ضاهاه كالعلندى *
وأما الفصحا فمغلبة عنوا او متكتب ايضا وفي لفظ الجوز وجائزة وبيان ان الجيم
والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية فالجوزق والجوسق والمنجنيق والجوالق والجلاهق
ونحوها انما كلها معربة وكذا الجيم والصاد كالصهريج والصولجان والصنجة والصمج
ونحوها الطاء والجيم والكاف كالكيلجة والسكرجة والكوسج ونحوها ويجوز في همزة
الرئبال التخفيف بابدالها ياء محضة لانفتاحها وانكسار ما قبلها ويجب نقل
صورة الهمزة في هذا المثال وما اشبهه وقوله مع علوقة كسرى يتعلق باستقر
حال لما قبله والأفصح في لفظ مع فتح عينه ويجوز تسكينها في لغة ربيعة وغنم
فيحتمل ان يكون الناظم اتى بها ساكنة على هذه اللغة ويحتمل ان يكون اتى بها مفتوحة
على اللغة الفصحى لكنه ادغم العين فيها بعد سلب حركتها للتماثل نحو قبل ومن لغة تميمية
قرأ بها ابو عمرو في جميع القرآن وفي كلامه عطف النكرة على المعرفة والعكس وهو
سائغ البديع في كلام الناظم منه التجريد ومراعاة النظير والتنكيت
وقد تقدم الجميع وفيه ايضا ايهام التضاد واعلم ان التضاد هو الطباق ويسمى
الجمع بين امرين متضادين او متقابلين متنافيين في الجملة كالايجاد والاعدام والبياض
والسواد والليل والنهار ومنه قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقد
تلطف بدر الدين البشتكي غاية التلطف حيث نبه على الطباق وصرح باسمه مع غرابة المعنى
فقال * وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه الشمس الرفاق
فقلت وهل انا الا اديب * فكيف يفوتني هذا الطباق
وأما ايهام التضاد الذي منه كلام الناظم فهو الجمع بين متنافيين غير متقابلين
الا انه عبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان كقول دعبل
لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
فضحك المشيب عبارة عن ظهوره ظهورا تاما ولا تقابل بين ظهوره وبين البكاء
لكنه عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي مضاد للبكاء وكذا قول الناظم والليل

والفجار المراد بهما الكفار من المغرورين والفجار وبهما يتعلق بالبيض لأن معناهما المشهور
الذي لا يستعملان غالبا إلا في حيث انه ينفر من بعض ولما كان معنى غيره هو المعروف
المعروف وفيه التفاؤل ومعنى الكلام واضح والله أعلم

(ولم تزل تقطع جلباب الدجى * بجلمك النير وسيف العقول)

اللغة قوله جلباب الدجى الجلباب كسرداب وكسنمار ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء وفي تفسير الخازن الجلباب الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وقال ابن فارس الجلباب كل ما يستتر به من كساء وغيره وتجلببت المرأة لبسته وجلببتها أنا ألبستها إياه والجمع الجلابيب قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا

شعر

تمشي النسور إليه وهي لاهية * مشي العذارى عليهن الجلابيب

وقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن قال ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر قوله الدجى جمع دجية كغرفة وزنا ومعنى قال أبو الطمحان القيني

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ودجا الليل دجوا ودجوا كعلو أظلم وليل داج ودجي كغني مظلم ودياجي الليل حنادسه كأنه جمع ديجاة قوله بجلمك النير الجلم محركة المقراض الذي يقص به ويقال له الجلمان بلفظ التثنية كما يقال فيه أيضا القلم والقلمان بالقاف بدل الجيم ويقال المقراض والمقراضان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان اسما واحدا على فعلان كالسرطان والزعفران ويجعل النون حرف إعراب وجلمت الصوف والشعر ونحوهما قطعته بالجلمين واستعماله مفردا كما في بيت الناظم قليل ومنه قول سالم بن وابصة

شعر

داويت صدرا طويلا غمره حقدا * منه وقلمت أظفارا بلا جلم

والأكثر استعماله بلفظ التثنية قال عنترة

لعن الذين فراقهم أتوقع * وجرى ببينهم الغراب الأبقع
خرق الجناح كأن لحيي رأسه * جلمان بالأخبار هش مولع

ومما اختص بالغز صالح بن شريف الرندي في الجلمين حيث قال

ومصطحبين

وتصغيرهما اثيما بعشق * وان وضعا بضيق واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لمعنى * سوى معنى الفصيحة والعراق

قوله وسيف العتو السيف معروف واسماؤه تنيف على الألف قال المجد وقد ذكرتها في الروض المسلوف فيما له اسمان الى الألوف وقيل انها صفات له وانما الاسم السيف لا غير قال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع حكى الشيخ القاضي ابو بكر ابن العربي بسنده عن ابي علي الفارسي قال كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من اهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه احفظ للسيف خمسين اسما قال فتبسم ابو علي وقال ما احفظ له الا اسما واحدا وهو السيف فقال ابن خالويه فاين المهند والصارم وكذا وكذا فقال ابو علي هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة هـ نقله في المزهر ويجمع السيف على اسياف واسيف وسيوف ومسيفة كمشيخة وسايفه يسايفه ضاربه بالسيف ورجل سائف ذو سيف والعنق بضمتين مؤنثا عند الحجازيين فيقولون ضربت عنقه بالفعل وعلامة التانيث للفعل ومذكرا عند غيرهم وقولهم هم عنق البيت اي ما يلي الباب وفتستكبرونه ومنه قول الشاعر
إن العراق وأهله * عنق اليك فهيت هيتا
ويجمع اعناقا والاعنق الطويل العنق والانثى عنقاء بينة العنق والله اعلم

الإعراب والتصريف

قوله ولم تزل تقطع في محل الجملة معطوفة على جملة وما انثلت تزرع في وما بينهما اعتراض حسبما تقدم التنبيه عليه وتزل مجزوم بلم واصله تزال حذفت الالف لالتقاء الساكنين واسمها ضمير مستتر جوازا يعود على الأبيات وجملة تقطع في محل نصب خبرها وفي لفظ الرقاب فائدة وهي ان الاسم الثلاثي المعتل اللام لا يخلو امره من ان تكون لامه ياء او واوا فان كانت ياء ثني بالياء باتفاق من البصريين والكوفيين سواء كان مفتوح الفاء كالفتى او مكسورها كالحمى او مضمومها كالشرى فتقول الفتيان والحميان والشريان وان كانت لامه واوا فان كان مفتوح الفاء كالعصا ثني بالواو باتفاق من البصريين والكوفيين فتقول العصوان وان كان مكسورها كالربا او مضمومها كالضحى فمما يختلف الحكم بين الفريقين فالبصريون يثنونه بالواو على الاصل فيقولون الربوان

والقصر والكوفيون يثنون بالياء فيقولون الرجيان والقصيان ومن يثني بالياء
كتب بالياء ومن يثني بالواو كتب بالألف **إذا علمت هذا فاعلم** أنه قد
اختلف في كتابة الرجا مثل الألف واو أو ياء فالبصريون على أنها واو لأنه من رجا
يرجو والكوفيون على أنها ياء لأن واحده رجية فعلى مذهب البصريين يكتب بالألف
لأنه من بنات الواو وعلى مذهب الكوفيين يكتب بالياء لأنه من بنات الياء وإنه
مقصور الفاء كما مر هذا وفي الاقتضاب أن الرجا مما غالط فيه التصريف القياس
لأن الفعل منه يرجو فكان القياس حوله ولهذا يجوز في الرجا أن يكتب بالياء حملا
على واحده وأن يكتب بالألف حملا على فعله والباء في قوله فعلم البين الذي تعلق
بتقطع واللام في البين والعفو جنسية إذ هي أبين والغنا وفي لغة العفو بابه أخي
ومن أن كل اسم ثلاثي على فعل بضم الفاء وسكون العين فبنو أسد يضمون العين
اتباعا للأول نحو قفل وعشر ونبر وإن كان بضمتين فبنو تميم يسكنون تخفيفا
نحو عنق وكتب ورسل وكتبا إنه في المضعف نحو سرر وذلل فإن السكون فيه
يؤدي إلى الإدغام فيثقل لذلك الجمع وبعض بني تميم يفتحون بفتح العين فيقولون
سرر وذلل وكرد بعض الأئمة ذلك في الصفات أيضا فيقولون ثيابا جدد والأصل
جدد بضمتين جمع جديد ومنعه الأكثرون لأن الانتقال من حركة إلى حركة أخرى
ربما كان أثقل من الضم ولأن الصفات ثقيلة بالنسبة إلى الأسماء والشيء إذا
قل التصرف فيه وإذا كثر استعماله نقل فناسبه التخفيف حينئذ والله أعلم
المعاني وقال الناظم رحمه الله هذه الجملة بالجملة المعطوفة عليها
لما بينهما من التوسط بين الكمالين واتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى ووجود
الجامع بين المسند إليه فيهما وهما هم الأبيون والمسند في الأولى ذرع الأرض
وفي الثانية فقطع استثار الليل وهما متحدان معنى إذ كل منهما عبارة عن شدة
السير وقلة الراحة وحسن هذا الوصل كون الجملتين معا فعليتين واتفاقهما فيه جلية ب
أن الرجا فعيل العموم لأنه اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم وكذا الحكم في جنس البين
وسيأتي العفو في كلام الناظم أيضا فإنه كان يكفيه أن يعبر عن هذا المعنى
بقوله ولم تزل هذه الأبين تسري أو تسير بالليل أو نحو ذلك من العبارات فعدل
عنه إلى ما عبر به قصدا لبعد المقام ونكتة هذا قوله تعالى في دعاء زكريا عليه

السلام رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا بهذا الدعاء وفيه
الكناية لاقتضاء المقام له وانه يمكنه ان يقول يا رب شخت او قد اشبهه
من الكلام المؤدى لاصل المعنى والله اعلم **البيان** في قطع تقطع استعارة
تمثيلية حيث شبه حركة ايدي الابل في حال سيرها ونفوذها في ظلام الليل بحركة يد
من يقطع بالة حادة واشتق من لفظ القطع تقطع مجازا فالاستعارة اصلية في
المصدر وتبعية في الفعل وفي فاعل تقطع ومن ضمير الانثى استعارة اخرى بالكناية
قال فقطع الثوب بالة حادة لا يتصور الا من العاقل فيكون شبههما بانسان يفعل
ذالك تشبيها مضمرا في النفس ودل عليه بلفظ تقطع بناء على قاعدة التخييل
عند القائلين بها فتنفرد عن التخييلية حسبما مر عند قوله * تزدع كل من برعت
وقوله جلباب الدجا وحلم البيد وسيف الغمد كلها من اضافة المشبه به الى المشبه
اي دجى كالجلباب وبيد كالحلم وغمد كالسيف فهو من قبيل التشبيه المؤكد على حد
قول ابن خفاجة الاندلسي عفا الله عنه ط *

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الاصيل على لجين الماء

اي على ماء كاللجين اي الفضة في البياض والصفاء ومن الغاية في هذا الباب
قول بعضهم يصف مجلس انس ط *

فبرك جدول وسماء آس ... وانجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كاس ... وبرق مدامة وضباب ند

ولا باس بتقرير هذه التشبيهات الحسنة التي اتفقت للناظم في هذا البيت فنقول
ان تشبيه الدجا بالجلباب من باب تشبيه المفرد المحسوس بمثله ووجه الشبه
بينهما الستر والتغطية في كل وهو من قبيل الاضافيات كما علم في محله وتشبيه
البيد بالحلم والغمد بالسيف من باب تشبيه المفرد المحسوس بمثله ايضا ووجه الشبه
في كل منهما الهيئة الحاصلة اعني حركة كل واحد من الكم فيما يصلح له فان حركة البيد
في حال السير مماثلة لحركة الحلم في حالة القطع لوجود الانقباض والانفتاح
المتتابعين في كل منهما مع ما انضم لذالك من كون شكل البيد كالابل في تلك الحال مماثلا
لشكل الحلم وهكذا القول في الغمد فان حركته في حال السير مماثلة لحركة السيف
في حال القطع اذ كل منهما يذهب تارة هنا وتارة هنا في شيء محسوس وهذا ايضا فيه

على سبيل التواتر مع ما انضمّ لذلك ايضا من كون شكل عنق البعير على شكل السفينة مع وجه الشبه في كلٍّ من التشبيهين مركّب ومنتزع من عدّة امور كما قررته الا ابلغ واغرب في التشبيه كما قالوه في قول الخ في النجم او ابن المعتز

والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ * لما رأيتها بدت فوق الجبل

البديع في كلام الناظم منه من ابداع التشبيه بجمعه بين الجلباب والقمع والحلم والشبكة ونظيره قول البحتري

كالقسيّ المعطّفات بل الأسـ * ـهم مبريّة بل الأوتار

وقد تقدّم وفيه الانسجام وهو عبارة عن كون الكلام لخلوّه من العقادة كانسجام الماء في انحداره يكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه يسيل رقة وهو في القرآن كثير

وحيّنا فقضينا من منى كلّ حاجةٍ * ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدّت على دُهم المهاري رحالنا * ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

وهذا النوع من احسن انواع البديع وارفعها واكثر الناس استعمالا له اصحاب الضروب الغرامية كابن الملوح وجميل وغيرهما ولا يخفى على ذوقك وجوده في كلام الناظم والله اعلم **ومعنى الكلام** مما بين الناظم رحمه الله معه عزله لما ذكر وكشفا للنقاب عن حالها لما تفرّغ شرحه مستوفيا رجع الى ما كان فيه اوّلا مع التمادي من العتاب والتغزّل في شأن الاثير وبعد الانعام ترك ترى اهل الادلاج بالاسحار وتغلط بين الليل وبين النهار لتعنّها دائم :: وجهها رهنا هائم :: ولياليها عمر التثريب لبيت بنائم :: فما اعجبها بازيز حبيبها وترحّم :: او يحلّ بسيلها فترعى وتنعم :: واعلم ان تشبيه الليل بالجلباب مشهور للشعراء مبتذل بينهم كقول ذي الرمّة

وليلٍ كجلباب العروس ادّرعته * بأربعةٍ والشخص في العين واحد
احمّ علافيّ وابيض صارم * واعيس مهريّ واروع ماجد

وقول ابي تمام في وصف القصيدة

خذها ابنة الفكر المهذّب في الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب
بكرا تورّث في الحياة وتنثني * في السلم وهي كثيرة الأسلاب
ويزيدها مرّ الليالي جدّة * وتقادم الأيام حسن شباب

وهو كثير للكتاب والناظم رحمه الله تصرف فيه تصرفا حسنا وأغرب فيه إغرابا بديعا حيث أضاف إليه التشبيه بالجلم فاكتسى بذلك رونقا وحسنا لا يخفى على من له ذوق وأما التشبيه بالجلم فقد اتفق لعنترة في وصف الغراب حيث قال

* ظعن الذين فراقهم أتوقع * وجرى ببينهم الغراب الأبقع *

* خرق الجناح كأن لحيي رأسه * جلمان بالأخبار هش مولع *

وأما تشبيه عنق البعير بالشبيه فلم أقف عليه لغير الناظم والله أعلم

* فما استراحت من عبور جعفر * ومن قعود بقعير زلق *

* راوي خضمهما قد قرع عينيهما * خافت وعافت بهم أي مكبو *

اللغة قوله فما استراحت الراحة ضد التعب وأراحه الله فاستراح وأراح من رجعت إليه نفسه بعد الإعياء فيفرق لا يفترق وأراح أيضا تنفس قال امرؤ القيس يصف فرسا أنثى

* لها منخر كوجار الضباع * فمنه تريح إذا تنبهر *

قوله من عبور جعفر العبور قطع النهر ونحوه وجهته إلى الجانب الآخر عبر يعبر عبرا ومعبرا فهو عابر وعبورا وقطعته من عبر إلى عبر بكسر أوله ويفتح أي من جانب إلى جانب والمعبر بفتح الميم الجانب أيضا والمعبر بكسرها ما يعبر عليه من قنطرة أو سفينة والجعفر مثل النهر الكبير الواسع كما في الكفاية وقال المجد الجعفر النهر الصغير والكبير الواسع ضد والنهر الملآن وحكى المبرد في الكامل قال إن زعم الرشيد أم جعفر يعني زبيدة فقال لها كيف أصبحت يا أم نهر فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه فأنفذت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك فقال الجعفر النهر الصغير وإنما ذهب إلى هذا بكثرة نفسها ومن أحسن التشبيه جمال الدين ابن نباتة المصرية بجعفر حيث قال

خليلي كم دار نزلت فناءها * وفيها ربيع للنزيل وجعفر

وفارقتها والكيس [illegible] * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

فورى بجعفر بن يحيى والربيع بن يونس الوزير من البرامكة المشهورين وأحسن منه قول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر الكاتب يصف نهرا ما بينا في روض نزيه

إذا ما وقفنا الريح ولت عليلة * فذيال ريحانا والربا تتعطر

به الفضل يغدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

لزيادته عليه بوزن يزيد أي يزيد ومنه قوله أعناكم وزاد في العنا رحمه الله
الجميع قوله ومن قعوده يقال قعد في السلم والدرج ونحو ذلك يقعد من باب
تعب قعودا وقعدت السطح والبيت كذلك وصعدت في الجبل بالتثقيل إذا علوته
وصعدت في الجبل من باب تعب لغة قليلة وعليهما فسر إذ تصعدون وأنكرها الجوهري
والفيروزابادي وأثبتها الشهاب الفيومي في المصباح ومن هذه جهة علو من يصعد
وإنما قلنا إذ تصعدون فسر عليهما لأنه أراد بالصعيد هنا المرتفع من جبل
ونحوه لكنا سيأتي قوله بصعيد الصعيد وجه الأرض مطلقا ترابا كان أو غيره
قال الزجاج ولا أعلم خلافا بين أهل اللغة في ذلك وقال ثعلب الصعيد وجه
الأرض وكل ما عليها كالتراب والرمل والسبخ والملح وبه قال مالك وأبو حنيفة
رضي الله عنهما فأجازا التيمم بذلك كله وقال الشافعي رضي الله عنه
لا يجوز التيمم إلا بالتراب الذي لا يخالطه رمل وهو عنده الصعيد قوله
زلقا مصدر زلق يزلق كفرح يفرح إذا زلت قدمه ولم تثبت قوله الأول في
نضاختان أي نضخهما هنا الكثير المختلط بالماء ويذكره الفقهاء في باب الخلل
المقبلة والنضخ أي النضاخ من الفوار فيهما يعني الإبل ومكان نضاخ كثير
الماء والشجر قوله دمع عينيها الدمع ماء العين وهو في الأصل مصدر غلبت
عليه الاسمية يقال دمعت العين دمعا من باب نفع ودمعت دمعا من باب تعب
لغة فيه ويكون من حزن وسرور غير أنه إذا كان من حزن كان حارا وإذا كان من
سرور كان باردا ولذا قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينه وفي الدعاء له أقر
الله عينه وجمع الدمع دموع والعبرات الواحدة منه دمعة قوله خاضت
يقال خاض الرجل الماء يخوضه خوضا وخياضا مشى فيه والمخاضة كمقالة
بفتح الميم موضع جاز الناس فيه مشاة وركبانا والجمع مخاوض ومخاض ومخاضات
عن أبي زيد وخضت الغمرات اقتحمتها وخاض القوم في الحديث أفاضوا فيه قوله
وغادرتها بسراب قال الأزهري السراب ما يتراءى للعين وقت الضحى الأكبر في الفلوات
شبيه بالماء الجاري وليس بماء ولكن الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء جاريا قال
الله تعالى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ويقال
سرب الماء يسرب من باب قتل سروبا إذا جرى فهو سارب ومنه سمي السراب

وأما الإدلاج فهو ما بين العشاء وأول النهار فيسري الناس كلهم الصغير فيه كثيرا ويجانبهم
كلام الخليل أن الإدلاج والسهاد وأمر كذا في تقسيم الفجر وقال ابن هشام اللخمي
في شرح الدريدية الإدلاج ما بين الانتصاف وأول النهار وآخره فأما السراب فهو
الذي يرى في انتصاف النهار كأنه ماء سارب فقوله فطبقوا في تجليل للأرض وسائر
لها مأخوذ من الطبق الذي هو اسم لغطاء الشيء والطبق الشيء الذي يكون على
مقدار الشيء مطبقا بجميع جوانبه كالغطاء ومنه أيضا قولهم أطبقوا على الأمر
إذا اجمعوا عليه ومطر طبق يعني متتابع دائم متواتر وطبق الغيم الأرض تطبيقا إذا
غطى جميعها وسحابة مطبقة كذلك قال امرؤ القيس *

ديمة هطلاء فيها وطف * طبق الأرض تحرى وتدر

الوطف السحاب المسترخي الجوانب لكثرة مائه وقوله طبق الأرض أي يعم الأرض
وتحرى أي تتوخى وتقصد وتدر أي تغزر وتكثر وكان ابن المعتز يحب لقاء مؤدبه أبي
العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب وكان يتخلف عنه أحيانا فكتب إليه ابن المعتز
أبياتا منها ما وجد صاد في الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يكدر ولم يرنق * جادت به أخلاف دجن مطبق
ثم في غيث خالص لم يمزق * إلا كوجدي بك لكن أتقي
يا فاتحا لكل باب مغلق * وصيرفيا ناقدا للمنطق
إنا على البعاد والتفرق * لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

الإعراب والتصريف

قوله فما استحاث الفاء عاطفة للجملة
التي بعدها على التي قبلها والترتيب فيها ذكري لا غير لأنها كالتفسير لما على حد
قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي الآية وما نافية واستحاث
فعل ماض وفاعله ضمير الأينق وأصله استحوث ثم نقلت حركة الواو التي هي
عين الكلمة إلى الحاء التي قبلها ثم قلبت الواو ألفا فقيل استحاث والسين
والتاء فيه للطلب ومثله أحكم فاستحكم وأضاء فاستضاء وأبان ف
فاستبان في أخوات قليلة جاءت من هذا القبيل وقوله من عمر جمع يتعلق به
والإضافة على معنى اللام فإن قلت العمر يكون في التمر والتمر ظرف له
فلعلها على معنى في قلت التعبير أن الإضافة التي على معنى في راجعة إلى معنى

اللام وايضا فعل القلوب يتعدى بنفسه فلا محل للجر فلم يبق الا ان نتكلم على معنى الكلام
المقوية تامل وقوله بصغير الانباء كم فيه وازداد الناظم به ما ارتفع من الارض
كالجبال ونحوها بدليل قوله بلبته به لما انخفض منها كالنقر وقوله ذي لؤم نعت لصغير
ومن هنا جاء النعت بالمصدر وهو مسموع غير مقيس اي صغير ذي لؤم ولا تبنا عليه
فرع والنعت بالمصدر مؤول عند البصريين بتقدير مضاف فتقول رجل عدل اي ذو
عدل وصغير ذي لؤم او مؤول عند الكوفيين بالمشتق فرجل عدل اي عادل
وصغير لؤم اي مؤلوم فيه وقيل هو على تاويل جعل العين نفس المعنى مبالغة قوله
لا وفي خصمائه الخ ان يكمل للنفي الشامل او الجار والمجرور متعلق بما هنا فرع
عليه وعداه بفي على معنى التعبير اي دخلت في خصمائه او مشت فيه او ما اشبه
ذلك والا فخوض الماء متعد بنفسه كما مر في اللغة وانما المتعدي بفي هو الخوض
في الحديث قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا والواو بعد ان
داخلة في التقدير على جملة حالية ومن في محل الحال من ضمير لا التي المستتر في استراحت
والذي صح ان هذه الواو زائدة ضرورة كما زادها زهير في قوله

نعم امرأ ذا امرئ لم تعترنا نائبة * الا وكان لمرتاع بها وزرا

ووجهه الحكم بزيادتها ان هذه الواو شبيهة بالعاطفة فكما لا تقع العاطفة
بعد ان نحو ما جاء زيد الا ان وعمرو كذلك هذه خلافا لمن زعم جواز دخولها
بعد الا في الاختيار ووجه التنزيل قال ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وقوله
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وان ولي الحال ان دخول قال
الواو في مثل هذا التركيب فيقولون ما جاء زيد الا واكرمته والصواب عندهما
تسمع الكلام ان الجمل في مثل هذا التركيب مفرد للمقارنة بين ما اذا قلت ما
جاء زيد الا اكرمته فالاكرام بعد المجيء ومقارنه وكذا ما اشبهه بتامله وعليه
فتقدير كلام الناظم فيما استثنى احتاج هذه الاثنين من مبتدإ واحد ومعه جبل الا وهي
مغيرة الرحل فيما هو اعظم ومن خوضها في خصمائه فرض منوعها واضافة دمع الى
الغيم جنسية على معنى اللام ان فرع لها وان لا فالتي منقلبة عن واو والانباء
في قوله بشم ابا كلم فيه والله اعلم **المعاني** قد علمت ان الجملة بالاسم احد
معطوفة على الجملة قبلها والقصد من الوصل في اصطلاح اهل المعاني واعلم

أن هذا الوصل إن يحتاج إلى جامع فإن ذلك فيما إذا كان العطف بالواو والثاني متى
قصد التشريك في الحكم فأما ما عدا ما من حروف العطف فإن لكل حرف منها
معنى يخصه سوى التشريك في الحكم فمتى اقتضى المقام معنى ذلك الحرف تعين العطف
به من غير نظر إلى شيء آخر تقول قام زيد فخرج عمرو والمقام مثلا قد اقتضى الترتيب
كما إذا كان له محل من الإعراب فتعين العطف بالفاء فإن تقول مع ذلك وجود الجامع
فمن غير مقصود بالذات فافهم والشرط في جمع للتعظيم وكذا في ضمير والنصر
المستفاد من تقديم معمول خاطب عليه قصر قلب لأن السامع يعتقد أن مزالة الإبل
إذا قارب في خصمائهم لا يكون ذلك الأمر فاء المتكلم ونحوه ممن رد عليه بأنه ما خاطب
إلا في خصمائهم فوقعها لا في غيرهم وفي تقديم فيه بالعز مع الرفع نوع من الكناية إذ يستلزم
أن الرفع فيه يكون للأمر الغير وهذا كما يقال إن كرمه بعينه وسمعته بأذنه وكتبته
بيدي فالجمع بين هذه الأمور الكناية والنكتة في جمع الناظم بينهما أن المقام يحتاج إلى
فضل تأكيد حتى لا يتوهم السامع أن الناظم متجاوز في نسبة الرفع إلى الإبل
فالمعنى بذلك وقال دفع عنهم أي أن ذلك حق ولا تجاوز فيه ووصل جملة خاطب
بجملة خاطب فصل لتشريكهما معا في الحكم الذي هو الحالية والجامع موجود كما هو
واضح والشرط في سراب للتكثير وفي مكبر للتنويع أي أكثرنا غريبا والله أعلم
البيان تفرقة أن نزلت بصعير لو من باب التغني بالمضر وأن فيه للبيان ثلاثة
مذاهب فيتفرع عليها للبيان تبيين ثلاثة أيضا الأول يخرج عندهم أما على المبالغة
بجعل الغير نفس المعنى فيكون من باب التشبيه المذكور كقول الخنساء في وصف الناقة

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت * فإنما هي إقبال وإدبار

أو يخرج على أنه من مجاز الحذف أي ذات مقبلة أو على أنه مجاز مرسل علاقته
التعلق أو أول بمشتق نحو قوله تعالى هذا خلق الله أي مخلوقه ومعنى التعلق هو
اتصاف الموصوف بمعنى ذلك المصدر الذي حمل عليه وفيما قدمه في العلاقة عليه
بهذه العلاقة فتأمل وأما إثبات أهل الرفع للأبيض فهو حقيقة لا مجاز لأن ذلك
متصور فيها بل يوجد منها كثيرا إذا كان سنها معا وبفعل حملها نعم قد بالغ الناظم فيه
بإثبات ابتغائهم لهم فضاء بجر المقام وكذلك استناد الغيرية في السراب إليها
هو حقيقة أيضا لأنه ممكن عادة والله أعلم **البديع** في كلام الناظم فيه

كبيرا وخفي وذلك بين عبور النهر وصعود الصعيد فإن العبور وإن لم يكن مقابلا
للصعود لأنه يستلزم الانحدار الذي هو ضده والتكبير له فقوله تعالى أشداء على
الكفار رحماء بينهم فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مسببة عن اللين الذي
هو ضدها وأكثر منه في كلام الناظم فقوله تعالى لما حكيما ثم اعرفوا بأن خلوا
نارا بأن من دخل النار احترق والاحتراق هو الغرق وفي كلامه الجناس المطلق في قوله
ومن صعود بصعيد والغرق بغرقه ويقرب منه جناس الاشتقاق وكما عند ابن حجة أن جناس
الاشتقاق أن يرجع ركناه إلى أصل واحد كقوله تعالى ومن شرها سراة احسن والمطلق
كل ذكر منه يباين الآخر في المعنى كما في عبارة الناظم ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله
ومنه ما كتب به بعضهم إلى المأمون في عامله ومون فلا زلت مرتاحا وهنئت الافقها
ولا ذا مغنى إلا أذمنه ولا قد إلا الا قال غلبته ولا قم شيئا إلا افترسه ولا دارا
إلا أدارها اليه ولا علة إلا علها ولا ضيعة إلا ضيعها ولا عقارا إلا عقره
ولا حالا إلا أحاله ولا جليلا إلا أجله ولا دقيقا إلا دقه فهذه الأركان
معنا ليس فيها ركنان يرجعان إلى أصل واحد وفيه أيضا الجناس الشبيه بالاشتقاق و
بين خفي وخافض فإنه قد يتوهم في بادئ الرأي أنهما يرجعان إلى أصل واحد
وعند التأمل يظهر أن كل واحد منهما يرجع إلى مادة تباين مادة الآخر ومنه
قوله تعالى قال إني لعملكم من القالين فالأول من القول والثاني من القلى وهو
البغض وفي كلامه أيضا التقسيم على ما تقتضيه عبارة الشيخ زكريا الدين في لب
الأصول فإنه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ
فيه ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فاستوفت الآية
الكريمة جميع الأقسام التي يمكن وجودها في الناس وغيرهم من المكلفين فإن العالم
جميعه لا يخلو عن هذه الأقسام وكذا الناظم رحمه الله فإنه استوفى جميع
الأقسام التي يمكن توهمها في الأرض لأنه لا يخلو حالها من أن تكون سهلا أو وعرا
أو غورا منخفضا أو نجدا منبسطا فأشار بعبور الخفي إلى المنخفض وبصعود
الصعيد إلى المرتفع وبغور الخفاء إلى ما ستره الله ولتبين المنبسط

ومن بديع التقسيم قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض رضي الله عنه في وصف الخمرة أمد الله علينا بنصيب منها آمين

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

وفي كلامه أيضا الاقتباس وحقيقته أن يضمن الشاعر والناثر كلامه شيئا من القرآن أو الحديث على وجه يشعر بأنه ليس منه وهذا احتراز من نحو أن يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى أو قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا فإنه ليس باقتباس والمثال الذي فيه اقتباس كقول الحريري فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب وقول الآخر

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

والاقتباس في كلام الناظم هو قوله [illegible] فإنه مقتبس من قوله تعالى [illegible] معبرا بلفظ الآية والاقتباس في كلام الشعراء والبلغاء كثير وفي كلامه أيضا الإغراق وهو أحد أقسام المبالغة وذلك أن المبالغة عندهم تنقسم إلى تبليغ وإغراق وغلو لأن الوصف المدعى للشيء إن كان ممكنا عقلا وعادة فهو التبليغ كقول امرئ القيس في وصف الفرس

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

ادعى أن الفرس أدرك ثورا ونعجة وحشيين في طلق واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة ومنه قول أبي الطيب في الفرس أيضا

وأصرع أي الوحش قفيته به ... وأنزل عنه مثله حين أركب

وإن كان الوصف المدعى ممكنا عقلا لا عادة فهو إغراق كقوله

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

وهذا ممكن عقلا لا عادة بل في زماننا يكاد يلحق بالممتنع عقلا كما قال سعد الدين رحمه الله وهذا القسم مقبول أيضا ومنه كلام الناظم فإنه ادعى أن هذه الأيام(؟) [illegible] الأجسام [illegible] الناظم عنها وهو ممتنع عادة ممكن عقلا وإن كان الوصف المدعى غير ممكن لا عقلا ولا عادة

بمنو الغلو كقول ابن نواس

وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهو مردود وقد رحم الله حسان بن ثابت إذ يقول

وإنما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس إن كيسا وإن حمقا

وإن أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وفي كلام الناظم التضمين العروضي وهو أن يكون معنى البيت متوقفا على البيت الذي بعده لا يتم معناه إلا به وهو عيب من عيوب القافية ومنه قول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقات * أتيتهم بود الصدر مني

فوقع اسم إن في آخر البيت الأول وخبرها في أول الثاني وهو من أقبح التضمين وقريب منه بيت الناظم فإن جملة البيت الثاني وإن كانت حالا والحال فضلة لكنها هنا واجبة الذكر لوقوعها بعد إلا والله أعلم ومعنى الكلام يقول وهذه الإبل ما زالت تعتسف البيد وقاطعة ما لها في السرى تزيين حتى إن تسلمها أزهر إلى أزهر وتنكص بأخفافها منها رفعا إلى خفض حتى إذا تخلصت من كلل النوعين واستراحت منهما في دار العز انتقلت إلى ما هو أعلى وأفخر وكان حالها كحال المستجير بعمرو وقد أبدع الفاضل الأرجاني في هذا المعنى الذي ذكره الناظم حيث قال

وحرف يجوب القاع والوعر والربى * كحرف فريد الجر والرفع والنصب

نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

كأنما رقراقه بحر كما * والشرق أمواج عليه ترتقي

وكل موج على إقبالها * مثل سعير قد جرا أو زورقا

الدعقة قوله كأنما رقراقه رقراق السراب فالتلألؤ منه أي جاء وذهب وكل شيء تلألأ فهو رقراق ومن أقبح ما لهم أن رقوا مر رقراق السراب وقال أبو ذؤيب الهذلي

وكنت كرقراق السراب إذا بدا * لقوم وقد بات المطي بهم تخدي

وقال العيان الثعلبي

ومكنت

وكنت كالبحر في الرزق في سفائنه * لمن قرا وقرا المجد ورابية علا
كمن قعدت اولاد اخرى وقد بعثت * في تكنفها من الافلاك عن القعر

ورفرفت الماء يترفرف والحباء وذهب وترفرف والشيء تلألأ ولمع والرفرافة التي
كان الماء يجري في وجهها صفاء وحسنا قوله بحر البحر معروف وهو خلاف البر
سمي بذلك لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحور وبحار وكل نهر عظيم فهو بحر

فقال غرقت بين بحر انعباد *

سرى فلكه وكثرة ما يسلك والبحر فع ضنه والبحرين
يعني الفرات وفرس بحر اذا كان واسع الجري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في مندوب فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وابحر الرجل اذا ركب البحر كان بحرا اذ اتى
بحرا قوله كما يقال كما البحر يكمي كميا كعصي اذا امتلأ وكما الماء علا حتى
ملأ النهر والنبت كما أو بنية ارتفعت وعكمت وكمت المرأة بزوجها اذا ارتفعت
به ويقال بالواو في الجميع قوله والثبج جمع ناقة كبر جمع بدنة وقد تقدم الكلام
عليه قوله امواج جمع موج والواحدة موجة اصله اضطراب ثم غلبت عليه
الاسمية كما مر في الرفع يقال ماج البحر موجا اضطرب وتموج اشتد اضطرابه
ومنه ماج الناس اذا اضطربوا واختلفت امورهم قوله ترتقي
الارتقاء الصعود كالترقي رقيت في السلم بالكسر رقيا ورقيا صعدت وارتقيت
مثله والمرقاة بفتح الميم الدرجة وهذا على انها محل الرقي فان اعتبرت انها
آلة له كسرت قوله وكل متوج هو مركب للنساء معروف يكون مغيبا وغير مغيب
والجمع هوادج قوله على اقتابها جمع قتب محركا وهو رحل صغير يكون على قدر سنام
البعير قوله مثل سفين هو في الاصل جمع سفينة ويجمع ايضا على سفائن ويجمع
السفين على سفن بضمتين قاله في المصباح وهو غير متعين اذ يجوز ان يكون جمع سفينة
كصحف جمع صحيفة واعلم ان جمع السفينة على سفين شاذ لان الجمع الذي بينه
وبين مفرده التاء التانيث بابه المخلوقات مثل تمرة وتمر ونخلة ونخل وقد جاء في
المصنوعات مثل سفينة وسفين مسموع في الفاظ قليلة ومنهم من يقول ان السفين
لغة في الواحد وهذا القول هو الذي مشى عليه الناظم كما يأتي وسميت السفينة
سفينة لانها تسفن الماء اي تقشره فعيلة بمعنى فاعلة وصاحبها سفان

وصنعته السفانة بالكسر قوله فاخ يقال مخرت السفينة الماء كمنع مخرا
ومخورا جرت وفي الصحاح الماء شقته بصدرها ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر
الهواء اي تشقه والفلك المواخر التي يسمع صوت جريها او تشق الماء بجآجئها
او المقبلة والمدبرة بريح واحدة قاله في القاموس وفي تفسير الفخر ما نصه قال
اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك
بالرياح اذا عرفت هذا فقول ابن عباس مواخر اي جواري انما فسر التفسير به لانها
لا تشق الماء الا اذا كانت جارية ه قوله او زورق من سفينة صغيرة والجمع
زوارق والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله كانما رفرافه كان
حرف تشبيه مركب من ان والكاف والاصل في قولك كان زيدا اسد ان زيدا كاسد
ثم قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت الهمزة لدخول الجار وقيل انها بسيطة
وقال ابن هشام في المغني والكلمة ما الزائدة بعدها كافة لها عن العمل والجملة من
المبتدا والخبر في محل جر صفة ثانية لسراب في البيت قبله ويحتمل ان تكون في محل نصب
حال منه لتخصصه بالصفة ويحتمل ان تكون مستانفة استئنافا بيانيا اعني انها
ابتدئ بها الكلام لبيان حال السراب فلا محل لها من الاعراب وجملة تهما في
محل النعت لبحر والهما يجوز ان تكون منقلبة عن ياء او عن واو ولغتان كهام وكهم وعليه
فيجوز كتبها بالياء او الالف قوله والنون امواج جملة معطوفة على التي قبلها فتحتمل
الاوجه الثلاثة اعني النعت والحال والاستئناف وعلى الوجهين الاولين فالرابط
بين الصفة والموصوف او بين الحال وصاحبها اما حرف التعريف في النون على المذهب
الكوفي اذ المعنى ونونه امواج واما ضمير مقدر تقديره والنون فيه امواج ولا يجوز
على احتمال الحالية ان تربطه بالواو لان جملة الحال اذا عطفت تعين الربط فيها
بالضمير كما عند ابن هشام وغيره واصل الواو في النون الضم بوزن عنق لاكن استثقلت
الضمة على الواو فحذفت فان قلت هل يصح ان تكون جملة والنون امواج في محل
الحال من بحر لتخصصه بالصفة قلت لا لانه ليس بينها ما يصلح للعمل في الحال
لان كان مكفوفة بما فلا عمل لها فلم يبق الا الابتداء وهو لا يعمل في الحال عند
الجمهور ولو فرضنا ان نجعل الابتداء في المبتدا ونجعله عاملا في الحال للزم عليه
اختلاف عامل الحال وصاحبها وهو ممنوع عند الجمهور ايضا فان قلت

فإن قلت فنجعلها حالا من الضمير المستتر في كما لما انعقد على البحر ولا محذور حينئذ
قلت هذا وإن جاز صناعة لم يجز معنى إذ التقدير حينئذ أنه شبه السراب
ببحر في حال كونه لجيا أي البحر عليه نور شبيهة بالأمواج وهذا غير صحيح لأن
البحر المشبه به هنا حقيقي ولا نور عليه فالجملة معطوفة على التي قبلها كما قلنا
وأداة التشبيه مقدرة ومعناها حسبما اقتضته أنوار المشكاة في الحكم وجملة من فوقه
نعت للأمواج وما عليه متعلق بمن فوقه فيرجع عليه ويحتمل أن يكون عليه متعلقا بالاستقرار
صفة للأمواج وجملة من فوقه صفة ثانية أو حال من الضمير المستتر في الاستقرار والأول
أقرب قوله ولكل موج في جملة مستأنفة جيء بها لبيان حال الأمواج ولا يصح
عطفها على الجملة الأولى بأن تكون صفة ثالثة للسراب أو حالا منه لخلوها من ضميره
ولا يجوز أن يدعى العطف على الاحتمال الثالث أعني الاستيناف لأن تقديم الكلام
هنا بأداة التشبيه دليل على أنه قطع الكلام عن العطف على ما سبق وقوله
سعير يتعين أن يكون إنما أريد به معنى الواحد الجمع وإلا فاتت المطابقة بين المبتدأ
والخبر وبدليل عطف زفرة عليه وهو واحد والله أعلم **المعاني** فقد قدمنا أن
قوله كأنما رفرافه في جملة تحتمل ثلاثة أوجه فعلى أنها صفة للسراب أو حال منه فوجه
الفصل ظاهر لأن الجملة الصفة لا تعطف على الموصوف خلافا للزمخشري ومن تبعه
ولأن جملة الحال في مثل هذا التركيب لا تتعين فيها الواو قال الله تعالى وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو وعلى أنها مستأنفة فالفصل ظاهر لأنها حينئذ كلام
مقتضب لم يقصد أن يجعل تابعا لما قبله ولا قيدا له وإنما جيء به كالمبتدأ به
لتكميل بيان حال السراب وأما الوصل في الجملة بعدها أعني قوله والشرو أمواج فلأنه
قصد تشريكها معه في الحكم الذي هو واحد من الأوجه الثلاثة والجامع موجود وهو
ملابسة الشرو للسراب إذ هي سابقة فيه وخاصة له ولما بين البحر والأمواج من
شبه الاتحاد والتنكير في بحر للتعظيم بدليل قوله لجا وأما في أمواج فللتكثير إذ لا
نكرة أتى أول حال الشرو وما كانت عليه من الكثرة والقرامة وحشر أنها لو أقلا
بالنكر أتى وما صارت إليه من القلة والذبول فهو للتقليل وهو أخذ هذا من قول الناظم
فيما يأتي من بعد ما كانت منتشرة عمرت البيدا وإنما وصف البحر بالجملة الماضوية ووصف
الأمواج بالجملة المضارعية لما في ذلك من المناسبة وهي أن المقصود بالذات

من تشبيه السراب بالبحر انما هو العظم والامتلاء ومن هاهنا شبه النعيم بالمائج
لدلالته على ان من البحر قد انتهى كماله وامتلاؤه واستغنى عن الزيادة ونحوه
شيئا بعد شيء والمقصود من تشبيه النور بالامواج هو بيان كيفية سيره فيما فيه
وفك فيما له وهو انما تذهب فيه متعاقبة ومترادفة كترادف امواج البحر وربما
تعلو في راس العبير وربما تسفل ومن هاهنا شبه النعيم بالمضارع لانه يدل بمعونة
المقام على تجدده وتعاقبه شيئا فشيئا كما ذكروه في قول طريف العنبري

او كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الي عريفهم يتوسم

اي يصدر عنه تفرس الوجوه وتأملها شيئا فشيئا ولحظة بعد لحظة وقال الزمخشري
عند قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق الآية ما نصه
فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات
الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال
وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار في يفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله تعالى محشورة بمعنى في مقابلة يسبحن الا انه لما
لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء
به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من
حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة
واحدة ادل على القدرة ه واما جملة وكل مهرج فقد تقدم انه لا تمنع ان تعطف
على الجمل الواقعة صفة او حالا او خبرا فيتعين العطف فان قلت اذا كان العطف
متعينا فما بال الاثر فيها مقرونة بالواو وما بال هذا لم يقرن بالواو مثل ما قبلها قلت
الواو فيها للاستئناف لا للعطف وقد قال العلامة الرسموكي مراده بالفصل
ترك العطف لا ترك الحرف اذ قد يكون عاطفا اذ لا مانع من الاتيان بالواو على
انها للاستئناف فانها تكون له ه والتنكير في سير للنوعية بدليل قوله اوزوره فانه
نوع من السير والله اعلم بالصواب ولا يخفى ما في كلام الناظم رحمه الله من
التشبيهات الحسنة والوجه فيها كلها ظاهر لا يحتاج الى تقرير وقد استوفى
الناظم المقترح من البلاغة وتممه على الوجه الاكمل فاز بكمال ومعنى وكم وقال للشعراء

قبله وقد جمعهما في كلام الأقدمين والمحدثين فمن ذلك قول امرئ القيس

فشبّهتهم في الآل لما تكمّشوا * حدائق دوم او سفينا مقيّرا
او المكرعات من نخيل ابن يامن * دوين الصفا اللاء يلين المشقّرا

المكرعات المغروسات في الماء والمشقر حصن قريب بالبحرين وقال ابو عبد الله محمد الصالح بن الملالي

وركب كملاح ما عبروا النجم في السرى * ترامى بهم في السير عيس وتعنق
يخوضون بحر الآل يطفو عبابه * كغمرة داجي الليل والليل مشرق
كأن المطايا والركائب فوقها * سفين بأيدي الزاجيات تجرف

وقال ابو الطيب المتنبي

اذا الليل وارانا ارتنا خفافها * بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل
كأني من الوجناء في متن موجة * رمت بي بحارا ما لهن سواحل
يخيل لي ان البلاد مسامعي * وأنّي فيها ما تقول العواذل

وقال ابن الرومي واحسن

تكسو الفلا وكأن الآل اردية * وتارة وكأن الليل سيجان
كأنها في غمار الغمر سفن * وفي الغمار ومن الظلماء حيتان

السيجان الطيالسة وقال بعضهم واجاد

فركبت حين علوت متن ركيبة * لم تعتلقها للمهيمن عيون
وتوسّطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

(مرت بها موج الرياح فمنتري * تعلو حينا وحينا تلتقي)

اللغة قوله مرت بها المرور هنا الذهاب والمرور ايضا الاجتياز ويصح ان يحمل عليه كلام الناظم على بعد يقال مر زيد مرا ومرورا ذهب ومررت به ذهبت به ومررت به وعليه اجتزت به قوله موج الرياح اطلق الموج بالتجريد كما في جمع وكيف ش وتسرع والناقة الموجاء المسرعة السير حتى كأن بها موجا والريح الموجاء التي تقلع البيوت والجمع موج بضم الميم كذا في الصحاح والقاموس وقال ابو البقاء في شرح ديوان المتنبي الرياح الهوج التي لا تستقيم مرة تأتي من هنا وتارة من هنا ومن اينما سببه تعصف الناظم بها بالتمهل وتارة والاجتماع اخرى قوله تمشي في تبرو

حينًا في الحين الزمان قل أو كثر والجمع أحيان وجمع الجمع أحايين واختلفوا في معنى
الحين في قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فقال ابن عباس ستة أشهر لأن بين
حمل النخلة إلى صرامها ستة أشهر وجاء رجل إلى ابن عباس فقال نذرت أن لا أكلم
أخي حتى حين فقال الحين ستة أشهر وتلا قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين بإذن
ربها وقال مجاهد وابن زيد هو سنة لأن الشجرة من العام إلى العام تحمل
الثمرة وقال سعيد بن المسيب شهران لأن مدة الأكل من النخلة شهران وقال الزجاج
جميع من شاهدناه من أهل اللغة يذهبون إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع
الأزمان كلها طالت أو قصرت والمراد من قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين أنه ينتفع
بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا أو نهارا شتاء أو صيفا قالوا والسبب فيه أن النخلة
إذا تركوا عليها الثمر من السنة إلى السنة انتفعوا بها في جميع الأوقات والله تعالى أعلم

الإعراب والتصريف قوله مررت بها جملة مستأنفة فهي بيان لحالة
أخرى للشيء سوى ما تقدم فلا محل لها من الإعراب ولا يصح أن تكون صفة لسعير لوروده
في البيت قبله وإنما قال مررت بها بالإفراد والتذكير لأن لفظه كذلك وحيث قال بها
علمنا أنه عاد إلى الكلام في الشيء فإن قلت فلعل الضمير يعود على السعير الذي هو
أول المتعاطفين وأنث باعتبار المعنى إذ هو سفينة فيكون كقوله تعالى وإذا رأوا تجارة
أو لهوا انفضوا إليها **قلت** هذا لا يناسبه التعقيب بالتفرق والالتقاء الذي هو
من شأن السفر لا الشجر والسعير هنا واحد كما عرفنا فلم يبق إلا أن تكون الجملة مستأنفة
ومع ذلك فلها تعلق ما بالكلام المتقدم من جهة أن الشيء في هذه الحالة قد شاركت
الشجر في أن كلا منهما يميل بالريح فهو كالتتمة للتشبيه والباء في قوله بها للتعدية
وهي المعاقبة للهمزة في قولك مررت به وأمررته وذهبت به وأذهبته قوله موج
الرياح فاعل مررت وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الرياح الموج والموج جمع مائج عند
الكوفيين وأما البصريون فيرون ولونه بما هو معروف في كتب النحو ومنه قوله تعالى وإنه
لحق اليقين والياء في الرياح منقلبة عن واو بدليل جمعه في القلة على أرواح قالت ميسون
الكلبية: لبيت تخفق الأرواح فيه * أحب إلي من قصر منيف *
وإنما جاءت الياء في جمع الكثرة لانكسار ما قبلها فإذا رجعوا إلى القلة عادت الواو
قوله فتمر ثم جملة معطوفة على التي قبلها وجيء بالفاء لإفادة معنى السببية

والتعقيب والترتيب وقوله في تقدير متعلق بالاستئناف اي رفع المبتدا وحينئذ فمتعلق
بمحذوف وقوله وحينئذ تلتقي الواو داخلة في التقدير على الجملة الفعلية اعني تلتقي
وحينئذ فيتعلق به فرع عليه والجملة في محل رفع عطف على الخبر فتلخص ان في بعض وحينئذ تقديرو
وحينئذ تلتقي والله اعلم **المعاني** جملة مرت بها في مثننا نحو كما قلنا فلذا
بحذفها عنها قبلها وكان مقتضى الكلام ان يعبر بالمضارع فيقول تمر بها موج الرياح
بدليل الكلام بعده ولانه زال في فعل الحال والنوق لا زالت سائرة وان الآن زمن
تنفصل عنه فالزمان حاضر كما ترى لاكنه لما استعمل في تشبيه الحال في كل حيلة فلم تعز
ولم يقع فيه كلامه ورده التعميم على الزمان بمنزلة الشيء والتي عليها المحبوبة ولا بد
جزم بانها لا محالة سائرة فعبر بصيغة الماضي لان الشيء اذا كان بمنزلة الحال المحقق ان
يعبر عنه في الكلام المعتاد بانه قد حصل ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع
بالفعل فيقال لمن يطلب الاغاثة وقد قرب حصولها منه قد جاء وقت الغوث فلا تجزع ومنه
قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه فقوله فمر في نحو وانما اتى بمنزلة الجملة الاسمية
ولم يأت بها فعلية كالجملة المعطوف عليها للدلالة على ان حالة النفور اغلب عليه
من حالة الاجتماع لان الجملة الاسمية تقتضي بمعونة المقام الثبوت والدوام كقوله

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

يعني ان الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائما ولما لم يلاحظ انه تم هذا المعنى
في جانب الاجتماع عبر بالفعل الذي يقتضي الحدوث فقال وحينئذ تلتقي ويؤيد ما ذكرناه
انه عبر في جانب النفور وفي التي تقتضي الكثرة والاستمرار فافادت ان حالة التفرق
قد استولت عليها وتمكنت منها تمكن الكثرة من المكثور وذلك ابلغ في تعبها واتم
في حصول المشقة لها ويتبع من هذا التقرير ان الخبر المتعلق بالتفرق يجب ان يراد به
الزمان الطويل والخبر المتعلق بالالتقاء يجب ان يراد به الزمان القصير وفي هذا في
كلام الشعراء ما يدل على هذا المعنى فلان والرقة *

وانسان عيني يحسر الماء تارة * فيبدو وتارات يجم فيغرق

فلا فاد ان حالة البكاء اغلب عليه من حالة التمتع والاصل في هذا ان الشعر اذ جمع
عادته بالاستكثار ابلغ الغرض والمشقة واستقصار ايام السرور والراحة قال ابو تمام

اعوام وصل كان ينسى طولها * ذكر النوى فكانها ايام

ثم انبرت أيام هجر أردفت * نجوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وقال أبو الطيب

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى * إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به * وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا

والتنكير في نجوى للتعظيم ويحتمل التنويعية كما في قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة وفي الجمع الأول للكثرة وفي الثاني للقلة والله أعلم **البيان** يصح أن يعتبر في قول الناظم مرت هنا استعارة تبعية وذلك باعتبار صيغة الفعل بأن يقال شبه المرور الواقع في الزمان الحاضر أو المستقبل بالمرور الواقع في الزمان الماضي بجامع التحقق في كل ثم طوي لفظ المشبه وهو صيغة المضارع واقتصر على ذكر المشبه به وهو صيغة الماضي فيقال مرت وفي قوله همس في نجوى استعارة أصلية في المصدر تبعية في الفعل وذلك أنه شبه تذكر الثغر والدهر وهو معنى من المعاني بالهمس وهو الكلام الخفي واستعير لفظه له عليها بتذكر الكلام المحسوس من مكروهه واشتماله عليه ثم استعار له لفظه في التي للظرفية فيقال همس في نجوى أي فلا يصح له على الوجه اللائق وإنما عدل إلى هذا المجاز قصدا للإفادة أن هذا التذكر كان غالبا عليها من حالة الاجتماع كما قرر مثله قال المولى أبو السعود في قوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل وإنما نهى إيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه وفي كلام الناظم الكناية فإنه كنى عن مجيء زمان السرور وشرائه من أيامه بأن الرياح هبت ترسم بعدها ونحوه كما تفعل بالقطعة مثلا الملقاة في فلاة من الأرض ومنها كما يكنى بعد بعد القفا وهذا الرسم وهو هنا بوء الناظم السرور أبلغ مما وصفها به البحتري في قوله

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

ومنه معنى يكرونا للسماع وسيأتي تتميمه في كلام الناظم وذكرت هنا قول بعضهم

في طول الليلة لا تعجبن بليلة * كثرت فينا بنعمة كربة
تجري بنا فيها الرياح * كأنها ذنب الحسيلة
فمن يرى الشمس القصية * يوما ولحيته قليلة

البديع في كلام الناظم منه المقابلة بين الهجر والالتقاء وهو أن يجمع بين متقابلين

كما مر ومنه قوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات وقول الحماسي

تأملت استيفاء الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقول الآخر يخاطب محبوبته

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

وقول الآخر في وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش في يميني إذا ما * كان يوما عنانه بشمالي

وأما معنى الكلام فظاهر مما قررناه والله أعلم

وكم بشوكة البغي شيكت سوقهما * سوق المعتدي الذي لم يتق

حتى غدت منهما نجبا فانهمرا * أعمى فما تشكو كلال العنق

من نحو ذا الأمر شكت قومه الوجى * لكنها تشكو لغير مشفق

اللغة قوله وكم بشوكة البغي الشوكة الغلظة وشوك النخل ونحوه شيء يشبه الإبر ثم تم بها يقال هشيء يشتد يكاد لا يتشوك ومنه قيل للحمة شوكة لأنها تخلط اللحم بالدم والجمع أشواك وشياك ونبت شوك أي مرة واحدة بالشوكة وقد شكت عشرة أشواك أي عشرة [illegible] به وشوكة بالأكل منه بإخراج الكونة من السنبل وقوله تعالى وتحب عليهم ربك شوكة عزلهم أي شوكة عزلهم والمراد السلاح لما علم أن العرب بالشوكة أعظم ألمها من غيرها والبغي الظلم وبغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء اشتد وقعها [illegible] ابن عمير وبغى الجرح ورم وترامى إلى فساد وبغى الوالي ظلم وكل مجاوزة عن الحد وإفراط في المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي قوله شيكت سوق الراية [illegible] أن يكون الرجل قائم الراية أغزى بغيها وهذا والسوق أن يكون من [illegible] وأكثر أنه مستوي [illegible] والقدم [illegible] والسا [illegible] قوله سوقهما جمع ساق [illegible] الكعب والركبة مؤنثة [illegible] وجمعها سوق كما تكون به [illegible] وأسوق [illegible] بكشفه عن ساق [illegible] والنقت الساق وبالساق [illegible] الرئيسة [illegible] الأخ [illegible] وعليهم [illegible] ذكروا الساق [illegible] الحرب على ساق وقوله سوق المعتدي [illegible]

مثلث العين ضد الرق يقال عتق به وعليه كضرب واعتقته انا اعتاقا فهو عتيق
تعتيقا والتعتيق الى قوله بركوب الخيل والتسرير من الشين والعزل في عهود الله
قوله الذي لم يبن اهل الاقتداء بالحزن والاسم التقوى واصلها وقيا لانها
ماخوذة من الوقاية فابدلت لام الكلمة التي هي الياء واوا على القياس في فعلى
اذا كانت اسما ثم ابدلت فاؤها التي هي الواو تاء فقيل تقوى وقد اختلفت عبارات
السادة الصوفية رضي الله عنهم في حقيقة التقوى فقال الشيخ ابو حامد الغزالي
هي التقيد باوامر الله والترك لنواهيه وقال طلق بن حبيب لما سأله بكر بن
عبد الله المزني عنها التقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله
والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقيل غير ذلك
وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى حتى يكون بحيث لو وضع ما في قلبه
في طبق وطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر اليه وتحقيق الكلام فيهما وفيما ابتهما
يخرج عن المقصود رزقنا الله بمنه تقواه ومتعنا بفضله رضاه قوله حتى عمرت
خوصا في غابرات الغيور قال في المصباح الخوص يعني بالتحريك مصدر من باب تعب
وهو ضيق العين وغئورها والذكر اخوص والانثى خوصاء والجمع خوص بالضم كما
تقدم في الناجم قوله عجافا العجف بالتحريك الهزال وقد عجف تعجف كعلم يعلم
والذكر اعجف والانثى عجفاء والجمع عجاف على غير قياس لان افعل وفعلاء لا يجمع
على فعال ولكنهم حملوه على نقيضه وهو سمان والعرب قد تبني الشيء على نقيضه
كما تبنيه على نظيره كما قالوا عدوة حملا له على صديقة وفعول اذا كان بمعنى فاعل
لا تلحقه هاء التانيث قوله ضمر جمع ضامر والانثى ضامرة وهو المهزول اللاحق
البطن من ابل والخيل يقال ضمر البعير او الفرس ضمورا من باب قعد وضمر ضمرا كقرب
قربا لغة وقل لحمه وضمرت الفرس اضمرته للسباق وهو ان تعلفه قوتا بعد السمن
بسر ضامر وخيل ضوامر وفي التنزيل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر
قال ابو السعود اي على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد في الهزال قوله
اعنقا فنقا جمع عنق بضمتين او بضم فسكون كعسر وعسر وقد تقدم قوله كثير العنق فقال
في المصباح العنق بفتحتين ضرب من السير فسيح سريع والاسم منه العنق فقال ابو
النجم * يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا *

واضمرته ضامرة

وقال في كفاية المتحفظ العنق ضرب من سير الابل وهو المشي السريع الذي يتحرك فيه عنق البعير فمقتضاه ان سير غير الابل لا يسمى عنقا في كلام العرب والاية بخلافه قوله مرثومة الذيل اي مشققة تسيل دما واصل الرثم كسر الانف وغيره حتى يخرج منه الدم يقال رثم انفه او فاه يرثمه فهو مرثوم ورثيم وخف مرثوم ورثيم اذا اصابته حجارة فدمي وكل ما كسر ولطخ بدم فهو رثيم ورثمت المراة انفها بالطيب لطخته به قال ذو الرمة

تثني النقاب على عرنين ارنبة * شماء مارنها بالمسك مرثوم

كانه جعل المسك في المارن شبيها بالدم في الانف وآخر قسم بالتصريح بما مر في جملة الفرس التغلبيا وروى ابو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي النحوي في نوادره ان اعرابيا تزوج اعرابية فاهدى اليهما ثلاثين شاة وزقا من خمر مع عبد له اسود فاخذ العبد شاة في الطريق فذبحها واكل منها وشرب بعض الزق فلما جاء بالباقي عرفت انه خانها في الطريق فلما عزم على الانصراف سالته هل للباقي من حاجة الى سيدك فقالت له نعم اقرا عليه السلام وقل له ان الشهر كان محاقا وان سحيما راعي غنمنا جاءنا مرثوما فلم يدر العبد ما ارادت بهذه الكناية فلما عاد الى مولاه اخبره برسالتها ففطن لما ارادته فدعا بالهراوة وقال لتصدقني والا شدخت بها راسك فاقر بما فعل فعفا عنه وهذا من الطف الكنايات واهل الاشارات قوله الوجى هو وجع يكون في الرجل وجي كرضي فهو وج ووجي كغني وهي وجياء وقيل الوجى الحفا وقيل الوجى وجع يحدث في الحافر هـ او البعير في خفه من غير ان يكون به ومس من صدع ولا غيره قوله لاكنها تشكو لغير مشعر الشكاية معروفة والاشكاء ان يعزز بالمشكو العكفة والاسم الشكية وقد تقدم الكلام عليه والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله وكم بشكوتي البعير مبتدأ الجملة معطوفة على جملة قوله فما اشتكت احفا * وما بينهما اعتراض وكم هنا خبرية بمعنى كثير وهي اسم مبهم مبني على السكون لشبهه بالحرف وضعا ومعنى اما الوضع فلكونه على حرف وبنوا اما المعنى فلكونه في افادة التكثير نكير رب في افادة التقليل ولما كان مبهما احتاج الى ما يبينه ويميز معناه والمميز هنا محذوف اي كم مرة او كم وقت ومميز كم مجرور باضافتها اليه ومنع بعضهم جواز

فتبين كم الخبرية الا اذا فرد منصوبا وقال الشيخ ابو حيان رحمه الله في الارتشاف ينبغي ان
يقال او فرد منصوبا او مجرورا بمن جاز حذفه واما بالاضافة فلا يجوز حذفه وعليه
فيقال في تقدير كلام الناظم وكم من مرة او كم مرة سقت سرينة وفعلها مذهب
على المصدرية ان فسرت بالمرة وعلى الظرفية ان فسرت بالوقت وسوقها البغي متعلق
بسقت فرع عليه وهو فعل ثلاثي واوي العين حذفت بعد انقلابها الفا والتقائها ساكنة
مع الساكن بعدها وجه مر بيانه في اوائل الشرح كلمه رحمه الله

*

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق ✱ وإن يكن لينا فحذفه استحق

وسوقها بضم السين مفعول به وهو جمع ساق وكما هو اصل واوله الضم مثل اسد واسد
لاكن استثقلت الضمة على الواو فحذفت كما مر في لفظ الشرح وفي قوله تعلى فطفق
مسحا بالسوق والاعناق وفيه ثلاثة اوجه في السبع احدها بضم السين وبالواو الساكنة
كما هنا ثانيها ابدال الواو همزة ساكنة بوزن فعل ثالثها بضم السين والهمزة بعدها
واو الجمع فقيل بالسؤوق كالسؤود وقوله سقي المعينة فيعرا حكما ومعنى الشفق
واللام المعينة موصولة وصلتها الوصف المتصل بها ومونثه لفرد ابن الشمر المعينة
والذي بتونعت بعد نعت قوله حتى غرت حتى هنا ابتدائية لا تتعلق بشيء
ولذا خلت على الجملة وفيها معنى الغاية وهو الغالب فيها والجملة بعدها مستانفة
اعني انها لا تعلق لها بما قبلها الفعلية وان كان مضمونها غاية له فتكون متعلقة به
معنى وقوله غرت معناه صارت وهو فعل متصرف وارق اللام قلب القاف وحذف
لالتقاء الساكنين واختلف مثل هذا الفعل تام او ناقص فمذهب الجمهور وتبعهم ابن مالك
ان هذه تامة والمنصوب بعدها حال واستدلوا عليه بانه لم يوجد الا نكرة او جملة وهي في معنى
النكرة وذهب جماعة من الحذاق كالجزولي والزمخشري وابي البقاء وابن عصفور الى انه
يغلب فعل من اخوات كان يرفع الاسم وينصب الخبر وهو الذي اعتمده المتاخرون وعليه
فاسمها في كلام الناظم ضمير مستتر راجع للاينق وقوله حرضا عجافا خبر اخبار لها
على سبيل التعدد وجملة اعناقها تشكو يحتمل ان تكون خبرا رابعا ويحتمل ان تكون
مستانفة وكذا قوله من قرحة الدبر يحتمل ان يكون منصوبا على انه خبر خامس ويحتمل
ان يكون مرفوعا خبر مبتدا محذوف على انه مستانف وهو اولى لما فيه من تشتت الجمل
الاجنبية للفعل واما جملة تشكو فربما الوجه وكلا يصح ان تعرب خبر اساد مسد الغرض لان

وفعلهما ماض وأنت لو قلت حتى عمرت الشرق وشكت لكان من السماجة بمكان وإن جاز
أن يغتفر في الأواخر ما لا يغتفر في الأوائل فالوجه الذي لا غبار عليه هو أنها مستأنفة
جيء بها لغرض آخر من أوصاف منزل الشوق ويحمل على بعد أن تكون حالا من الضمير المستتر
في مرفوعة أو من الأبد وشرطهم في مجيئها من المضاف إليه موجود وهو أهلية المضاف
للعمل في الحال وعليه فلا بد من تقدير قد وعلى مذهب الكوفيين كما في قوله تعالى أو جاؤكم
حصرت صدورهم قوله لاكنهما تشكو منزل الجملة مستأنفة لبكاها متعلقة بما قبلها
معنى كالواقعة بعد حتى وذلك أن لكن حرف ناسخ ومعناه الاستدراك وهو رفع ما
يتوهم ثبوته أو نفيه فإنه لما أخبر أن منزل الشوق قد شكت من ألم الوجد توهم السامع
أن هذا دينها فرحمها فاستدرك ذلك وقال لاكنهما تشكو وأصل الكلام لاكنهما ثم رخم
لأنها تشكو لغير مشعر فأقام السبب مقام المسبب لكثرة المعنى والوجه تكتب
بالياء لأنه ليس في كلام العرب كلمة فاؤها واو ولامها واو إلا واو كما قرر في محله
ولفظه لا تكتب بدون الياء بعد اللام ولا بزيادة الف بعد الواو وتشكو لأنها لام الكلمة
وإنما الشأن أن تزاد بعد الواو التي هي ضمير الجمع كقاموا ولم يرجعوا والله أعلم
(المعافى) في باب التنازع بمفعول المعية ولا بمفعول له يتوقع أن أصلهما الفعل
الرواهر تقول عنفت زيدا وانتقيت الدار وذلك لأن الغرض منها هو إثبات وصف
التعنيف للجلاد وسلب التقى عنه من غير نظر إلى من وقع عليه الفعل والتصريح
بالمفعول فيتناوله لهذا الغرض مع ما في عدم ذكره من إيهام أن التعنيف وعدم التقى
منوطان بالجلاد ويدرونه مع كل أحد فالفعل هنا منزل منزلة اللازم ولا يجوز أن يذكر
معه المفعول ولا أن ينوى إذ المنوي في قوة الثابت ولا يسمى محذوفا في الاصطلاح
لأن المعنى ليس عليه قال ابن هشام في هذا البحث التحقيق أن يقال إنه تارة يتعلق
الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء
بمصدره مسندا إلى فعل كون عام فيقال حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد
إيقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنوي كالثابت
ولا يسمى محذوفا لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له ومنه ربي الذي
يحيي ويميت هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان إذ

قال فما خطبكما قالتا لا نسقي الآية ألا ترى أنه عليه السلام إنما رحمهما إذ كانتا
على صفة الذياد وقومهما على السقي لا لكون مذودهما غنما ومسقيهم إبلا وكذا
المقصود من قولهما لا نسقي السقي لا المسقي ومن لم يتأمل قدر يسقون إبلهم وتذودان
غنمهما ولا نسقي غنمنا وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكرا
نحو لا تأكلوا الربا وقد تقدم في أوائل الفن كلام ابن مسلم وهي مسألة من علم المعاني
إذ خلطها في مغني اللبيب من نوع في علم النحو وإنما نقلنا كلامه بطوله لما فيه من الفوائد
المحررة فإن قلت فما بال الناظم غاير بين التعبير فأتى بالأول موصولا بالمفعول وبالثاني
موصولا بالفعل قلت لأنه لما كان القصد من الوصف أن لا المنوي الدلالة
على أن الفعل خلق للحدوث وصيغة له عبر في جانبه بالاسم وتسمى المعنى بعدم الإشارة
إلى المفعول كما قلنا ولما لم يكن عدم النفي بمنزلة المتابعة وإنما المقصود سلب النفي
عن الحدوث والإخبار بعدم اتصافه به عبر في جانبه بالفعل وأيضا ليعبر أنه لم يصدر
منه فرد من أفراد الفعل ولا اتصف به يوما ما وذلك لأن الفعل عندهم في تأويل النكرة
والنكرة في سياق النفي تعم كما ذكروه في قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون فإنه أفاد بقوله لا يستوون نفي جميع وجوه الاستواء التي يمكن نفيها
لتضمن الفعل المنفي لمصدر منكر فكذا قول الناظم لم يشرب قهوة ووقع جملة قوله فكف
من كاف الوجهين لأنها مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها كأنها افتتح بها التعليل وعلى
احتمال الحالية فالرابط فيها بالضمير فإن قلت فما بال الناظم غاير بين جملتي الشكاية
فأتى بالأولى شكت من كاف الوجهين ثم قال ثانيا لا كنها تشكو وهلا عبر بالماضي فيهما
أو بالمضارع فيهما قلت لما كان مضمون الفعل في الجملة الأولى من الإعلال بأن
مدة السرور قد مضت فإنما الشكاية ناسب أن يعبر بالماضي لأنه أولى بهذا المعنى ولما
فيه من الإشعار بأن الشكاية قد مضت منها فرغت الآن وقتها وإنما الحادث الآن
إذ ذاك ما هو وإن نعى بلده عنها الآن لشرب أو لمقالاته وفي مقام التعريض بالمصرح به بغض
من عدم شفقته فهو كالتزكية له ولما كان مضمون الفعل في الجملة الثانية من
الإعلام بأن الحادث لم يبق لمدة السرور ومن ثم اقتضى المقام أن يعبر بالمضارع الدال
على التجدد حتى يعتبر أن شكواها إليه قد تكررت منها المرة بعد المرة ومع ذلك لم
يرع لها حقا ولا رد لها جوابا من جهة التعب بالسقي فيكون من الأبلغ في وقعه بعدم

الشفقة وانتزاع الرحمة من قلبه والله أعلم (البيان) قوله وكم يسوءه البغي
ذكروا أن هذا من باب إضافة المشبه به إلى المشبه كقولهم سل فلان على الناس سيف
البغي وسل فيهم بعض أنفسهم ومنه قول أبي تمام *

لا تسقني ماء الملام فإنني   صب قد استعذبت ماء بكائي

والأقرب من جهة الذوق أنه من باب الاستعارة التخييلية كما قال السكاكي فإنه يشبه
بأنما اللفظة التي تعقل لمعناها حسا ولا عقلا ومن عندك فتتبادر المكنية كما في
الأمثلة وعليه فيكون البيت من تخييل البغي شيئا حسيا تقتضيه كسيفه ثم جرح
به قطعا فالآية فقال الإمام فخر الدين في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
ما ملخصه فإن قيل كيف أضيف الجناح إلى الذل والذل لا جناح له قلنا فيه وجهان
الأول أنه أضيف إليه كما يقال حاتم الجود فكذا هنا الثاني أن مدار الاستعارة على الخيالات
فها هنا تخيل للذل جناح وأثبت لذلك الجناح خفضا تكميلا لأمر هذه الاستعارة
كما قال لبيد * وغداة ريح قد كشفت وقرة   إذ أصبحت بيد الشمال زمامها فأثبت
للشمال يدا وللغداة زماما ووضعه في يد الشمال قوله سقيت سوقها في إيقاع
الشرب بالفعل على المشروب بالنصب مجاز في النسبة الإيقاعية وهو من المجاز العقلي
وإلا فالمشروب حقيقة هي الخمر لا سوقها ومنه قوله تعالى ولا تطيعوا أمر المسرفين
وقولك للمحزون سل همومك بقدح اسم ليلة واسقيت نهارا وهذا المجاز يكون في
النسبة الإسنادية بكثرة كقولهم بنى الأمير المدينة وفي النسبة الإيقاعية
وإن كان قليلا بكثرة في الشعر وفي قوله سقيت الخمر التشبيه المذكور ومجاز الحذف وقد
تقدما وفيه أيضا الكناية فإنه يلزم من كون سقي الخمر أن يكون قد عتقها وفي
قوله أغنا فيها تشكو هو من الاستعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية
فإنه شبه الغناء بإنسان متكلم تصح منه الشكاية تشبيها مضمرا في النفس بجامع
الدلالة على المقصود في كل وهذه استعارة بالكناية ثم أثبت لها الشكاية التي هي
من لوازم المشبه به وهي تخييلية كقوله *

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا   فلسان حالي بالشكاية أنطق

وأما خطر ببالهم الشكاية بالأغناء وعينهما من الأغصان
الإبل من بكاء ومن جهة أنها غالبا في الأغصان وأما ما عداها من الأعضاء

بمشتركة البقاء في كثيرا لحركة وتابعه لهما في الثقل والخفة قال سعيد بن جبير رحمه
الله وقال غيره لا خلق الله ابل طويلة الاعنا ولا اشهر بالاثقال وعن بعض الحكماء
انه حدث عنهما وعن تربيع خلقتهما وكان قد نشا في ارض ليس بها ابل فيهما فعكر ساعة ثم
قال يوشك ان تكون هذه الاعنا وقيل له من كذلك ومن هذا المعنى قول الذي لا اعلمه
كثير حيث قال

اعزنا بالعزوف لا عاديات بيننا * وسالت بالاعنا والمكين الاباطح

فالاعنا وهي السبب في جهم من عدة السير وبكثرة لما علمت فلهذا خص الناظم الشكاية
بها وقد قررنا ان هنا نوعا من التمثيل في قوله شكت في كم الزجر وقد بعده ومنه قول الراجز

شكا الي جملي طول السرى * صبر جميل فكلانا مبتلى

والله اعلم التقريع في كلام الناظم منه هنا من الاستفهام او شبهه وذلك
بين السير والرحلة من جهة العنوة وبين الشكوى التي هي من جمع سما وكذلك بين قوله اعناقها
وبين العنق الذي هو ضرب من السير وكلا النوعين قد تقدم الكلام عليه ومن ذلك قول
بعضهم ان هذا الربيع شيء عجيب * يضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة في الفضاء

معنى الكلام هنا سلك الناظم مع الحادي باب التجريد وابن نزار وانا
في ذلك حتى كاد يخرج الى حد الكثرة ومع ذلك لم يتبع فيه قوله ولا اثر فيه
وعكسه انتقل معه الى حالة ازيع من الرقة واستعمل في محاورته قلة البيع
والبذى فكان جمعه بالشتم والسب ونسبه الى العنف وعدم رفق الفلب وسلب
عنه وصف التقوى وسيتم في هذا هذا عكس من هذا وافرن وهما النزوع مع ذلك
لما ان على ان هذا لما قريب من العكس وانما قال ان تسلم مع ما هي فيه من شدة السغب
وكثرة اللغب وقد وصف الشعراء الشوق بها وعجبا به الناظم وتعنفوا في ذلك
والسابق الى هذا المعنى من اقدم القيس حيث قال

تقر عن العلات سامي راسها * رويدا فنسيمها رسيم ذا في

وقال عبد الله بن الزبير لا سره اسير في مدح عبد الله بن زياد عما قلت الله بعزله
الذي عيبه الله تعويرك انتبه * تعسف مجهول الفلاة وتراب
وقد هزمت حتى كان عيونها * نكات فلاة قامنا متصبب

فقلت لها لا تشتكي الأين إنه · أما دون فرع من أرومته مصعب

وقال ابن دريد في مقصورته وإياه تبع الناظم

آلية باليعملات يرتمي · بها النجاء بين أجواز الفلا
خوص كأشباح الحنايا ضمر · يرعفن بالأمشاج من جذب البرى
يرسبن في بحر الدجى وبالضحى · يطفون في الآل إذا الآل طفا
أخفافهن من حفى ومن وجى · مرثومة تخضب مبيض الحصا

ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى وأبرعه قول الشيخ أبي الطيب ويقال إنها للكامل أعراه

رفقا بهن فما خلقن حديدا · أوما تراها أعظما وجلودا
يقلبن ناصية الفلا بمناسم · خضب الوجى برقابهن البيدا
فكأنهن نثرن درا بالحصى · ونظمنه بسيرهن عقودا

(قد ذهبت منها المحاسن باد · قال الشريشي وقلة الترفه)

اللغة قوله قد ذهبت الزمان بالمرور والزوال يقال ذهب فلان ذهابا وذهوبا وإذا ذهب غيره لك ذهبت به وأذهبته عن مكانه قوله المحاسن جمع حسن على غير قياس كأنه جمع محسن وقال ابن مالك هو جمع لا واحد له ومثله ملامح جمع لمحة وقولهم قاتل الله مقاتله أي وجوهه وبدنه وقطع مذاكيره يريدون ذكره أي من جهة ومن جموع يسيرة جاءت على هذا النحو وينسب إليها على لفظها فيقال محاسني ومعنى الحسن الجمال يقال حسن الشيء بالضم حسنا فهو حسن والجمع حسان وإن شئت حققت الفعل بإشكال عينه فقلت حسن الشيء كما قالوا علم في علم ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الفاء لأنه خبر وإنما يجوز النقل في إنشاء المدح والذم لأنه حينئذ مرتبا نعم وبئس قوله باد قال الشريشي لأنه قال الملازمة يقال أقام من بلد كذا إذا أقام أو الإقامة عليه ولا زيد ورجل قر من غير أن دام على شيء بها والشرى بالضم اسم موضع وهو موضع الليل قال أبو زيد يكون السرى أول الليل ووسطه وآخره يقال أسرى وسرى يسري سرى وسرية بالفتح ويضم وأسرى أيضا بزيادة الهمزة ومنهم لغتا أهل الحجاز قرئ فقوله تعالى فاسر بأهلك بالوجهين أعني بالأصل وبالقطع وربما عيا وقال حسان رضي الله عنه

حي النضيرة ربة الخدر · أسرت إليك ولم تكن تسري

وقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا إنما ذكر الليل مع أن الإسراء لا يكون إلا فيه لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية قوله وقلة
التركيب القلة ضد الكثرة قل الشيء يقل قلة فهو قليل ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف
فيقال أقللته وقللته فقل ومن أين جاء قليلا وقللته في عين فلان تقليلا أي جعلته
قليلا بمنزلة حتى كأنه قليل وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر ومنه قوله تعالى ويقللكم
في أعينهم وقد يعبر بالقلة عن العدم كما في المصباح فيقال قل وقلا رقليل الخير أي شيء
لا يفعله ولعل هذا المعنى من الأثير بكلام الناظم ولو عبر به لكان أولى وقال ابن
العربي أقل رجل يقول ذلك إلا زيدا معناه ما رجل يقوله إلا زيد ومنه قول الشيخ
خليل رحمه الله في فاتحة مختصره فقلما يخلص مصنف من الهفوات أي لا يخلو مصنف
منها والتركيب تفعيل من الركوب ضد العنق والله أعلم **الإعراب والتصريف**
قوله قرد مبتدأ خبره الكسائي داء القرد وادعا معا في ذا الفصل وأبي كما زمن الأصل
والذه غلام أفصح وقرده قوله تعالى والقردة بالوجهين قال أبو عمرو بن العلاء
الأذ غلام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره يعني أنهم يستعملونه
أكثر من الإكثار والمحاسن فاعل ذهبت والفاء في قوله فإذ فالسر للسببية
وألف الشرور يكتب ياء لأنه منقلب عنها والله أعلم **المعاني** في قوله قد
ذهبت منها المحاسن قد هنا للتحقيق كما في قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من
دساها وإنما فصل الناظم هذه الجملة من التي قبلها أعني قوله حتى غدت مجابها
لما بينهما من كمال الاتصال لأن هذه إما بدل من تلك أو توكيد لمضمونها وبيان ذلك
أن الناظم قد صرح في الجملة السابقة بأن منزلة الثوب قد أصابها بعد ما عرض من ذلك عوارض
واعتراها آفات متعددة من الخروق والتمزق وغير ذلك وهو يعبر بتكرير الخروج
أن محاسنها قد ذهبت وقد يعبر بتكرير المراعية محمل من أجل ذلك في النفس بعض
تردد مثل المحاسن قد ذهبت كلها أو ذهب أجل بعضها إذ يجوز مع تلك الأعراض أن يبقى
منها بعض فلا يستحسن فلا عتنى بهذا الغرض وعقب الجملة السابقة بهذه الجملة
المؤكدة بكثير من المبالغة والتي أخذ لزمانا بجميع محاسنها وأنه لم يبق منها ما
يصح أن يتعلق به استحسان فلا بد أن يلغى المحاسن جمع محلى بأل فيفيد العموم والاستغراق
وأكد ذلك بقد التي للتحقيق وعلله بأن السبب فيه مشاده قال الشرور وعدم رفق

تعالى

ق

الغلام

الجمادى فيمتن القبائل: والكماة نبت النفس فيها وبهذا ان الجملة الثانية ادى
بهذا الغرض من الأولى فيكون كقوله

اقول له ارحل لا تقيمن عندنا ... والا فكن في السر والجهر مسلما

فان المراد به كمال اظهار الكراهة لاقامته وقوله لا تقيمن عندنا اوفى بتادية
هذا الغرض من قوله ارحل لدلالته عليه بالمطابقة مع تاكيد الفعل بالنون وقال
ابن مالك في قوله فقلت لهم قوموا اولكم وذاك كن ان التعبير بالبعض او الكل وذاك كن
وانه من بدل الجملة من الجملة لا المفرد من المفرد ويجوز ان يكون منه في كلام الناظم
ان تنزل الجملة بيان للتي قبلها وانها منزلة منها منزلة عمر في قوله

اقسم بالله ابو حفص عمر ... ما قبلها ولا بعدها فعليه ان معنى دوام اعم من
تلك واشتمل وبعض وقال العلامة الرسوخي ان كون البناء اعم من زوال الابيض في كونه عنه
بيان لان الآخر في حصول الشيء انما عمها لا كون التلخ اعم من الخ وافاده عبد الحكيم
وانما عبر الناظم بالنبوح دون الرفق لانه ابلغ في هذا الجمادى اذ الايقاد
منه الرفق لا على سبيل التفعل علم بكثير من الأولى ان الرفق ليس محمولا ولا سجية
وهو مقابل ما تقدم في قوله ولم يسوغ البغي انينا والله اعلم

وكأنما قد نفل انتجبت ... من كل فرواء زمول بثن
ذو سرات موجاة وجبنا لحمها ... من نقب ومن وجى وسلى

اللغة قوله انتجبت اصل الانتجاب الانتزاع ثم شاع استعماله في انتزاع ما هو
ومنه ما كان على سبيل الاختيار والانتقاء والنجيبة بالضم وكهمزة المختار والجمع
نجب ككتب وجاء فلان في نجب اصحابه اي في خيارهم قوله من كل فرواء يقال ناقة
فرواء اي كثيرة السنام ويقال شربت الكعب بينة الفرا ولا يوصف به الذكر فلا
يقال جمل افرى قوله ذمول الناقة التي تزيد من العرض عند الزجاج وذاك
لكرمها قوله بثن يقال ناقة بثناء وبثنية سمينة قال الراجز

تنشطته كل مغلاة بثن ... وجارية فتناء منعمة قوله ذو سرات الرؤوس
الجمل العظيم والأنثى دوسرة قال عدي

ولقد عديت دوسرة ... كعلاة القين مذكارا

قوله موجاة قال الهمم الموجاة التي تجر في السير حتى كسر اسمها كان بها مرضا

أي جمعا كما قال الراجز: لله در اليعملات الهوج * وكما قال الأعشى
وبيداءَ إذا ما تهجرتْ عجرفيةٍ * إذا خِلتَ حرباءَ الوديقةِ أصْيرا

قال أبو البقاء: ولا يوصف بذلك الذكر فلا يقال بعير أهوج. قوله: وجنا قال الجوهري: الوجين العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلا وهو غليظ ومنه الوجناء وهي الناقة الشديدة شبهت به في صلابتها وقال قوم: هي العظيمة الوجنتين ولم يقولوا في الذكر أوجن. قوله: لها ما بها من نقب يقال نقب البعير ينقب كفرح يفرح إذا رقت أخفافه من خشونة الأرض وأنقب الرجل بالهمزة إذا نقب بعيره ونقبت الخف الملبوس إذا تخرق وكان عمر رضي الله عنه فرض الغزو على جماعة من المسلمين فجاءه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إن ناقتي عجفاء نقباء دبراء فاحملني فكذبه عمر رضي الله عنه كذا فحلف أن ما بها من نقب ولا دبر وأعطاه شيئا من الدقيق ولم يحمله فولى الأعرابي يسوق ناقته ويرتجز ويقول

أقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر
فاغفر له اللهم إن كان فجر *

أي حنث فسمعه عمر رضي الله عنه فجعل يقول اللهم صدق ثم دعاه فقال له ضع عن راحلتك فوضع عنها فإذا هي كما وصف فحمله على بعير وزوده وكساه قوله ومن وجيف تقدم أن الوجيف ضرب من سير البعير أو هو الإسراع قوله وسلع قال في القاموس السلع بسكون اللام أثر دبرة البعير إذا برئت وابيض موضعها كالسلوجة وأثر النسع في جنب البعير والاسم السليعة ه وفي المحكم السلع فيما يظهر ومما أن القاضي شمس الدين ابن خلكان ذكر في ترجمة النضر بن شميل الإمام المشهور النحوي المشهور أن كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد أحرف أربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف يجوز إبدال السين بالصاد فتقول في السراط الصراط وفي سخر لكم صخر لكم وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا كل ما كان وقد رأيت في كتب اللغة مرة كثيرا من هذا وحكى فيه خلافا بين النحويين وفي كتاب الصحاح في العكة صرغ فائدة قال وربما قالوا السرغ بالسين قال فكتب محمد بن المستنير أن فرقا من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ولا تبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة

بعدها أن تكون بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت
وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب
في كلامه وعليه فيجوز في قول الناظم وسلوا السفير والصفاء ومن هذا المعنى ما
ذكره الحريري في درة الغواص فقال ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين والصواب
فيه مصح بالصاد فقد حكي أن النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه
فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك بالسين فقال لا تقل مسح ولكن قل
مصح بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الأعشى *

وإذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الإزباد فيها ومصح

فقال له الرجل إن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر
فقال له النضر فإذا أنت أبو سالح وشبه هذه النادرة ما حكي أيضا أن بعض
الأدباء جوز بحضرة الوزير ابن الفضل بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل
موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح أو ومن سلح فخجل الرجل
وانقطع هـ كلام الحريري رحمه الله الأعراب والنظر فيها قوله كأنها لم
تدن كأن هنا للشك على ما ذهب إليه جماعة منهم الزجاج وابن السيد من أنها لا تكون
للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامدا كقولك كأن زيدا أسد أما إذا كان مشتقا كما
هنا فهي للشك لئلا يلزم اتحاد المشبه والمشبه به لأن الخبر إذا كان مشتقا
فهو نفس المبتدأ في المعنى ثم الشك هنا ليس على حقيقته لأن الناظم يعلم يقينا
أن هذه النون خيار من خيار إلا أنها من شدة ملازمة الشين ومكابدة المشقة
والضيم صارت بحيث أن كل من رآها يشك مثل من على هذه النون ويقع من إبدال النعمة
والراحة أو لأن الناظم تكلم على لسان غيره وفيه يظهر أن جملة كأنها لم تدن معمولة
لقول محذوف وذلك القول حال من ضمير النون في أثبتت قبله والتقدير قد ثبتت
منها المحاسن حال كونها مقولا فيها عند رؤيتها كأنها لم تدن وأصل تدن تكون فلما
دخل الجازم والتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو وحذفت الواو ثم حذفت النون
تبعا وتخفيفا لشبهها بحروف العلة في سكونها وامتزاج العرب بها من حيث الغنة
ويشترط في جواز حذفها أن يليها متحرك كما هنا وكما في قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها
وإسمها ضمير النون وجملة أثبتت خبرها ومن تلك فروا متعلق به وفروا نعت لمحذوف

أي ناقة قوداء وما بعده نعت بعد نعت ويتعين الاتباع في الأول من هذه النعوت
ويجوز القطع فيما عداه إلا الثالث فإنه يتعين اتباعه للقافية وقوله وجنا
أصله وجناء بالمد وقصره ضرورة كقوله

لا بد من صنعا وإن طال السفر ... وإن تحنى كل عود ودبر

وكيفية قصره كما قال الشاطبي أن تحذف الألف التي قبل الآخر لتسلم الهمزة الثانية
التي صارت همزة فتكون فيها بعد الألف فإذا حذفت الأولى رجعت الثانية إلى أصلها
الياء وحينئذ فلا يجوز همزها لفقد العلة المانعة من الهمز وتكتب الياء على أصلها
تقديرها مع العذراء فهو ما له قياس يوجب مده نحو فعلاء أفعل كحمراء وبيضاء
والكلام جار فيها خلافه منشا ومن شاهده بقول الشاعر

وأنت لو باكرت مشمولة ... صفرا كلون الفرس الأشقر

فقوله فاقد من نصب جملة من مبتدإ وخبر في محل النعت كالأوصاف السابقة
فالمبتدأ قوله من نصب وهو مجرور لفظا مرفوع محلا من زائدة وخبره في المجرور قبله
وهو المسوغ للابتداء بالنكرة والله أعلم **المعاني** قد تقدم بيان كيفية
تعلق البيت بما قبله وحينئذ فوجه الفصل كمال الاتصال وحذف فاعل الاتعاب وبني فعله
للمجهول للعلم به لتعلق الغرض بذكره والتنكير في نصب وما بعده للإفراد والله أعلم
البيان اعلم أن قول الناظم كأنها لم تك قبل انتقبت البيتين كلام لفظه الخبر
وليس المقصود منه الخبر وإنما هو لإظهار التحسر والتحزن على هذه النوق التي
كانت على أحسن الحالات وأكملها للعيون ثم صارت إلى أقبحها وأسوئها ونظير
هذا قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران رب إني وضعتها أنثى فإنه ليس المقصود
منه إعلام المولى جل وعلا بأنها وضعت أنثى إذ هو تعالى عالم بكل شيء لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض بل المراد منه إظهار التحسر على خيبة
رجائها والتحزن إذ ربما فإنها كانت تقدر وترجو أن تلد ذكرا فخاب ظنها ومثله
في إظهار التحسر قول الشاعر

هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثماني بمكة موثق

وقول الآخر يخاطب امرأة اسمها أميمة تلومه على عدم أخذه بثأر أخيه

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت أصابني سهمي

فليت عفوت لأعفون جللا * ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فهذا كله ليس المقصود منه الاخبار وافادة السامع وانما المقصود منه
التحسر والتوجع ومما اكثر ما تفرع للناظم او يأتي في اوصاف هذه الشروح وغيرها مما
مما يقتضي المقام حمله على هذا المعنى فاعرف ذلك واعتبره فيه واختلف علماء
البيان في هذا الباب فمنهم من جعله من قبيل الكناية اذ هي الكلام لفظ واريد به لازم
معناه مع جواز ارادة المعنى الاصلي وذلك يجري هنا كما لا يخفى ومنهم من جعله
من قبيل المجاز المركب وتحقيقه ان الهيئة التركيبية في مثله موضوعة للاخبار
فاذا استعمل ذلك المركب في غير ما وضع له فان كانت العلاقة المشابهة فاستعارة
تمثيلية نحو اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى والا فمجاز مرسل ومنه ما هنا لان
اذ نشأ ذلك الخبر عن نفسه بحضرة من يحضره كما في الآية او بما يأسف على فقده
كما في الشعر المتقدم وكلام الناظم يلزمه اظهار التحسر فيكون من قبيل ذكر
الملزوم وارادة اللازم وهو المجاز المرسل وفيه بحث وتحقيق ليس هذا محل
استقصائه والله تعالى اعلم

(من بعد ما كانت منيرة غدت * اكثر من ذود وذود ونشّي)

اللغة قوله من بعد ما كانت منيرة قال في القاموس هنيدة اسم للمائة من
الابل كمنيرة او ما بين ثمانين ونحوها او للمائتين وقال في كفاية المتحفظ هنيدة
المائة من الابل وهنيدة المائتان منها وفي الصحاح ان هنيدة اسم للمائة من الابل
وغيرها ولما مدح جرير عبد الملك بن مروان بقصيدته التي يقول فيها

تعزت ام حزرة ثم قالت * رأيت الموردين ذوي لقاح

قال عبد الملك يا جرير اترى ام حزرة ترويها مائة ناقة من نعم بني كلب قال جرير
فقلت يا امير المؤمنين ان لم تروها فلا ارواها الله قال وفيها كلها سود
الحدق فقلت يا امير المؤمنين نحن مشايخ وليس باحدنا فضل عن راحلته والابل ابقى
فلو امرت لي بالرعاء فامر لي بثمانية اعبد وكان بين يديه صحاف من ذهب
وبيده قضيب فقلت يا امير المؤمنين والمحلب واشرت الى احدى الصحاف فنبذها
الي بالقضيب وقال خذها لا نفعتك وفي هذه القصة اشار جرير بقوله

اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

قال الفقيه شمس الدين بن خلكان رحمه الله هذا الحرف هنيدة بضم الهاء على صورة
التصغير اسم علم على المائة وأكثر علماء الأدب يقولون لا يجوز إدخال الألف
واللام عليها وبعضهم يجيز ذلك قال أبو الفتح بن أبي حصينة السلمي الحلبي
الشاعر المشهور من جملة قصيدة

أيها القلب لم يدع لك في وصـل العذارى نقص الهنيدة عذرا

يعني خمسين سنة التي هي نصف المائة فالهنيدة على هذا اسم لكل مائة وهو
قول أبي عبيدة وأنشد عليه لسلمة بن الخرشب

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها ◦ وتسعين عاما ثم قوم فانصاتا

أي استوت قامته زعم أبو عبيدة أن نصر بن دهمان هذا كان من قادة غطفان
وسادها فعاش حتى خرف ثم عاد شابا يافعا فعاد بياض شعره سوادا ونبتت أسنانه
بعد الدرد قال أبو عبيدة فليس في العرب أعجوبة مثلها وأنشد لسلمة بن الخرشب

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها ◦ البيت وبعده

وعاد سواد الرأس بعد بياضه * وراجعه شرخ الشباب الذي فاتا
فعاش بخير في نعيم وغبطة ◦ ولكنه من بعد ذا كله ماتا

وفيه يضرب المثل فيقال أعمر من نصر فقولهم أكثر من ذود الذود من الإبل ما بين
الثلاث إلى العشر هذا هو المشهور وفيها أقوال أخر وهي مؤنثة وفي الحديث
ليس في أقل من خمس ذود صدقة ولا واحد لها من لفظها وجمعها أذواد كثوب وأثواب
وقال في البارع الذود لا تكون إلا من الإناث قال الفقيه ويجوز أن تكون من غيرهن
وفي المثل الذود إلى الذود إبل أي إذا اجتمع القليل مع القليل صار كثيرا فقوله دون
شنق دون نقيض فوق ويكون ظرفا للمكان والزمان على الغاية بالتشبيه بمكان [illegible]
الثابت كقولك جلست دونه ثم كثر استعماله في كل رتبة أدنى من أخرى في الأمكنة والأزمنة
والمعاني كما هنا والشنق بالتحريك ما بين الفريضتين وجمعه أشناق ومثل سبب
وأسباب وبعضهم يقول هو الوقص وبعض الفقهاء يخص الشنق بالإبل والوقص
بالبقر والشنق أيضا ما دون الدية الكاملة فإذا كان معها دية جراحات فهي
الأشناق وكأنها معلقة بالدية العظمى قال الأخطل

قرم تعلق أشناق الديات به ◦ إذا المئون أمرت فوقه حملا

والأشناق

والأشياء وانتفاء الأزوشي من الجراحات كلما كانت مجتمعة وغيرهما والشيء انتفاء أن
يزيد الإبراج الجمالية ستا أو سبعا البرصفق بالوفاء قاله في المصباح وقال في
القاموس الشيء الأعلى في الرئات عشرون درجة والأسفل عشرون وبينت مخاطرة
والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله من بعد ما كانت منيرة في
بعض من الكرور التي به تنمو ولا تخرج عن الكرمية لما أن الجر من الزائد على
رأي ابن مالك كما منا فالأرجح دراية العوام واختصت من بين ذلك لأنها في الباب
والكرور متعلق بغدت قدم عليه وما موصول حرفي تسبك مع ما دخلت عليه بمصدر
أي بعد كونها منيرة وهو مذهب الأخفش وابن السراج أي أن ما المصدرية اسم وعلى
احتياجها حينئذ إلى عائد من قوله ولا وليد كانت منقلبة عن واو ولأنها مشتقة من
الكون وقوله غدت أي صارت وهو وبعد ماض ناقص من أخوات كان على ما اختاره
المتأخرون ولأنها مجزومة منقلبة عن واو واسمها ضمير النوى وقوله أكثر من
ذلك خبرها أو دون شيء معطوف عليه ومعناه أقل من شيء وتقدير الكلام صارت
النوى أكثر من ضوئه وأقل من شيء بعد كونها منيرة والله أعلم **المعاني**
إنما فصل الناظم جملة هذا البيت عن التي قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال
باعتبار الجملة كالجواب عن سؤال مقدر اقتضته الأولى وذلك أنه لما ذكر أن
النوى صارت بحيث لا كل قدرة إنما يشاهد من هذه التي كانت من صفتها كيف
وكيف لا اقتضى الحال أن يسأل السامع عن ذلك ويقول وهل كانت على حالة
أحسن من هذه أو كيف ذلك فأجاب بأنها كانت منيرة وصارت إلى ما ترى من
كونها دون شيء وهذا الفصل يسمى في الاصطلاح بالاستئناف البياني ومنه قوله

زعم العواذل أنني في غمرة ✦ صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

كأنه قيل أصدقوا أم كذبوا فقال صدقوا **فإن قلت** فلأي شيء قدم الكرور
على عامله **قلت** اهتماما به ولأن المحل له بحسب الأصالة ألا ترى أن حال
كونها سابق في الخارج على حالة قلته ومثل هذا الكلام كذلك يوقع في النفس
بغرابة تنبيها على هذا المعنى والله أعلم **البديع** في كلام الناظم
منه الطباق بين الكثرة والقلة ومنه قول الصاحب ابن عباد يرثي الوزير كثير بن أحمد

يقولون لي قد أودى كثير بن أحمد ✦ وذلك رزء في الأنام جليل

فقلت دع عنك والعلا نبكيه قدعا ... فمثل كثير في الأنام قليل

وفيه ايضا من اعمال التنكيت في مثيره ود ود وشتو ومنته قول بعضهم في غلام
وسيم معه خادم يخدمه

ومن عجب أن يخدم سواك بشادن ... وخدامه مثل الحبش من أهل الكفر
غزال له ريحان ونعل جوهر ... وخد له ياقوت وخال له عنبر

فقد ناسب بين الغزال والنعل والخد والخال كما ناسب بين ريحان وجوهر وياقوت
وعنبر وهي من اسماء النما ليلة من زوجها فكانت في غاية الحسن وأما قاذ كره
الناظم من تلك الابل بسبب جوف الفلا وبعد الخرق فمعنى مكرر وللشعراء
فيه وهد بيا من ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه يصف الفقر

تكفل به البزل العرامس رزحا ... ويبلو به عنت السفين فيسرع
به حيث الحسرى يلوح هليهما ... كما لاح كتان التجار الموضع

وقال علقمة مقرانة البيد التي فرار ولاحب ... له فوق اصواء المنار علوب
به حيث الحسرى فاما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقال كثير بروية يكون بها كبيرا ... نتاج المعجلات من السخال

وان بنادينا عن اتعابها ... ولم تكن منتهيا عن دعي
فسوف تعرو علي اللاعقا ... نراقة الكشعبر والفرزدق

اللغة قوله وان بنادينا ي يقال ما دي فلان في غيه اذا لج ودام على فعله
قوله ولم تكن منتهيا اي كان فلا يقال نهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى اي كف
وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضا وسمي العقل نهية بالضم لأنه ينهى صاحبه
عن الوقوع فيما لا ينبغي والجمع النهى كالعلى قال الله تعالى ان في ذلك لآيات
لأولي النهى قوله عن دعي هو الرمح هنا اسم من ادعى دعيا ودعوى اي تحمل الانسان
اذ نعمه على ما لا يطيقه والرمح ايضا السفه والنوك والحمقة وركوب الشر
والظلم وغشيانه المحارم والكذب والعجلة والتعلل في الكل كفرح ورمع فهو
غشيبة وعجلة اونا منه سواء اخذه او لم يأخذه ومن يعرف الرمح كمجنون
اي يشرع في مشيه هنا من كالبهم وجل منزلة المعاني عارية في كلام الناظم
قوله فسوف تعروي ي يقال عراه الامر يعروه عروا من باب فتال اذ اغشيه

وقال الشيخ زكريا رضي الله عنه وقال في الموضوع ... لا زكاه في ما الرحمن ... الذي ... وقال الشيخ

وأعادوه قوله ندامة الكسعي الندامة معروفة وفعله ندم بكسر ثانيه على وزن فعل كفرح
ندما وندامة وتندم مثله والكسعي بضم الكاف وفتح السين والناظم سكنه
للضرورة وهو نسبة الى كسع كصرد حي من اليمن وقيل غير ذلك وأفراده به عنا
رجل معروف باليمن له قريبا قوله والفرزدق هو لقب للشاعر المعروف وبانت
خبره أيضا وأصل الفرزدق الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت وقيل
بل هو القطعة من العجين التي تبسط ويخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنه
كان غليظا جهما وهذا اللفظ فارسي معرب وقد أنشد أبو محمد عبد الله بن محمد بن
عبد الغفار القسطنطيني النحوي لنفسه

رأيت جهبذا والفرزدق وقوفه   محببا مني لم يغش عارا ولا إثما
فألقيت في النار الفرزدق وبعضها   لكمنت محياه ولم أقترف ظلما
ولولا الذي قد ذكرت نار خالد   فلما ذكرت الهم منه لها نجما

الفرزدق العجين كما تقدم والخبز الخبز يقول رأيت مني حينما عليه نجيز ويكشف
ذلك العجين في النار يعرفها لكمنته أي ضربت عليه حتى استوى وصار رغيفا

الإعراب والتصريف قوله وإن تماديت في الجملة معطوفة على
جملة البيت السابق لا محل لها من الإعراب وإن حرف شرط وتماديت فعل الشرط
مجزوم المحل وعلى تقديرها يتعلق به وهو من أفعال الصدر أي وفعله وجملة ولم تكن
منتهيا في معطوفة على جملة الشرط من قوله إن وهو يحتمل أن تكون في محل نصب حال من
فاعل تماديت والأول أولى لأن ترتيب الندامة على شيئين فقط أظهر في المعنى من
ترتيبها على سبب فقط ونما قاله وقوله فسوف تعرف في جملة في محل جزم جواب
الشرط لاقترانها بالفاء وسوف حرف استقبال وتنفيس والزمان فيها أوسع
من زمان السين وتعرف مرفوع بضمة مقدرة على الواو استثقالا وهي الجملة
بعرف على الجلادين وعلى الأولى فهو ما يتعلق به وعلى هنا تعليلية كما في قوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم والأولى بها مفعول به مقدر مضاف الى المفعول على تقدير مضاف أي أتلاف
تقيتها وندامة الكسعي يا على تعرف والفرزدق معطوف على الكسعي والله أعلم
المعاني في قوله وإن تماديت اعلم أن إن من أدوات الشرط الجازمة
كما أن إذا من أدوات الشرط غير الجازمة والأولى تستعمل في مقام الشك والثانية

والثانية تستعمل في مقام الجزم والقطع وهذا ينسب الى الزمخشري في هذا
المعنى على سبيل اللغز قوله

سلم على شيخ النحاة وقل له ... هذا سؤال من يجبه يعظم
إنا إن شككت وجدتموني جازما ... وإذا جزمت فإنني لم أجزم

فإن قلت اذا كان الحكم هو ما ذكر فلعل المقام في كلام الناظم للجزم والقطع لأنه
داخل من جموع المخلوق فيما هو بصدده، وهذا لا يعتد به في حكمه ولذلك فيما جاء به
أتى بإن التي تقتضي الشك قلت يحتمل أن يكون قد يقصد بعض الترديد في ذلك
وهذا بعيد والأقرب أن يقال إنما أبرز الناظم الكلام في صورة الشك لاشتمال الجمل
على ما يبلغ الشرك من أهله وأنه لا ينبغي إلا أن يعرض كما تقدم فيما قال الناظم
رحمه الله قد بالغ مع المخالف في الإنكار والإنذار، واوسع القول في باب
التعميم والتذكار، وفي بعض ذلك ما يكفي عن وقوعه وبدا اعتقده فالتمادي في الغي
بعد هذا كله كالمجادلة لعقول العقلاء فعبر الناظم بأداة الشك منها على التشنيع
عليه والتوبيخ فلا يجتري ويتكبر، وهذا قوله تعالى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم
قوما مسرفين فيمن قرأ بالكسر فكأنهم لفرط اسرافهم مقطوع به لا كرجاء بلفظة إن المقتضية
التوبيخ وتصويرا أن الإسراف من العاقل في هذا المقام يجب أن لا يكون إلا على سبيل
الفرض والتقدير كالمحال لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الإسراف
مما لا ينبغي أن يصدر من العاقل أصلا فهو بمنزلة المحال والمحال وإن كان مقطوعا
بعدم وقوعه لكنهم يستعملون فيه إن لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل
المساهلة وإرخاء العنان لقصد التبكيت كما في قوله تعالى قل إن كان للرحمان ولد
فأنا أول العابدين قاله سعد الدين رحمه الله وفي كلام الناظم التلميح للقصتين
الآتيتين ذكر الكسعي والفرزدق ووقوفهما. أما الكسعي فقال
حمزة الأصبهاني هو رجل من كسع قبيلة من اليمن واسمه محارب بن قيس وفي القاموس
كسع كمنع حي باليمن أو من بني ثعلبة بن سعد بن قيس عيلان ومنه غامد بن الحرث
الكسعي وكان من حديثه انه كان يرعى ابلا له بواد كثير العشب والخمط فبينما
هو كذلك إذ بصر بنبعة في صخرة والنبع شجر تتخذ منه القسي فأعجبته فقال
ينبغي أن يكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقيمها حتى إذا أدركت قطعها وجففها

وكانا حولا فلمّا احبّت اتّخذ منهما قوسا وانشا يقول *

يا ربّ وفّقني لنحت قوسي — فإنها من لذّة لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي — أنحتها صفراء مثل الورس
صلداء ليست كالقسيّ النكس *

ثمّ دهنها وخطمها بوتر ثمّ عمد الى ما كان من برايتها فاتّخذ منها خمسة اسهم
وجعل يقلّبها في كفّه ويقول *

هنّ وربّي اسهم حسان — تلذّ للرامي بها البنان
كأنّما قوّمها ميزان — فابشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقني الشؤم والحرمان *

ثمّ خرج حتّى اتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمرّ به قطيع منها فرمى عيرا بسهم
فانفذه السهم اي نفذ فيه وجاز فيه فأصاب الجبل فأورى نارا فظنّ انّه قد أخطأه
فانشا يقول أعوذ بالله العزيز الرحمان — من نكد الجدّ معا والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوّان — يوري شرارا مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطيع آخر فرمى عيرا منها فانفذه السهم وصنع صنيع
الاول فانشا يقول *

لابارك الرحمن في رمي القتر — أعوذ بالخالق من سوء القدر
أأخطأ السهم لإرهاق البصر — أم ذاك من سوء احتيال ونظر
أم ليس يغني حذر عند قدر *

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطيع آخر فرمى عيرا منها فانفذه السهم وصنع صنيع الثاني فانشا يقول

ما بال سهمي يوقد الحباحبا — ولم يزل عمر الرقا ناكبا
قد كنت ارجو ان يكون صائبا — فأخطأ العير وولّى جانبا
فصار رأيي فيه رأيا خائبا *

ثمّ مكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمى عيرا منها بسهم فانفذه السهم وصنع
صنيع الثالث فانشا يقول *

يا أسفي للشؤم والجدّ النكد — في قوس صدق لم تزر بي أود

أخلف ما أرجو لأهلي وولد * فيما ولي يغرا بهزاز وانجلد

عجابا كثرا بعد كدا والنكد *

ثم رمى به فكبح ذاخ فرمى عيرا بسهم فانفذه السهم وصنع صنيع الرابع فانشا يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها * أحمل قوسي وأريد ردها

أخزى إلهي لينها وشدها * والله لا تسلم مني بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها *

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات فلما أصبح نظر فإذا الحمر حوله مصرعة وأسهمه بالدم مضرجة فندم على كسر القوس فعض على إبهامه فقطعها أسفا وحسرة ثم أنشأ يقول

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وأما الفرزدق فهو همام بن غالب وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الشاعر المشهور صاحب جرير وكنيته أبو فراس وكان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم وكان من خبر ندامته أن ابنة عمه النوار بنت أعين بن ضبيعة خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم وقيل من قريش ثم من بني أمية فرضيته وكانت ترضى به لبغضها والفرزدق أقرب أوليائها بعد انعام من منتالها فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل فقال إن بالشام من هو أقرب إليك مني ولا آمن أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك علي فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إلي ففعلت فلما توثق منها قال أرسلوا إلى القوم فلما أتوا جاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأنا أشهدكم أني قد زوجتها من نفسي على مائة ناقة حمراء سود الحدق ونفرت النوار من ذلك وناكرته وترددت إلى حكام البصرة فتعبوا في أمرها وأبوا أن يحكموا فيه حتى تشهد لها الشهود وأعيا عليها أن الشهود خرجوا مع الفرزدق وكان ابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق ويدعى له بالخلافة فيهما ويخطب له على منابرهما فهمت النوار بدفع أمرها إليه ولم تجد من يحملها

فأتت بنية من بني عمرو بن عبد مناة بن أد يقال لهم بنو أم النسير وكانت بينها وبينهم قرابة فسألتهم بالرحم فأقسمت عليهم أنهم ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض جماعة من أعيان البصرة فانهضوا له وأوفروا له عدة من الإبل وأعانوه بنفقة فتبع النوار وقال

لعمري لقد أردى النوار وساقها ... إلى الغور أحلامٌ قليلٌ عقولها
أطاعت بني أم النسير فأصبحت ... على شارفٍ ورقاء صعبٍ ذلولها
معارضة الركبان في شهر ناجرٍ ... على قتبٍ يعلو الفلاة دليلها
وما خلتها إذ أنكحتني وأشهدت ... على نفسها بالعدل أن تزيلها
أبعد نوارٍ آمنن ظعينةً ... على الغدر ما نادى الحمام هديلها
وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها
وإن امرأً أمسى يخبب زوجتي ... كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ ... وأيدٍ طوالٌ يمنع الضيم طولها
وما أنا بالنائي فتنعي قرابتي ... ولا بكليل حد في الزند لا أقيلها
ولكنني المولى الذي ليس دونه ... وليٌّ ومولى عقدة من يحلها
فدونكما يا ابن الزبير فإنها ... مولعةٌ يوهي الحجارة قيلها
وما خاصم الأقوام من ذي خصومةٍ ... كورهاء مشنوءٍ إليها حليلها
وإن أمير المؤمنين لعالمٌ ... بتأويل ما وصى العباد رسولها
إذا فرقت عند الإمام فإننا ... نرى رفقةً من ساعةٍ يستميلها

ومن طويلة ثم إن الفرزدق رحل يتبع النوار حتى قدمت مكة فاستجارت بزوجة ابن الزبير رضي الله عنهما واسمها خولة وقيل تماضر بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري ولما قدم الفرزدق مكة اشرأب الناس إليه فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ومدحه بقوله

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي ... إن المنوه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطئ الحصا ... وجرت له في الصالحين عروق
بين الحواري الأغر وهاشمٍ ... ثم الخليفة بعد والصديق

وقال أيضا يمدحه

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عرضت — أنضاؤه بمكان غير ممطور
فأنت أَولى قريش أن تكون لها — وأنت بين أبي بكر ومنظور
بين الحواريّ والصدّيق في شعب — نبتن في طيّب الإسلام والخير

فكان كلما اصلح حمزة من شان الفرزدق وبالنهار مع ابيه افسدته بنت منظور ليلا فقال الفرزدق

أمّا البنون فلم تُقبل شفاعتهم — وشُفّعت بنت منظور بن زبّانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا — مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير شعره ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضغط على حلقه حتى كاد يقتله ثم خلّى سبيله وكان ابن الزبير رضي الله عنه ايدا شديد القوى ثم دعا النوار فقال ان شئت فرّقت بينكما وقتلته وارحت المسلمين من شرّ لسانه وان شئت سيّرته الى بلاد العدوّ قالت ما اريد واحدة منهما قال فانه ابن عمك وهو فيك راغب فازوجه اياك قالت نعم فزوجه اياها على عشرة آلاف درهم فقبل الفرزدق وسأل رجلا بمكة ان يعينه فدل على سلم بن زياد بن أبيه وكان ابن الزبير قد حبسه فقال الفرزدق يمدحه

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم — ومرّي تمشّي بي هبلت الى سلم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله — ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلم فانشده الشعر فقال اني لك ومثلها معها للنفقة وامر له بعشرين الفا فقبضها الفرزدق ودفع مهر النوار ودخل بها بمكة ثم عاد الى البصرة وهما على بعير بلا رحل وكان الفرزدق يقول خرجنا متباغضين ورجعنا متحابين وقيل انه لم يدخل بها بمكة بل ردهما ابن الزبير الى عامله بالبصرة فيجمعهما ان امرهما بمنزله ولما تزوج الفرزدق النوار كانت ابدا تعلقه وتشبه انها كانت حمقا البرين وكان هو يشرفا على نفسه فتزوج عليها ازواجا يريد ان يكسعها بذلك حتى كان منهما ما نذكره قال الاصمعي تزوج الفرزدق على النوار حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني فجاءت جمعته النوار واغرت بالحطيئة فجاءت بها تخرج الفرزدق وهو يقول

فامت نوار التي تنتف لحيتي — تنتاد جعدة لحية الخنشليش

كلتاهما اسد اذا ما اغضبت * واذا رضين بهن خير معاشر

قالوا فحسنها شر رجل من عنزة وجعلت اقرانه تجاء ثم جعلت الى النوار فقالت ما بين الفرزدق وبينه اما وجد لاقرانه اسوة غيري فقالت النوار للفرزدق ويلك تزوجت اعرابية دقيقة الساقين بوالة على عقبيها على مائة بعير فقال الفرزدق يفضلها عليك وبعير ما بعدها كانت ثريهما افقه *

لجارية بين السليل عروقها * وبين ابي الصهباء من آل خالد
احق باغلاء المهور من التي * ربت وهي تنزو في حجور الولائد

وفضلها عليها في شعر آخر فشكته النوار الى جرير فقال انا اكفيكه وقال

ولست بمعطي الحكم عن شف منصب * ولا عن بنات الحنظليين راغب
وهن كماء المزن يشفى به الصدى * وكانت ملاحا غيرهن المشارب
وما عدلت ذات الصليب ظعينة * عتيبة والردفان منها وحاجب

فاجابه الفرزدق فقال *

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم * بملكك من مال مراح وعازب
فلو كنت من اكفاء عزة لم تكن * على دارمي بين ليلى وغالب
واني لاخشى ان خطبت اليهم * عليك الذي لاقى يسار الكواعب
ولو تنكح الشمس النجوم بناتها * نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

وفيما رواه ذكره كان عند الفرزدق امرأة فزارية مولاة ته على نفسها فهمت به مرة بعد مرة وامتنع عليها من غير نية فجاءت فقالت له اني اريد ان اتعزل فاني رأيتك متغيرا لي من وقعت بينك وبين جمراء وقد عرفت له حبرا له ما دل على ما دخلت بيني وبينك على كره ومنه تبرأ ان الك لشيء فقطعته بالموسى فقال او لا فقالت صبرا على فما من الكرام من قتب مثلة ثم تزوج الفرزدق ايضا امرأة يقال لها جهينة من النمر بن قاسط حلفاء لبني الحرث بن عباد القيسي وقد انتسبوا اليهم فقالت له النوار وما عسى ان تكون الجهينية فقال الفرزدق *

ارتني نجوم الليل والشمس حية * كرام بنات الحرث بن عباد
نساء ابوهن الاغر ولم تكن * من الازد في جاراتها وسراد
ابوهما الذي قاد النعامة بعدما * ابت وائل في الحرب غير تماد

يعني بالبيت الذي قاله النعامة الحارث بن عباد وأراد قوله * قربا مربط النعامة مني * وسيأتي خبره إن شاء الله فلم تزل النوار ترفقه وتستعطفه حتى أجابها إلى طلاقها وأخذ عليها أن لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل قال المازني حدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفقل راوية الفرزدق قال ما استصحب الفرزدق أحدا غيري وغير راوية ذا الرمة حين عزم على طلاق النوار وقد استصحبت النوار رجالا كثيرا من أقاربها أنهم كانوا يلومونه ويزبلون السواري خوفا من أن يرجع الفرزدق فأتينا الحسن رضي الله عنه في حلقته فقال له الفرزدق يا أبا سعيد فقال له الحسن ما تشاء قال أشهد أن النوار طالق ثلاثا فقال الحسن قد شهدنا قال أبو شفقل فلما انصرفنا قال لي قد ندمت فقلت له والله إني لأظن أن دمك سيترقرق أتدري من أشهدت والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك فمضى وهو يقول

ندمت ندامة الكسعي لما … غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها … كآدم حين أخرجه الضرار
فكنت كفاقئ عينيه عمدا … فأصبح ما يضيء له النهار
ولو أني ملكت يدي وقلبي … لكان لنا على القدر الخيار
وما فارقتها شبعا ولكن … رأيت الدهر يأخذ ما يعار

فمن هنا ضرب الناس المثل بالكسعي والفرزدق في الندامة ولما صرع طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه يوم الجمل وكان أول صريع في ذلك اليوم سمع وهو يجود بنفسه يقول

ندمت ندامة الكسعي لما … رأت عيناه ما صنعت يداه

وفي الاستيعاب عن يحيى بن سعيد قال قال طلحة يوم الجمل

ندمت ندامة الكسعي لما … شريت رضى بني جرم برغمي

اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى وفي المقامات الحريرية قال الحارث بن همام فلما رأينا صغو القاضي إليه . وفوت تمويه التنبيه عليه . غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار . والكسعي لما استبان النهار . وقال بعضهم في مزج

تونس حماها الله كشرها: وتلاقي بالنثر والشعر امرهما:

لتونس تونس من جاءها ... ونودعه لوعة حيث سار

فيغدو ولو حل ارض العراق ... يحن اليها حنين الحوار

ويا قل عودا او يشتاقها اشتياق البعيد لعودة النوار

(وكنت قد عوضت عن اخفائهما ... خفين حنين كذا من ابا الافق)

اللغة قوله وكنت قد عوضت في التعويض اعطاء العوض بكسر العين وفتح الواو ويقال اعاضه زيد عوضا بالفتح والسكون من باب قال واعاضه بالالف اعاضة وعوضه بالتشديد تعويضا اعطاه العوض وهو البدل واعتاض هو اخذه كتعوض واما استعاض فمعناه سال العوض قوله عن اخفائهما جمع خف بالضم وهو مجمع فرسن البعير وقد يكون للنعام وقيل لا يكون الخف الا للجمل وفي المصباح الخف الملبوس جمعه خفاف مثل كتاب وخف البعير جمعه اخفاف مثل قفل واقفال ونحوه في الصحاح والقاموس وعليه فقول المحشي في المثال في

انشادهما معكوسة وجدانهما ... منكوحة وكم يقربها عذراء

نحو مع ان القياس هو جواز الامرين في الجميع والله اعلم قوله كذا من ابا الافق الظفر الفوز بالمطلوب والانق بالتحريك الفرح والسرور وقد انق كفرح يانق انقا وشيء انيق حسن معجب وانق الشيء اعجبني فهو مونق والله اعلم

الاعراب والتصريف قوله وكنت قد عوضت جملة معطوفة على جملة جواب الشرط في البيت قبله فتشاركها في اعرابها الذي هو الجزم وكنت فعل ماض ناقص مجزوم العين وجملة قد عوضت خبره واختلف النحاة في وقوع الفعل الماضي خبرا لكان والصحيح الجواز وشرط قوم ان يقترن بقد كما هنا والا فهو جائز بلا خلاف قوله عوضت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير المخاطب العائد على الخلد وخفين حنين مفعوله الثاني وعن اخفائهما متعلق به وقوله كذا من ابا الافق حال من خفين وفيه مجيء الحال من النكرة الغير مخصوصة وحكى ابن الشجري في اماليه عن الفارسي اجازته ويحتمل ان يكون حالا من ضمير المخاطب وحينئذ فيكون في الكلام تهكم واستهزاء ومن الادب التسلط عليه بما ورد على الاحتمال الاول ولما فيه من مزيد نكتة بلا غيبة ولان حنينا لم يكن ظافرا بالانق اذ ردا على اخر

زمهر لا ابناه
ل

نذهير

التفسير أن الآية جيء بها قبله. المعنى في قوله وكنت قد عدمتها. قال
الزمخشري في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس كان عبارة عن وجود الشيء في
زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ
ونازعه أبو حيان بأن الصحيح أنها كسائر الأفعال يدل لفظ الماضي منها على الانقطاع
ثم قد يستعمل حيث لا انقطاع وفرق بين الدلالة والاستعمال هذا كلامه وعلى كل
حال فيقال ما وجه تعبير الناظم بالماضي مع أن الجملة معطوفة على جواب الشرط وهو
مستقبل بحيث قال وسوف تعرفها فالمناسب أن يقول وتكون قد عدمتها والجواب
أنه أبرز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب المتآخذة في حصوله تفاؤلا
لأنه إذا كثرت غفلاتك وقبائحك تعاظمت أسباب حصوله حتى لا يتوقف في ذلك وكذا
مثلا فإن أسباب عطب هذه النفوس قد تيسرت ودواعي الفساد على التلاعب قد قويت
حتى حصل الجزم بذلك فصح التعبير بالماضي وأما حذف الفاعل من عدمتها وبناء
الفعل للمفعول فللعلم به إذ المعنى وسيعدمها الله عن هذه النفوس الخبيثة والخسران
حال كونك مذموما مغرورا ساهيا نادما وهذا نحو ما أشار إليه بقوله قدامه أبا الأنسي
على سبيل التهكم والسخرية كما نبهنا عليه والله أعلم. البديع في كلام الناظم
منه الجناس بين أخفيتها والخفية وانظر هل يكون من قبيل الجناس التام والناقص
أبي أو نقل أو من قبيل الشبه بالاشتقاق وهو مقتضى كلامهم وقد يسمي بعضهم هذا
بالمشوش لتجاذب النوعين له ومما يستشهد به لكلام الناظم قول القاضي أبي
حنيفة المغربي وهو لطيف إلى الغاية

رب خود عرفت في عرفات * سلبتني بحسنها حسناتي
حرمت حين أحرمت نوم عيني * واستباحت حماي باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت * من جفوني سوائل العبرات
ولقد أضرمت على القلب جمرا * محرقا إذ مشت إلى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون وفاتي

والمناسب لكلام الناظم منه هو قوله جمرا والجمرات والله أعلم

خفي حنين

اختلف الرواية في حنين المذكور في هذا المثل من هو فقال أبو عبيد كان حنين إسكافا من أهل

الحيرة فساومه اعرابي بخفين فاكسده فيهما حتى اغضبه ولم يشتر منه فغضب
حنين وعمد الاعرابي حتى اذا ارتحل تقدم امامه بالخفين وعلق احدهما على شجرة على
طريق الاعرابي ثم تقدم قليلا وطرح الآخر على قارعة الطريق ثم كمن حيث لا يراه احد
فجاء الاعرابي حتى اذا اتى على الخف المعلق بطريقه فقال ما اشبه هذا الخف بخف حنين
ولو كان معه الآخر لأخذته ثم سار قليلا فمر على الآخر مطروحا فندم على تركه
الاول فنزل عن راحلته فعقلها واخذ الخف المطروح ثم رجع ليأخذ الخف الاول فخرج
حنين فأخذ الراحلة بما عليها وذهب بها ورجع الاعرابي الى حيه بالخفين فكان
قومه يقولون له ما جئتنا من سفرك فيقول جئتكم بخفي حنين فذهبت قولته مثلا يضرب
عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ومعنى الروايتين تتوافق في ان الناس كانوا
بالانو على الاعراب والله سبحانه اعلم وقال ابن السكيت عن ابي اليقظان كان حنين
رجلا شديدا ادعى انه ابن اسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب بن هاشم وعليه
خفان احمران فقال يا عم انا ابن اسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما
اعرف شمائل هاشم فيك فارجع فرجع فقالوا رجع حنين بخفيه وزعم الشرقي بن
القطامي ان اصل المثل ان هاشم بن عبد مناف كان رجلا كثير التقلب في احياء العرب
للتجارات والوفادات على الملوك وكان نعمة فكان اوثق اهله انهم مشوا اليه من البلد
معه علاقة يعرفونها فيقبلونه ويكرمون علاقته فيقولون ابا اللات ويكسونه ثيابا ويلبسونه
خفين ثم ان هاشما تزوج في حي من احياء اليمن وارتحل عنهم من الولد غلاما يسمى له
جده لأمه حنينا وحمله الى قريش مع رجل من اهله فسأل عمرو عن هاشم من اهل اليمن
فأتاهم بالغلام وقال ان هذا ابن هاشم فطلبوا لبوله بالعلاقة فلم تكن معه علم يقبلوه
فرد الغلام الى اهله بحيرة فلما رأوه قالوا جاء بخفي حنين اي جاء وعاد بخيبة جاء في خفي
نفسه ولو قبلوه لألبسوه خفي ابيه وقال غيره كان حنين رجلا عباديا من عباد
الحيرة وكان يسكر بالنيرب فعلقه بفناء الكوفة وكان مغنيا ومن الذي يقول

أنا حنين ومنزلي النجف ... وما نديمي الا الفتى القصف
أقرع بالكأس ثغر باطية ... مترعة تارة وأغترف

وكان من خبره انه دعاه قوم من اهل الكوفة الى الصحراء ليغنيهم فغنى لهم فلما
سكر سلبوه ثيابه وتركوه عريانا في خفيه فلما رجع الى اهله عريانا قالوا

جاء حنين بخفيه ثم قالوا أخيب من حنين فصار مثلا لكل خائب وخاسر وقيل
كان حنين لصا قبيحا فاخر وطلب فجاءت إليه بخفيه وعليه غبار فأتت عنهما
ورجعت وقيل رجعت بخفي حنين إذا رجعت منه بزاية وقد ذكر الشعراء خفي حنين
وضربوا بهما المثل في أشعارهم فمن ذلك قول بعض الشعراء

وما زلت أقطع عرض البلاد — من المشرقين إلى المغربين
وأدرع الخوف تحت الدجا — وأستصحب الجدي والفرقدين
وأطوي وأنشر ثوب الهموم — إلى أن رجعت بخفي حنين

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة. وعرج ربيعة بن ثابت
الرقي يزيد بن حاتم المهلبي فقصر في حقه بعض التقصير فقال

أراني ولا كفران لله راجعا — بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فعاد فعطف عليه وبالغ في الإحسان إليه فقال ربيعة يمدحه ويهجو يزيد
ابن أسيد السلمي وكان قد قصده

لشتان ما بين اليزيدين في الندى — يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى — فتى الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله — وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وقال القاضي أبو حنيفة المغربي المتخرج الذكر

أيا مشبه البدر بدر السماء — لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كاملا لا تفسر في نعته — شغلت فؤادي وأسهرت عيني
فهل لي من مطمع أرتجيه — وإلا انصرفت بخفي حنين

وقال الشيخ شهاب الدين السلمي من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى قبره فيما بعد أن يزوره نصيب فأبى

بكيتك يا غزال الأجرع عيني — وقد رمت عليك الأجر عيني
تبعتك حافي القدمين ساعيا — أأرجع لابسا خفي حنين
تعلمها ترى مثل الزهار على عكفت — فيجمع بين أحبابي وبيني
وأقسم بالحجاز الشرق نفسي — بها رملا الأبرجرا المنسي

وقال في

صلى الله عليه وعلى موسى وكرم .. ويجبر عنكم

لانه

لَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنِ ابْنِ كَلَامِ * إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْضٍ بِهَا لَمْ تَفُهِ

اللغة الكلام بالضم وضع الشيء في غير موضعه والمصدر التخفيف الكلم بالفتح
كلمه يكلمه كلما كضربه يضربه ضربا فهو كالم وكليم وكلمه هذه وتكلمه اياه
وتكلم من أحال الكلم على نفسه والكلاكة كثمامة والمكلمة بفتح اللام على
القياس والكسر افصح ما تكلمه عن الكلام ومن اسمه لما اخذ منك وفي المثل
من اشتم عم اليربوع الغنم بغير كلم وفيه انه من اشبه اباه فما ظلم **الاعراب**
والتصريف قوله لأنت اعلم اللام للابتداء كما في قوله تعالى لأنتم اشد
رهبة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله من ابن كلام يتعلق بأعلم
واصل ابن بنو بالتحريك كجمل بدليل جمعه على ابناء حذفت لامه التي هي الواو للاعتلال
وكثرة الاستعمال وسكنت اوله ثم جيء بهمزة الوصل توصلا الى النطق بالساكن وليكون
عوضا من المحذوف والقياس في كلام ان يكتب بدون ألف بعد الكاف لأن الاسم
العلم اذا اشتمل على اربعة احرف فاكثر وفيه ألف ساكنة وجب حذفها كمالك وحارث
وقاسم ويثبت لخشية لبس نحو عامر فانه يلتبس بعمر اذا حذفت منه الالف فيجب اثباتها
قوله ان كنت ان حرف شرط وكنت فعله مجزوم المحل وهو ناقص واسمه ضمير المخاطب
وخبرها في الجملة بعدها وقوله من بعض يتعلق به على الصحيح من ان الافعال الناقصة يجوز
تعلق الظروف والمجرورات بها ومن زعم انها لا تدل على الحدث منع التعلق بها وعليه
فالظرف هنا متعلق بالفعل بعدها اعني قوله لم تفه وبعض من الظروف التي لا تتصرف
ومن الاسماء التي تلزم الاضافة فاذا حذف المضاف اليه ونوي معناه كما هنا
بنيت على الضم لشبهها بحروف الجواب في الاستغناء بها عما بعدها مع ما فيها من
شبه الحروف في الجمود والافتقار وقيل في علة بنائها غير هذا وقوله بها متعلق
بتفه فرع عليه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما تفرع عليه وتقدير الكلام ان كنت
لم ترجع بهذه الشروح بعد ما تلوناه عليك من ضروب الاعذار والانذار او بعد ما حل بها
من البوار والرزية الكبار فلأنت اعلم من ابن كلام والله اعلم **المعافي**
محصل البيت كله من دلالة الجملة عما قبلها لانها مستأنفة مقتضية لما مر في الاعراب واكد
الحكم في قوله لأنت اعلم باللام لكونه خاطب غير مقر بكلامه بل منكرا جاحدا له اما بلسان
حاله او بلسان مقاله ولك ان تدعي ان اللام هنا واقعة في جواب قسم محذوف تقديره

والله لانت اعلم في الذكر يفعل انه للداعي ان هذا التغير من جهة الكلام بان ونعم
وجعل اللام للابتداء وربما يؤيده ان الفعل قد قصر على انكار الكلم فيكون الحكم اخرج
الى مزيد تاكيد واكثر كلام النحاة ان اللام في مثل هذا التركيب تتعين للابتداء والله
اعلم واتى بها الشيخ في قوله ان كنت مع انه جازم بان الفعل لا يرضى باستعمال
المقام على ما يقطع الشرط من الشك كما مر في قوله وان كنا ديت على انتقادها واعلم
ان اصل ان الشرطية كما في التلخيص ان تكون لتعليق امر بغيره في الاستقبال وعليه فيحق
الجملتين معها ان تكونا فعليتين استقباليتين نحو ان يقم زيد يقم عمرو وقد تعادى بخلاف هذا الاصل
في الكلام لنكتة اغراض مذكورة في محلها وقد تستعمل مع الماضي المحقق فيما لم يكن مشكوكا
وذلك في باب كان نحو قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية ومنه
ما في النظم بدليل وقوع خبرها فعلا منفيا بلم التي تصير المستقبل ماضيا وصيغة بمعنى
قوله ان كنت من يعذبها لم ترفقوا ان كنتم لم تعزموا على الرفق فيما مضى لانه لو كان
صدر منه رفق لما لاموه عليه لانه ملازم له في جميع الاوقات وفيما هو له في سائر
الحالات فافهم والله اعلم (البديع) في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق
وهو كثير ومنه قول كشاجم في خادم اسود فشبهوه بالكلب

يا قسيما في فعله للوزنة ... ثم تخرج ما اوجبت القسمة
بعد من لونه مستقبحة ... والكلم مشتق من الكلمة

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة

* ذكر ابن ظالم المري ظلمه *

ابن ظالم هذا هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد
ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس بن مضر الجاهلي
المشهور ومما جاء في الحديث كان لنا سيد شريف احدهما هذا والاخر الحارث بن عوف
ابن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة في النسب المتقدم وكان من خبر الحارث
ابن ظالم وفتكه ابن جعفر عنه الناظم بالكلم ان زهير بن جذيمة بن رواحة ابن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان النسب المتقدم كان سيد
غطفان كلها وكانت له اتاوة على هوازن ياخذها منهم كل سنة بعكاظ وهو سوق
العرب ايام الموسم وزهير هذا هو والد قيس بن زهير العبسي صاحب داحس والغبراء

ذكر له أرشاة الله يحضر زهير بعكاظ سنة من السنين وأتته عجوز من هوازن
بسمن في نحي واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس فذاقه زهير السمن
فلم يرض طعمه فدفعها في صدرها بقوس كانت في يده فاستلقت على قفاها فبدت
عورتها فغضبت هوازن من ذلك وحميت أنوفها مع ما كان زهير يسومهم قبل ذلك
من العسف فتذامروا واتفقت كلمتهم فعدا عليهم خالد بن جعفر بن كلاب في العام المقبل
زهيرا فالتقى لهم بنزالة والتزم فتلاه ثم تطلب خالد زهيرا مرة حتى أخبر بأنه في إبل
له مع نفر من عشيرته فركب من حي بني عامر فخرج خالد في فوارس من قومه حتى كبسوا
زهيرا على حين غفلة وخرج إليه خالد فاقتتلا مليا على كفل فرسيهما ثم اعتنقا
وسقطا على الأرض وشد ورقاء بن زهير على خالد وهو فوق أبيه فضربه بالسيف
فلم يصنع شيئا لأن خالدا كان قد ظاهر بين درعين وحمل جندح بن البكاء ومعه ابن
امرأة خالد على زهير فضربه بالسيف على رأسه حتى خالط الدماغ فقتله وتنادى رجال
عنه وعادت هوازن مع خالد إلى منازلها وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم فقال
ورقاء بن زهير في ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين يعثران كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليت أني قبل ضربة خالد * ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني * فماذا الذي ردت عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحا لحرة * لئن كنت مقتولا وتسلم عامر
فطر خالد إن كنت تستطيع طيرة * ولا تقعن إلا وقلبك حاذر
أتتك المنايا إن بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خراشة وهو من بني عمرو بن الشريد السلمي وفيها الفخر على هوازن
بقتل زهير وإراحتهم من عسفه

يا ليتها تكفيه هوازن بعدما * أعتقتهم فتولوا الكرى أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت حزن بلادهم وجبالها * أرضا فضاء سهلة وصحارا

وعطلت منهم نساءهم وردا فعصيهم ۞ فمثل الهلال جفا بنا وبكارا

ثم علم خالد بن جعفر ان غطفان ستطلبه بثار ما فعله فسار الى النعمان بن امرئ القيس
ملك الحيرة فاستجار به كذا في كامل ابن الاثير والذي في الاغاني ان خالدا انما استجار
بالنعمان بن المنذر وفيما اقتضا الاسود بن النعمان والله اعلم بحقيقة الامر ولما
انتهى خالد الى النعمان فبلغه واجاره وكان خالد الوفد اغار فيما قبل فقتل ومن على بني يربوع
ابن غيظ بن مرة رهط الحارث بن ظالم ومنهم فوارس لهم يقال لهم حرام انكفاء فقتل
الرجال عشر اشرع فيهم وتغنيت نساء بني يربوع اياما والحارث يومئذ غائب وكن
لا يجلبن النعم فلما علمت ازواجهن تكيف بن عمرو الحارث فيشعر لمن عصابة الثوب
ويجلبن ومن يشكين ازواجهن والحارث تبكي لبكائهن فنشا على البغض والمودة ثم لما
كان من قتل خالد لزهير واستجارته بالنعمان ما ذكرنا له جاء الحارث بن ظالم الى بني
زهير بن جذيمة وهم يجمعون للغزو في عامر وسار بن معاوز فقال لهم اكفوني حرب
هوازن وانا اكفيكم خالد بن جعفر فقال له قيس بن زهير وكيف تصل اليه وهو في
جوار النعمان بن المنذر فقال لاقتلنه ولو كان في حجره ثم اخذ شيا من عتاد وخيل
بني مرة والمرأة اتى النعمان فاعجبه واقبل عليه ورفع منزلته قال ابو عبيدة
ثم ان النعمان دعا يوما خالد بن جعفر في رهطه من عشيرته والحارث بن ظالم وقدم
لهم تمرا فجعلوا يأكلون ويلقون النوى بين يدي الحارث فلما فرغ القوم قال
خالد ابيت اللعن انك ان ما بين يدي الحارث من النوى فما ترك لنا تمرا الا اكله
فقال الحارث اما انا فاكلت التمر والقيت النوى واما انت يا خالد فاكلته بنواه
فغضب خالد وكان لا ينازع فقال اتنازعني يا حارث وقد قتلت حامرك
وتركتك يتيما في حجور النساء فقال الحارث ذاك يوم لم اشهده وانا مغن اليوم
مكانه قال خالد فهلا تشكرني اذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان فقال
بل ساشكرك واخرجه الغضب وقال الحيرة انه عن الحفض كان النعمان فرفع ثم خالد
ابن جعفر واخيه عتبة فتبعه وامر هما يحضرون كعادته وسار اليه فاقبل الحارث ومعه
تابع له من بني محارب فاستأذن النعمان فاذن له النعمان وفرح به وكان رجل
الحارث وكان من احسن الناس وجها وحديثا واعلم الناس بايام العرب فاقبل
النعمان عليه بوجهه وحديثه وبين ايديهم تمر ياكلونه فلما راه خالد اقبل

النعمان على الحارث بما كان من ذلك فقال يا ابا ليلى (وهي كنية الحارث) الا تشكره فقال
فيما افعل فقتلت زهيرا فحرمتنا بعده سيد غطفان ورمى ابن الحارث ثمراتنا فأخذه الربيع
فالحضر بين يديه وسفكت الثمرات وجعل ابن نعل ويقول انت قتلته ونكس النعمان الى
ما به من الربيع يعتذر خالد اليه فغضب وقال احسن من عنده فانه يقتله وافترق القوم
وبقي الحارث عند النعمان فلما كان الليل اشرف خالد في قبته عليه وعلى اخيه وقاما
وانصرف الحارث الى رحله فلما هدأت العيون خرج شاهرا سيفه حتى اتى قبة
خالد فقطع شرجها بالسيف ودخل على خالد وهو نائم الى جنب اخيه عتبة فايقظه
فاستوى قاعدا فقال له الحارث يا خالد اظننت ان دم زهير كان مباحا لك وعلاه بالسيف
حتى قتله وانتبه عتبة فقال الحارث لئن نبست لالحقنك به وانصرف فركب فرسه
ومضى على وجهه وخرج عتبة صارخا حتى اتى باب النعمان فنادى يا سوء جواراه
يا جيب لا روع عليه فقال ادرك الحارث على خالد فقتله واخفر الملك فيه فوجه
النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سحرا فعطف عليهم فقتل منهم جماعة وارتدع
القوم عنه وانصرفوا الى النعمان فقال عبد الله بن جعدة الكلابي وكان يومئذ
مع خالد يعيب الحارث بن ظالم

يا حار لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها ... جزعا وما تبكي لمثلك خالا

في ابيات اخر فاجابه الحارث بقوله

عمري لقد نبهته فوجدته ... رخو اليدين مواكلا مكسالا
فعلوته بالسيف اضرب راسه ... حتى اخل بعطفيه السربالا

ثم لحق الحارث ببني تميم ثم انتقل منهما الى غيرهم فما بعد حروب كثيرة بين شيعة النعمان
وشيعة الحارث وكانت في قبائل العرب ولما اعيا النعمان امره قيل له انك لن
تصيبه بشيء اشد عليه من سبي جارات له من بلي وبلقين حي من قضاعة فبعث
النعمان في طلبهن فاستاقهن واموالهن فبلغ الحارث ذلك فكر راجعا من وجهه
مغيرا وسأل عن منازلهن وكن يومئذ فيه فلما قرب منهن اذا ناقة
لهن يقال لها اللفاع وكانت غزيرة اللبن اذا حلبت احتشت ودر حلبها
واصغت برأسها وتفاجت تفاج البائل وتعاقبت احاليلها بالشخب

فجاء الحرث وقد الناس يطلبانهما فصاح بهما ورجع. وقال

إذا سمعت حنة اللقاح * فنادي أبا ليلى ولا تراعي

في أبيات ثم قال خليا عنهما فعرف الناس كلامه وأنه ابن الرجل يحلب يكون من الجانب الأيسر فيحلب فقال الحرث وهو الرجل بلى الأذناب أي الضرع ويكون من الجانب الأيمن والله ما هو لك فقال الحرث أشبت الناس أي أعلم فقد صدقت فقال خليا عنها واستنقذ جارته وأفزع الناس قال ابن عبيدة. ثم لحق الحرث ببلاده فرقوه مختفيا وكانت أخته سلمى بنت كلا لم تمت سنان بن أبي حارثة المري وهو والد هرم بن سنان ممدوح زهير الشاعر فاشتغل الحرث من بعض نسائه من غير أن تعلم أخته بذلك وأتاه ابنه وكان عنده ولد الأسود بن المنذر فربيته وربته فقال لها الحرث يقول لي فعلي سنان ابعثي معي بابن الملك حتى أستأمن به وأعز به ومن أسرجه أمها وقالت على ذلك فربيته ثم دفعته إليه فأتى الحرث بالغلام ناحية من الشربة وهي موضع كانت بنو مرة تنزله فقلع رأسه بالسيف وروي أنه قد أخذ بنار من النعمان حيث أغاروا على جاراته وقيل إن المقتول ولد النعمان لا ولد الأسود والله أعلم وقال الحرث في ذلك

فقلنا فاسمعا أخبركما إذ سألتما * محارب مولاه وثكلان ضارع
أخصيي حمار بات يكدم نجمة * أتوكل جاراتي وجاري سابغ
فإن يك أذواد أصبنا ونسوة * فما ذا ابن سلمى رأسه متقانع
علوت بذي الحيات مفرق رأسه * وكان سلاحي تحتويه الجماجم
فتكت به فتكا كفتكي بخالد * وهل يركب المكروه إلا الأكارع
برأت بنا ملك وانتهيت بساده * وثالثة تبيض منها المقادع
حسبت أبا قابوس أنك مخفر * ولما تزر نكلا وأنفك راغم

قوله محارب مولاه يعني بذلك نفسه وهم أن سنان بن أبي حارثة وحاربته إياه في قتله لابن الملك الذي كان في حجره وقوله وثكلان ضارع يعني به النعمان أو الأسود على الخلاف في ذلك وذو الحيات اسم سيفه ونشأت فيما بين هذه الوقائع وعلى إثرها حروب عظيمة بين قبائل العرب يطول ذكرها كل هذا والحرث يتنقل في بلاد العرب وتلعنه قبيلة إلى أخرى وقال ابن عبيدة وكان

٤ المدى

عمرو

عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز ولما بلغه قتل الحارث خالدا وكان
خالد نديما له غضب لذلك غضبا شديدا وقال والله لو لقيني الحارث خاليا
وهو يقظان لما تقدم إليه ولا كنت قتلته وهو نائم ولو أتانا في العرق فنزله
وبلغ الحارث قوله فقال والله لآتينه في رحله فبلغ ذلك ابن الإطنابة ف
دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيناته فغنين له بقوله

علّلاني وعلّلا صاحبيّا ... واسقياني من المروّق ريّا
إن فينا القيان يعزفن بالضر ... ب لفتياننا وعيشا رخيّا
قال أبلغا الحارث بن ظالم المو ... عد والناذر النذور عليّا
إنما تقتل النيام ولا تقـ ... ـتل يقظان ذا سلاح كميّا

فلما بلغ الحارث شعره ازداد حنقا وغيظا فسار حتى أتى ديار بني الخزرج
ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ونادى أيها الملك أغثني وخذ سلاحك
فإني جار مكثور فأجابه وخرج إليه حتى إذا برز عكف عليه الحارث وقال أنا
أبو ليلى فاثبت كما قلت من الليل وأحس عمرو بالضعف عنه فقال يا حار إني شيخ
كبير وإنه تعتريني سنة فمهّل لي في ثأرك هذا الأمر إلى غد فقال الحارث هيهات
وهل ترجى بي غد فيها ولا ساعة ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال يا حار إني
أخشى أن النعاس يغلبني فمن يسقيني رمحي فأكفيك بكف فقال أنكرته إلى غد
قال لا أفعل قال أين عني آخذ رمحي قال آخذه قال أخشى أن تعجلني عنه أو تقتلني
في إذا قاولته قال وذمة كلاب لا أعجلنك ولا قتلتك حتى تأخذه قال وذمة
الإطنابة ذا آخذه ولا أقاتلك فانصرف الحارث وقال *

أعزو في بلدة فيفتتيه ... قبل أن تنكر المنون عليّه
ما أبالي إذا اضطجعت ثلاثا ... أرشيدا دعوتني أم غويّا
بلغتنا مقالة المرء عمرو ... بلغتنا وكان ذاك بريّا
فهممنا بقتله إذ برزنا ... ووجدناه ذا سلاح كميّا
غير أنا لم يعلل بالحلـ ... ـم معدا بكفه مشرفيّا
فمننّا عليه بعد علوّ ... بوفاء وكنت قدما وفيّا

ولم يزل الحارث يتنقل في أحياء العرب إلى أن أداه ذلك إلى خاتمة الهلاك إذ قتله

غشاء بالسلاح ونفوا بيوم يزيد بن عمرو فأكرمه وأعطاه وكان للملك يزيد
ناقة محماة فجعل في عنقها مدية وزنادا وملحا ليمتحن بذلك رعيته
فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحم السنام فأخذ الحرث الناقة حتى أتى بها
بعض الشعاب فنحرها وحمل إلى امرأته من شحمها ولحمها وفقدت الناقة
فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فأرسل الملك إلى كاهن يقال له ابن الخمس التغلبي
فسأله عنها فذكر له أن الحرث نحرها فأرسل امرأة بشيء من طيب تشتري به
من شحمها من زوج الحرث ففعلت وأدركها الحرث وقد أخذت الشحم فقتلها
ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة
وإذا كرهت أن تفتش بيته فمره بالرحيل فإذا رحل فتشته ففعل الملك فلما
رحل الحرث جاء الكاهن ليفتش بيته فأحس الحرث بالشر فعاد إلى الكاهن
فقتله وأخذت وزعة الملك الحرث فأحضروه عنده فأمر بقتله فقال أيها
الملك إنك قد أجرتني فلا تغدر فقال إن غدرت بك مرة فقد غدرت بي مرارا
ثم قتله فكان الذي تولى قتله ابن الكاهن فقال ابن الكلبي لما قدم ابن
الخمس إلى الحرث ليقتله قال من أنت قال ابن الخمس قال أنت ابن شر الأسماء
قال وأنت ابن شر الأسماء وقتله هذه رواية أبي عبيدة والمفضل بن ... وأما
الكوفيون فلم يذكروا أن النعمان بن المنذر ... قتله في خبر طويل وكان
أمر الحرث بن ظالم قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة
أو أكثر وقد علمت أن العرب إنما ضربت به المثل في الفتك لا في الكرم كما جعل
الناظم له لذكره إياه أن الفتك يستلزم الكرم غالبا مع الخلاف عليه
وأيضا فقتله لولد الملك إنما كان ظلما محضا ولذلك قال بعض أعمام
الحرث لما كبه ونعى عليه قتله إياه

يا حار إنك إذ قتلت نزارة ... كفرا وأنجم من ذي البراءة ضار
قد كان يشفي فيكم بالبقاع بقد ... أحللته بين السيل والنار
وقد علمت بأني لن ينفعني ... مما فعلت سوى الإقرار بالعار
فقد غدرت على النعمان خالته ... في قتل طفل كمثل البدر معطار
فاعلم بأنك منه غير منفلت ... وقد غدرت على ضر غداة شار

واغفلها

وأخبار الحرث بن كلدة وماجرياته كثيرة وقد ذكرته العرب في أشعارها ولهم
فيه أمثال كثيرة ذكر ابن الكلبي أن رجلا من آل الحرث بن كلدة قال لقد بلغني
أن الحرث غضب يوما فالتفع في ثوبه فتزر من غيظه أربعة أزرار وبعضها أربع أعين
من غير جلسائه فقال ابن الكلبي ومن أمثال أكاذيب العرب مثل قالوا يكونه عن
السلف وأشباهه والله أعلم

* رفقا بها فقد بلغ السيل الزبى * واتسع الخرق على الراقع *

اللغة قوله رفقا جمعنا الرفق قد تقدم وقوله فقد بلغ السيل الزبى هذا مثل
مشهور والسيل في الأصل مصدر سال الماء يسيل سيلا وسيلانا جرى فإذا علا السيل
على الماء نفسه كما هنا فهو من باب إطلاق المصدر على اسم الفاعل أي سائل للانحدار
حقيقة عرفية فيه وقرأ ابن عباس قوله تعالى سال سيل بعذاب واقع بلفظ
المصدر كما تقدم وبعضهم أنه إنما يسمى السيل إنما يستعمل في الماء الكثير دون القليل
والزبى بالزاي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد في الموضع العالي وتغطى بشيء
ويجعل عليها لحم فإذا جاء الأسد وتناوله سقط فيها قال الكميت

يا كنية الشعر والأعيال من عدس * كمبتغي الصيد أعلى زبية الأسد

وفي الصحاح إنما سميت حفرة الأسد بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع عال
فأطلق الزبية ذات الموضع العالي والسيل لا يصل إليه فإذا وصله كان جارفا
مجحفا فإذا قيل بلغ السيل الزبى فمعناه أن الأمر قد بلغ غايته والقول قد زاد
نهايته قال العجاج * فقد بلغ السيل الزبى فلا غير * أي قد عظم الأمر
عن أن يغير ويصلح وتزبى فلان زبية اتخذها قال الراجز

وكنت بالأمر الذي قد حيرا * كمن تزبى زبية فاصطيرا

قوله واتسع الخرق على الراقع هذا أيضا مثل عام والاتساع ضد الضيق
يقال وسع المكان بكسر السين ووسع بضمها فهو واسع على الأول ووسيع على الثاني
واتسع أي صار ذا سعة بفتح السين وقد تكسر والخرق بفتح الخاء الثقب في
الثوب والحائط ونحوهما والجمع خروق مثل فلس وفلوس ومعناه في الأصل مصدر
قولك خرقته خرقا من باب ضرب إذا قطعته ويقال خرقته بالتشديد على سبيل المبالغة
والمرقع اسم فاعل من الترقيع وهو المبالغة في الرقع هذا الفعل يقال رقعت الثوب

رتقا من باب قتل اذا سددته والحمته فارتتق اي انسد ومنه قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما **الاعراب والتصريف** قوله رفقا بها مفعول
مطلق عامله محذوف وجوبا واصل الكلام ارفق بها رفقا فحذف الفعل وناب
عنه المصدر وانما وجب حذف العامل لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه
والجملة لا محل لها من الاعراب لانها مستانفة وكذا قوله قد بلغ السيل الزبى
لا محل لها من الاعراب ايضا لانها مستانفة والف الزبى تكتب ياء على راي [illegible]
لانها منقلبة عنها ويجوز امالتها وقوله واتسع الخرق جملة ثالثة معطوفة
على التي قبلها وتاء اتسع بدل من الواو والاصل اوتسع فابدلت الواو تاء
لعسر النطق بحرف اللين الساكن مع تاء الافتعال لما بينهما من بعد المخرج ومنافاة
الصفة كما في اتصل واتعد وبابه والله اعلم **المعاني** اشتمل البيت
على ثلاث جمل اما الاولى وهي قوله ارفق بها فمفصولة لما بينها وبين التي قبلها
من كمال الانقطاع بلا ايهام اذ هذه انشائية وتلك خبرية ولا يعطف الانشاء
على الخبر على الصحيح واما الثانية وهي قوله قد بلغ السيل الزبى فاتى بها
مفصولة عما قبلها لما بينهما من كمال الانقطاع ايضا فالعلة واحدة فان هذه
خبرية والاولى انشائية وايضا فهي كالعلة لما قبلها فتكون جوابا عن سؤال
مقدر كانه قيل له لم امرت بالرفق بها فقال لانه قد بلغ السيل الزبى اي لان
امرها قد اشتد وشانها قد افتقر وتعبها قد بلغ النهاية والحد واما الجملة
الثالثة وهي قوله واتسع الخرق فانه وصلها بالتي قبلها لما بينهما من
التوسط بين الكمالين والجامع موجود كما لا يخفى والله اعلم وقد اشتمل كلام
الناظم على مثلين سائرين كما قلنا فاما الاول فقد تقدم فيه بيت العجاج وقال
ابن دريد في مقصورته

لست اذا ما بهظتني غمرة * ممن يقول بلغ السيل الزبى
وان ثوت بين ضلوعي زفرة * تملأ ما بين الرجا الى الرجا
نهنهتها مكظومة حتى يرى * مخضوضعا منها الذي كان طغى

وقال ابو الحسن حازم في مقصورته *

يا زمنا حط المنى من بعدما * قد كان راق البر منه واحتفى

فقد بلغ الحزام الطبيين وقد *** أدركه حتى بلغ السيل الزبى

أنا أتينا يا آدم من أنثى من بعدما *** أذ نبتهما لما عدا تمما بدا

وحكى المبرد في كامله قال كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بي قدره وطمع بي من لا يدفع عن نفسه *

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل *** وإلا فأدركني ولما أمزق

وأما المثل الثاني فأصله من قول أبي عامر السلمي وهو جد العباس بن مرداس رضي الله عنه *

لا صلح بيني فاعلموه ولا *** بينكم ما حملت عاتقي

سيفي وما كنا بنجد وما *** قرقر قمر الواد بالشاهق

لا نسب اليوم ولا خلة *** اتسع الخرق على الراتق

هكذا رواه القالي في نوادره وأنشد غيره ونسبه في المحاضرات إلى رجل من العرب

لا نسب اليوم ولا خلة *** اتسع الخرق على الراقع

كالثوب إذ أنهج فيه البلى *** أعيى على ذي الحيلة الصانع

وكان ابن قلاقس يحب بعض الأحداث من كتاب الديوان فأخرى عنه أن غيره فقال يعرض عليه بقلة ويعرض له بالشعر عفا الله عنه

يا عمرو قل للقمر الطالع *** اتسع الخرق على الراقع

يا فتنة الناسك فرطت في *** فعلك هذا فتنة السامع

هذا الذي رشأ خاذل *** حل بمعنى أسر عابع

ما كان في المخدع من أمركم *** فإنه في المشهد الشائع

يا كل أمر بيننا من حائل *** فضيحة مكشوفة القناع

(وهبه لا يدري من أيدا ولعا *** قتلنا فتيينا فما هذا عرف عمرو)

(فما لك تغضب حملت من صولة *** بكعبر أفدى من ملك الغسق)

اللغة قوله هب لا يدري من أيداء فقال الجوهري وتقول هب زيدا منطلقا بمعنى احسب يتعدى إلى مفعولين ولم يستعمل منه ماض ولا مستقبل في هذا المعنى والذي جمع ير وهو معروف من الأشعار وغيره وقوله أبرا إن نزيع العزاء

وسكون أثناء القوة قال الله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقال
حسان رضي الله عنه يوم الخندق

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ... ردوا بغيظهم على الأعقاب

وتقول آد الرجل يئيد أيدا وآد إذا قوي واشتد فهو أيد مثل سيد قال الشاعر

إذا القوس وترها أيد ... رمى فأصاب الكلى والذرى

يقول إن الله تعالى وتر القوس التي في السماء رمى كلى الإبل وأسنمتها بالشحم
يعني من النبات الذي يكون بالمطر وأيده الله تأييدا قواه ونحو قوله
وهما مثنيا مثنيان في المتن الكتم وقال ابن فارس المتنان مكتنفا الصلب من العصب
واللحم زاد الجوهري عن يمين وشمال ويذكر ويؤنث والمتن أيضا ما صلب من الأرض
وارتفع والجمع متان كسهم وسهام ومتن الشيء بالضم متانة إذا اشتد وقوي
فهو متين قوله ما خلا عن محل أي ما انفك عنه تقول خلا خلاء من العيب
أي برئ منه وخلت المرأة عن موانع النكاح أي عريت عنها والمحل ويفعل
من الحل بالكسر وهو الشدة والصلابة والمحل بالفتح من الرماح ما صلب منها
وتقول منه حنو ورجل محل إذا اتصفا بصفة الصلادة وإذا اتصفت كسرتها
وتقول للرجل الشجاع والفرس الجواد إنه لذو محل بالفتح كذا في الصحاح
وقال في القاموس كمنبر أي صاد والجملة وصاد والجزو كان ذا محل فيما يعرف
من ذلك قال خفاف بن ندبة

إذا ما استحمت أرضه من سمائه ... جرى وهو مودوع وواعد مصدق

يقول إذا ابتلت حوافره من عرق أعاليه جرى وهو متروك لا يضرب ولا يزجر
ويصدق فيما يعد من البلوغ إلى الغاية قوله فيها الظعن حملت في الظعن
بضمتين وتسكن العين تخفيفا كما هنا جمع ظعينة وهي في الأصل اسم للهودج
كانت فيه امرأة أو لا ويجمع أيضا على ظعائن وأظعان ثم قيل للمرأة ظعينة
فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها فهو في الأصل وضع لها فإذا أقلت
في هودجها لا كن توسع فيه أيضا حتى أطلق عليها وإن كانت في بيتها لأنها تصير
يئول الأمر مما أن ذلك قوله من مجرة هو بكسر الجيم وتشديد الراء قوله الخلق

وشرف

وشدته مأخوذة من إمرار الحبل وهو فتله فتلا محكما وقوله تعالى شديد القوى
ذو مرة هو جبريل عليه السلام ومن شدته وقوته أنه قلع قرى قوم لوط
من الماء ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان
هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع من رجع الطرف ورجل مرير أي قوي ذو
مرة والمريرة العزيمة قال الشاعر

ولا أنثني من طيرة عن مريرة ... إذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا

قوله بفطر الفطر بفتح الفاء وسكون الطاء الشق وضده قوله تعالى يوم تشقق
ويوم انفطرت بالوجهين في الواحد منهما لغتان كالشعر والشعر والنهر
والنهر وفي المصباح أن الفطر بالسكون مصدر وبفتحتين اسم مصدر وشعر وبالضم
وبالضمتين يقال انفطرته وفطرته به وفي تفسير الفخر واعلم أن الفطر شق
الشيء دقيق لشقه أو عمود وما أو طلب مرتع وقد يقال لكل شاخص لشبح كما هي
وهو مراد هنا بقرينة قوله أوده وبها يقال أوده وقال رأي ملك بفطوره وأودى
به الموت أي ذهب به وهو هنا كناية عن شدة النصب قوله في الغسق
هو بالتحريك ظلمة أول الليل وغسق الليل يغسق من باب ضرب غسقا وغسقانا
أظلم وقوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب قال الحسن أي الليل إذا دخل
وأقبل ويقال أيضا القمر وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت عينه إذا امتلأت
دمعا والله أعلم الاعراب والتصريف قوله وهب لأبيض
إلخ هب فعل أمر محذوف الفاء لا يتصرف بل يلزم صيغة الأمر وهو ينصب مفعولين
والأول مفعوليه هنا إبراز ثانيهما تتعلق الكلام قبله ومعناه احسب واعتقد
وقوله وأنتما متنا معطوفان على المفعولين قبله وثانيهما نعت لمثل وجملة ما
خلا عن قصر ونعت ثان لأجل هذا قبله وألف خلا منقلبة عن واو وتكتب بالألف
والقصر ومثنا مضروميموا في شرح وصلاته قوله قبل الكفر حملنا في أعلم أن
هنا بحثين أحدهما أن هذا التركيب البديع الذي بدأنا به في منزلة التمييز شأنه
أن تكون الجملة الثانية منه استئنافية كما تقول هب أن زيدا قام ثم الكوفة
لم يأت بما يدل على حال أو فرائد وفي أنه يقع الجارية أن الورقة فلا أو
لعمر رضي الله عنه هب أن أبانا كان حمارا اليس الأم تجمعنا مرا وجد

زعم أبا فنان ل

نام

الكلام الذي لا يكاد يعرى عن غيره والثالث انه اتى بالجملة الثانية المعادلة لما بعد خبر بقي
فان قلت ما في قوله فما الكفر نافية وليست باستفهامية البحث الثاني ان
الفاء في قوله فما الكفر يمتنع ان تكون للعطف لان الخبر لا يعطف على الانشاء
على الصحيح ويمتنع ان تكون للسببية المحضة لان ما بعدها لا يصلح ان يكون
علة لما قبلها لانك اذا قلت اعتقد ان هذه النون لها قوة وصح على التشبيه
لان النساء اللاتي عليهن اللام ثم كان غيره قلتم وحينئذ فلا تخلص من هذا
الا ان يقال انها الثالثة ان تكون عاطفة الخبر على الانشاء تبعا لمن يقول
بجوازه وهذا ضعيف او يقال وهو الصواب انه راعى في الكلام جانب المعنى
دون اللفظ لان قوله ومن لا يؤمن ايها السبتيين في تأويل قولك نسلم ان هذه
النون لها قوة وهذه دلالة على قراءة السين ولا نسلم ان الكفر كذلك فليس
العطف في الجملة الاولى على هذه ولا هو مقصود من الكلام كما هو واضح
وقد قرر الزمخشري وتبعه ابن هشام في المغني نحو هذا في قوله تعالى في البقرة وبشر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات عطفا على اعرفت الكلام بين فانكروا فان
قلت اذا كان الامر كما ذكرت فما بال الشيخ عطف بالفاء ولم لا عطف بالواو
قلت الفاء هنا فصيحة مؤذنة بان في الكلام شرطا محذوفا تقديره ان كانت
النون لها ذلك فليست الكفر كذلك والشرط يحذف عقب العطف بالفاء كما في
المغني وان كان العطف هنا صوريا فافهم ومن هذا الباب ايضا ومن مراعاة
جانب المعنى دون اللفظ ما ذكروه في نحو علمت ازيد عندك ام عمرو قال ابن هشام في
هذا الكلام هو خبر صورته صورة الاستفهام اخبر انه علمه وانما المعنى علمت
الذي هو عندك من هذين الرجلين واستدل له بكلام سيبويه ثم قال واعلم
ان كلام العرب ثلاثة اقسام احدها ان يكون بحسب اللفظ للمعنى وهو الاكثر
والثاني غلبة اللفظ للمعنى نحو اكثر ان تفرع اجمعوا على جوازه ومنع الاكثرون
اكثر قياما والمعنى واحد لا استعمال ان تفرع على المثنى والمثنى البيه بخلاف
قياما والثالث غلبة المعنى للفظ نحو مسألتنا غلب فيها جانب المعنى وان كان
اللفظ استفهاما وهذا كلام الخبر فيه ما قلعه فانه نفيس وفيه شاهد لما قررناه
والله اعلم قوله فما الكفر ما نافية والكفر خبر مقدم وحملت جملة في محل

النعتين للشعر وما عطف عليه من النون والقاف بل على المنعوت محذوف وتقديره
حملتهما على حذف قوله * وما شئ حقيق بمستقبح * وقوله من مرمل مبتدا
مؤخر ومن زائدة وبالشعر يتعلق بمرمل وجملة أو ذو بقافية الغصن في محل النعت
للشعر والله أعلم ﴿البديع﴾ في كلام الناظم منه اقتباس بشرط بين واير
وبين المتن وقبين وبين الشعر والشعر ويصح أن يكون كلام الناظم من الفن المسمى
بالمذهب الكلامي وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام فهذا الشعر
منكب عليه وبيانه أن الجلاد ربما يقال له بأن النون لا تؤثر فيهما من أوقة
السيف ولا معنى للتعبير عن ذلك مع أن الله تعالى ما خلقهما إلا للانتفاع بهما
بالحمل والسيف ونحو ذلك والله تعالى قد خلق لعامل القوة والقلم ما تقوى به
على تحمل المشاق وكثير ما يشار إلى ذلك بقوله تعالى في وضعها وتحمل أثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فيلام على هذا المعنى ولما كانت
هذه الحجة تحتاج الى تحرير وتفصيل عدل الناظم عنها الى غيرها واجاب بالاغضاء
والعتاب والتسليم في الكلام على طريقة اهل الجدال وانتقل الى حجة لا يجد فيها
الجلاد حيلة ولا مطمعا سوى التسليم والاذعان وهي ان هذه الزعفرة التي
أدمت في النون على سبيل الاجمال لا يمكن احد ان يرى عيبها في الشعر أي النشأ
المحمول الذي عليها إذ الاصل لمن على قدر أو صفة السيف ؛ واللائق لمن على صفة ساقه
المشفقة والعين ؛ لا سيما إذا كثر شراب ؛ ومن ذات الحجاب ؛ فمن نشأ في منبت
التكريم ؛ وتغيير لما في النعيم ؛ كما قال تعالى أو من ينشؤا في الحلية وهو في
الخصام غير مبين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للغلام الذي كان يسوق
بعض نسائه وهن أم سليم كما في الصحيح ويحك يا أنجشة رويدا سوقك
بالقوارير وكنى صلى الله عليه وسلم عن النساء بالقوارير التي هي في غاية
من الرقة لضعفها بنيتهن ورقتهن ولكنهن وهذا من الاشياء ذات البديعة
لأن القوارير من أسرع الاشياء تكسرا فافادت الكناية من الحث على الرفق
بالنساء في السير ما لم تعطه الحقيقة لو قال ارفق بالنساء مثلا فتدبر بان لك
وجه اشتمال كلام الناظم على المذهب الكلامي وهو من انواع البديع وليس
ذلك محصورا في تركيب خاص ولا في صيغة دون أخرى ومن شواهده قول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم ... احكم في اموالهم واقرب
كفعلك في قوم اراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مدحهم لك اذنبوا

يقول لا تعاتبني على مدحة الجفنة الغسانيين الذين هم المنعمين علي كما لا تعاتب قوما اصطنعتهم انت بمعروف فمدحوك ان مدحوك لا يعد ذنبا كذلك مدحي لمن احسن الي واما المعنى الذي اشار اليه الناظم فكثير ومنه قول ابي الطيب

اركابنا الاحباب ان الاذ فعلا ... تكسر المزرود كما تكسر الماء معا
فلا غرو ان حملت عليك النوى ... واضحت منا في الاعنة خضعا

يقول ان فقد ابتعد النوق في مشيكم بمنزل المحبوبة فانها لينة الكيفية بقدة تقيم على الاذى ومن احسن ما قيل في هذا المعنى قول الشيخ الاكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه

* *

ما رحلوا يوم بانوا البزل العيسا ... الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة ... تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى ... شمسا على فلك في حجر ادريسا

(أساءها للغيد والنوق وليس * إساءة بتوبة لم تمحق)

اللغة قوله اساءة للغيد الاساءة ضد الاحسان والغيد بكسر الغين المعجمة جمع غيداء وهي المتثنية اللينة والذكر اغيد والمصدر الغيد بالتحريك وهو التعوق وغيد كفرح مالت عنقه ولانت اعطافه والاغيد من النبات الناعم المتثني والغادة المرأة الناعمة اللينة والشجرة الغضة المورقة والنوق جمع ناقة وقد تقدم قوله بتوبة لم تمحق التوبة الرجوع وفي عرف الشرع رجوع خاص وليس هذا محل بسط الكلام على حقيقتها واركانها وقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة يعني ان معظم اركانها الندم كقوله عليه السلام الحج عرفة والمحق ذهاب الشيء ابطاله والمحق حتى لا يرى له اثر ويقال المحق محقا من باب منع فانمحق وامتحق وامحق الله الربا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه

وفي تفسير الفخر ان الممنون نقيضه ان الشيء الا بعد تمام ومنه الجماع والملال والانقطاع
تعالى اعلم (الاعراب والتصريح) قوله امدكم الاخير جملة من فعل وفاعل
لا محل لها من الاعراب لانها مستانفة والاخير متعلق به وعينه في الامر مضمومة
ولاكنها كسرت لتسلم الياء وللنون وتكون عليه والاول مضمومة في الاصل
ايضا محذوفة الضمة للاستثقال وبقيت الواو ساكنة واللام في المواضع الثلاثة
بمعنى الذي وقوله اسداء لا مفعول مطلق معمول لامدكم وجملة لم تكن نعت له
ونبوية متعلق به فرع عليه المعنى قوله امدكم الاخير انما فصل هذه
الجملة عما قبلها لانها مستانفة استئنافا بيانيا فانه لما وقع التسليم من
الناظم للحمد في ان النون لها فوت وصل على الشيء وكمل مسافيه على الوجه الذي
فرزدا فكان الحمد وساق فقال بقيت اسداء مقصورة على الكثير فكانه
قيل ما هي بنزله امدكم للغير وللنون ايضا ان اسداء تلك قد تعرف ان الجميع
ولم تكن منقادة ورد اخر ويحتمل انه انما فصلها لانها كالبدل مما قبلها فانه لما
تكلم في الكلام السابق بقوله النون وجه ما رجع في ثمرة الحمد انه لم يكن منه اليه
اسداء وكان الواقع في نفس الامر بخلاف ذلك واقتضى المقام التنصيص على شمول
اسداء الحمد للنون ولغيره مما يقتضي تشكيكه ويقطع شغبه ونحو الكشف
اتى بجملة اخرى ادل على المقصود من الاولى واشمل فيما بما تضمنته من التفصيل
والتعميم وكانه اضرب عن الكلام الاول وابدل هذا منه لكونه اوفى بتمام المراد
وابلغ في درء الشغب والعناد. ونظيرها قاله الاول في قوله تعالى واتقوا الذي امدكم
بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فان المراد من الاية الكريمة التنبيه
على نعم الله تعالى والجملة الثانية اعني قوله تعالى امدكم بانعام الخ اوفى بتادية
المراد من هذا التنبيه لدلالتها على النعم بالتفصيل من غير احالة على علم المخاطبين
والله اعلم وانما قدم الناظم رحمه الله الغير في الذكر اعتناء بشانه ولانه
الاهم الذي ترتب على شكره الحمد منوها بالنسبة اليه اعظم وان جل التنبيه على
هذا المعنى وتحقيقه عبر عنه بالغير الذي هو وصف بمقتضى المعرفة والمشاهدة
وحسن الحال على الوجه الاكمل فهو كالعلة في وجه تقديم الاسداء اليه مع انه
معمول لا عامله ومستحق له في المدارج لاشارته ولكنه دل الكتب حيثية

النساء في الهوادج بالنور في الزمن المسموم حيث قال *

سقا الله وحيانا بالله انما * على العيس نور والخدور كمائمه

وما هاجني الا الاشعار مولع في الربا * الى قمرها واجزلت عادته

قال النواجي في معنى البيت الاول انما جعل ابن الكيب النساء نورا او زهرا اشموما بنى على ذلك الزعماء المناسب لهذا التشبيه فقال سقى الله وحيانا بك الله اي سقاك الله وحيانا الله بك فان النور انما تكون نضرته وحياته بالماء ومن جرت عادة الناس ان سيما في مجلس الانس ان يحيي بعضهم بعضا بالرياحين والازهار بان يناول له شيئا منها بمعنى حيانا بك الله جمعنا الله بك على حالة منضورة كما يكون الحال في الرياحين ووقت الانس وانما جعلهن نورا مشتملين وعاء لونهن وكيب ان شبههن ببعض بيان فشبههن بالنور لان المقصود لهن والخلاع انما هو بيت ولا يشتهر التذريع عليهن في الذكر الا الغير وانه نفسه لان ذلك البين بحاله واشتد له عند فقد المحبوبة واختفى مكانه من الحب والسر وكان من حقه ان لا يصرح بنفسه ولكنه غلب عليه الشوق واشتد عليه الوله حتى افشى سره واظهر امره ولهذا اعتذر ان اساءة الحال في لا تكون له توبة جريا على عادة المحبين المولعين والعشاق والمستهترين بمحبوبهم يتوبون المحبوب اذا لم ييأسوا منهم على حال من الاحوال ويوجبون له التوبة العكسية اذا سمح لهم بالوصال ويحكمون على الرقيب بغير ذلك كله ويجعلون له الذمي شرع الشرور وحكم الغرام حسبما هو معروف من عادتهم ومذكور في اشعارهم واخبارهم والا فليس في الشرع والحمد لله ذنب لا تكون له التوبة قال الزمخشري في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب جسيم ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المومن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا ه كلامه رحمه الله واعلم انه كان من حق الناظم ان يقول لا تمحو بدل قوله لم تمحو فيعبر بلا مكان لم وذلك لان غرضه ونفي الحكم

بالرفع في الجواب ومن كعادته لا يجوز ما يقتضي الجزم يشبه بكم حكما يجيء بعده في
الحال ويشترط فيه في الاستقبال وهذا المعنى انما تعين لا لأن ورد لم لأن لم تنفي
الماضي ولا تنفي المستقبل عند الجمهور بتأمله والله اعلم

ولو لم يكن في حلم احنف * والمجد فلي بذا تعلقي
حملت راسك على شبا القنا * مروعا به غداة الابلق

اللغة قوله لو لم يكن في حلم احنف الحلم والمحبة من الكرامة وهي
ميل النفس بفكرها الى ما تدركه حسنه او احسانه ومن ثم الكرامة وهي
نفرة النفس بفكرها عما تدركه قبحه او ضرره وكلام السادة الصوفية
رضي الله عنهم في حقيقة المحبة ومنشاها وثمرتها طويل عريض واحسن كلام
وقع لهم فيها كلام الشيخ ابي عامر البغدادي رضي الله عنه في كتاب المحبة
من الاحياء فلينظر فيه وتقول احببت فلانا فهو محبوب على غير قياس ومن
يقال محب على القياس قال عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

وقد يقال حببته بلا الف احبه بفتح الهمزة وكسر الحاء فهو محبوب وعليه
قراءة ابي رجاء العطاردي فاتبعوني يحببكم الله بفتح الياء المثناة تحت
وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر الا وتشاركه يفعل بالضم
اذا كان متعديا ما خلا هذا الحرف والحلم بالكسر الاناة والفتح تقول منه
حلم الرجل بالضم اذا صار حليما وتحلم تكلف الحلم قال الشاعر

تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

ويقال تحلم اذا حمل نفسه الحلم ونسب به والاحنف والمجد يأتي حكمهما قوله
حملت راسك على شبا القنا شباة كل شيء حده وكذلك ومنه شباة العقرب
لإبرتها والجمع الشبا كما تكون بهم الناظم والشبوات ايضا وشبوة علم
للعقرب لا ينصرف والقنا جمع قناة وهي الرمح وتجمع ايضا على قنوات وقني
كعصي على وزن فعول قوله مروعا به الترويع التخويف والارتياع يقال روعته
فارتاع اي افزعته ففزع وتروع تفزع وغداة الابلق تقدم الكلام عليه
الاعراب والتصريف قوله لو لم يكن جملة مستانفة ولو حرف شرط

يدل على امتناع شيء لامتناع غيره ويكن مضارع كان هنا فهو مجزوم بلم
مجزوم الفعل وفي ليس اسمهما وذا تعلق خبرهما ويجب حذف ما يتعلق به وفيه
تقديم معمول المصدر عليه ويجاب بانه يتوسع في الظروف والمجرورات ما لا
يتوسع في غيرها أو يجاب بان المصدر هنا ليس في تأويل حرف مصدري وصلته حتى
يمتنع التقديم اذ ليس المعنى على تجدد التعلق وحدوثه بعد ان لم يكن وانما المعنى
ان ذلك سجية له وخلق وغريزة فان قلت اذا كان المصدر لا يؤول بالموصول
والصلة لم يعمل قلت ذلك بالنسبة الى غير الظروف والمجرور واما هما
فيكفيهما رائحة الفعل وأتى بالفعل مجردا من اللام لانها فيه للنفي الصفة بركنها
معه وحذفها سيان وشكرا في النسب من المنفي والمقرون وفي مقرونا حسنة
تستعمل في الفصيح من الكلام والمنفي بكسر الميم وفتح الفاء وسيأتي بيان
المنسوب اليه وجملة حملت راسه جواب الشرط وأتى الشيء والفتى كلتاهما
منقلبة عن واو وتكتبان بالياء وانما قال اشباه الفتى بالجمع فيهما قصد المبالغة
في التهويل كقوله

أوعدني بالسجن والأداهم ... رجلي ورجلي شثنة المناسم

فكانه قال لولا انه مجبول على الحلم والتخلق به لحملت راسك على رؤوس الرماح
وقوله مروعا به حال من فاعل حملت وعزاه الأبي في نقوله لاعتماده
على صاحب الحال والله اعلم البديع في كلام الناظم منه حسن التعليل
وهو ان يدعي الشاعر لوصف من الأوصاف علة مناسبة له باعتبار لطيف
غير حقيقي كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعداء انما يكون في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره هذا الشاعر من
ان طبيعة الكرم قد غلبت على الممدوح ومحبته صدق رجاء الراجين بعثته على قتل
اعدائه وهذا المعنى موجود في كلام الناظم فان خافيه من قتل العداة وحمل
راسه على رؤوس الرماح انما هو لكونه لا قدرة له عليه لا لما ذكره من ان طبيعة
الحلم قد غلبت عليه حتى منعته من تناوله بالمضرة والقتل لاكنه اقر عنده
في هذا الأسلوب لما فيه من النكتة الحسنة فلله دره ما الطفه وأعلى همته

وفي كلامه أيضا حسن الاتباع وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخر استحقاقا ومعنى المخترع إما باختصار لفظه أو قصر وزن أو عذوبة لفظ أو تمكين قافية أو تتميم نقص أو تحلية بفن من البديع أو نحو ذلك كاتباع أبي نواس جريرا في قوله

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

فنقل أبو نواس المعنى من الفخر إلى المدح بقوله *

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

فزاد على جرير قصر الوزن وحسن السبك وأخرج كلامه من الفخر إلى المدح وأيضا فإن ذكر العالم في بيت أبي نواس أعم من ذكر الناس في بيت جرير ومثال حسن الاتباع في كلام الناظم هو أنه معنى استعمله مسلم بن الوليد في مدحه ليزيد بن مزيد الشيباني فقال * يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل * فنقله الناظم من المدح إلى التعبير الذي هو البديع وزاد له اللطافة باختصار اللفظ وحسن السبك والتصريح بالحمل على الرؤوس من الرماح الذي هو البديع بالمطلع من جعلها تيجانا لها وإن كان ذلك استعارة ثم تمم هذا المعنى بذكر الباعث على حمل الرأس فوق الرماح وهو الترويع للأمثاله: والتشبيه به لمن خلفه من أشكاله: فجاء في ذلك من الغرابة والرشاقة وحسن السبك وجودة الرصف وبلاغة المعنى ما لا مزيد عليه عندي أن من سمع قوله مروعة بها عذال الأينو نكالا لمن خضع بلاده دولته فما كان أفصح لسانه وأعذبه: وأحلى شعره وأغربه:

ذكر الأحنف والمنقري وحلمهما

أما المنقري فهو أبو علي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم السعدي المنقري قال أبو الفرج الأصبهاني هو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في حياته وعمر بعده زمانا وروى عنه عدة أحاديث وقال أبو عمر بن عبد البر قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وذلك

في سنة تسع فلما رءاه صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا
حليما مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم
المنقري وكان رجلا له قال رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه
يحدث قومه حتى أتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل
ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه
فقال له يا ابن أخي بئسما فعلت عصيت ربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك
ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف
ابن عمك وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة وبعضهم يزيد في هذه
القصة أن قيسا لما رأى ولده قتيلا تمثل بقول الأعرابية التي قتل أخوها ابنها فقال

أقول للنفس تأساء وتعزية * إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقول قيس رضي الله عنه لابن أخيه ورميت نفسك بسهمك مأخوذ من قول الشاعر

قومي هم قتلوا أميم أخي * فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جللا * ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وبعضهم يقول إن الذي قتل ابن قيس كان ابن أخيه أي أخا قيس وليس بصحيح وإنما سرى
إليه الوهم من البيتين اللذين تمثل بهما فظن أنهما له وليس كذلك واعلم أن
محل الاحتجاج لقيس واستنباط منقبته في الحلم من هذه القصة هو أنه لما
جيء بهذا الأمر العظيم لم يحلل حبوته ولا قطع كلامه وأما عدم أخذه بالقصاص
من ابن أخيه فليس له فيه كبير فضل وإن كان له فيه خصوصية من دليل الشرع الذي أشرنا له
ءانفا فإنه إذا اقتص من قريبه فقد جمع على نفسه مصيبتين وإلى هذه المنقبة
العظيمة أشار أبو تمام في بعض مراثيه بقوله

وحلم قيس بالحلية في ابنه * فلم تبغ وجد قيس بن عاصم

ولقيس رضي الله عنه منقبة أخرى في الحلم ذكرها الشيخ أبو حامد الغزالي في
كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من الإحياء قال رحمه الله قيل للأحنف بن
قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل له فما بلغ من حلمه قال بينما هو
جالس في داره إذ أتته خادم له بسفود عليه شواء حار فسقط السفود من

يرمي على ابن له بعقرة فمات من مشية الجارية فقال قيس لبنيه يشكر ورفع منزلة الجارية ابي العتق فقال لها انت حرة لا باس عليك وعن الهيثم بن عدي قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا فكان بعض بنيه يلطمه الرجل من قومه او غيرهم فينهى اخوته عن ان ينصروه واخبار قيس بن عاصم واشعاره وحكمه ومآثره كثيرة فمنها ما حدث به ابن الكلبي عن ابيه قال كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب الشاعر ملاحاة فحمل قيس ثم حمل عبدة دما في قومه فخرج يسأل فيها فحملها فجمع ابلا ومر به قيس ابن عاصم وهو يسأل في تمام الدية فقال فيم يسأل عبدة فاخبر فساق اليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستنفع بما صار اليه وليسرع بها الى القوم فقال عبدة اما والله لولا ان يكون طلبي اياها بعقب من الفعل عارا على لصالحته ولكني انصرف الى قومي ثم اعود فاصالحه ومضى بالابل ثم عاد من غد فوجد قيسا قد مات رحمه الله فوقف على قبره وانشأ يقول *

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء ان يترحما

تحية من اوليته منك نعمة ... اذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

قول

قال الجاحظ كان من ادركنا من اهل العلم بالشعر يقولون ان عبدة بن الطبيب فما كان قيس هلكه هلك واحد البيت ارثى بيت قالته العرب ومما يتعلق بالبيت الذي انشدناه فيما قيس بن عاصم ما ذكره ابن خلكان قال كان للاديب ابي القاسم هبة الله ابن الفضل المعروف بابن القطان البغدادي الشاعر المشهور مع ابي الفوارس سعد بن محمد التميمي الشاعر المعروف بحيص بيص ماجريات منها ان الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين ابي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فقتله فبلغ ذلك ابن القطان المذكور فنظم ابياتا وضمنها البيتين المذكورين وكتبهما في رقعة وعلقها في عنق كلبة لها جراء وارسل معها من يطردها حتى اوصلها الى باب الوزير كالمستغيثة بالورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها *

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى * بفعلة اكسبته الخزي في البلد

هو الجبان الذي ابدى شجاعته   على حرز ضعيفا البأس والجلد

وليس في بدره ما ليريه به   ولم يكن بسواء عنه في القود

فإن نشرت جعيرة من بعض ما احتسبت   دع الابيلين عند الواحد الشمر

اقول للنفس تأساء وتعزية   إحدى يدي أصابتني ولم تُرِدِ

كلاهما خلف من فقد صاحبه   هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

والبيت الثالث ماخوذ من قول بعضهم

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا   من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

قال ابن خلكان وهذا التضمين في غاية الحسن ولم اسمع بمثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء من ذلك **وأما الأحنف** فهو ابو بحر الضحاك وقيل صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس في النسب المذكور في ترجمة قيس بن عاصم التميمي ثم السعدي وهو الذي يضرب به المثل في الحلم وانما قيل له الأحنف لأنه كان أحنف الرجلين وهو أن تقبل إحدى الرجلين بإبهامها على الأخرى وكانت امه ترقصه وهو صغير وتقول

والله لولا حنف في رجله   ما كان في فتيانكم من مثله

قال عبد الملك بن عمير قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت متكرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا صعل الرأس متراكب الأسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلى عن نفسه وكان من سادات التابعين رضي الله عنهم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد الفتوح واستوطن البصرة ووفد على عمر رضي الله عنه المدينة فرفع منزلته وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده الى الاحنف بن قيس قال بينا انا اطوف بالبيت في زمان عثمان رضي الله عنه اذ جاء رجل من بني ليث فاخذ بيدي فقال الا أبشرك فقلت بلى فقال اما تذكر اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك بني سعد فجعلت اعرض عليهم الاسلام وادعوهم اليه فقلت انت انه ليدعوهم الى خير وما اسمع الا حسنا فبلغت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للاحنف فقال الاحنف هذا من ارجى عمل عندي وكان الاحنف سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم روى عن عمر وعثمان وعلي رضي

الله عنهم وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة وشهد مع علي رضي الله عنه
وقعة صفين ولم يشهد وقعة الجمل بل اعتزلها مع أهله وكان سيدا مطاعا في قومه حتى
كان إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف سيف من بني تميم لا يدرون فيم غضب وقيل
له بم سدت فقال لو عاب الناس الماء ما شربته وقال كنا نختلف إلى
قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما يختلف الفقهاء إلى العلماء ليتعلموا منهم العلم
وخلا به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الأحنف والرجل يتبعه فلما دنا من قومه وقف
وقال يا أخي إن كان بقي من قولك فضلة فقلها الآن لئلا يسمعك فتيان قومي فيؤذوك وقال
له رجل والله لأشتمنك شتما يدخل معك في قبرك فقال في قبرك والله يدخل لا في قبري
وأشرف عليه رجل وهو يعالج قدرا له يطبخها فقال الرجل

وقدر ككف القرد لا مستعيرها يعار ولا من يأتها يتدسم

فقيل ذلك للأحنف فقال يرحمه الله لو شاء لقال أحسن من هذا وقال ما أحب أن لي
بنصيبي من الذل حمر النعم فقيل له أنت أعز العرب فقال إن الناس يرون الحلم ذلا
وكان يقول رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه وكان يقول من لم يصبر على
كلمة سمع كلمات وقال في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر ما دخلت بين
اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء يعني الملوك ما لم أدع
إليه وما حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس إليه وقال ما رددت عن حاجة قط
فقيل له ولم ذلك فقال إني لا أطلب المحال وحكمه ووصاياه كثيرة قال الجاحظ
قد ذكروا في الأشعار حلم لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان وذكروا قيس بن عاصم ومعاوية
ابن أبي سفيان ورجالا كثيرا جدا ما رأينا مثل الاسم الذي التحم بالحلم والتصق باللسان ويعمر
على الألسنة كما رأيناه تهيأ للأحنف بن قيس ثم كان مع ذلك من بيتا في الكرم وله
العشيرة ولم يزل له عند الخاصة والعامة وعند النساك والقبائل وعند الخلفاء
الراشدين والملوك المتغلبين والدهماء في حياته ولا بعد مماته إلا مستويا وينبغي
أن يكون قد سبقت له من النبي صلى الله عليه وسلم دعوة وقال المبرد في الكامل
وقد عرضت على الأحنف سقطة في هذا الباب يعني باب الحلم وهي أن عمرو بن الأهتم
دس إليه رجلا ليسفهه فقال له يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه فقال كان من أوسطهم
لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع إليه ثانية فبصر الأحنف أنه من قبل عمرو

وقال ما كان من آل البيت قال كانت له حرمة تمنع منها وتقع الضيعة ولم يكن أحد منهم صلاحا
فلث وكذلك كذلك له سقطات غير هذه منها أنه أتاه رجل فكلمه فقال له لم
تكلمني قال جعلني في حل على أن الكلم سيد بني تميم فقال الشعث بسيدهم وإنما سيدهم
حارثة بن قدامة فمضى الرجل إليه فكلمه فقطع يده فقال الناس إنما قطع يده لأنه
وعلى كل حال فقد كان سيدا جليلا وشاعرا نبيلا وكانت وفاته بالكوفة سنة تسع
وستين من الهجرة وخرج مصعب بن الزبير في جنازته بغير إزار وهو أول أمير منع
ذلك في جنازة كبير رحم الله الجميع بمنه

(فسوف بلا نعم عوفت ولا * أمر خوفت ولا ترد نبو)

اللغة قوله فلا نعم عوفت معوذ عائد على الصفات وأصله المثل السائر وهو
قولهم في الدعاء للمخاطب بالسلامة وتحقيقه نعم عوفت فالعوف البال والشان قاله
الشيباني وقال غيره العوف هنا الذكر قال الراجز *

جارية ذات حر كالنزف * ململم تستره بعوف
يشفي غليل الغرب الملهوف * بالكشف أو يثبت فيه عوف

قوله كالنزف أي كالسنام وقوله تستره بعوف معوز شيء يشبه الإزار والملوف
الخبا في وعلى ذكر العوف فقد قال أبو عبد الله محمد بن داود رحمه الله

يؤمل طالب الدنيا أمورا * يقصر بها العمر في صرف عوف
يعز لرائد أسرار كأنما * يعز إذا انتهى سوء عوف
أيطمع أن يصير بحق حيلا * وقد نصب السراب لأي عوف
ولو رزق القناعة كان حرا * وكان رجاؤه منها رغد عوف
فإن يسند مكسال العيوب * فإن الموت يرفع شر عوف
وما الإنسان في الدنيا وإن تم * يعاجله الردى إلا كعوف

فالعوف في البيت الأول هو عوف بن محلم الشيباني الذي يقال فيه لا حر بوادي عوف
وهو قاتل وقيل هو عوف بن محلم ذاك وهو صاحب عبد الله بن كلام الخزاعي
أحد قواد المأمون العباسي وفي البيت الثاني الحمد والحظ وأتى عوف في الثالث
معناه الجراد وفي الرابع بنت كعب الراعية وبه سمي الرجل وفي الخامس الذكر بفتح
الذال والكاف وفي السادس الضيف قوله ولا أمر خوفت الأمر ههنا نقيض

بقول

يقال أمِن كفرِح أمْنًا وأمانًا وأمَنةً فهو آمِنٌ وأمينٌ كأميرٍ وأمِنٌ ككتِفٍ وهذا أيضا
دعاء على الفاعل وهو مستعمل في كلام من جاء بعد الجاهلية وكان كليب بن ربيعة
أول القائلين لذلك فمر يوما بقبرة باضت في حماه فلما رآها قد رفرفت بجناحيها
وصرصرت فقال لها أمِنَ روعُكِ أنتِ في ذمتي ثم أنشأ يقول

يا لكِ من قبرةٍ بمعمرِ ... خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئتِ أن تنقّري * *

وفي المقامة التبريزية أن القاضي قال له في زيّ زيدًا لك أتبرز في البياض. وتستفرغ
حيث لا إفراغ. اعزب عني لا نعم عوفك. ولا أمن خوفك. فقوله ولا أمن رنعو
يقال أرنع الرجل إذا ارتفع وأسرع أو تملّج فهو مرنع ومرة رنعفا كسفرجل
ويقال ذلنفقا بالذال بدل الراء أي مسرعا قاله المجد والله أعلم. المعنى في
اشتمل البيت على أربع جمل أما الأولى وهي قوله فبسوء لقاء ففيها السببية
المحضة كما في قوله تعالى فصلّ لربك وانحر قال ابن هشام وقد تكلم على فاء السببية
المحضة ما نصه ويجب حينئذ أن يحمل على ذلك مثل إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ونحو ائتني فإني أكرمك إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر ولا العكس في غير
استفهامها فيشملك عفو وزيادة تفضله. فإن قلت السببية في الآية ظاهرة لأن
الأمر بالصلاة والنحر يحسن ترتبه على كرامة الله تعالى لنبيه عليه السلام
بالكوثر ولا كذلك هنا إذ لا معنى لتسبب الأمر بالتبرز على التعيير ودوام ترتبه عليه
قلت الأمر هنا ليس على حقيقته التي هي طلب الفعل على سبيل الاستعلاء وإنما
هو تهديد بإتيانها في صيغة افعل إذا استعملت في مقام يقتضي عدم الرضى
بالأمور كانت للتهديد كما هنا وكما في قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون
بصير. فإن قلت إذا كان المقصود من الأمر هو التهديد فلم لا يجوز أن يراعى جانب
المعنى دون اللفظ وتكون الفاء عاطفة. قلت مراعاة جانب المعنى دون
اللفظ قليل بالنسبة إلى العكس ولا ضرورة تدعو إليه هنا والذوق لا يساعد
عليه ويحتمل الجواز والله أعلم. وأما الجملة الثانية والثالثة أعني قوله
فلا نعم عوفك ولا أمن خوفك فهما معترضتان بين الجملتين المتعاطفتين في صدر
البيت وعجزه والفاء الداخلة عليهما اعتراضية وفيهما معنى السببية

لأن ما قبلها وهو السوء علة لما بعدها وهو الرعاية بالمكروه وتحتمل الفاء
الزيادة لأن المعنى لا يختل بدونها وتعرف عبارة الحريري أعرب يعني للأنعم بعرفه
وهو أملح من أبيات اللص الشاعر قبيح ومن يفتري به في هذا الدعم وقد أثبت هذه
الفاء غير لمن يفتري به من الأدباء قال العماد الكاتب للقاضي الفاضل
الفاضل البيساني وقد ركب فرسا سر فلا كبا بك الفرس فأجابه القاضي الفاضل
بقوله دام علا العماد وهذا الكلام الذي جرى بين هذين الفاضلين من البديع
المسمى بالقلب وبعضهم يسميه ما لا يستحيل بالانعكاس وهو أن يكون الكلام في
حيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير ثم الذي قبله إلى الأول كان الحاصل هو هذا
الكلام بعينه وأما الجملة الثالثة فهي معطوفة على التي قبلها لما بينهما من
التوسط بين الكمالين وأما الرابعة وهي قوله ولا تزر نفسهم فهي معطوفة على
جملة بسوى أن الثبت وما بينهما اعتراض كما مر والله أعلم **البيان** إسناده
بفعل النعمة إلى العقول وفعل الأمر إلى الحقول كلاهما من المجاز في الإسناد المسمى
بالمجاز العقلي إذ الناعم والآمر فاعلهما بعضهما ونظيره قولهم جد جده وقوله
تعالى فهو في عيشة راضية وأما الراضي فاعلها **البديع** في كلام الناظم
الجناس المضارع بين العقول والحقول إذ لم يتفقا إلا في حرف واحد وهو الأول
من كل منهما ومع ذلك فالحرفان متقاربان في المخرج وما كان بهذه المثابة فهو
الجناس المضارع ومنه قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله صلى
الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير وقول الحريري بيني وبين كني
ليل دامس وطريق طامس وفي كلام الناظم أيضا التسميط وهو أن يجعل الشاعر
أجزاء البيت فيجعله أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت
كقول مروان بن أبي حفصة

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا　　أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

قال ابن أبي الإصبع ما خالفوا بين قافية البيت وأسجاع التسميط إلا لتكون
القافية كالسجع والأجزاء المسجعة بمنزلة حشو القافية لأن السجع يجمع حشو القافية
ولا يخفى وجود هذا المعنى في كلام الناظم بل بيته أحسن من بيت مروان المستشهد به
لأن مروان إنما راعى الموازنة بين الفقرات الثلاث والناظم راعاها بين حروف النفي

القافية

الثلاثة وبين الكلم المتخللة لعاصم فانضم الى ذلك من جزالة اللفظ وحسن
السبك وقصر الوزن وفوق كل ذي علم عليم

(وقد غدا يسرق بعضها بعضا * منا ولو جئنا بغير شي)

اللغة قوله ودع معناه اترك قال في المصباح ودعته ادعه ودعا تركته
واصل المضارع الكسر ومن ثم حذفت الواو ثم فتح لمكان حرف الحلق قال بعض
المتقدمين وزعمت النحاة ان العرب اماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل
وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن ابي عبلة ويزيد النحوي ما ودعك ربك وفي قراءته
صلى الله عليه وسلم ما ودعك بالتخفيف وفي الحديث لينتهين قوم عن ودعهم
الجمعة اي تركهم فقد رويت هذه الكلمة عن افصح العرب ونقلت من طريق القراء
فكيف تكون اماتة وقد جاء الماضي في بعض الاشعار وما هذه سبيله فيجوز القول
بقلة الاستعمال ولا يجوز القول بالاماتة وقال في الصحاح وربما جاء في ضرورة
الشعر ودعه فهو مودوع على اصله قال

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

وقال خفاف بن ندبة

اذا ما استحمت ارضه من سمائه * جرى وهو مودوع وواعد مصدق

اي متروك لا يضرب ولا يزجر قوله يسرق بعضها بعضا السرق تقدم والبعض
الطائفة من الشيء والجزء منه يقع على القليل والكثير والنصف فالثمانية
بعض من العشرة وكذلك الخمسة والثلاثة قال ثعلب اجمع اهل النحو على
ان البعض شيء من شيء او من اشياء وهذا يتناول ما فوق النصف كالثمانية فانه
يصدق عليها انها شيء من العشرة كذا في المصباح ويشهد له قول الشاعر

داينت اروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وادت بعضا

وفي شرح ابن ادريس على الملحة فانقه وعن الكسائي وهشام ان بعض الشيء لا يقع
الا على ما دون نصفه ولذلك منعا ان يقال بعض الرجلين لك اي احدهما لك
واما قول الشاعر * لنعم البيت بيت ابي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا
فلا يرد لان الكلة التي يتقى بها البعوض وتسمى عند المغاربة بالناموسية
نسبة الى الناموس الذي هو البعوض وبعضا الاول معناه الطائفة من القوم

زمن البناء ل

نام

والقرض الذي من القروض يقال اقرضته القرض قرضا اذا اعطيته واصل
القرض القطع ومنه اشتق القرض الذي هو من الجزاء والقروض قاله في الكشاف
ويطلق به القطع والقضب وسمي ايضا بمعنى القطع قوله فقرضنا ولو جعله
الرفو القرض وان الولوج الدخول ولج الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجا دخل
فيه واولجته ايلاجا اذا ادخلته وقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل يزيد من هذا في ذا وما نقص من هذا والتولية بكسر التاء وغيرها مثله من الرجال
قوله برغم انف والوعر الصعب وزنا ومعنى ومنه جبل وعر ومطلب وعر ضد السهل
وقد وعر انكار تكرم وفرح ووعر وعرا ووعورا ووعورة صعب مسلكه واوعر
القوم اذا وقعوا في وعر والضيق ضد السعة يقال ضاق الامر ضيقا كباع بيعا
والاسم الضيق بالكسر وقرئ قوله تعالى في ضيق مما يمكرون بالوجهين فهو ضيق كسيد
ويجوز تخفيفه كما في ميت وليس ونحوهما وهو صفة مشبهة اذا اريد به الثبوت فاذا
اريد الحدوث قلت ضائق ومنه قوله تعالى وضائق به صدرك والله اعلم الاعراب
والتصريف قوله ودع جملة معطوفة على جملة سق البيت قبله والفعل
مجزوم الباء وقد تقدم الكلام على تصريفه ومفعوله محذوف تقديره ودع السوق
فان قلت امر بالسوق وهنا نهي عن تركه فما وجه التنافي قلت المامور
بفعله سوق مطلق والمنهي عن تركه سوق مقيد بالليل فلم يقع تناف ولو جعله في
ولا تنافي بين مطلق ومقيد وايضا فان الامر بالسوق ليس امرا حقيقيا وانما
هو تقرير لما مر وقوله يسوق بعضها بعضا جملة مستانفة ولو جزم الفعل
في جواب الامر لصح وقرئ قوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله بجزم تاكل على
انه جواب الامر ورفعه على الاستيناف او على انه حال ومثل النافية ذكره
ابن عطية ومثل عبارة الناظم قول الشاعر *

وقال رائدهم ارسوا نزاولها * فكل حتف امرئ يجري بمقدار

فقوله نزاولها مرفوع على الاستيناف لان الغرض منه تعليل الارساء بالمزاولة
فكانه يقول ارسوا لاجل ان نزاولها وكذا قول الناظم ودع يسوق بعضها بعضا
اي اترك السوق لاجل ان يسوق بعضها بعضا في زمن كذا وعن الظهر بمعنى
وسوق بعضها بعضا كناية عن كون سيرها متتابعا فيفهم اخر منها او لها

وذلك أن يؤتى بما يخالف ما لو جعلهما الفعل وتوكي سوقهما بتشبيه في الكلام
الوعير فإذا ما تردد بهم ويركب بعضها بعضا من غير ما سلكت او عكسته ثم الغرض
الاحما للناظم من ترك السوق بالكلية ان انه لما علم من حال الحاد انه
لا يساعده عليه تعليله بانه قد شارك الدخول في الوعير وشبه له بعض الهير
وقوله مفردا ولو جمعا في جملة مستأنفة والفاء سببية علة لمقدر كأنه قيل
ولم اخترت ان يشير بعضهما بعضا فقال لانه مفرد ولو جمعا وقوله من غير
متعلق بلوح وبالواو كزوبية ومن نعت لمحذوف اي بكلام وقوله غير نعت بعد
نعت وفي التعبير بهذا الاعراب حل ما يحتاج اليه الناظم من نكت المعاني ودفع
التشبيه على ما فيه من ايجاز لحذف عنه حذف مفعول دع ومنعوت غير ومعمول
قوله مفردا وفي اتيانه بغير بعد من حرف من الايغال وهو من نكت الاطناب
وبعضهم يلحقه بالتذييل وحقيقته ان يختم الشاعر البيت بما يفيد نكتة يتم
المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء *

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فقولها كأنه علم واف بالمقصود اعني التشبيه بما يهتدى به لكن في قولها
في رأسه نار زيادة مبالغة وكذا قول الناظم مفردا ولو جمعا بعد غير كاف في
المقصود من التنبيه على معرفة الفكار الذي شارك الدخول فيه ثم لم يكتف
الناظم بذلك حتى زاد قوله غير منكر القافية اي تكريرها او غلق المعنى الذي قصده
بها لا مزيد عليه وقد حكي عن الاصمعي انه سئل عن اشعر الناس فقال الذي يأتي
الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج
اليها افاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفحل للابواب المعاني وهو
امرؤ القيس حيث قال * *

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ومثله قول زهير * *

كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس تم عند قوله الجزع وزيادة المعنى في قوله الذي لم يثقب
وكلام زهير تم عند قوله حب الفنا وزيادة المعنى في قوله لم يحطم ويشبه

الناظم لا يفهم من ابيات هؤلاء الفحول ومن الابيات الذي يقضى من حسنه
وبديع معناه العجب ما اتفق للعلامة اللغوي ابي بكر ابن القوطية الاندلسي من ابيات
رائقة يصف فيها الورد والسوسن فقال وابدع

فمن يفضلنهما على الورد الذي نعما * ويا كرم السوسن الغض الذي نجما
كأنما ارتضعا خلفي سما فهما * فارضعت لبنا هذا وذاك دما
فيشا فد كفر الكافور ذا وفد * عم العقيق احمرارا ذا وما كلما
كأن ذا الكلية نقت بمعترض * وذا احمر غداة البين فد لثما
اولا فذا الحاء انابيب اللجين وذا * جمر الغضا حركته الريح فاضطرما

فانظر الى ما ختم به البيتين الاخيرين من الايغال البديع ترى العجب والله الموفق
ثم اعلم ان في قول الناظم فرد نا ولوجها اشارة دقيقة ورمزا لطيفا
الى انه قد فارق الخروج من الموضوع الذي كان فيه وهو قضية الجمال في شان
النور وعزم على الدخول في موضوع اخر وهو ذكر المحبوبة التي هي المقصود
بالذات ووصفها بما يليق بها من الصفات :: واكد هذا المعنى بما ذكره بعد من كونه
يتقي مدابر الجمال وفي ذلك نوع من حكم منزلة الجمال عند وقوع المحبوبة والقدرة
على نيلها اذ منزلة المرابر اخفض لانهم من منزلة الجمال بلا نزاع واذا كان كذلك
فلم يبق فائدة لحماية الجمال ولا الاشتغال بها ورثيه ومنازعته اذ الناظم
قد ظفر بالمقصود او كاد :: حيث صار للمحبوبة من اكبر الادلة والرواد ::
وهذا المعنى الذي اتفق للناظم هنا اخص مما ذكروه في حسن التخلص الذي هو
ان ينتقل من معنى الى اخر مع رعاية المناسبة وما احق هذا الذي اتفق للناظم
بان يسمى براعة التخلص وهذا كما فرقوا بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال
بان الاول يشترط فيه ان يكون في اللفظ حسن السبك صحيح المعنى والثاني
يشترط فيه ذلك ويزيد بكونه مشعرا بالمقصود فاعلم ذلك فانه دقيق
وقد ارتبط الكلام في هذا البيت بعضه ببعض فلم نر ان نفصله والعجب سهل والله
الموفق ولتتمز دائرا فانني

ولتتمز دائرا فانني * ذو خبرة بمثيلات الكثر
ان غردت علقتها والربا * جمعتنه من ذهب وورق
او صدت اوردتها من دمعي * نهر الابلة ونهر جلق

اللغة قوله ولتتخذن رائدا الاتخاذ الاقتناء والافتناء ونحوهما وقد يرد
للتصيير فمن الأول قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه ومن الثاني قوله
تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا اي صيره خليلا ومنه قامتنا واعلم ان الاتخاذ
وهيئا تصرف منه فاوله تاء افتعال من تخذ يتخذ كعلم يعلم بمعنى
أخذ وقرئ قوله تعالى لتخذت عليه أجرا بالوجهين أعني ثلاثيا ومن يرى على افتعل
ثم ادغمت احدى التاءين في الأخرى فقال ابن الأثير والتيسر الاتخاذ من اخذ
في شيء فان الافتعال من الأخذ ائتخذ لان فاءه همزة والهمزة لا تدغم في التاء
خلافا لقول الجوهري الاتخاذ افتعال من الأخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة
وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله بلفظ الافتعال توهموا اصالة التاء
فبنوا منه فعل يفعل واهل العربية على خلافه وأشار ابن المرسل في كتاب الكلا
يقال راده فلان الكلأ يروده رودا وارتاده ارتيادا اذا طلبه وقولهم في
المثل لا يكذب الرائد اهله اي انه وان كان كاذبا فينبغي له ان لا يكذبهم فانه
ربما اهلكهم واما الكلأ الذي يطلبه الرائد فهو العشب الذي ترعى وذكر ابن
خلكان ان ابا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفة المعتصم بالله كان في اول
امره من جملة الكتاب وكان احمد بن عمار بن شادي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم
كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم
ما الكلأ فقال لا اعلم وكان قليل المعرفة بالأدب فقال المعتصم خليفة امي ووزير
عامي وكان المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال انظروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد
ابن عبد الملك الزيات فادخلوه عليه فقال له ما الكلأ فقال الكلأ العشب
على الاطلاق فان كان رطبا فهو الخلا فاذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم
انواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده قوله فانه
ذو خبرة الخبر بالضم والخبرة بالكسر العلم واصله الامتحان ثم اطلق على
العلم لكونه ناشئا عنه يقال خبرت الشيء واخبره خبرا بالضم اذا بلوته
كاختبرته اختبارا والاسم الخبرة بالكسر قوله بغمائم الكرب اي مغلقاتها
من قولهم اغمت الباب اذا اغلقته والغم اذا كتمته واستبهم الامر اشتبه
والكلام استعجم فلم يفهم والكرب جمع كربة وهي معروفة تذكر لغة نحو وزنه

وتؤنث في لغة الحجاز ومثل ذلك السبيل والصراط والسوق ومن التذكير قوله
تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا قوله اذ غرثت الغرث بالتحريك الجوع
وقد غرث بالكسر يغرث فهو غرثان من قوم غرثى وغراثى بكسر الثاء وفتحها مثل
حيارى وامرأة غرثى ونسوة غراث وامرأة غرثى الوشاح دقيقة الخصر لا يملأ
وشاحها وبذلك غرثان قوله علفتها والرجل يقال علفت الدابة علفا من باب
ضرب اذا قدمت اليها ما تعلفه من تبن وشعير ونحوهما واسم ذلك المعلوف علف
بالتحريك والجمع اعلاف وعلاف وعلوفة وقول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها

برير وسقيتها ماء قوله مرد منه وورد الزمب معروف والورد بكسر الراء وتسكن
تخفيفا الثغرة المضروبة وقرئ قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه بالوجهين
ويقال في الورق رقة كعدة والهاء عوض من الواو ويجمع على رقين كسنين ومنه المثل
ان الرقين تغطي افن الافين اي وجدان المال يستر مقابح الرجال ويجليهم بحلية
الكمال قوله او هزيت الهزي بفتح الهاء مقصورا العطش وقد هزي يهزى هزى
من باب فرح فهو هز وهزي وهزيان وامرأة هزيا وقوم هزاء مثل عطاش وزنا
ومعنى قوله اورده نما الإبراد هو اف صرار ومنه اذناء الابار ونحوهما من الماء
والورد ضد الصدر ومنه مشارعة الماء والورد الذي هو الحمى دخلة اولى بدخلة وورد البعير
الماء ورودا والاسم الورد بالكسر والمورد موضع الورود والابلة وجلوى يأتي
الكلام عليهما الاعراب والتصريف قوله وللتعدية رابعا جملة معطوفة
على جملة دع في البيت قبله والكلام في دخولها على بعض الخطاب المبني للفاعل
كما هنا قليل استغناء عنها بصيغة افعل فالبرا ومن لغة ردية وقال الزجاج
انها جيدة ومن دخولها على الثلاثي قراءة عثمان وابي وانس رضي الله عنهم فبذلك
فلتفرحوا وفي الحديث ولتاخذوا مصافكم واصل هذه اللام الكسر وتسكن بعد الواو
والفاء تخفيفا كما هنا وهو ان يقع من بعدها على الكسر قوله وللتعدية رابعا
بعض من افعال التقسيم ينصب مفعولين اي اجعلني رابعا ودليلا لك والياء بعد
رابعا يجب ان تعرى من النقط لانها هي صورة الهمزة قال الحكم زي تعلم الياء بعد
فاعل وتابع عابر قال ومرة في بعض نسخها ابا الفتح بن جني ان ابا علي الفارسي

وقد علّ وجلّ من المتسمّين بالعلم بماذا يشير به جزء مكتوب فيه فأتى منقولة
بنقل كثير من نحتها فقال الإبو علي لذلك الشيخ هذا أخلقه من قال أخيّ فلا تبعث
أن صاحبه وقال فإن اغفلنا عكسوا ثنائي في زيادة مثله وخرج من ساعته قوله
فأنت ذو خبرة الفاء سببية والجملة مستأنفة إذ لا يعطف الخبر على الإنشاء
ولا العكس كما هو مذهب سيبويه أو ذو التي بمعنى صاحب وزنها فعل بالتحريك
ولامها ياء وهو مذهب الخليل أو وزنها فعل بالإسكان ولامها واو من يافوت وقال
ابن كيسان يحتمل الوجهين معا والراجح مذهب سيبويه قوله بمثلها أي الكبرى
من إضافة الصفة إلى الموصوف قوله إن غرت عليهما شرط وجوابه والجملة
مستأنفة لا محل لها من الإعراب قوله ولو بما جمعته في لو هنا شرطية استقبالية
بمعنى إن وهي هنا للغاية في التقرير على كل ما شملها من فعل الشرط وجوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه والتقدير ولو كان التعلق بما جمعته من ذهب وورق لغلبته
به وفي الكلام مبالغة ونكتة هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمان
ابن عوف أولم ولو بشاة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأمة ثم إن
زنت فبيعوها ولو بضفير ومن ذهب وورق بيان لما في محل نصب على الحال منها
أو من ضمير ما المنصوب قوله أو هربت أو ردتها شرط وجوابه أيضا والجملة
معطوفة على جملة الشرط قبلها من قوله إن وأو هنا للتفصيل ومراد نفي
متعلق به ومن ابتدائية وضمن الإبلة مفعول ثان لأوردتها وضمن حلو مكسور
عليه وتحريكه للضرورة ولا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية أصلا وإنما ذا الا
في المعرب وفذ من الكلام في ذا الله والله أعلم **المعافى** قوله ولتمنزه
إن هذا إلخ هل هذه الجملة بجملة البيت السابق لما بينهما من التوسط بين الكمالين
والطلب هنا يحتمل أن يكون من باب الالتماس لأن مرتبة الناظم والعادي متساوية
في نفس الأمر ويحتمل وهو الأقرب أن يكون أمرا حقيقيا بأن من بيته وبين غيره يكون
الأمر منه على حقيقته والأصوليون يسمون مثل هذا الطلب إرشادا لأن المصلحة
فيه دنيوية قوله فأنت ذو خبرة هذا الكلام علة للاتفاق والعلية مستفادة
من الفاء وإن وقعا والجملة انفردت كهي في الدلالة عليها من أن إذ الفاء فوق السماع

واعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كل ما قدرا

ومن انفراد ان قول الاخر

إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن * خطاك خفافا إنّ حرّاسنا أُسْدا

بنصب أُسْدًا على انها ناصبة للجزءين ومنه ايضا قوله تعالى اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم ونحوه في القرآن كثير بل لا يكاد يجمع فيه بين الفاء وانّ وبه
تعلم انّ ما ذكره ابن مسلم من انّ الفاء في نحو ايتني فانّي اكرمك لا يحسن اسقاطها
فيستفاد عن زيادتها غير جيد وحيث اجتمعتا في كلام فهما تعلقا وثنا على معنى
التعليل وتكونا مرتبا عليه فيكون في الكلام فضل تاكيد وهذا نكتة ما ذكره الزمخشري
في اجتماع الفاء وإذا الفجائية في جواب الشرط في قوله تعالى فإذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا فانكره فان قلت فما ذا الذي حكم والعذر انما دخلها
الزمخشري من كونه ذا خبرين أو لا خبر له قلت هذا من باب اخراج الكلام على مقتضى
الظاهر لنكتة قال في التلخيص وكثيرا ما يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
فيجعل غير السائل كالسائل اذا قدم اليه ما يلوح له بالخبر فيستشرف له
استشراف الطالب المتردد فالناظم لما قدم قوله فقد قلت ولو جئتها بوعد خير
وقال لها ولتتمنى وان لم تنعم الجماد في بعض التشبيه وخطر ببال الرائي ان هذا الكلام
لا يقرّ انه بمنزلة خبره بالكذب ولكنه لم يخرج فيبقى متشوقا لمن يخبر
بذلك مؤكدا ان اعلم الا يعفو الناظم له ذلك وقال انني ذو خبرة ناقة وتنكير
خبرة للتعظيم او للنوعية اي انني ذو خبرة ناقة لنسبة الغيم وهذا تعرّض منه
بانه مقاصد حديث شريف بانه والعرب تمدح بذلك والى الكذب للاستغراق
وقوله ان عرفت علامة الجمل بان الشيء لان المعلوم ان النوق
قد تجوع وقد لا تجوع وقد تعطش وقد لا تعطش لما علم من حال الابل من انها تصبر
وتمشي سايرة وتشرب ومتى سايرة فلا تروح مع المساء الا وقد ملأت اجوافها
مما تحتاج اليه من علف وماء وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث اللقطة
دعها فان معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتاكل الشجر حتى يجدها ربها
قال الزرقاني في العبير لما كانت الابل مستغنية عن الحافظ والمتعهد وعن النفقة
عليها بما ركب في طبعها من الجلادة على العطش والحفاء عبر عن ذلك بالحذاء
والسقاء مجازا نعم قد تتوسط في سيرها مفازة بيداء ليس فيها شجر ولا ماء

فتحتاج

فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بشأنها فقد بان بهذا أن جزمها وعكسها كلا منهما
مشكوك فيه ووضح التعقب بأن الدلالة على ذلك قد رفعت عن الفعل الموافق
فيه أن يكون مستقبلا لفظا ومعنى نحو أن يقم زيد يقم عمرو فما باله عبر
بالماضي لفظا قلت كأنه ابن زغبة اعتمد في تعريف اعتماد القرينة الأسباب
المتأخرة في حصوله فإن جزمها وعكسها وإن كانا مشكوكين لاكن غلبة الظن
من قوة الأسباب في حصولهما والله أعلم قوله ولو لما جمعته في الكتاب
مرجعة أنه أبهم أولا لما الموصولة ثم فسر ثانيا بمن ومجرورها والنكتة فيه
إبراز المعنى الواحد في صورتين مختلفتين ويعلمنا رغبة من علم أو ليتمكن ذلك المعنى
في النفس فضل تمكن لما علم من أن ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أوقع في النفس
أو لتكمل لذة العلم به لما لا يخفى من أن نيل الشيء بعد الشوق والطلب ألذ
من المنساق بلا تعب والتنكير في ذهب وورق للتكثير وفي هذا تعريض بأنه مقبول
عند الملوك مقبول لديهم مرفوع المنزلة عندهم إذ جمع الذهب الكثير والورق الكثير
إنما يكون في العادة لمن يقربهم والانقطاع إليهم لاسيما في حق الأدباء والشعراء
كالناظم وسيصرح بهذا المعنى عند قوله * ومن أنا إلا ابن ودنا والزهد *
النبت والله أعلم **البديع** في كلام الناظم منه التسهيم ويسمى الإرصاد وهو أن يجعل
قبل العجز من البيت أعني آخر كلمة منه ما يدل عليه إذا عرف الروي كقوله

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلل * وليس الذي حرمته بحرام

ولا يخفى أن أبيات الناظم الثلاثة من هذا القبيل فإن من سمع صدورها أعني
ما قبل الآخر منها وكان ماهرا بصناعة الشعر اهتدى إلى أواخرها وفي كلامه أيضا
التجريد وهو أن ينتزع الشاعر أو الناثر من أمر ذي صفة سواء كان واحدا أو
متعددا أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكمالها فيه كقولك لي من
فلان صديق حميم وقولك لئن لقيت زيدا لتلقين به الأسد ولئن سألت عمرا
لتسألن به البحر وكقول الشاعر

أعانق غصن البان من لين قدها * وأجني جني الورد من وجناتها

ومنه قول الناظم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

من وجه آخر ذكره بدر الدين بن مالك * بقوله ومن لطيفه ذكر المتكلم
والتجريد في كلام الناظم هو أنه جرد من كل مغلقة من مغلقتيه نهرا من الأنهار
المشهورة وهذا هو السر في عدم اقتصاره على نهر واحد لتحصل المبالغة بعد بيت
المغلقتين والنهرين والمبالغة التي يذكرونها في التجريد هي ما تقرر في القول
من أن الأمر المنتزع منه لا بد أن يكون متصفا بالصفة لما تقرر في علمه وانتزع منه
وهذا المعنى موجود في كل تجريد سواء كان بمن أو بالباء أو غيرهما وفي كلامه
أيضا الإدماج وهو أن يضمن الشاعر مثلا كلاما سيق لمعنى معنى آخر على
وجه كأنه غير مقصود كقول ابن نباتة في وصف الليل *

أقلب فيه أجفاني كأني ‖ أعد بها على الدهر الذنوبا

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر ومنه أيضا قول عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ‖ وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ‖ ودع أمرنا إن المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان في ضمن التهنئة بالوزارة والإدماج في كلام الناظم هو أنه
أدمج وصف نفسه بالحب والصبابة في ضمن وصفهما بحسن الرعاية والقيام
على الإبل على وجه عجيب وهو الغريب وفي كلامه أيضا المبالغة وهو أن يدعي
الشاعر لوصف بلوغه في القوة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا
يظن أنه غير متناه فيه وتنقسم المبالغة إلى التبليغ والإغراق والغلو
فإن كان ممكنا عقلا وعادة فتبليغ وهو مقبول وإن كان ممكنا
عقلا لا عادة فإغراق كقوله *

ونكرم جارنا ما دام فينا ‖ ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومن هذا القسم كلام الناظم فإنه ادعى أنه يعلق الشوق ولو بما تأكله من
الذهب والورق ويرده مما هزل منه مثل نضو الذابلة وجلده وهذا مستحيل عادة
وإن لم يكن الوصف المدعى ممكنا لا عقلا ولا عادة فغلو كقول أبي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ‖ لتخافك النطف التي لم تخلق

وهو مردود وفي كلامه أيضا التنكيت وهو أن يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون

غيره مما يستحسن لنكتة ولولا هذا لكان القصر عليه دون غيره خطأ عند أمثال التنزيل كقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى فإنه تعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم لأن رجلا من العرب من خزاعة عبدها فبين أنه تعالى بقوله وأنه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية وكقول الخنساء *

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

ذكرت من بين الأوقات هذين الوقتين لأنهما كانتا تذكرها فيهما لما ابتدأناه من وصفه بالشجاعة والكرم فإن طلوع الشمس للغارات وغروبها للضيفان كما قال ابن حمدون والتنكيت في كلام الناظم متواتر بالغ بخصوص ذكر الأبلة وجلق وإن كان في العالم ما هو أعظم منهما كالنيل والفرات وجيحون وسيحون لنكتة وهي أن من بين الموضعين عيش قد استهما أبيات الأدباء وأنهما من جنان الدنيا الأربع وقد ذكرهما في أشعارهم كما قال حسان رضي الله عنه

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل

وقال شمس الدين ابن ... *

إذا ذكرت بقاع الأرض يوما	فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها إن في سواها	بها ما شئت من دين ودنيا

وقال أبو الحسن علي ... في وصف نهر وأرجائها

تمازج الحسن فيه جليقا	ويغرم السلسال ينسي بردى
يكاد يغشي نورها من اجتلى	ويرعف النور بها من اجتنى

وسيذكر الأبلة وجلق بأبسط من هذا وفي كلامه أيضا الكناية وهي أحد أمثلة التذييل والتلميح والتسجيع وغير ذلك مما يخفى بالتأمل رحم الله الناظم وكتب ثم ها هنا

ذكر نهر الأبلة وجلق وما يتصل بهما *

قال الجاحظ جنان الأرض أربع غوطة دمشق وأبلة البصرة وشعب بوان وصغد سمرقند وكان أبو بكر الخوارزمي يقول قد رأيتها كلها فوجدت الغوطة أكملها وأحسنها ولنذكر بعض ما للناس في هذه الجنان الأربع ونبدأ بذكر

جلق لترجيحهم اياها على اخواتها ثم نذكر الاقرب فالاقرب فمنها أي جلق
بكسرتين مشددة اللام وتفتح دمشق او غوطتها قال صاحب في كتاب القاموس
نزهة المشتاق ومدينة دمشق من اجل بلاد الشام واحسنها مكانا واعدلها
هواء واطيبها ثرى واغزرها مياها واكثرها فواكه واعمها خصبا واوفرها
مالا واكثرها جندا واشمخها بناء ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة وطول
الغوطة مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن وذكر منها عدة ثم قال
وبها جامع قريب الشبه بجامع دمشق ثم قال ايضا ومياه الغوطة الجارية
بها تخرج من تحت الكنيسة ومدار العين في اعلى جبل ينصب ماؤه منه كالنهر العظيم
له صوت مما يراه فلك وبنهر دمشق اعظم يسمى بردى يجري وهو الذي تتفرع
ذكراه في شرح حسنا رونقها وقد تقدم بعض ما فرحت به دمشق وقال القزويني
فرأيت متنزه البقاع الاربع فكانت غوطة دمشق اطيبها واحسنها ولم
ار بقعة احسن منها المزخرفة بالانوار والازاهير وبين غدرانها المعمورة بطيور
الماء التي من احسن من البزارع والكروان والبسر ولم اشبهها الا بجنة ازهى
صورتها مفروشة على وجه الارض وقال الشيخ ابو العباس المقري في نفح الطيب
دمشق الشام : ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام : والادواح المتنوعة
والازواح المتضوعة : حيث المشاهد المكرمة : والمعاهد المحترمة : والغوطة
الغناء : والحديقة : والمصانع التي تحار فيها العين شاشة وحديقة : والاطلال
الوريقة : والانهار العريقة : والزهر الذي تخاله مجمعا والنور ويقه :
والقضبان الملدة التي تثيروا بينها جنة الخلد :

*

بعيث الزهر وهاج الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم

ومن المعربنة المستولية على البقاع : المعززة البقاع : بالفضل والارباع :

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التي راقت بحسن المشارف
لها في اقاليم البلاد مشارق * منزهة الاقطار عن [illegible] مغارب

وقد كان في وضعها ومرجها وفتا الغزال

*

دمشق لدينا سرها سيراما * ويتبع الغيلا سريع الشموس
خلالها رافت لا يصار محسنا * على حكم العموم او الخصوص

لبسطام

بساط زمرد نثرت عليه * من الدنيا فوق أنوار العصفر وقال الع

أيضا أما دمشق فجنة * لعبت بألباب الخلائق

لله فيها الجانب * حيث قد خرقت بدر الحدائق

والغوطة الغناء حيث * حفت بالورود وبالشقائق

والشمس ضاح والنسيم * يمر للأشجار سابق

والكل منها بالغدير أرائك * سرت في الغناء أعلى الطرائق

ولطائف الأزهار * ألقت خير غصن نور رائق

ومزاود الأفكار فيه * كملت بما حرف الحرائق

لا زال مغنانا بما تضمه * ثنا وامنا كل البوائق

وللعز الديري أبي الفرج عبد الله بن أسعد الموصلي في مدح دمشق ونعت كثير قصيدة بديعة يقول في تخلصها *

سقيا دمشق وأياما مضت فيها * مواسم الشيب سارينها وغاديها

ولا تمغربي الأرباب وأنشدها وأما الأبلة فبضم الهمزة والباء وتشديد اللام قال ابن خلكان ومن بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وهو في جانبها ومن جنان الدنيا وأفخر المتنزهات الأربع وحكى أبو بكر ابن القطاع الشاعر من أبناء الحكمي بيتين وهما *

يا طالبا للكيمياء وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم

لو لم يكن في الأرض إلا درهم * ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

ويحكى أنه مدحه بعشرة آلاف درهم فأعطاه فقيل له ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة فأنشده

بك ابتعت في نهر الأبلة قرية * عليها قصير بالرخام مشيد

إلى جنبها أخت لها يعرضونها * وعندك مال للهبات عتيد

فقال له أبو دلف كم ثمن هذه الأخرى قال عشرة آلاف درهم فدفعها إليه ثم قال له تعلم أن نهر الأبلة عظيم وفيه قرى كثيرة وكل أخت إلى جانبها أخرى وإن فتحت هذا الباب اتسع علي الخرق فاقنع بهذه ونصطلح عليها فدعا له وانصرف وقال الشيخ أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب وأما نهر

الأبلة بقرب البصرة وهي إليها مرمى ... من النخيل والأترج والنارنج وسائر الأشجار وفيها من أصناف الزروع وأنواع الخضر ما لا يكون أحسن منه وعليه من القصور المتشاكلة والأبنية الرائقة ما تحار فيه العيون وتسر له النفوس وفيه يقول ابن أبي عيينة

ويا حبذا نهر الأبلة منظرا ... إذا مد في إبانه الماء أو جزر

وقد أتى القاضي التنوخي بذكر نهر الأبلة في قصيدة وصف فيها بعض أنهار [العراق] فقال

أحسن بنهر معقل الذي ... به لقلبي من همومه معقل
عذب إذا ما عب فيه ناهل ... فكأنه في ريق حب ينهل
متسلسل وكأنه لصفائه ... دمع بخدي كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه ... فكأنه درع جلاها صيقل
وكأن دجلة إذ تغطمط موجها ... ملك يعظم خيفة ويبجل
وكأنه ياقوتة أو أعين ... زرق يلاحظ بينها ويؤمل
عذبت فما تدري أماء ماؤها ... عند المذاقة أم رحيق سلسل
ولها بمد بعد جزر ذاهب ... جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها ... من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها آلى السرو ... ر بأنه في غيرها لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس ... والروض حليتهن فيه ترفل
غنت قيان الطير في أرجائها ... هزجا يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت ... يوم الوداع وعيسهم تترحل
ربع الربيع بها فحاك برده ... حللا بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشع ومسهم ... ومكرز ومحبر ومفلهل
فتمل ذا عينا وذا أنفا وذا ... خدا يعض مرة ويقبل

وأما شعب بوان فقال ابن خلكان الباء الأولى منه تكسر وقيل تفتح والثانية مفتوحة الباء مشددة الواو وهو منسوب إلى بوان بن إيران ابن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام وهو عند شيراز من قصبة بلاد فارس قال أبو العباس المبرد كنت مع الحسن بن رجاء بفارس فخرجت إلى شعب بوان

فخرجت

فتنكرت الى نزهة فأخذت على الكافور ورياض كأنها الثوب الموشى وماء ينحدر كأنه سلاسل الفضة على حصباء كأنها حصى الدر فجعلت اطوف في جنباته وادور في عرصاته فاذا على بعض جدرانه مكتوب *

اذا اشرف المكروب من رأس تلعة ... على شعب بوان افاق من الكرب

وألهاه بطن كالحريرة مسه ... ومطرد يجري من البارد العذب

وطيب ثمار في رياض اريضة ... واغصان اشجار جناها على قرب

يرجع عليها الطائر من لون صوته ... بنغمته ما هاجت المحزون في الحب

فبالله يا ريح الشمال تحملي ... الى شعب بوان سلام فتى صب

قال ابو العباس فاخبرت سليمان بن وهب بما رأيت فقال انت ثمت منزلة الانبيا

ليت شعري عن الذين تركنا ... خلفنا بالعراق هل ذكرونا

ام لعل المدى تطاول حتى ... قدم العهد بيننا فنسونا

ان حفظوا اخوة الصفاء فانا ... لهم في الهوى كما عهدونا

ومن ابدع في وصف شعب بوان وانه من فرود الغاية والحسبان ابو الطيب المتنبي وكان قد اجتاز به في طريقه الى ابي شجاع عضد الدولة ابن بويه صاحب فارس فقال من قصيدة يمدح بها ابا شجاع المذكور ويصف الشعب وهي

مغاني الشعب طيبا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وان كرمن من الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها ... على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الشمس عني ... وجئن من الضياء بما كفاني

والقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيرا تفر من البنان

لها ثمر تشير اليك منه ... باشربة وقفن بلا اواني

وامواه تصل بها حصاها ... صليل الحلي في ايدي الغواني

ولو كانت دمشق ثنى عناني ... لبيق الثرد صيني الجفان

يلنجوجي ما رفعت لضيف ... به النيران ندي الدخان

تحل به على قلب شجاع	وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال	يشيعني إلى النوبندجان
إذا غنى الحمام الورق فيها	أجابته أغاني القيان
ومن بالشعب أحوج من حمام	إذا غنى وناح إلى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا	وموصوفاهما متباعدان
يقول بشعب بوان حصاني	أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصي	وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت إذا رأيت أبا شجاع	سلوت عن العباد وذا المكان
فإن الناس والدنيا طريق	إلى من ما له في الناس ثان

ثم تخلص في المديح بما لا غرض لنا في جلبه فقوله ولكن الفتى العربي البيت يعني نفسه وقوله غريب الوجه يعني أنه أسمر وأهل الشعب بيض لأنهم من الفرس وهم عجم وقوله واليد يعني أن سلاحه الرمح وأسلحتهم القسي وقوله واللسان يعني أن لغته العربية ولغتهم الفارسية وقوله طبت فرساننا البيت يعني أن هذه الأماكن استمالت قلوب الفرسان والخيل التي تحتها وقوله ولو كانت دمشق في هذا تفضيل لدمشق على الشعب وقوله لبيق الثرد أي كثير الطعام وقوله يلنجوجي ما رفعت لضيف ما وقعت على الحطب الذي توقد به النار يعني أن هذا الملك يوقد نيرانه للضيوف بالعود المندري فبالغ في الكلام كما ترى ولما نزل عضد الدولة بشعب بوان متوجها إلى العراق ومعه أبو الحسن السلامي الشاعر عرض له قل في الشعب فقد سمعت ما قال المتنبي فيه بعد أن غشيته وعمل في ذلك شعرا فلم يأت بشيء وأما سغد سمرقند فإن قتيبة بن مسلم الباهلي أحد أمراء عبد الملك بن مروان وهو الذي فتح ما وراء النهر لما أشرف عليه من الجبل قال لأصحابه شبهوه فلم يأتوا بشيء فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة وكأن قصوره النجوم الزاهرة وكأن أنهاره المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من حذقه وإصابته وبالله التوفيق *

رفقا بها شبعتها مرادج * عرفنا سماء كل برق شيم

من كل غيداء عروب بضة * زعبوبة عيطاء ذات رونق
خريدة مستورة في زرافة * ومنانة بمثلها نفد المعتنق

اللطفا قوله رفقا بها الرفق تقدم غير مرة وفي الحديث الصحيح من يحرم
الرفق يحرم الخير وفي رواية ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا
يعطي على العنف وما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه
قوله شفعها هوادج الشفاعة الطلب للغير والوساطة له وقال غيره
الدين الشفاعة ان يستوهب احد لك من شيء فان وطلبها من الشفع الذي
هو ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار الشفيع له شفعا وفي
المصباح شفعت في الامر شفعا وشفاعة طالبت بوسيلة او ذمام واسم
الفاعل شافع وشفيع والجمع شفعاء مثل كريم وكرماء قوله هوادج
جمع هودج وهو مركب من مراكب النساء يكون مقببا وغير مقبب قوله عدد
سماء كل بدر السماء معروفة قال ابن الانباري تذكر وتؤنث وكل ما علاك
فاظلك فهو سماء والجمع سماوات واسمية والبدر القمر ليلة كماله
وسمي ليلة اربعة عشر وهو في الاصل مصدر من قولك بدرت القمر بدرا من باب
قتل فهو بدر وبدا رابطا وسمي بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع كانه
يعجلها المغيب ويقال سمي بدرا لتمامه وابدرنا فنحن مبدرون اذا طلع لنا
البدر والشهر المضيء قوله من كل غيداء الغيداء المتثنية لينا كالغادة
وقد تقدم الكلام فيه وقوله عروب العروب من النساء المتحببة التي
زوجها المستعفة التبعل والجمع عرب بضمتين وتسكن الراء تخفيفا وقرئ
قوله تعالى عربا اترابا بالوجهين قوله بضة البضة الرخصة البدن الرقيقة
الجلد الممتلئة وسواء كانت ادماء او بيضاء والذكر بض قال الاصمعي
البض الرخص الجسد وليس من البياض خاصة ولا يكون من الرخوصة اي النعومة
قوله زعبوبة الزعبوبة البيضاء الناعمة قوله عيطاء العيط
بالتحريك طول العنق والذكر اعيط والانثى عيطاء وقال في الكافية
العيطاء الطويلة قوله ذات رونق الرونق رونق الحسن ورونق السيف ماؤه
وحسنه ومنه رونق الضحى وغيره قوله خريدة الخريدة كالخرود البكر

الشيء لم يختبر قال ابن الاعرابي لؤلؤة خريدة لم تثقب قال وكل عذراء خريدة
وقيل الخريدة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة والجمع
خرائد وخُرُد قال المبرد في الكامل وخُبِّرت ان رجلا جلابيا عشق فتية حضرية
فكلما تزوقا على ظهر الطريق بلغه تكلمه فتكثر التحياء منها فقال لها
يا خريدة كنت احسبك عروبا فما بالنا نخجلك وتجمشينا فقالت يا ابن
الخبيثة اتجمشني بالهمزة قوله تخجل بفتح النون وكسر الجيم اي تستحي
وقوله تجمشني من التجميش بالجيم في اوله والشين المعجمة في آخره وهو
المغازلة والملاعبة قوله ممسودة الممسودة المجدولة الخلق الممشوقة
وفي الصحاح جارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم اي الفتل فهي
ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومأرومة قوله رفرافة الرفرافة التي
كان الجلد يخرج وجهها خشنا ورفرافا السراب فلتلألؤ منه اي جلده ذهب
وكل شيء له تلألؤ فهو رفراف قوله ومنانة الومنانة التي فيها فتور
عند القيام كذا في القاموس وعبارة الصحاح امرأة ومنانة فيها فتور
وأناة قوله بهنانة المغنى البهنانة الطيبة النفس والريح او الليّنة
في عملها ومنطقها والمغنى اسم موضع الاغتناء وهو المنزل والمنصر
والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله رقيقا بدلا مفعول
مطلوع تبع بدلا من اللفظ بفعله محذوف عامله وجوبا وقوله شعبهما
مواضح جملة مستانفة او في محل نصب من الاعراب وفيه حذف متعلق اي شعبهما
الشيب وصرف مواضح للضرورة وبعضهم يرى ان صرف هذا الجمع من باب
الاختيار وقوله غيرت سماته جملة في محل النعت لمواضح وغيرت من
اخوات كان محذوفة اللام واسمها ضمير المواضح وسماته خبرها وسماته
سماء منقلبة عن واو وفسر واسم فاعل نعت لبرق قوله من كل غيداء
بيان لكل برق وهو في محل النعت منه وغيداء ممنوع من الصرف نعت لمحذوف
اي فتاة غيداء وما بعدها من الصفات نعوت ايضا واضافة بهنانة
الى المغنى من باب اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها لمجرد التخفيف
لا تفيد تخصيصا ولا تعريفا والله اعلم **المعاني** افاد بمجمل جملة

شعبهما

شعيعهما متوهج من التقى فلهما لما بينهما من كمال الاتصال انقطاع بلا ابطاء اذ
هما وان الانشائية والثانية خبرية وتنكير متوهج للتعظيم وانما جعل الشعيع
من الهوادج فقط ولم يقل شعيعهما بدور ومثلا لان ندرة الافراد من اهل
من ان يتشفع به الى الهادي على سبيل المراقبة فتنكب ذكرهن واقتصر على
الهوادج كونها لهن من الابتذال وهذا كما يكنى عن تحية الملك بتقبيل حاشية
البساط قال المتنبي

تقبل افواه الملوك بساطه ... ويكبر عنها كمه وبراجمه

والذي يرشح لك هذا المعنى هو انه جعل تلك الهوادج سماء وجعلهن بدورا
لما في ذلك من التنويه بعلو الشان ورفعة القدر ما لا يخفى كما قال العباس بن
الاحنف

هي الشمس مسكنها في السماء ... فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ... ولن تستطيع اليك النزولا

وفي قوله من كل غيراء خ الكناية لانه انبهم اولا بقوله كل بدر مشرق وهم
ثانيا بمن وهو بدور وبهما وقد تقدم قريبا وجه النكتة فيه والله اعلم البيت الثاني
الشجاعة هنا مجاز عما اقتضاه حالهن من النعومة والخفر وقلة ما
عليه من رفعة الشان من انه يجب ان يكون في غاية الرفق ويسلك بهن
غاية الادب في السوق كما في الحديث رويدك سوقك بالقوارير ويقرب
من هذا المعنى قول ابن عرف قال

واذا الخطيب اتى بزينب واصلا ... جاوزت محاسنه بالف شفيع

فقد جعل المحاسن شفيعا من غير ان تكون هناك شفاعة حقيقية وفي كلام
هذا الشاعر وكلام الناظم استعارة تبعية هنا فلذا ويحتمل ان تكون
الشجاعة في كلام الناظم على بابها وان وصل الهوادج بانعام فتتم في اسناد
الشجاعة الى الهوادج مجاز عقلي اذ الذي تصدر منه الشجاعة هو صاحبها
ت بين قوله عمرت سماء كل بدر مشرق وفيه استعارة وتشبيه بليغ باعتبارين
مجازها وان يعبر عن الحسنة بالبدور على سبيل الاستعارة المصرحة فلا بد
ان يشبه الهوادج بالسماء وانما قلنا ان هذا تشبيه بليغ لانه قد جمع فيه
بين طرفي التشبيه ولا كذلك الاستعارة وهذا اذا في مشهور قول السعد

ترشيح للاستعارة لأنه يلائم المستعار منه ومن أبلغ من الكلف والجود الا
حسبما هو مقرر في محله ونكتة مبنى الاستعارة قول ابن وهبون رحمه الله في
النافة * فكان في بعدها أرحل مرقد * كف تمسه سما وما البيداء *
وقد وقع لشارحه ابن حجر رحمه الله في تقرير مبنى الاستعارة حكما ولأنكم
والذي الموجود البيت في كلام الناظم منه حسن التخلص فإنه كان
يتكلم مع المادح في شأن الشوق ويتحسر في ذلك ما شاء والكتب فيه غاية
الاكتناف واستوفى الغرض منه على ما ينبغي ثم تخلص منه الى قبر الغزل والتشبيب
على وجه جامع لما اشتركوا في حسن التخلص من رعاية الملائمة بين
المنتقل عنه والمنتقل اليه وزاد بحسن السبك وجودة الرقة وسهولة
المخرج المصحوبة بالرقوق الى المعنى المعروفة بالاستعارة والتشبيه
وغير ذلك من النكت التي قد شرح بعضها واعلم ان مبنى الشفاعة
التي تخلص بها الناظم مثلا أحسن من الشفاعة التي تخلص بها ابو الطيب في قوله
على الامير يدرون في يشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا
بأنه جعل ممدوحه شفيعا لنفسه وسيد المحبوبة وشفيعا له اليها وما فيه الافادة
محضة والمراد يكثر واما شفاعة الناظم فقد علمت على أي وجه ابرزها وفي أي
قالب افرغها فلله دره ما أعلى همته وأوفر حشمته وفي كلامه ايضا الجناس
المضارع بين قوله وعمائمه ومائمه فانهما لم يختلفا الا في الحرف الاول منهما
وانما متقاربان في المخرج وما كان كذلك فهو الجناس المضارع ومنه قوله
تعلق بها ينشر عنه ويتكور عنه وقد قدمت نكتة مبرزا وقد اشتمل كلام الناظم
عملا وهلاي يرجع كلها او جلها الى تعرفة البرق وصفاء النسيم وتفارة
الدمع وغضارة العيش ورونق النضارة ومن احسن ما قيل في ذلك قول ابي الزيد

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

وقال ابو الطيب المتنبي

حسان التثني ينقش الوشي مثله * إذا مس في أجسامهن النواعم *
ويبسمن عن در تقلدن مثله * كأن التراقي وشحت بالمباسم

وقال

وقال الحارث ابن زرياب عمنا والكبا، واعبر الشبا، ذر وارتجنا بهم الرواد ف
ومشربا بعجائز نقد او اسرف * خرائد اعضاد عليهنا المطارف
واحسن من هذا كله قول ابن المعتز يصف امراة اغتسلت ثم ارسلت شعرها
على بدنها * نفضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء

وقد بلت الهواء وقد تعرت · بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها · الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وقامت · على عجل الى اخذ الرداء
رات شخص الرقيب على تدان · فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل · وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقف الركبان الهوادج الخليه * امنات فزع وفرق)
فانني اشجع من بعض * هامي الظعينة لدى وقت اللقى

اللغة قوله وقف الركبان الهوادج الرب بالالف واللام لا يطلق الا على
الله تعالى ويطلق على غيره مضافا وجمعه ارباب وربوب ورب كل شيء مالكه
او مستحقه او صاحبه وربات الهوادج صواحبها ثم قال حسان رضي الله عنه
من النضيرة ربة الخدور * اسرت اليك ولم تكن تسري
قوله الخليه الانجلاء والتجلي الانكشاف والظهور يقال اجلوته فانجلى وجليته
فتجلى والتجلي فيه معنى المبالغة وتجاليتنا انكشف حال كل واحد منا لصاحبه
قوله امنات مزع في الافرض الخوف والاصل فيه ان يستعمل في شكوك القلب
ويتعدى بنفسه لما عنا وفي التنزيل افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون وقد ذا غيرك بالحرف كقولهم امن زيد من الاسد بمعنى سلم
منه والفزع والفرق كلاهما بمعنى الخوف قوله فانني اشجع في الشجاعة
شدة القلب عند الباس وقد شجع الرجل بالضم فهو شجاع وقوم شجعة
وشجعان ونظيره غلام وغلمة وغلمان ورجل شجيع وقوم شجعاء مثل جريب
وجرباء وشجعاء مثل فقيه وفقهاء وامراة شجاعة وقال ابو زيد سمعت
الكلابيين يقولون رجل شجاع ولا توصف به المراة قوله ربيعة هو رجل
يانى خبره وهامي الظعينة لقبا له وقولهم في المثل احمى من مجير الظعن يريدون

هذا الرجل فقوله لدى وقت اللقا يعني وقت اللقاء في الحرب والله اعلم

الاعراب والتصريف قوله وقل لربات الهوادج جملة معطوفة على

قوله رفقا بنا وقوله اخليلي الى اخر البيت جملة في محل نصب محكية بالقول

واللام في قوله لربات الهوادج تسمى لام التبليغ وهي الجارة للاسم السامع

لقول او ما في معناه كما قاله في المغني ونظير هذا التركيب قوله تعالى وقل للذين

لا يومنون اعملوا على مكانتكم واللام في الهوادج للعهد الذكري كما في قوله تعالى فعصى

فرعون الرسول وقوله اخليلي مقول والياء فيه لام الكلمة والنون ضمير الربات

وذات امنات حال منه ويصح في هذا الوصف ان ينصب ما بعده لكونه اعتمد على

صاحب الحال الذي ان يضاف اليه كما اضيف في قوله تعالى هل هن كاشفات

ضره وهل هن ممسكات رحمته وقد قرا ابو عمرو بالتنوين والنصب على الاصل فيهما قوله

فانني اشبع من ربيعة الفاء سببية والجملة مستانفة مرتبة على القول بانه في

وقوله صائب الكعبة نعت لربيعة والوصف هنا بمعنى الماضي فلهذا تعين

بالاضافة وصح جعله نعتا للمعرفة بهذا اذ الوصف فيه بمعنى الاستقبال والاولى

ان يعرب به من هيئة المجرور لانه لقب كقفا بدا الكلب وذا اكل الجراد ومن ذلك

او عطف بيان ويصح فيه القطع الى الرفع او النصب وقوله لدى وقت اللقا

ظرف متعلق باشبع والتقدير فانني اشبع عند اللقاء من ربيعة المعروف بصائب

الكعبة ويحتمل ان يكون متعلقا بصائب اما على جعله نعتا فظاهر واما على جعله

لقبا فبالنظر الى تكعيبه زائدة الفعل والله اعلم فان قلت فما وجه جمعه

بين لدى ووقتا وهما بمعنى واحد قلت لم يظهر لي وجهه غير ان الرضي ذكر

في مبحث الاضافة ان هما قد تكون اضافتهما شبيهة بالجملة وجعل

من ذلك اضافة المؤكد الى المؤكد فالواقع ما يكون ذلك في اسماء الزمان

نحو يومئذ وقد يكون في غيره كما كقول الشاعر

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه * سيرضيكما منها سنام وغاربه

اراد انجوا عنها الجلد لان النجا هو الجلد فهو كلام مخرج كلام التاكيد

عليه ومثله قول زهير

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة * لدى حيث القت رحلها ام قشعم

وحذف الياء من القاضي للضرورة، وأصله القاضون على وزن فاعلون، ووقع القلب
والادغام على قاعدته مبين في محله، والله اعلم. المعنى فيه وصل جملة قل
لربات الهوادج بجملة رفقا بما بينهما من التوسط بين الكمالين، وفيه من الكلام
فيه غنى عن ذلك، وتنكير قرع وقرو للتقليل والتكثير اخر وباب ربعو من ان اجمعه بينهما
تطويل بلا فائدة كقول عدي بن زيد العبادي

وقددت الاديم لراهشيه ۞ والفى قولها كذبا ومينا

فالكذب والمين شيء واحد، ومثل هذا يقال في جمعه بين القرو والوفق، فان الذي
يشهد له القرو ان احدهما كاف في الدلالة على المقصود ولا يحتاج المقام الى اكثر
منه. وقوله فانني استجمع من ربيعة علة في قوله اذا ما قلت لك فاقلت لانني
استجمع هذا، وقد جرى الناظم رحمه الله في هذا البيت على عادة العرب في كون
فتاكهم ولصوصهم كانوا يتعرضون للنساء تعرضهم بعضا وافتخارهم بالتشبيب والنهب
وسبي العذارى لا سيما عند الرحيل والنجعة، وفي شعر ربيعة الآتي ما يوضح لك ذلك
وفي هذا المعنى الذي سلكه الناظم يقول ابن هاني الاندلسي

يا ظبية مردود رفع سجوفها ۞ خوض القنا بالخيل تحت قتام
لو شاء عن الاحباب قلت تجلدا ۞ امقيم على ما تدعي الا عن راي

وقال ابو الطيب

عربية بدوية من دونها ۞ سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ومناصل ۞ وذوابل وتوعد وتهدد

وقال ايضا

حبيب كأن الحسن كان يحبه ۞ فآثره او جار في الحسن قاسمه
تحول رماح الخط دون سبائه ۞ وتسبى له من كل حي كرائمه
ويضحي غبار الخيل ادنى ستوره ۞ وآخرها نشر الكباء الملازمه

فقد وصفها بأشد الحماية والمنعة، وبالغ في غاية النعمة والرفاهية
والدعة، فجعل لها من غبار الخيل سترا ادنى، ومن نشر الكباء اي عود البخور سترا
آخر فلازمها

ذكر ابن ربيعة وحمايته للظعن

فقد ذكر جماعة من العلماء والادباء كالمسعودي في مروج الذهب والاصبهاني
في الاغاني والميداني في مجمع الامثال خبر ربيعة هذا فقالوا وقد قال [illegible]

ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة وهو جذل الطعان بن فراس
ابن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة الكناني ثم الفراسي كان اعز من سار من مضر
المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد
اذ كان هو السبب في قتله كما سياتي وكان من خبره في اصابة الظعن ما ذكره
المسعودي والاصبهاني وغيرهما عن عمرو بن معدي كرب انه دخل على امير المومنين عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه فقال وصف في قبائل اليمن وعنده جماعة الشعراء وكان
في الرخاء وذاكره في الحرب وسلاحها الى ان قال له عمر هل كععت يا ابا ثور عن فارس
لقيته قط قال نعم يا امير المومنين والله ما كنت لاستحل الكذب في الجاهلية
فكيف استحله في الاسلام ولقد قلت يوما لجمع من فتيان خيل زبيد هل لكم في
الغارة قالوا على من قلت على بني البكاء قالوا بعيد على شرة كلب وقلة
سلب فقلت على من قالوا على بني الحرث من كنانة فقد بلغنا ان رجالهم خلوف.
قال فسرنا حتى اشرفنا على قوم سراة فقال عمر وما علمك بانهم سراة قال رايت
مزاود خيل وقدورا مثفاة وقبابا حمرا مزادة ونعما كثيرا وشاء فعلمت ان
القوم سراة قال فلما تيقنت اني امكنهم منه بعدما هرقنا السمن والماء وكان
منتبذا عن البيوت فلما انتهيت الى القبة كشفتها فاذا جارية مثل المهاة
فلما نظرت الي والى الخيل تجول في المراح امعنت الى ردعها بشفته وقالت
وا ثكلياه فقلت ومالك فقالت والله ما على نفسي ابكي وانما ابكي على
اتراب لي في فرق القمر والقنية فاسبين من بينهن وهن بالوادي واشارت الى
واد هناك وكان ذلك مكيدة منها فقلت غنيمة من وراء غنيمة وركضت
فرسي حتى اوفيت على التلعة فاذا رجل جلد اصهب اغلب يخصف نعله والى
جانبه فرسه وسلاحه فلما رايته علمت ان الجارية كادتني بذلك ولما
نظر الي رمى بالنعل من يده ثم استوى على فرسه واخذ رمحه ودفع نحو الخيل لا يحفل
بشيء فتفرقت اليه وكفكفت اشجره بالرمح خفيفا واقبل الي متانيا يسير
هوينا غير مكترث حتى اشرف على الخيل فاذا الخيل حائلة في اكنافه فحمل علي وهو يقول

قد علمت اذ منحتني فاها ‍ وانبعثت ينكره رداها
اني ساحمي اليوم من حماها ‍ يا ليت شعري ما الذي دهاها

فقال

قال فلقيته وأنا أقول *

عمرو على بعد المراد ماضيا ... جاءت الحقاق وقد تلاها

بالخيل يزجيها على رجائها ... حتى إذا حل بها احتواها

ثم حملت عليه وحمل علي فاشتبكنا فكنت أضربه أحذر من غراب ويفر مني
أخف من سنور فوقع سيفه في قربوس سرجه فقصمه وقد قمته حتى هجم
على سمع الفرس ثم ثنى بضربة أخرى فأخطأته وقد زغت عنها فوقع سيفه
على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى عجز الفرس وصرت راجلا فقلت له ويلك
من أنت فوالله ما ظننت أحدا من العرب يجترئ علي قط إلا ثلاثة الحرث بن
ظالم للإقدام والنجدة وعامر بن الطفيل للعجب والخيلاء وربيعة بن مكدم للحداثة
والنبأ من أنت ثكلتك أمك فقال بل أنت ثكلتك أمك من أنت فقلت أنا
عمرو بن معد يكرب فقال وأنا ربيعة بن مكدم فقلت يا هذا إني قد صرت راجلا
فاختر مني إحدى ثلاث إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجل منا
وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه وإن شئت فالسلم وأنت
يا ابن أخي حدث وبقومك إليك حاجة قال ذلك إليك فاختر لنفسك فاخترت
السلم وأخذت بيده حتى أتيت به أصحابي وقد حازوا النعم والسبي
فقلت هل تعلمون أني كععت عن أحد من الأبطال قط قالوا نعيذك بالله
من ذلك قلت فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخلوه فهو غرامة زبيد
فإنه لهذا الفتى والله لا يوصل إليه بكرهه وأنا حي فقالوا إنا لله
من فارس فرس أدركنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة دافعتنا
عنها فقلت لا بد أن تسلموا مالي ولربيعة بن مكدم قال الأصمعي الأليغ في القوم
فقالوا وإنه لمنهم فقلت نعم فردوا جميع ما بأيديهم وسالمته فما جرحه
وأمنت حربه حتى هلك ما أكثر ما ساق المسعودي والأصفهاني والتنسي
في نظم الدرر والعقيان هذا الخبر بالحكاية متقاربة وزاد المسعودي بعد ذلك
عن أبي عبيدة يحدثها لوكم بن يحيى العلاء أن عمرو بن معد يكرب أغار وبعد ذلك بزمان
في عناد بن مر فوجد على شيء كنانة فأخذ غنما لهم وأخذ امرأة ربيعة بن
مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غيره بعيد فركب في الطلب على فرس عري

ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة فلم
يلتفت اليه ثم اعاد عليه القول فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو اما ان تقف
لي واما ان اقف لك فقال عمرو قد انصف القارة من راماها فقف لي يا ابن اخي
فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

انا ابو ثور وفارس الزلق ... لست بخابور ولا بن غرق
اشد في القوم اذا احمر الحدق ... اذا الرجال عمهم خوف الفرق
وهزتي بالسيف مناخ الحلق

حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو لبد لفرسه ومر السنان على
كتف الفرس ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

انا الكناني الغلام لا بزخ ... كم من مغير قد رده اخي فانشرخ

ثم قرع راسه بالرمح وقال خذ هذا اليك يا عمرو فلولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك
فقال عمرو والله لا ينصرف الا احدنا فقف لي فوقف له فحمل عليه حتى اذا
ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ومر السنان على كتف
الفرس ثم حمل عليه ربيعة فقرع راسه بالرمح ايضا ثم قال خذها اليك
يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امراته السنان لله درك
فاخرج ربيعة سنانا من سنخ ازاره كانه شعلة نار فركبه في الرمح فلما نظر
اليه عمرو وذكر طعنتيه بلا سنان قال له يا ربيعة خذ الغنيمة قال دعها
وانج بنفسك فقالت بنو زبيد نترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو
والله لقد رايت الموت الاحمر في سنانه وسمعت صريرا في تركيبه اياه
فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان فرسانا من بني زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب
تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رايت
مثله فكفوا فانصرفوا عنه واخذ ربيعة الظعينة والغنيمة وعاد الى قومه هذا
كلام المسعودي وفيه مخالفة لما مر ان عمرا قال فامر حربه وانفث
حربه حتى سلك فالله اعلم وذكر الاصفهاني بسنده الى ابي عبيدة قال
خرج دريد بن الصمة الجشمي في فوارس من بني جشم بن بكر بن معاوية حتى اذا
كانوا بواد لبني كنانة يقال له الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة

وقع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه دونكه فصاح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك فلحقه الفارس فصاح به وألح عليه فلما أبى أن يكف عنه ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة

سيري على رسلك سير الآمن   سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قرني شائني   وابلي بلائي واخبري وعاينني

ثم حمل على الفارس فطعنه فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به فتصامم عنه فظن أنه لم يسمع فغشيه فألقى الزمام إلى الظعينة ثم حمل على الفارس فصرعه وهو يقول

خل سبيل الحرة المنيعة   إنك لاق دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعة   أو لا فخذها طعنة سريعة

* فالطعن مني في الوغى شريعة *

فلما أبطأ الأمر على دريد بعث فارسا ثالثا لينظر ما صنعا فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه فقال له خل سبيل الظعينة فقال لها ربيعة اقصدي قصد البيوت ثم أقبل على الفارس فقال

ماذا تريد من شتيم عابس   ألم تر الفارس بعد الفارس

أرداهما عامل رمح يابس   قد برزت فيه للحياة يائس

ثم طعنه فصرعه وانكسر رمحه ثم إن دريدا ارتاب وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحي ووجد القوم قد قتلوا فيهم من غير فقال له دريد أيها الفارس إن مثلك لا يقتل وإن الخيل ثائرة بأصحابها ولا أرى معك رمحا وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح فإني راجع إلى أصحابي فمثبطهم عنك فأتى دريد أصحابه فقال إن فارس الظعينة قد حماها وقد قتل فرسانكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم وقال دريد في ذلك *

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله   حامي الظعينة فارسا لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة   ثم استمر كأنه لم يفعل

متهللا تبدو أسرة وجهه   مثل الحسام جلته كف الصيقل

يزجي ظعينته ويسحب ذيله ... متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه ... مثل البغاث خشين وقع الأجدل
يا ليت شعري من أبوه وأمه ... يا صاح من يك مثله لا يجهل

وقال ربيعة في ذلك أيضا

إن كان ينفعك اليقين فسائلي ... عني الظعينة يوم وادي الأخرم
إذ هي لأول من أتاها نهبة ... لولا طعان ربيعة بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة ... خل الظعينة طائعا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابه ... فهوى صريعا لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة ... نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

قال فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم أن أغاروا على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى نسبه فبينما هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه فصرخت امرأة منهن وقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جر علينا قومنا هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها وقالت يا آل فراس أنا له جارة منكم هذا صاحبنا يوم الوادي فسألوه من هو فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي قالوا ربيعة بن مكدم قال فما فعل قالوا قتلته بنو سليم قال فما فعلت الظعينة قالت المرأة أنا هيه وأنا امرأته أنا ريطة بنت جذل الطعان فحبسه القوم وآمروا أنفسهم فقال بعضهم لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا وقال آخرون والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره فانبعثت المرأة من الليل وبعثت بعقبه وقالت

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة ... وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه ... وإن كان شرا كان شرا مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرمح الطويل المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه ... وأهل لأن يجزى الذي كان أنعما

فلا تكفروه حق نعماه فيكم ... ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما

فلو كان حيا لم يضق بثوابه ... ذراعا غنيا كان أو كان معدما

ففكوا دريدا من إسار مخارق ... ولا تجعلوا البؤسى إلى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاودوا بينهم فأطلقوه وكسته ريطة وجهزته ولحق بقومه ولم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك **قلت** وفي هذا الخبر أن زوجة ربيعة ابن مكدم هي ريطة بنت جذل الطعان وهذا ينافي ما تقدم في نسبه من أن جذل الطعان هو علقمة بن فراس وهو جده الرابع أو الخامس ولعلها انتسبت إلى جدها الأعلى فالله أعلم **وكان** من خبر مقتل ربيعة ما ذكره صاحب الأغاني وغيره عن أبي عبيدة قال قال أبو عمرو بن العلاء وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن غنم فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ثم إنهم ودوهما ثم ضرب الدهر ضربانه فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازيا فلقي ظعنا من بني كنانة بالكديد ومعهم ركب من قومهم فلما رآهم بصر بهم نفر من بني فراس فيهم عبد الله ابن جذل الطعان والحارث بن مكدم أبو الفارعة وقال بعضهم أبو الفرعة وأخوه ربيعة ابن مكدم فانهزم عنهم ربيعة يسير في ظعينة فلما رآهم أبو الفارعة قال أما والله إن بني سليم يطلبون ثأرا فيهم فقال أخوه ربيعة أنا أذهب حتى أعلم علم القوم وآتيكم بخبرهم فتوجه نحوهم فلما ولى قال بعض الظعن هرب ربيعة فقالت أخته أم عمرو بنت مكدم أين تنتهي بمنزلة الفتى تعطفه وقد سمع قول النساء فقال

لقد علمن أنني غير فرق ... لأطعنن الطعن ثم أعتنق

وأصبحنهم حين تغشى الحدق ... عضبا حساما وسنانا يأتلق

ثم انطلق يعدو به فرسه وفي القوم فوارس أشجع الكثير فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له في طريق الظعن وانفرد به رجل من القوم فقتله ربيعة ثم رماه نبيشة بن حبيب السلمي أو طعنه في عضده فأتى فلحق بالظعن يستدمي حتى انتهى إلى أمه أم سيار فقال اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز ويقول

شدي علي العصب أم سيار ... فقد رزئت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأدبار

فأجابته أمه

إنا بني ثعلبة بن مالك ... مُرزّأ أخيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك ... ولا يكون الرزء إلا ذلك

قال ابو عمرو ونُزِفَ ربيعة عليه أمّه وأصابته واستسقاهما ماء فقالتا إن شربت الماء متّ فكرّ على القوم راجعا فجعل يشتدّ عليهم ويذمرهم وينزف الدم حتى أثخن فقال للظعن أوضعن ركابكن حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي فإني لما بي وسأحميكن ميتا بأن أقف دونكن لهم على رأس العقبة وأعتمد على رمحي فإن فاظت نفسي كان الرمح عمادي فالنجاء النجاء فإني أرد بذلك عنكن وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئا على رمحه وقد نزفه الدم ففاظ والقوم بإزائه لا يقدمون عليه فلما طال وقوفه في مكانه ورأوه لا يزول قال نبيشة بن حبيب إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات وأمر رجلا من خزاعة كان معه أن ينخس فرسه فرماه بسهم فقمص الفرس ومال عنه ربيعة ميتا ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة فلما لحقوا عنه وقد فاتتهم الظعن واتبعوا بالسليم فقال أبو عمرو بن العلاء فلا نعلم قتيلا حمى ظعائن غيره قال وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة قال أبو عبيدة وعقروا يومئذ أباه الفارعة الحرث بن مكدم فقتلوه ثم إن حفص بن الأخيف الكناني من بني فقيم ربيعة فيه فما أمال عليها أحجارا أمر بحرزه وقال أبو عمرو مرّ رجل من بني الحرث بن فهر بن قريش ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة فقال ابن نمية ويقال ابن بكير عم ناقته على قبر ربيعة من فقر واستلمه من قومه فقال

نفرت قلوصي من حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه ... سبّاء خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعد خرق مهمه ... لتركتها تحبو على العرقوب

فر الفوارس من ربيعة بعدما ... نجاهم من غمة المكروب

يدعو عليا حين أسلم ظهره ... فلقد دعوت هناك غير مجيب

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذنوب

قال أبو عبيدة ويقال إن الذي قال هذا الشعر ضرار بن الخطاب الفهري وقال آخرون بل هو لحسان بن ثابت الانصاري وكذا رواه جماعة من أشراف العرب من قريش

وغيرهم وقال عبد الله بن جذل الطعان في ذلك *

ألا لله درّ بني فراس * لقد أورثتم حربا وجيعا
غداة تركتم ربيعة في مكر * تمجّ عروقه علقا نجيعا
فلن أنسى ربيعة إذ تعالى * بكاء الشعر تدعو يا ربيعا

وقال أيضا يتوعد بني سليم *

ولست لحاصن إن لم أزركم * كتائب من كنانة كالصريم
على قبّ الأياطل ضامرات * أقود بنيها علك الشكيم

وقال الفيه في الكامل روى ابن دأب ان حسان بن ثابت اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فانشد نفرت قلوصي من حجارة حرة * الأبيات المتقدمة قال وكان الذي قتل ربيعة أهبان بن غادية الخزاعي وقيل تقول انما قتله نبيشة السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لأمه وكان قد اتاه زائرا فاغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان فقتله فعبى بني سليم بقول حسان نفرت قلوصي من حجارة حرة * لأن الحرة منازل بني سليم وفي مقتله وقال ابن عبيد خزاعة بقول أهبان *

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد بحربة في موسر
في عارض شرفت بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسر
ولقد ومنت سلاحه وجواده * لأخي نبيشة قبل لوم المعشر

وقال أخو ربيعة يجيبه *

فلاة ابن غادية المنية بعدما * رفعت اشعلة نيله بالمطرد
فلولا ابن غادية المناح لقتلنا * ما كان يقتلنا الزعيم المفرد

يريد أن أهبان بعد من قومه في أعوانه وقال أيضا

فإن تزعمت سليم بن فإني * بأسلم من قومنا زلنا قريب

ه كلام المبرد

وربما يبدو اذا برز كـ * ريم الثنية كمّا زبه تشوق
لبنى وما ادريك ما لبنى بها * عرفت عنا ثم ماذا أفلق

اللغة فقوله وربما يبدو والبدو الظهور يقال بدا الأمر بدوا اذا ظهر

أي كفيت وأبرينه أكفيته وفي قوله تعالى بادي الرأي بالياء أي في ظاهر الرأي
ومن همزه جعله من بدأ ومعناه أول الرأي قوله إذ برزت البروز الظهور
أيضا وعنى بدا لنا كفى بينه وبين ما قبله تجنيسا قوله رئم الرئم مهموز
الوسيكي ويخفف بإبدال الهمزة ياء والجمع أرآم وآرام على القلب
قال الأصمعي الآرام الظباء الخالصة البياض فالوشي تشكل الرقم قوله
إليه كان بي تشوق الكيران وعروب والتشوق مثله بمعنى الشوق والاشتياق
وهو نزوع النفس إلى الشيء المستحسن وإليه يقال شاقني حب كذا يشوقني فهو
شائق وأنا مشوق وشوقني إليه فتشوقت قوله لبنى علم امرأة واللبنى
في الأصل شجرة تنضح لبنا كثيف الرائحة يسيل منها كالعسل ينتفع على
أعواده مما فيه ويتبخر به والعامة تسميه حصى لبان وإنما هو عسل اللبنى
التي هي شجرة من الشجر كما قلنا فنقلت العرب اسمها وجعلته علما
لبعض نسائها كما كثير من الأعلام المنقولة قوله وما أدري ما لبنى الدراية
العلم وخلقها أوقع حرف من الحلقة يقال دريته ودريت به دريا ودراية
علمته ويتعدى بالهمزة فيقال أدريته به وقوله تعالى لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به أي ولا أعلمكم به على لسانه قوله بما عرفت صبه
الصبابة رقة الشوق وحرارته يقال رجل صب أي عاشق مشتاق وقد صببت
يا رجل بالكسر كما هنا قال الشاعر

* ولست تصب إلى الكفا عنين * إذا ما صديقك لم يصبب *

قيل إن الصبابة مشتقة من صب الماء ونحوه من المائعات لأن المحب ينصب شوقه
بكليته ويصب دموعه قوله مغرما المغرم اسم المحب المولع به من أغرم
بالشيء بالبناء للمفعول إذا أولع به والإغرام الولوع والغرام الشر الدائم
والعذاب وقوله تعالى إن عذابها كان غراما قال أبو عبيدة أي هلاكا ولزاما
لهم قوله ذا قلوب صاحب القلق والانزعاج وذلك شأن المحب وديدنه

الإغراب والتطريف

قوله ربما يبدو ويقول تشديد الباء من ربما
وتخفيفها وقرئ قوله تعالى ربما يود الذين كفروا بالوجهين قال أبو حاتم
أهل الحجاز يخففون ربما وبكر وقيس يثقلونها وفيها لغات أخر وهي في الأصل

صرو

حرف جر ومعناه التقليل كما قدمنا ونازع ابن هشام في ذلك فقال انها للتكثير
كثيرا وللتقليل قليلا واذا اتصلت بها كفتها ما عن عمل الجر ومهيئة لها للدخول على
الفعل ووجب كونه ماضيا لفظا ومعنى واما قوله تعالى ربما يود الذين كفروا
فمؤول عند الجمهور وقال الفخر الرازي ما نصه قول الادباء انه لا يجوز
دخول هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع
فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال
لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله اقوى واجل واشرف فلم لم يتمسكوا بوروده
في هذه الاية على جوازه وصحته ثم ذكر ما يليق بالاية قال ابن هشام وفيه
تكلف والدليل على صحة استقبال ما بعدها قوله *

فان اهلك فرب فتى سيبكي علي مهذب رخص البنان

فقال ان هذا في كلام الله تعالى وكلام العرب قد يشهد لصحة كلام الناظم
وغاية ما يقال فيه انه قليل بالنسبة الى الماضي والله اعلم فقوله اذا برزن
في خدر متعلق بيبدو وجملة برزن في محل جر باضافة اذا اليها ولا تحتاج
اذا هنا الى تضمن معنى الشرط لان التقدير يبدو وقت بروزهن في خدر
من شانه كيت وكيت ويجوز ان يضمن معنى الشرط وجوابها محذوف
لدلالة ما قبله عليه وفي خدر ومجرور يحتمل ان يتعلق بيبدو ويحتمل ان يتعلق
ببرزن والاول اقرب من جهة المعنى والثاني اقرب من جهة الصناعة ويصح ان يقدر
مع الاول مجرور لدلالة هذا عليه وقوله ربما فاعل يبدو والبيت فيه
نقول كل من الهمزة فيه تخفيف ياء مخففة ... كانت تخفف بابدالها
... ممتنع لما مر عند قوله ولتمنح رابدا فقوله الثغر
كان في جملة في محل النعت لربم وتشرق في محل خبر كان والثغر متعلق بكان
فرع عليه وفي متعلق به ايضا والكاف للمصاحبة كما في قوله تعالى وقد دخلوا
بالكفر ومنه فزعم جوابه فقوله لبشر يصح ان يكون بدلا من ربم ويصح ان يكون
خبر المبتدا المحذوف اي هو لبشر وهذا اولى لما يلزم في الاول من الفصل فقوله
وما ان راء ما البشر ما الاولى مبتدا وجملة ان راء خبره وقوله ما البشر جملة
من مبتدا وخبر محلها نصب على الحال من فاعل ان راء ويتعدى الى المفعول

الثاني بالنداء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة لفعل الدراية كانت في موضع المفعول الثاني المجرور بالباء والجملة
الكبرى معطوفة على الجملة الاولى الواقعة في صدر البيت والتقدير من هو في
المحبوب المكنى عنه بالريم لبشر واي شيء اعلمك ما البشر فقوله فيا عجبا صباني
جملة مستانفة ونائب الفاعل في عرفت ضمير الناظم وصبا حال منه ومعمولا
قال بعد ما راوه اصلو كذلك اذ لا مانع ان الحال قد تتعدد كالخبر قال الشاعر

علي اذا ما زرت ليلى بخفية … زيارة بيت الله رجلان حافيا

المعافري فقوله في ما يبدو علة في قوله انما كانت الجلاد من لانه
ربما يبدو او جواب شرط مقدر اي فان الجليس ربما يبدو والفاء على هذا فصيحة
وانما عبر في جانب البدر بما يقتضي التحقيق وفي جانب بدو الريم بما يقتضي
التقليل وهو يستلزم الندرة عادة لان في ذلك ارفعية منصبه والاشعار بتمنعه وكونه
محفوظا زائدا على نحو غيره اذ هو واسطة العقد ومن الفتاة ومع البيضة يعني
منزلة الملح ومن له بمنزلة الفرع واركان الجميع معمولا الكل مفعولها والتنكير
في ريم للتعظيم والمراد عظم المنزلة وعلو المرتبة والقصر المستفاد من تقديم
المجرور في قوله اليه كهاربة فهو تعبير لازالة الشركة المحتملة ومثله يقال في
قوله فيا عجبا صباني قال الناظم رحمه الله لما اولع بها اولاد الفوار وكان
متبعا لركابهن في رعيل القوم ووقفت خلفهم واقتفيت اثرهم انشاءنا لكونه
ذهبوا احتمل المراد ان يكون متيما بهن كلهن او ببعضهن وعلى احتمال البعض فلم يدر
على التعيين من هو فاخبر ان مطلوبه انما هو المحبوب الذي هو كالريم ولما
كان الريم اشرف الظباء واحسنها اذ هو انما يكون في البادية منها كما من يحيى
لا يخفى علم منه ان محبوبته من اشرف اولئك الفتيات واكثرهن حسنا
واعظمهن منزلة ولما لم يكن في جعله ربيبا كما ان البدر له وفي حصول المقصود فيس
مع فيه اتبعه بالبيت الذي بعده فقال لبشرى واذا زالت ما البشرى وكانه قيل
له من هذه الفتاة التي كنيت عنها بالريم فقال اسمها لبشرى وعبر عنها باسمها
العلمي وافاد مع ذلك بكونه الصراحة بعد ان افاد فيما تقدم بالكناية ثم
تحمل على نفسه بانه لما معي ولهذا عما شرف فيهما كلف ومن الكناية افضل

المقام وحمدت اليه الفصاحة والصناعة وعظم موقعه من هذا البيت الذي هو
تقلد البطل من مركز التغزل فتمم هذا الكلام بانه جعل البشر في حواجبها
كانها جرى في وسكي النعام فقال ذلك انها خيار من خيار وانها انسان العين
ولب اللب وقرة القلب واما ما اشتمل عليه قوله وما ادراك ما الذي من
التفخيم لقدرها والتشويق بشأنها فشيء يدرك الذوق ولا يفي الى تفصيله
الفكر وقد قال الزمخشري في قوله تعالى وما ادراك ما الحاقة ما نعنيه واي شيء اعلمك
ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها يعني انها من العظم والشدة
بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك
ه وقوله بها عرفت هبا يعني انه اشتهر بها وتخصص بالاضافة اليها
حتى صار لا يعرف عند الانتساب الا بها كما انتسب الى جماعة من شعرا والعرب
وتسميهما يعرف قيس بن الملوح بليلى العامرية وقيس بن ذريح بلبنى الخزاعية
وعروة بن حزام بعفراء وقريش باسماء وعمرو بن عجلان بهند وجميل ببثينة
وكثير بعزة وغيلان بمي وغيرهم فكل من هؤلاء كان يضاف الى اسم محبوبته
ويعرف بها فيقال كثير عزة وغيلان مي ونحو ذلك وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني
في الاغاني عن عمر بن شبة ان كثير بن عبد الرحمن الشاعر المشهور كان غاليا
في التشيع فأخبر عن قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم التي اغرته بقتل علي رضي
الله عنه في فرقة خرجها الكوفة فاراد كثير الدخول عليها ليوبخها فقيل له
لا تردها فان لها جوابا فأبى واتاها وهو واقف على بابها فقرعه فقالت من
هذا فقال كثير بن عبد الرحمن الشاعر فقالت لبنات عم لها تنحين حتى يدخل
الرجل ونحن البيت واذنت له فدخل وتنحت من بين يديه فبرز لها وقد ولت
فقال لها انت قطام قالت نعم قال صاحبة علي بن ابي طالب عليه السلام
قالت صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال اليس فيك قتل علي بن ابي طالب قالت بل
مات باجله قال اما والله لقد كنت احب ان اراك فلما رأيتك نبت عيني عنك
فما احلاك في قلبي ولا في خلدي قالت والله انك لقصير القامة عظيم الهامة قبيح
المنظر وانك لكما قال الاول ان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال كثير

رأت رجلا اودى السفار بجسمه ... فلم يبق الا منطق وجناجن

فان اخا مغرور العقل فانني — اذا وزن الاقوام بالعقل وازن
واخفى لما استودعت من امانة — اذا ما عنت الاسرار للسر دافن

وقيل للثعالبي ابو طاهر انت كثير عزلتك فقال نعم فالتقت المحولة التي وقع بك بعرفان لا تعرف
من اين افرأك وقال ان لم كذابك قول الله لعذبها ما سمع وكان وبعنا ذكر وقرب
من تغليبه مجلسه . **البيان** في كلام الناظم المجاز وذلك في المدافع اسم
الرجم الذي هو الكتب على المحبوبة فهو استعارة تصريحية وفي قوله كان في
استعارة اخرى تصريحية تبعية فانه شبه سرعة سيره اي اخلاف ركاب المحبوبة
بالكثير ان يجامع قطع المسافة بسرعة ثم اشتق منه كان ومثله قوله صلى
الله عليه وسلم خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها
يبغي الجهاد في سبيل الله ومما يقرب من كلام الناظم قول الاديب ابي عمر
احمد بن دراج القسطلي

عصيت شفيع النفس فيها وقاد في — رواح لتدآب السرى وبكور
وكان جناح البين وقعت بها — جوانح من ذعر الفراق وتطير

واسناد فعل الطير الى التشوق مجاز عقلي ولك ان تجعل كلام الناظم من باب
الاستعارة بالكناية بان يكون شبه شوقه اي المحبوبة بكلام في اجنحة تشبيها
مضمرا في النفس واقتصر على ذكر المشبه الذي هو الشوق واثبت له الطيران
الملائم للمشبه به دلالة عليه كقول الشاعر

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا — فلسان حالي بالشكاية انطق

شبه الحال بانسان متكلم فاثبت له اللسان ومن نظير ذلك . **البديع** في كلام
الناظم منه النوع المسمى بالتكرار ذكره اصحاب البديعيات وهو ان يكرر المتكلم
اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى لغرض من الاغراض كتاكيد المدح او الذم
او التهويل او غير ذلك فمن المدح قول ابي تمام

بالصريح الصريح والاروع الارو — ع منهم وباللباب اللباب

ومن التهويل قوله تعالى الحاقة ما الحاقة الاية ومنه قول الناظم مثلا
لبنى وما ادراك ما لبنى هذا وله يظهر لي ان الناظم رحمه الله لم يكرر اسم
محبوبته اسمها لبنى ولذا اتبع ركاب قوم ولا اخاف هاديا والله من اتسع

معروف للشعراء وذكر بو مسلوك انهم يستعملونه في قصائدهم ويحسنون به
مطالع مدائحهم وهو مغتفر لهم حسبما يأتي في محله ان شاء الله فان
قلت اليس ما اتى به بعض من وصف الخد والقد والمعصم والساق وغير ذلك
مما شاع عنا قلت لا وقد ذكر حجة الاسلام الغزالي وكفى به حجة في كتاب
السماع من الاحياء ما نصه فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود
والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح
انه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وبغير لحن وعلى المستمع ان لا ينزله على امرأة
معينة فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية
فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه هـ قلت وقد سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصيدة كعب بن زهير وقصائد حسان بن ثابت وكعب بن مالك
وغيرهم وفيها شيء كثير من مثل الاوصاف فدل ذلك على اباحته بالشرط
الذي ذكره حجة الاسلام والله اعلم وانما اختار ان تكون محبوبته لبنى
دون ان يجعلها ليلى او غيرها من الاسماء التي وقع للشعراء التشبيب بها
لان لبنى من جملة نساء العرب المشهورات التي رويت اخبارهن وسارت الاشعار
بهن ووقع الغناء بها والتحدث عنها في مجالس الخلفاء والشعراء والادباء
وغيرهم فتم حديث لبنى من بين اعجب : والشعر الذي قيل فيها ارق واعذب :
وقد استوفى خبرها ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني وهو مما ينبغي لكل من
رقت حاشيته ان يقف عليه ويتكلم فيه وحاصله ان لبنى كانت امرأة من خزاعة
وكان منزلها بالبادية فاتفق ان قيس بن ذريح الليثي اجتاز يوما الى حيها وكان
شابا لم يتزوج بعد فمر امام خيمتها وهي في خبائها جارية بكر واستسقاها
فسقته ماء ومشت له فشرب حبها في ذلك الماء واشتد امره وعلقت هي
به ايضا وكان ابوه من اهل المدينة المنورة ذا مال كثير فسأله قيس
ان يزوجه من لبنى فابى عليه وقال له ازوجك بنات عمك فامتنع فازداد به الغرام
حتى اشتد امره وخيف عليه واتصل خبره بالحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما فسعى في امره حتى تزوجها وبقي معها ما شاء الله في اطيب عيش وانعم
بال ثم ان امه تشكت منها واغرت اباه بان يحمله على طلاقها فلم يزل

به ابو كعب عشقا كملهما وقد تمكن حب كل منهما من قلب صاحبه وبفارقته على كرهه
وحملهما فوقهما اليتيم وبقي قيس بن ذريح من الصبابة والقتيل على هذه الصفة بغير
الحمل عن شرح بعضها سنين منكما ولقد تم زوجه ابوه باخرى امرأة فرد
عليهما في اخبار العرب فلم ينتفع بذلك وزوج لبنى اهلها ابنها برجل من
اهل المدينة فلم يكن زوجها ينتفع بها لما بها من حب قيس واشتهر اجماع على ذلك
الى ان مات كل منهما شغفا بصاحبه وقيل ان قيسا تزوجها من له اخرى بعد هلاك
زوجها الثاني لها واجتمع كل منهما بصاحبه وحسن حالهما بذلك والله تعالى اعلم

(تنشي بثغر اشنب ومرشف * تراه تروي من ترفه تعشق)
وناعم تقبيله وباسم * مرجل وحاجب مرقق
وعقب محمل ومعصم * مسور ومنطق مكمور
ومقلة ترمي بقوس حاجب * لا حكمها بسهمها المفوق

اللغة قوله تنشي بثغر الشنب والسباء الاسر وقد سبيت العدو سبيا
وسباء اذا اسرته واستبيته مثله والمراد تنشي قلب الرجل الى ناسرها
وتاخذ بمجامعه والثغر المبتسم ثم اطلق على الثنايا قاله في المصباح قوله
اشنب الشنب بالتحريك ماء ورقة وبرد وعذوبة في الاسنان الذكر اشنب
والانثى شنباء قال الراجز *
وابأبي انت وفوك الاشنب * كأنما ذر عليه الزرنب
او زنجبيل وهو عندي اطيب *
قال الجوهري سمعت الاصمعي يقول الشنب برد الفم والاسنان فقلت ان
اصحابنا يقولون هو حدة الاسنان حين تطلع يريدون بذلك حدة اطرافها وبرداءتها
في فمها اذا اتت عليها السنون احتكت فقال ما هو الا بردها قال الجوهري
وقول ذي الرمة *
لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي انيابها شنب
يؤيد قول الاصمعي لان اللثة لا تكون فيها حدة وقال ابن سيده قال الاصمعي
سألت رؤبة عن الشنب فاخذ حبة رمان واوما الى بصيصها قوله
ومرشف بكسر الشين وفتح الفم لانه موضع الرشف وهو المص وقد رشفه

يرشفه كنهله وضم بعد وان يشفه اي امتصه وفي المصباح ان الرشف اخذ
الماء بالشفتين وهو ابلغ من الشرب وفي المثل الرشف انقع اي اذا ارشفت
الماء قليلا قليلا كان اسكن للعطش والرشوف المرأة الطيبة الفم واليابسة الفرج
قوله قرقف تروى مرفوعة والقرقف من اسماء الخمر قال ابن الاعرابي سميت بذلك
لانها ترعد شاربها والقف رعدة الرعدة وانكر ابو عبيدة ان تكون سميت لذلك
قال وانما هو اسم لها واعلم ان الخمر مؤنثة قال جرير

وانها في الحانوت جونة قرقف　　لها سورة تمشي وتغدو بالعنا

والنائم ونعتها بصفة المذكر فيخرج على لغة التذكير في الخمر وهي قليلة قوله
معتق اي قديم والتعتيق ضد التجديد وعتق الشيء كرم وعتق الفرس وعتق
عتوقا وعاتق والمعتقة الخمر التي تركت زمانا حتى عتقت اي قدمت وحسنت
والعاتق الخمر العتيقة كما مر ويقال للتي لم يفض ختامها ومنه قول الشاعر

* او عاتق من كروم الزيج مزاج *

قوله وناعم مثل العثكال نعتا لمخزوم
اي كمثل اذا لين ناعم والنعومة اللين والحسنة ولينه نعم بالضم نعومة فهو ناعم
لين وملسه والمثال اي مثل عنق النخل قال في القاموس العثكال العذق من كل شيء
والعرجون الطويل والنبات الطويل البالغ العنق والبناء المشرف والعثكلة المرأة
العظيمة والتعثكل مشي المرأة اختيالا قوله وفاحم جلل وصف للشعر
يقال شعر فاحم اي اسود شديد السواد وقد فحم فحوما وفحومة صار كالفحم وهو
الفحم الهاني وفحمة العشاء ظلمته وانما جعل المسرج يقال رجلت الشعر ترجيلا
اذا سرحته سواء كان شعرك او شعر غيرك وربما كان فيه تكسر وتقول ترجلت
اذا كان شعرك بنفسك وشعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم ليس بجعد ولا سبط بل
بينهما وهو المحبوب عند العرب لان الجعودة الشديدة من اوصاف الشعر
والسبوطة الشديدة من اوصاف العجم وشعر العرب بين ذلك قوله وحاجب
مرفوع الحاجبان العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما وقيل الشعر النابت
على العظم فقط والجمع حواجب وتزجيجهما وتدقيقهما وتحسينهما وهو التزجيج قال

اذا ما الغانيات برزن يوما　　وزججن الحواجب والعيونا

اي رققن الحواجب وكحلن العيون قوله وعقب مثل العقب بكسر القاف ويسكن

تخفيفا قوله الفرع ومن انثى كما في الصحاح والمصباح وغيرهما وعليه فلينظر
ما وجه تركيب الناظم له وكانه راعى فيه معنى الفرع فذكره او نحو ذلك وقال في
المصباح في قول الشاعر * والعين بالإثمد الحاري مكحول * قيل ان العين
لا علامة للتانيث فيها فحملها على معنى الطرف والعرب تجترئ على تذكير المؤنث
اذا لم يكن فيه علامة تانيث وفلان صغا وفيه لغة مذكر حكاه ابن السكيت وابن
الانباري وحكاه الازهري قريبا من ذلك وقولهم كف خضيب على معنى ساعد مخضب
لا كف قال ابن الانباري يا باب ذلك الشعر وعليه يخرج كلام الناظم رحمه الله قوله
ومعنى مجملا ومجمل بكسر الميم وتفتح ومن الجمال ومنه الغزال والتجميل في التجميل
قوله ومعصم مسور المعصم بكسر الميم موضع السوار من الساعد ومسورة و
سوار ككتاب ومن الذهب والجمع أسورة كازمنة وجمع الجمع أساورة وقرئ في
قوله تعالى فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب بالوجهين وقد تحذف الهاء فيقال
أساور وقال تعالى وحلوا أساور من فضة قوله وعنق مطوق العنق الرقبة وهو
مذكر وأهل الحجاز يؤنثونه ويضمون النون إتباعا وتميم يسكنونها تخفيفا
والمطوق ومن الطوق الذي يطوق للعنق من فضة وغيرها وكل ما استدار
بشيء فهو طوق له والحمامة المطوقة التي على جيدها طوق يخالف لونها
وشبه عنقه عن الطوق ومثل نظم في جملة من مبتدأ وخبر وسيأتي خبر إن شاء
الله قوله ومقلة ترمي المقلة على وزن غرفة شحمة العين التي تجمع
سوادها وبياضها والجمع مقل كغرف ومقلته أنا نظرت إليه قوله بقوس
حاجب القوس معروفة ومن ذلك الآلة التي يرمى عنها تذكر وتؤنث والجمع
أقواس وقسي على القلب قوله به عكفها اسم فاعل من عكفه وعكف إليه عكفا
نظر إليه بمؤخر عينيه بعضهم لأحد قوله بسهمها المفوق السهم واحد النبل
الذي يرمى به وقيل السهم نفس النصل وجمعه أسهم وسهام والمفوق الذي
جعل له فوق بالضم وهو موضع الوتر من السهم والجمع أفواق وأفواه ووضعت
السهم في الوتر لترمي به قلت أفقته إفاقة والأفوق كالأحمر السهم المكسور
الفوق والله تعالى أعلم الإعراب والتصريف قوله تشبيه بثغر
جملة مستانفة لا محل لها من الإعراب وهي أشبه للضرورة وجملة قرار

في محل النعت لقوس وألفه منقلبة عن ياء فيكتب بياء وجملة قد في بقوس حاجب نعت
لمقلة والباء في بقوس للمجاوزة بمعنى عن كقوله تعالى فاسأل به خبيرا او قال ابن مالك
فيه للاستعانة لانهم كما يقولون رميت عن القوس يقولون رميت بها والمعنى
واحد حكاه الفراء وفيه رد على ابن بري في انكاره ان يقال رميت بالقوس الا اذا
كانت القوس هي المرمية واضافة قوس الى حاجب بيانية كشجر اراك ولا حذف فيها
مفعول ثان وأما قوله بسهمها المعوج فالباء فيه للاستعانة ثم ان جعلنا الباء
في بقوس للمجاوزة فبسهمها يتعلق بتري والضمير فيه يعود على المقلة وان جعلناها
للاستعانة على رأي ابن مالك فبسهمها بدل اشتمال منه والضمير عائد على المبدل
منه الذي هو القوس والله اعلم **المعاني** قوله تشبه بثغر اشنب جملة
مستأنفة استئنافا بيانيا فانه لما قال المعنى وما الذي لتشبه كأن سائلا سأله
وقال فما لها وما صفتها فاندفع يذكر بعض صفاتها وبعض هذا فيها بقوله تشبه
بثغر اشنب وكذا وكذا الى آخر الابيات الآتية وفي كلامه ايجاز الحذف حيث
حذف المنعوت من ناعم وفاحم **البيان** في كلامه استعارة مصرحة حيث اطلق
الغرفة على ريقها لكونه يغني عنها ويقوم مقامها ويفعل فعلها والله اعلم
البديع في كلام الناظم فيه التورية وهي ان يذكر المتكلم لفظا مفردا له
معنيان احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ
عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم
السامع من اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولأجل هذا سمي هذا النوع
ايهاما فمن ذلك قوله في الغلباء المعبر

وحرفا كنون تحت راء ولم يكن ... بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفي الهجاء لانه قرن بينهما بذكر
الحرف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا المعنى القريب المتبادر الى الذهن وارادة
غيره ومراد المعنى البعيد المورى عنه بالقريب فان مراده بالحرف الناقة وبالنون
النون تشبيه الناقة بها في تقوسها وضمورها وبراء اسم فاعل من براه اذا هزله
ابريه وبدال اسم فاعل من دله لا من الدال ارفق في السير وبالرسم اثر السير
وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها واعيائها مثل نون

تمنا رجل يضرب ريثما ولم ير من يعنى في الشيء فهو غيره في الآية غيره رميه ويدفع بها
واذا فرغ من الحكم رسمها واجتماع هذا الى حكم دليل على ضعف النافية ومن
التورية ايضا قول النفا في عيا من جمة القصد وهو بقول الربيع وقد وقع حيه
بزرد شين من قع ان فصل الربيع الذي تكون الشمس في اوله في الحمل بانه الدفا وعم
البرد كأن كانون أهدى من ملابسه ... لشهر تموز أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدي والحمل

يعني كان الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت في برج
الجدي اوان حلولها في برج الحمل فأراد بالغزالة معناها البعيد وهو الشمس
وقرن بها ما يلائم المعنى القريب من الخرافة وكذا ذكر الجدي والحمل فانه اراد بهما
معناهما البعيد وهما البرجان والقريب للجدي ولد العنز وللحمل ولد الضأن واذا
علمت هذا فالتورية من كلام الناظم في قوس حاجب فان له معنيين احدهما
قريب وهو القوس الذي يرمى عنها ومنه قوس مشهورة كانت لرجل من العرب
اسمه حاجب بن زرارة التميمي وسيأتي خبرها في محله وثانيهما بعيد وهو حاجب
العين وقوسه عبارة عن انعطافه واستقواسه وهو وصف حسن فيه فأراد
الناظم هذا البعيد واوهم انه يريد المعنى القريب الذي هو قوس حاجب المضروب
بها المثل ثم رشح ذلك الايهام بقوله بذكر الرمي والسهم المعروف الذي
هو يلائم المعنى القريب فجاءت التورية في كلامه في غاية الحسن والرشاقة
كما ترى ولا يخفى ما في الابيات الاربعة من فصاحة اللفظ وجودة السبك
والاستطراد والسجع والموازنة والتلميح والتسهيم وغير ذلك وكأن الناظم
حاذى بهذه الابيات قول العجاج في جيميته المشهورة

أزمان أبدت واضحا مفلجا ... أغر براقا وطرفا أبرجا

ومقلة وحاجبا مزججا ... وفاحما ومرسنا مسرجا

وكفلا وعثا اذا ترجرجا

ومما قيل في الثغر وفيه النكتة على المعشوق قوله في الكتيب

فتاة تساوى عقدها وكلامها ... وتبسمها الدري في الحسن والنظم

ونكهتها والمندلي وقرقف ... معتقة صهباء في الريح والطعم

وقال النواجي

ذو مبسم سكري حلا فرشفته * أما تراه هنا والخير قد كثفا
وعمه عنبر خال في الخد زين غدا * له الشقيق شقيقا والهلال أخا

ومما قيل في نعومة البدن وحسن الشعر قول الأعشى

يكاد يصرعها لولا تشددها * إذا تقوم إلى جاراتها الكسل
إذا تلاعب قرنا ساعة فترت * وارتج منها ذنوب المتن والكفل

فأنكروا في كلام العرب العرباء وفصاحة القبائل وبراعة أوصافهم وقال آخر من المولدين

سألت النقا والبان أن يحكيا لنا * معاطف أو أرداف من قال مرة
فقال كثيب الرمل ما أنا ردفه * وقال قضيب البان ما أنا قده

ومما قيل في سواد الشعر قول بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام فرعها * وتغيب فيه وهو جثل أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وقال أبو الطيب

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ومما قيل في بعضهم قول عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأدعج ومعاصم * وزنوا بثقل للقلوب كواعب
حسن الكمة عن سواعد بضة * فكأنما انتهبت متون هوازع

ومما قيل في الساق وقول الآخر

لو أنها إذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا شك أن قامت عليه قيامتي * إن القيامة يوم كشف الساق

ومما قيل في العنق المكحول وقول أبي الطيب

يمم للعين من رأيتنا بزورا * كطلعتنا في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهدب * تشق القلوب قبل الجلود

ومما قيل في الرقيق بقوس الحاجب قول مسلم بن الوليد

نبارز أبطال الوغى فنبيدهم ... ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تفني نفوسنا ... ولكن سهام فوّقت بالحواجب
وقال آخر وأجاد

وأحور ساج لم أكن قبل لحظه ... لأعلم ما وجدي بأحور ساجي
غدا موترا من حاجبيه حنية ... لها النبل الشهلاء فيلجة عاج

قال الشيخ في الغزنانية رحمه الله فانظر لهذا الغناء بالمتقن في التشبيه بذكر الأوتار وتصوير البلج بصورة فيلجة العاج ما بلغ به الغاية على قلة إصابة المتأخرين في التشبيه وغلوه وأوليهم من الإحسان فيه انتهى

(وتمنع من تقبيلها بجسيمها ... ثلاثة مثل الأثافي في الرقي
حقاق من عاج وقعب بفضة ... من لطائم وباللحظ كالسبق)

اللغة قوله تمنع من تقبيلها المنع معروف والتقبيل اللمس ومنه الانقضاء باليد أي الملموس منها القبلة ثم شاع استعماله في مطلق وقد قال جسيم لآخر كما معنا وقوله تعلق وقوا من سفح أي أول ما بنا الكم فيها كقولك وعن فلان من الحسن والمسيس في كلام الفقهاء كناية عن الجماع ويقال الكل كقريح تسيسه بالكسر أمسه بالفتح مسا ومسيسا مثل حسين اللغة الفصحى وحكى أبو عبيدة مسسته بالفتح أمسه بالضم من باب نصر قوله بجسيمها قال في التهذيب الجسم مجمع البدن والأعضاء من الناس والإبل والدواب ونحو ذلك مما عظم خلقه وجسم بدنه وقال ابن دريد كل شخص مدرك فهو جسم من علي أنه يطلق على العظيم والضخم حيوانا كان أو غيره وجسم الشيء جسامة كضخم ضخامة وزنا ومعنى وجسم جسما كفرح فرحا كذلك فهو جسيم قوله مثل الأثافي جمع أثفية كأوقية وهي الحجر الذي يوضع عليه القدر وجمعه أثافي بالتشديد وأثاف بالتخفيف كما تقدم في الثانية وقولهم رماه الله بثالثة الأثافي يعنون الجبل ثم هو كناية عن الداهية وذلك أنهم كانوا إذا لم يجدوا أثفية ثالثة أسندوا القدر إلى الجبل وعن لومها بالثالثة يعتبرون العظام فيكون الجبل ثالثة الأثافي وقولهم بقيت من فلان أثفية خشناء أي بقي منهم عدد كثير والرقي للصعود ومنه عبارة عن مطلق السمو والنشوء قوله

حُقّاً من عاج الحقاق تثنية حُقّ بضم الحاء وهو وعاء معروف يصنع من الخشب
وتتخذه النساء للطيب ويقال والحقاقة تبراقها به كأنها يقولون حقة ومقتضى
الصحاح والقاموس ان الحُقّ جمع وان مفرده حُقّة بالهاء قال في الصحاح الحُقّة
بالضم معروفة والجمع حُقّ وحُقَق وحِقاق ويطلق في القاموس وكلام العرب
جملة به قال عمرو بن كلثوم في معلقته

وثديا مثل حُقّ العاج رخصا * حصانا من أكف اللامسينا

واستشهد سيبويه شاعرا على تخفيف كأن المشددة النون قول الشاعر

وصدر مشرق النحر * كأن ثدياه حُقّان

وهو يقع في كلام الناظم والعاج قال في المصباح أنياب الفيل قال الليث
ولا يسمى غير الناب عاجا والعاج عظم السلحفاة البحرية وعليه يحمل انه
كان لفاطمة رضي الله عنها سوار من عاج ولا يجوز حمله على انياب الفيلة
لأن انيابها ميتة بخلاف السلحفاة والحديث حجة لمن يقول بطهارة العاج
قوله وقعب بفتح القاف القدح الضخم الجافي او الذي يروي الرجل يكون من الخشب
والجمع أقعب وقعاب وحافر مقعب يشبه القعب قوله وباكر كالشفق
يعني أحمر والشفق الحمرة في الافق من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة وإذا
ذهبت قيل غاب الشفق وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب كأنه
الشفق وكان أحمر

الاعراب والتصريف

قوله تمنع مثنويها
جملة مستأنفة وقد اعمل تمنع ثلاثة ومثنويها مفعوله ثم هو مصدر مضاف الى
فاعله وكمل بالمفعول وجيء باللام مع المفعول تقوية للعامل الذي هو المصدر اذ
عمله انما هو بالحمل على فعله والتقدير تمنع الثلاثة الذي تقسيمها ان يمس
ثوبيها جسمها أي أن يلج فيه ويقع عليه ولعل كلمة يكتب بلا ألف بعد اللام
حسبما نص عليه علماء الرسم وقوله مثل الاثافي نعت لثلاثة والاثافي
مضاف اليه ما قبله وتخفيف الياء لغة فيه كما مر وقوله في الرفع متعلق بمثل
وتخفيف ياء للضرورة قوله حقا من عاج وقعب بفتحة بدل من ثلاثة بدل
مفصل من مجمل ومن عاج في محل النعت لحقا ومن بيانية كقوله تعالى وحلوا
اساور من فضة قوله من كذا من خبر لمبتدأ محذوف دل عليه الكلام والتقدير وبعضه

الى بيان ضده من كلام فقوله وبالذكر كالشفق جملة من مبتدا وخبر معطوفة على
الجملة قبلها والمتعاطفتان معا في محل النعت او الحال من نعت تحفة لتتصف
بالاضافة ولا بد لهما من ضمير يعود على المنعوت او صاحب الحال فاما العائد
من الجملة الاولى فالضمير المستتر مع المبتدا كما مر واما العائد من الثانية فمقدر
وبالهم منه كالشفق على حد قولهم السمن منوان بدرهم وهذا المقدر هو المسوغ
للابتداء بالنكرة ثم تلك صفة لها ويحتمل الكلام وجوها اخر من الاعراب هذا
اظهرها والله اعلم **المعاني** قوله تمنع عشر نوبها في هذه الجملة مشابهة
استئنافا بيانيا ومن راجعة في المعنى الى جملة قوله تنشي ببعض اشعبا وانما
فصلها منها لما بينهما من كمال الاتصال لان الثانية كالتوكيد للاولى فان
المقصود من كلتا الجملتين وصف المحبوبة بالحسن وكانه يقول هي حسناء بمعنى
حسناء وانما فرع تبعض المنع الذي هو من نوبها على ما عليه الزمن ثلاثة لان
الكلام مسوق لبيان منع عشر نوبها بحسنها ولان ابعا على قرا اهل الكلام فيه
بالصفة وبالاجمال اولا وبالتفصيل ثانيا وما اتصل بذلك ومقتضى ترتيب الكلام
ان يفرع التفصيل ثم يؤتى بعده بالتكميل لو عكس فقال تمنع ثلاثة من نعتها كذا
ومن نعتها كذا ثم يذكر المفصل بعده الخ لكان جيدا اخلالا بالرتبة وحسن
النظم وفي كلامه الحذف حيث ابهم الثلاثة اولا ثم بينها ثانيا ولا يخفى
احتياج المقام اليه ويقتضي كلام العلامة الرهوني ان هذا الابهام والتفسير
من قبيل النوع المسمى بالتوشيع المستشهد له بقوله صلى الله عليه وسلم يهرم
ابن ادم وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل بالمد فاز ومنه قول الاخر ان
في فلان ثلاث خصال حميدة الكرم والشجاعة والحلم ويقتضي كلام غيره ان
التوشيع خاص بالمثنى كالحديث واما الجمع فيسمى باسم التقسيم واستشهد له
بقول محمد بن وهيب في المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وبقول محمد بن بشير الغلابي

شيئان حدثت بالقساوة عنهما ... قلب الذي يهواه قلبي والحجر
وثلاثة بالجود حدثت عنهم ... البحر والخليفة المعتصم والمطر

وكل من التوشيع والتقسيم يعرف في الاكتفاء وفي التربيع والله اعلم المعاني
في قوله فلانه مثل الآنا من التشبيه وبين وجهه بقوله في الرقة واراد به البرود
والنشوة فكانه من المزوج واراد بلازمه لان في مثله الملازمة ضعف وخفاء فان
الرقة من الصفة في شيء ونحوه والكلام على شطر من التزيين وما معهما وبروز من
عن البدن مشهور في كلام الفصحاء والانتقال الذهن من المعنى اللغوي الى هذا المعنى
المقصود بالذات فيه قلق وعسر يشمله الذوق والاستعمال وذلك مخل بالفصاحة
كما قال الراجز في قول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فانه جعل جمود العين كناية عن الفرح والسرور وهو استعمال مهجور والتلازم
بينه وبين المعنى الذي اراده خفي وفي قوله خمار من علاج وقضيب فضة استعارة
تصريحية فان المفيد عبارة عن التزيين والقضيب عبارة عن القد والمراد من
اول هذا الكلام وصف هذه المحبوبة بالسمن ونعومة البدن وقصب الاعضاء
والاطراف وانما مع ذلك صغيرة السن لان الزمان لم تكمش ولم تنلها يد
الاسن ولزمان كما دل نهديها وما تحت من تمتعها تمنع ان يلاقي الثوب شيئا من
بدنها كما هو شأن الابكار الكواعب الناهدات الثدي ونحوه قال ابو الطيب
في هذا المعنى

ممنعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا
ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها شسوعا
اذا ماست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

قال ابن البقاء في شرح هذه الابيات يقول ان اردافها عظيمة شاخصة عن
بدنها تمنع ثوبها ونرفعه فلا يلاصق جسدها حتى يكون بعيدا عن وشاحيها
والمعنى ان اردافها تمنع الثوب ان يلاصق بدنها وقوله اذا ماست رأيتها لها
ارتجاجا البيت الضمير في له للثوب ونزوعا بفتح النون كصبور صفة للارتجاج
والمعنى اذا تبخترت ارتج بدنها واضطرب حتى يكاد ينزع عنها ثوبها لولا سواعدها
يعني ان كميت اللذين في شاعر نبها ممنعا من نزع ثوبها ومنه ما قال بعض الكلابيين

أبت الغلائل ان تمس اذا مشت * منها البطون وان تمس ظهورها

وأنشد بعضهم فقال

ابنة الروادف والشقيق لحسنها * حسن البنفسج والآن تحسن كفورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسدة وهجن غيورا

وأما تشبيه الشقيق بالمغير فقد تقدم شعر الغري في الغرقاء فيه وتقدم المولدون
في ذلك فأحسنوا قال بعضهم

حقاق من العاج فيها كبت * على حمر نثر من الجوهر
فشين الشقوق فيا ليتها * بنقطة مسك من عنبر

وقال ابن الرومي

مرور فيه فيه حقاق عاج * وثغر زانه حسن اتساق
يقول الناظرين إذا رأوه * أهذا الدر من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى شقيق * حملن من الحقاق على وقاق
تواصين لا يعد لسن عتب * سوى تبع الحبيب من العشاق

وقد تشبه الشقيق بالزنار وبالتفاح ونحو ذلك ومن أحسن ما قيل فيه
قول أبي إسحاق الصابي

ترفت من الهوى حتى إذا ما * برا فيه بني خوان الحقور
تكنفني ذوو الإشفاق منهم * ولا ذوا بالزماء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنا * نعزك للمهم من الأمور
فقال شفاء ذاء الترياق زينا * تخمنه حشاك من الشعير
فقلت لهم أصاب بغير علم * ولا كرد أحل زمان القصور

وقال فيما يتعلق بذكر الشكر والسكر ومن من التشبيه الحسن

وتجت زنابير شرد وغفو بما * زنابير أمكان وقعا فيها الشرز

وحسب الأديب والشاعر أن يصف الخمر والشرب فأما ما يحتمل ذلك فشأن
أهل المجانة والخلاعة ولا يكاد يقوم حوله عربي ولا مولد حتى أن أهل الأخبار
المجمونة والقصائد القامية ما نعرف من ذلك وهو شعر لمن يتكبه وقد روي الواقدي
وابن الكلبي أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مخنث
يقال له هيت بكسر الهاء وسكون الياء التحتية وآخره تاء مثناة من فوق وقيل

أن الصواب في ضبطه هنب بهاء مكسورة فنون ساكنة فموحدة وكان يعد في غير
أولي الإربة فكان يدخل على نساء الصحابة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ذات يوم لمولاه عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخي أم سلمة رضي الله عنها
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف
غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء
إن قامت تثنت وإن قعدت تبنت وإن تكلمت تغنت تقبل بأربع وتدبر بثمان مع
ثغر كأنه الأقحوان ونحو ذلك من الأوصاف وأسفلها كثيب وبين رجليها
كالإناء المكفوء جهتي كما قال قيس بن الخطيم

*

تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولا قضف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر يا عدو الله ما كنت أحسبك
إلا من غير أولي الإربة ثم نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة إلى خاخ أو
غيره من أعمالها وحديث هذا المخنث مخرج في الصحيحين وأبي داود وليس فيه جميع
تلك الأوصاف وإنما فيه أنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ولنفسر بعض ما يحتاج
إلى التفسير من تلك الألفاظ فقوله مبتلة يعني جميلة كأنها بتلت أي قطع حسنها
وفرق على أعضائها والمبتلة أيضا التي لم يركب بعض لحمها بعضا ولا يوصف
بذلك الرجل والشموع المزاحة اللعوب وقوله وإن قعدت تبنت أي تباعد
ما بين الفخذين يقال تبنت الناقة إذا باعدت بين فخذيها عند الحلب وقيل تبنت أي
صارت كأنها بنيان من عظمها وقوله وإن تكلمت تغنت من الغنة لا من الغناء
أي في كلامها لين ورخامة تشبه صوت الظباء والعرب تقول الظبي أغن وقوله
تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني تقبل بأربع عكن في بطنها وتدبر بثمانية أطراف هذه
العكن الأربع في جنبيها فإن لكل عكنة طرفين وقوله تغترق الطرف أي تشغل عيني
الناظر إليها عن النظر إلى غيرها وقيل بل معناه أنها تستغرق الطرف بالنظر كله
وقوله شف وجهها نزف أي جهده يريد أنها رقيقة الوجه دقيقة المحاسن ليست
بكثيرة لحم الوجه ولا متكلثمته والنزف خروج الدم أي أنها تضرب إلى الصفرة ولا يكون
ذلك إلا من النعمة والشكول الضروب والجبلة الكثيرة الغليظة والقضف النحافة

فانظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما علمت النكتة يا عمر والله وناظمها
عفا الله عنه لم يكتف بالكلام حتى نبه الى الأبلغ بموقعه وكشف عن حقيقته
وقال الأول احذر ان تسبقه الى مثل هذا النسخ وكشف هذا الحجاب ولما قال ابو الطيب

إني على شغفي بما في خمرها ＊ لأعف عما في سراويلاتها

والخمر بضم الخاء جمع خمار قال الصاحب بن عباد كانت الشعراء تصف المآزر
تنزيها للألفاظ عما يستبشع حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح فقال
وكثير من العهر احسن من هذا العفاف وأما المتنبي فلأ في الطيب فيقول انما
عبرها ولم يصرح فاين هذا كله من كلام الناظم عفا الله عنه وأما قول الفرزدق
في جارية له ＊ يا رب خود من بنات الزنج ＊ تحمل تنورا شديد الوهج
اقب مثل القدح الغلنج ＊ يزداد طيبا عند طول الهرج
مجمجها بالأير أي مجمج ＊

فهو من مجونه التي كان يتحدثها في الشعر وغيره وقوله عند طول الهرج هو
بسكون الراء الجماع ولنضرب عنا من القلم الى ما هو اهم والله تعالى اعلم واحكم

وزان مسك الخال ورد خدها ＊ حسنا وقد عم بطيب عبق
وقبلت اقدامها ذوائب ＊ سود كقلب العاشق المحترق

اللغة قوله وزان مسك الخال المسك طيب معروف فارسي معرب كانت
العرب تسميه المشموم قال الشهاب الخفاجي ومن عندهم افضل الطيب ولما ذا
ورد تعلون من الفاخر الطيب عند الله من ريح المسك ترغيبا في ابقاء اثر الصوم
قال الفراء المسك مذكر وقال غيره يذكر ويؤنث وانشد ابو عبيدة على التأنيث
قول الشاعر ＊ والمسك والعنبر خير طيب ＊ أخذتا بالثمن الرغيب
قال السجستاني من انث المسك جعله جمعا فيكون تأنيثه بمنزلة تأنيث الذهب
والعسل وقال الجوهري من انثه ذهب به الى ريح المسك يعني وسمه مؤنثة وثوب
ممسك مطبوع به ودواء ممسك يخلطه به وسيأتي الكلام في المسك باوسع من
هذا ان شاء الله والخال شامة في البدن تخالف سائر لونه والجمع خيلان
والخيلة كالرغفة ورجل اخيل كثير الخيلان وامرأة خيلاء كذلك قوله ورد
خدها الورد بالفتح مشموم معروف يقال انه معرب واحدته وردة وبلونه قيل للأسد

ورد وللعز مورد ومفرقها بين الكميت والاشقر ومنه قوله تعالى فكانت وردة
كالدهان اي حمراء قال في مختصر العين نور كل شيء ورده والاكند غلب على هذا
المتعارف والخد جمعه خدود وهو من المحجر الى اللحي عن يمين الانف وشماله والمحجر
بكسر الميم سميت بذلك لانها تدمع تحت الجبين قوله وقد عم بطيب عبق العموم
الشمول والطيب ما يتطيب به والمراد هنا رائحته وعباقة الطيب تفوح عنه وسطوع
ريحه يقال عبق به الطيب عبقا كفرح فهو عبق اذا كان ريحه يتشبث بثوبه او بدنه فهو عبق
قاله والذي يظهر ان العبق للروائح الطيبة الزكية قوله وقبلت افراقها ذوائب
التقبيل اللثم والقبلة اسم منه والافراق جمع فرق وهو من الانسان مفرقه ولكونها
مؤنثة تعود عليها على فرقه وتقول العرب وضع فلان فرقه في الحرب اذا اقبل عليها
واخذ فيها وله في العلم فرق اي سبق واهل الفرق ما فرقته فرقا والذوائب جمع
ذؤابة وهي الضفيرة من الشعر اذا كانت مرسلة فان كانت ملوية فهي عقيصة
والذؤابة من العز والشرف وكل شيء اعلاه قوله كقلب العاشق المحترق
والعشق افراط الحب وقيل اعجاب المحب بمحبوبه وقد يكون في عفاف وقد يكون في
دعارة وقيل العشق عمى الحس عن ادراك عيوب المحبوب وقيل هو
مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور
وهذا المعنى هو الذي قصده المتنبي بقوله

وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

يقال عشقه كعلمه عشقا بالكسر وعشقا بالتحريك فهو عاشق وهي عاشق
وعاشقة وتعشق تكلفه وكسكيت كثيره والعشقة محركة شجرة تخضر ثم تدق
وتصفر وعنها اشتق العرب اسم العشق لما يبدو على العاشق من الاصفرار
والذبول والمحترق اسم فاعل من الاحتراق او هو مطاوع الاحراق يقال احرقته بالنار
فاحترق وانا محروق ومحترق والله اعلم **الاعراب والتصريف**
قوله وزاد مسند الفعل الجملة معطوفة على جملة تمنع في البيت قبله والف زاد
منقلبة عن ياء ومسند الفعل فاعله والفه منقلبة عن ياء ايضا بخلاف الفعال
الذي هو اخو الاسم فان الفه منقلبة عن واو وقوله ورد خبرها تقدم الاول لزاد
وحسنا مفعوله الثاني والمراد الخد على ارادة الجنس والا فهما خدان لكل شخص

قوله وقد عمّ بكيد جملة معطوفة على التي قبلها وفاعل عمّ ضمير المشتاق
ويحتمل ان تكون الجملة في محل نصب على الحال من الفاعل وهو مشتاق او من المفعول
وهو ورده وفاعل عمّ ضمير المشتاق على الاحتمال الاول او ضمير الورد على الثاني
قوله وقبلك اقرانها ذوائب جملة معطوفة على الجملة الاولى ايضا وذوائب
فاعل قبلك وصرفه للضرورة واصله ذآئب بهمزتين بعد الف المفرد الذي هو
ذؤابة كالالف التي في رسالة فقلبت الاولى همزة في الجمع لانهم استثقلوا ان تقع
الف الجمع بين همزتين فابدلوا من الاولى واوا وتمتنع فيه الياء التي هي صورة الهمزة
لانها تستثقل بين ياءين كما هو مقرر عند قوله ولشبه ذين ذا البيت وسود نعت للذوائب قوله
كقلب العاشق الكاف اسمية بمعنى مثل صفة ثانية للذوائب او حال منها والمعنى ويحتمل
ان يكون صفة لقلب ويحتمل ان يكون صفة للعاشق وقد قرئ قوله تعالى كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار بتنوين قلب فجبار صفة له وبالاضافة اي متكبر فجبار
صفة لمتكبر والله اعلم **المعاني** في تنكير حسنا للتعظيم او للتكثير او لهما وكذا
تنكير كيد وذوائب وكان مقتضى الكلام ان يقول سود كقلبي بالاضافة الى نفسه
لان المراد بالعاشق هو نفسه لا غيره وانما ارتكب الاظهار ليستدل على نفسه
بصفتي العشق والاحتراق واما قصد التشبيه بذوي العشق والتحلي بحليتهم لان العشق
في اعتقاده فضيلة ومنقبة جليلة كما قال الشاعر

وما العشق في الانسان الا فضيلة ... يميز اخلاقا له ويثقف
بعكس من يهوى ويطلب قربه ... فتكثر آداب له وتلطف

وكلامهم في هذا المعنى طويل الذيل ولهذا كان كثير من شعراء العرب يتحلون بحلية
العشق وان لم يكونوا عشاقا في نفس الامر كما يحكى عن ابن ربيعة وكثير وغيرهما
واما قصد الاظهار التشكي وشرح الحال للسامعين لعلهم يرحمونه او يرقون له
شعرا ويشفعوا في قضاء مراده على الوجه الحلال شرعا كما فعل الحسين رضي الله
عنه في تزويج لبنى من قيس بن ذريح فتسمح انه اتى بالاسم الظاهر مع قصده باللام التي
للعهد العلمي وهو الذي تسميه النحاة الذهني اشارة وهذا اولى انه قد عرف بهذه
الصفة وتقرر امره في الاذهان حتى صار من اهل الفن اذا قيل العاشق انصرف الذهن
اذ لا عاشق في العصر سواه وقد مر بهذا المعنى فيما مر من قوله لبنى وما اذ رام

فالمنبت للنبت حقيقة هو الله تعالى علم **البيان** في إسناد فعل الزيادة إلى
الوجه مثلا مجاز عقلي كقول أبي نواس

يزيدك وجهه حسنا * إذا ما زدته نظرا

وليس هذا المجاز في الحقيقة على مذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني وقال غيره
فاعله حقيقة هو الله تعالى وإنما أسند الزيادة إلى الوجه في كلام أبي نواس
وإلى مثل الخال في كلام الناظم لكونهما سببا فيها وإضافة مثل إلى الخال وورد
إلى الخد من إضافة المشبه به إلى المشبه وهذا إذا أريد بالمثل نفس الخال وبالورد
نفس الخد وأما إذا أريد بالمثل مجرد سواد الخال وبالورد مجرد حمرة الخد فالكلام
من باب الاستعارة التصريحية وهو أقرب في الذكر وأبلغ في المعنى ولأنه أخص بقوله
فلا يحسن الإتيان بما لا يناسب التشبيه وهو قوله وقد همت بكتب عصو
فيكون ترشيحا للاستعارة وفي قوله وقبلت أفواهها إذ وأي كناية لطيفة فإنه
لما أراد أن يصف شعرها بالطول المفرط كنى عن ذلك بأنه يصل إلى قدميها
ويمسها من قيام كما كنوا عن طول القامة بقولهم فلان طويل النجاد وقال بعضهم
يتوعد زوجته بأنه يتزوج عليها

أكلت دما إن لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فكنى عن طول رقبتها ببعد مهوى قرطها الذي هو المكان ثم إن الناظم رحمه الله
عبر عن مماسة الشعر للأقدام بالتقبيل وذلك استعارة تصريحية في غاية الحسن
والرشاقة وسيأتي قال الناظم في ذلك إن شاء الله **البديع** في كلام الناظم
منه الاستطراد وهو مأخوذ من استطراد الفارس لقرنه في الحرب وهو الفرار
الفرار إليه كي يستجره خلفه ثم إذا أخذ به عطف عليه فقتله فهو من مكايد
الحرب والاستطراد في الاصطلاح أن يكون الشاعر في غرض من الأغراض ثم يخرج
منه إلى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا
يكون قد تقدم له ذكر ثم يرجع إلى كلامه الأول أو يقطع الكلام فيكون المستطرد
به آخر ما يتكلم به وهذا هو الفرق بين الاستطراد والتخلص فإن الاستطراد
يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول أو قطع الكلام بعد المستطرد به والأمران
معدومان في التخلص فإنه يستمر فيما تخلص إليه فالأول وإنشاد مروره في منزل

النوع وسار مسير المثل قول السموأل *

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

فانظر كيف خرج من الفخر إلى هجو هاتين القبيلتين ثم عاد إلى ما كان فيه أولا فقال

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه *

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

فخرج من الغزل إلى هجو الحارث بن هشام وتعييره بفراره يوم بدر على وجه لطيف

ومنه قول البحتري من قصيدة في وصف فرس *

كالهيكل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

ملك العيون فإن بدا أعطينه ... نظر المحب إلى الحبيب المقبل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الأحول

وإنما قال ما إن يعاف قذى لأن الفرس الكريم لا يشرب الماء إلا كدرا حتى إنه إذا كان صافيا كدره بيده ثم شربه وأما الاستطراد في كلام الناظم فهو في قوله كقلب العاشق المختوم فإنه كان في وصف المحبوبة ثم استطرد منه إلى وصف نفسه بالعشق المفرط وقد قدمنا أن القلب العاشق قد غلب عليه والتزق به حتى صار بمنزلة العلم له وبهذا الاعتبار يصح الاستطراد في كلامه ويتم معناه وفي كلامه أيضا التتميم وهو أن يفعل المتكلم أو الشاعر قبل العجز من النثر أو البيت ما يدل عليه وقد شرحناه فيما سبق وهو في كلام الناظم في قوله وزاد شذا الخال فإن هذا الكلام يدل على أن الآخر من البيت من لفظة عبق وكذا السالف فإن وصف الذوائب بالسواد يدل على أن آخر البيت ينبغي أن يكون لفظة الحالك وفي كلامه أيضا إيهام التضاد وذلك في ذكر الخال مع العم من قوله وقد عم فإنه وإن كان فعلا ماضيا لا تكون صيغته موافقة لصيغة العم الذي هو أخو الأب فإنه يوهم بذكره عم مع الخال أنه يريد بالخال الخال الذي هو أخو الأم وبعم أخا الأب وهما متقابلان مع أنه إنما عنى بالخال الشامة وبالعكفة عم بمعنى العموم الذي هو الشمول ومما يوافق كلام الناظم في هذا المعنى قول الصفي *

بأبي من سبى الورى بمحيا * يخجل البدر حسنه حين تمّا
عممته خاله بمسك بديع * ولقد قل أن ترى الخال عمّا

وقال ابن عربي

كلما قلت قد بقيت غزالا * قال قلبي عليه حسن دلالك
لك والله يا أخا البدر خد * عممته بالجمال عنبر خالك

ومما قيل في تضوع ريح الجمال وعبق رائحته طيبه قول ابي اسر الشزاد

قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطرا
فأجبتهم والخال يعلو خده * أو ما ترون النار تحرق عنبرا

ومما قيل في طول الشعر وتقبيله الأقدام قول أبي بكر

كبناء أعارتها المها حسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت * مواطئ من أقدامهن الضفائر

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

كيف أنسى لشعره حين يمشي * وهو كان الشفيع بين يديه
شعر الشعر أنه راح يجري * فرمى نفسه على قدميه

والشعر في هذا المعنى كثير وقد أشار التهامي إلى إفراط الحب بقوله كقلب العاشق المهجور وربما كان فيه إيغال كقول الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

ومن أحسن ما وقع في إفراط الحب قول أبي الطيب

ومن شاء فلينظر إليّ فمنظري * نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
وما هي إلا لحظة بعد لحظة * إذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة * فما فوقها إلا وفيها له فعل

لم أودعت في مقلتي من سهر * وأضرمت في مهجتي من حرق
ولا يزال في رياض حسنها * يسرح فكري ويجول رمقي

اللغة قوله لم أودعت قال أهل اللغة الإيداع الترك ثم استعمل في الاستحفاظ على وجه مخصوص فيقال أودعت زيدا مالا دفعته إليه ليكون محفوظا عنده كاستودعته

ايامه وذلك انما الروح بقية وجمعها ودائع واستيقاظها من الرقدة التي هي الراحة
قوله في مقلتي المقلة بالضم شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها قوله من
سهر السهر الأرق وهو عدم النوم بالليل كله او بعضه وقد سهر بالكسر يسهر
بالفتح فهو ساهر وسهران وأسهره غيره ورجل سهرة كهمزة كثير السهر وليل ساهر
ذو سهر قوله وأحرقت في محبتي الإحراق الإيقاد يقال حرقت النار حرقا من
باب ضرب وتحرقت واحترقت التهبت وأحرقتها انا او حرقتها وحرقتها بالتشديد
للمبالغة والحراق ككتاب اشتعال النار في الحلفاء ونحوها والحراق ايضا فلان
الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه والحرقة بالتحريك الشعلة او الشيمة
في كربها نار يقال ما بها نافخ ضرمة اي احد وضرم الرجل كفرح اشتد جوعه والمهجة
دم القلب والروح يقال اخرجت مهجته اي روحه قوله من حرق وهو بفتح الحاء
والراء اسم بمعنى الاحتراق واحترق وايضا النار او لهبها قوله في رياض خشنت
الرياض جمع روضة وهي الموضع المعجب بالزهور ويستنقع الماء قيل سميت بذلك
لاستراضة المياه السائلة اليها اي لسكونها بها وأراض الوادي واستراض
اذا استنقع فيه الماء واستراض اتسع وانبسط ومنه يقال افعل ما دامت النفوس
مستريضة قوله يسرح بكسر السرح والسروح اهمال الماشية وتركها للرعي يقال
سرحت الابل ونحوها سرحا من باب نفع وسروحا اذا رعت بنفسها وسرحتها
انا يتعدى ولا يتعدى وسرحتها بالتسريح للمبالغة ويقال للمال الراعي سرح
تسمية بالمصدر قوله بكر العكر بالكسر التكرر في الشيء والترديد وعلماء
الأصول يعتقدون بما كان نكرة في المعنى بأن كان في المحسوسات فهو قليل قوله
ويجول ومعنى يقال جال الفرس في الميدان يجول جولا وجولانا قطع جوانبه والجول
بالضم الناحية وكأن المعنى انه قطع الاحوال الى النواحي وجال القوم في الحرب
جولة جال بعضهم على بعض وجال في البلاد طاف غير مستقر فيه فهو جوال وأجلته
اذا جعلته يجول وأجال سيفه اذا لعب به وأداره على جوانبه والرمق بالتحريك
بقية الروح وقد يطلق على القوة ويأكل المضطر من الميتة ما يسد به الرمق اي ما
يمسك قوته ويحفظها والله اعلم

الإعراب والتصريف

قوله كم اودعت في جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وكم خبرية وهي في محل

نصب

نصب مفعول مقدم باودعت وفاعل اودعت ضمير للبين ومن سهم تمييز لكم وكان من
حقه ان يتصل بها مجرورا باضافتها اليه الا انه لما انفصل عنها جر بمن البيانية
لئلا يلتبس التمييز بمفعول الفعل الفاصل بينهما قال سعد الدين في المطول واذا
فصل بين كم الخبرية وتمييزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا يلتبس بمفعول ذلك
الفعل نحو قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وكم اهلكنا من قرية ومحل كم هنا
النصب على المفعولية ه قوله واضرمت في مهجتي جملة معطوفة على التي
قبلها بتقدير كم واعرابها كاعراب التي قبلها همزة والنصل بالفعل قوله وبين
بزائي جملة معطوفة على جملة كم اودعت ولا يزال مضارع زال الناقصة واسمه
ضمير الفكرة ومن توجعه اليه من جملة المعنى وجملة يبرح فكر خبرها وفكر فاعل
يبرح على سبيل التنازع بينه وبين يزال فاعمل الاول في ضميره واستتر الثاني الذي
الظاهر بناء على جواز التنازع بين الفعل الناسخ وغيره وفي رياض حسنها
يتعلق بيبرح قدم عليه والياء في رياض منقلبة عن واو كما في صيام وقيام
لانكسار ما قبلها قوله ويبور معي جملة معطوفة على التي قبلها والمعدود
اعلم علم المعاني ان فصل جملة كم اودعت من التي قبلها لانها مستانفة
استئنافا بيانيا فانه لما وصف الرباب بانها كقلب العاشق المحترق فكأن
سائلا سأله فقال فما بال قلبك محترقا وما سبب احتراقه فقال سببه انما
كم اودعت في جزئه من الاشتياق على حد قوله

*

قال لي كيف انت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

وانما وصل جملة ولا يزال الخ بما قبلها لما بينهما من التوسط بين الكمالين والجامع
موجود اما باعتبار المسند اليه فلان في الجملة الاولى ضمير المحبوبة وفي الثانية
فكر الناظم ولا يخفى ما بينهما من الاتصال والمجاورة اذ هو وهي كالشيء
الواحد وفكره متعلق عليها وجائل فيها دائما وابدا لا يفتر احدهما عن الاخر
فيه سواء منه كما قال

*

أريد لانسى ذكرها فكانما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

فالمناسبة حاصلة على الوجه الاتم والتقريب كله عنها واما باعتبار المسند
فلان ايداع السهم واضرام نار الشوق من المحبوبة فيه مناسب لجولان الفكر فيها

الاقتناء ... ناظم

إذ هي السبب في الجميع والمنشأ للكل فإن قلت كيف تكون المناسبة حاصلة
بين الحالتين والأولى منهما قد دلت على ألم السقم وهي إزالة الشوق والثانية
قد دلت على التنعم برياض حسن المحبوبة بمثل هذا الابتداء قلت كذا ثم
في الثانية تنعماه للأولى دلت عليه وذلك أن حلول الفكر في محاسن
المحبوب لا يثمر إلا تهييج اللوعة وإيقاد نار الشوق لا سيما مع غيبة المحبوب
والحيلولة بينه وبين المحب كما هو حال الناظم وقد تقرر أن العشق مرض
وسواسي يجلبه المرء إلى نفسه بتسليطه فكره على استحسان بعض الصور وإنما
الذي يوجب التنعم هو النظر بحاسة البصر إلى محاسن المحبوب حال الاجتماع
به والانفراد به مع ما يتبع ذلك من المحادثة وغيرها فالوجه المناسبة بين
هذا البيت والذي قبله هو أنه لما شرع بالاعتراف مع المحبوبة فيما مضى
أراد أن يشرح معها فيما يستقبل فقال ولا يزال في رياض حسنها البيت يعني
أن أسباب الشوق وبواعثه لا زالت متجددة ودواعي الغرام لا زالت مستمرة
حتى يكون ذلك منه بآخر رمق فلا ينتهي أمره إلا بانتهاء الحياة فلا
كما هي في السلوان بحال فقد قلت ومراد الناظم أنه لا يسلو عن
هذه المحبوبة وأن حبها لا يمحى من قلبه إلا بالموت والأمر في ذلك ليس
إليه فإن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبه سبحانه كيف يشاء

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

قلت لعله رأى نفسه واختبر ما هو عليه مما راسخة في أرض المحبة ثابتة
العروق فيها متمكنة في ذلك فيما عما كفه عن الانقلاب فيئس من الإقلاع عنها فتحقق
بذلك وانكشف عما به فصح له الجزم بذلك وهذه عادة العشاق قد أتت
تجدهم يخبرون عن أنفسهم بأنهم هم متمادون في المحبوب ولا يزولون ولو بعد
الموت وحصول الفوت قال قيس بن الملوح

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدى صوتي وإن كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقال توبة بن الحمير

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح

لا يحولون

لَسَلّمتْ تسليمَ البَشاشة أو زَقَا … إليها صدًى من جانب القبر صائح

والشعر حكاية مشهورة ليس هذا محل ذكرها **البيان** أشد الابداع والاغراب
الى المحبوبة مجاز عقلي اذ هي سبب فيهما لا غير وفي أودعت وأمّت استعارتان
تصريحيتان وجامع الايداع هو الاستيفاء على وجه مخصوص والاغراب هو
ايقاد النار المتعارفة فالكلأ والدال على حصول الشيء عن فراق المحبوبة
والنار على حصول الالم البالغ بسبب الاشتياق والبين مجاز استعارة كما هو
واضح واضافة رياض الى الحسن من اضافة المشبه به الى المشبه اذ المراد بالرياض
نفس الحسن ويحتمل ان يكون المراد برياض الحسن وجهها وما يستحسن من اعضائها
فيكون استعارة تصريحية ايضا وانما جعل الوجه رياضا لانه يتنعم به كما
يتنعم بالرياض بل اعظم الا ترى انهم يشبهون كل عضو من اعضاء المحبوب وكل
مستحسن من وجهه بجزء من اجزاء الرياض فيشبهون الخدود بالورود والعيون
بالنرجس والثغور بالاقحوان والشعور بالآس والقدود بالاغصان وغير
ذلك ومن هذا المعنى قول البحتري

لما مشين على الأراك تشابهت … أعطاف قضبان به وقدود
في حلتي حبر وروض فالتقى … وشيان وشي ربى ووشي برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها … وردان ورد جنى وورد خدود

وقال فتح الله ابن النحاس

أقسمت ما روضة بالبين بين إذا … سحت عليها عيون العارض الهطل
شقت شقائقها أيدي الربيع وقد … ماست هوى بعضها كالشارب الثمل
يومًا بأحسن من ورد الخدود على … بان القدود ولا من نرجس المقل

وفي قوله يشرح صدر استعارة تصريحية ايضا فانه عبر عن ترديد الفكر في معاني
المحبوبة ومحاسنها بالسروح الذي هو شأن الحيوان السائم بجامع ان كلا
منهما اذ ارخي له العنان تجول ونفسه في تلك الجنان وفي لفظ الفكر
استعارة بالكناية حيث شبهه بكائن يحرز بنوله من الحيوان الذي شأنه ان
يسرح في الرياض تشبيها مضمرا في النفس واثبت له السروح الذي يلائم المشبه
به وقد قدمنا في هذا الكتاب ان التصريحية قد تكون قرينة للمكنية على مذهب

الزمخشري والتفخيم ومنه قوله تعالى ينقضون عهد الله وكل ما في ربه قوله يسرع
بكم يفرز في قوله ويجوز ان يكون حرفا بحرف والله اعلم **البديع** في قوله كم
او دمعا البيت الترصيع وهو نوع من السجع وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة
من صدر البيت او فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها من عجزه وهو ماخوذ من
مقابلة جواهر العقد وترصيعه بها ومن امثلته الشهيرة في الكتاب العزيز
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومنه قوله تعالى ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات فهو يطبع الاسجاع
بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقال الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

من قاسم بغرار العضب منتجع * وسابح بغبار الحرب ملتثم

والترصيع في كلام الناظم كما ترى والله اعلم

ولا تسل عما ابث من جوى * وما تريق من دموع ذرفى
يوم اشتكى كل لما في قلبه * تجيبه بكفره بما لقي
فالحزن من يشكو الجوى لمن جفا * وهو لرفع جفنه لم يرق

اللغة قوله ولا تسل السؤال الاستعلام والسؤل بالضم كقفل ما يسأله
الانسان ومنه قوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وتساءلوا سأل بعضهم
بعضا قوله عما ابث بث السر افشاه واذاعه يقال بث الرجل الحديث
اذا اذاعه ونشره وبث الشكوى اظهرها الخبر في النواحي فهم فيها وتشتد سيرته
الكمد تعالت وامتلات عليه قوله من جوى الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق
او حزن تقول منه جوي الرجل بالكسر فهو جو مثل دو ومنه قيل للماء المتغير المنتن
جو قال عمرو بن زيد

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا جو آجن ولا مطروق

قوله وما تريق من دموع الاراقة الصب يقال اراق الماء والدمع ونحوهما ريقا من باب
باع انصب واراقته انا صببته يتعدى بالهمزة والفاعل مريق والمفعول مراق
وقد تبدل الهمزة هاء فيقال هرقته وقد تجمع بينهما على الاصل قوله ذرفى هو
بالتحريك جمع ذرفة وهي من العين سواد مما الا عين وجمعها ذرف كما نكتب به
الناظم واشرا وحدا وفتال الفرد فيه

فالعيش بعد يوم كان عز الغنا ☆ سهلت بشولي بعدي عود ترقع

وضد الثناء النكير تعريفا سردة فقوله يوم اشتكى كل الشكاية الاخبار بسوء
الحال يقال شكوت فلانا شكوا وشكاية والاسم الشكوى بالقصر كتشكيته
اذا اخبرت عنه بسوء فعله بك وشكا الي فلان فاشكيته اي ازلت شكايته
فالهمزة للسلب مثل اعربته اذا ازلت عربه اي فساده قال الراجز

تمد بالاعناق او تلويها ☆ وتشتكي لو اننا نشكيها

وفي الحديث شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء في جباهنا
فلم يشكنا اي لم يزل شكوانا فقوله جاء في قلبه القلب الفؤاد وقد يعبر به عن
العقل قال الفراء في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فقوله
يصيبه الخبث بالكسر الخبث كالخدن بمعنى المخدون والذبح بمعنى المذبوح فيا يصيب
والخبيث كالخبر والحبر وزنا ومعنى والجمع اخباث كاخدان فقوله بكربه
الكرب الغم وقيل هو اسم جامع للنصر لا يثنى ولا يجمع لانه في الاصل مصدر
قال الله تعالى لا يفتر الشيطان كم فهمه وقد قيل الكراء وقوله جاء الغر اي من كان بره
الشدو ومعنا به الجور فقوله ما عذر من يشكو الجور العذر بالضم فعذره وجمعه
اعذار وعذره يعذره من باب نصره نصر عذرا ومعذرة صرف عنه اللوم فهو
معذور اي غير ملوم فقوله لمرجعا الجفاء بالفتح والمد مصدر الصلة وهو اعراضه
عن الشيء ماخوذ من جفاء السيل بالضم وهو ما ينفيه السيل وقد يكون مع بغض
وقد جفوت الرجل اجفوه بالواو ولا تقل جفيته فقوله وهو لرفع جفنه في جفن
العين غطاؤها من اعلاها واسفلها وهو مذكر وجمعه جفن السيف وهو غلافه
وجمعه اجفان والله اعلم **الاعراب والتصريف** فقوله ولا تسل
في جملة معطوفة على جملة كم اودى بمت **فان قلت** كيف هو عطف الانشاء على
الخبر والصحيح منعه **قلت** سياق المقصود من هذا النص التعويل لا الطلب
الكف عن السؤال ولذا ناهية وتسل مجزوم بها وهو اما ان يكون اصله تسل بالهمز
فنقلت حركتها الى الساكن قبلها ثم حذفت تخفيفا واما ان يكون اصله تسال بالالف
ساكنة كتخاف وهي لغة فيه ثم حذفت الالف بعد دخول الجازم فصار تسل ووزنه
تفل وقوله تعالى سل بني اسرائيل قراءة الجمهور يحتمل ان يكون من هذه اللغة ويحتمل

ان يكون من السبيل الذي هو من حذف الفضلة لكثرته وقوله عما اتى يتعلق به وما
موصولة واتى صلتها والعائد محذوف اي اتيته ومن جرى بيان لما في محل الحال
منها ومن على تقدير مضاف اي من خبر جري اذ الجور نفسه لا يؤتى وانما يؤتى خبره
ووصفه قوله وفات يوم من دون نوع من هو لا يعكف على المعمول قبله وهو في فاعل
تدين فقوله يوم اشتكي كل ذي كرب يتنازعه كل من اتى وتدين فاعمل الاخر منهما في
ضمير له ثم حذف لكونه فضلة واعمل الاول في الكلام المتنازع فيه والتقدير وان
تسل عما اتيته فيه اي في ذلك اليوم وفات تدين فيه وفتحة يوم يحتمل ان تكون اعرابا
ويحتمل ان تكون بناء وهذا البناء هو المختار لمشاكلة الكون فيما اضيف اليه
في المحكي الذي هو البناء ومنه قول النابغة *

على حين عاتبت المشيب على الصبا … وقلت ألمّا أصح والشيب وازع

وأتى اشتكي اطلقها النواو لاكتفاء اشتكالك ان البلاء لعين ورتقا حلاوة في
العقل وتكتب بالياء وكل فاعل اشتكي وتنوينه عوض عن المضاف اليه اي في
اشتكى كل واحد منا وفيما في قلبه يتعلق باشتكي والباء زائدة في المفعول كقوله

من الحرائر لا ربات اخمرة … سود المحاجر لا يقرأن بالسور

في زوغل الشكاية يتعدى بنفسه وفي التعريف ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا ويحتمل ان تكون للتعدية لما في
الشكاية من معنى التكلم ونحوه كقولك تكلمت بكذا وتكلمت به ويحتمل على بعد
ان تكون للسببية والله تعالى اعلم قوله في قلبه يتعلق باشتكي ايضا واللام فيه
بمعنى الى اي كل منا اشتكى الى صاحبه ما يجد من الم فراقه وقوله بمكروه يتعلق باشتكي
ايضا وهو على تقدير مضاف اي بالاشارة بمكروه والباء فيه للالة وقوله
بما لقي بدل مما في قلبه والعائد من الجملة اي الموصول محذوف اي بما لقيه فقوله
ما عزني جملة من مبتدا وخبر مستانفة فقوله من يشكو الجور موصول في محل جر
بالاضافة عن النفي ولا تزاد اليه بعد ذا ويشكو لانها ليست هي جمع فقوله لمن
جعلا يتعلق بيشكو واللام بمعنى الى وجملة ومن لم ترفع جفنه في محل الحال من فاعل
يشكو والرفع مفعول مقدم ببدر واللام فيه تقوية للعامل الضعيف بالتاخير كما في
قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون والله اعلم **المعاني** قوله ولك نسلى

هذا الكلام صورته صورة الطلب والمقصود منه تعظيم الامر وتهويله كما في قوله
تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قال الزمخشري قيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه
ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله
ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع
واضجاره فلا تسأل ومنه قول ابن المعتز

وكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فقوله عما ابت مرجو مركان وتقتضي الحال من ان يقول عما بثبت بلفظ المضي وكذا
قوله وما ادريك لان هذه الحكاية كانت بعد رحيل المحبوبة مع قومها وانقطاعها عنه
عنه ان حيث يتعذر الاطلاع بها ومن هنا اقتفى الناظم ذا اثارهم ولزوم حادي بهم
وكان من اصله فعبر عنه بصيغة المضارع شرحه فالمقام للمضي كما عرفت الا كنه عبر عنه بصيغة
المضارع حكاية للحال واحضارا لتلك الصورة في ذهن المخاطب حتى كانه يشاهدها
فيزداد تعجبا منها على حد قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
قال الزمخشري رحمه الله فان قلت لم جاء فتثير على المضارع دون ما قبله وما
بعده قلت ليحكي الحال التي يقع فيها اثارة الرياح للسحاب وتستحضر تلك
الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع
تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه
يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراءته على كل هول
وثباته عند كل شدة ه ومنه يفهم معنى كلام الناظم ويعرف معناه وفي
الكلام الخطاب بسبب الانتقال او الا بانه من انواع التقسيم نائبا عن فجور ومما
والمقام يقتضيه وتنكير حور ورد فورع للتكثير وللتعظيم والامر ان يكون في حور
للتعظيم وفي ورد للتكثير فقوله فاعذر من يشكر الحور للاستفهام هنا للانكار
اي ذاك شيء فمن عذر من يشكره اي ولوعه ومعنى نبذ فكرة جد فوقعه قال

كيف

وقال

لا تحزّن له في عموم أوقاته فإنه : واقتصاره على مجرد أحد عقابيه : فإن أفادة التضجع
عليه لا يجيء : وشتان ما بين الشاكي عن محبوبه منه والجمع : ومن قال الشاعر

إذا بان محبوب وعاش محبه * فذاك كذوب في الهوى غير صادق

وقوله لم يخف البين إذ منه عقيقة الجفا ولا لأنافة من رآه في البين فبلغه
من أن كلا منهما شكا صاحبه بما لقيه من أجله بعد أن مر في أنه لا يكفي من أحدهما جفاء
لصاحبه وحينئذ فالمراد بالجفاء هنا ما نشأ عنه الافتراق : من جزوب العراق بلا
اختيار : ولا يحتاج أن يغير الجفا بغيره إذ هو في معنى اللازم والمعنى لم يحصل
منه الجفاء والله تعالى أعلم ، ومما قيل في التوديع بالإشارة ما حكاه الأصمعي
قال سمعت أعرابيا يقول بما كتب أخي ويقول شيعنا الحي بعد الحمام : وقيل أذن
للسلام : فأشرنا بالعيون إلى السلام : وخرست الألسن عن الكلام : وقال الشاعر

ولما التقينا والغرام يزيننا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يجري بيننا ، نسارق منا نظرة ونسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال جميل

إن الذين غدوا بلبك غادروا ، وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقال ابن الخطيب في المعنى إلا أنه أخبر نفسه بالشكوى دون المحبوبة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا ، غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ، ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقال غيره

لما وقفنا للوداع وهالنا * كنا نكفكف من الدموع تخفيفا
نثروا على ورد الشقائق لؤلؤا ، ونثرت من فوق البهار عقيقا

وقال ابن أبي حصينة الحلبي

ولما وقفنا للوداع وقلبها ، وقلبي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي ، عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

والشعر في هذا المعنى كثير ومما قيل في الاقتصار في التعريض على النحيب ومن في معنى
قوله فما عز من يشكو إليه الهوى والبين فهو أخيس بالملوح *

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(تأوّه على ذكر الليالي سلفت * في معهد كالبارق والمتألق)
(في معهد كنا به كنخلتي * حلوان في وصل بلا تفرق)

اللغة قوله تأوّه على ذكر الليالي أي مركز بالمد وكسر الهاء للتعدية أسماء كلمة تقال عند التوجع وقد تقال عند الاشفاق وفيها لغات وقد أوّه الرجل تأويها وتأوّه تأوّها إذا قال أوّه والاسم منه الآهة بالمد كالقامة قال المثقب العبدي

إذا ما قمت أرحلها بليل * تأوّه آهة الرجل الحزين

قوله سلفت أي مضت يقال سلف سلوفا من باب قعد مضى وانقضى فهو سالف والجمع سلف وسُلّاف مثل خادم وخدام ثم جمع السلف على أسلاف كسبب وأسباب قوله كالبارق والمتألق يقال برقت السماء بروقا وبرقانا لمعت أو جاءت ببرق والبرق بريقا أضاء والبارق سحاب ذو برق والمتألق اللامع يقال ائتلق البرق ائتلاقا وتألق تألقا لمع فهو مؤتلق ومتألق قوله في معهد كنا به المعهد المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه وعهدته بمكان كذا لقيته به وعهدي به قريب أي لقائي له وقول أبي خراش الهذلي رضي الله عنه

فليس كعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

أي ليس الأمر كما عهدت ولكن جاء الإسلام فهدم ذلك وفي [الحديث] ان كرم العهد من الإيمان أي رعاية المودة قوله كنخلتي حلوان أما النخلتان فسيأتي ذكرهما وأما حلوان فهو بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر مدن العراق وبينها وبين بغداد نحو خمس مراحل وهي من طرف العراق من جهة الشرق والقادسية من طرفه من جهة الغرب قيل سميت باسم بانيها وهو حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان الزهري أبو القبائل من مضر والله أعلم

الإعراب والتصريف

قوله تأوّه على ذكر الليالي جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وتأوّه اسم فعل بمعنى أتوجع والهاء منقلبة عن واو وعلى ذكر الليالي متعلق به وعلى تعليلية كهي في قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم والليالي اسم منقوص أصله ليالي بالياء جمعا على غير قياس فاستثقلت حركة الياء وإن كانت فتحة لكونها نائبة

عن الكسرة في ممنوع الصرف بحذف ثم حذفت الياء استثقالا ثم عوض عنها
التنوين كجوار وغواش وجملة سلفت في صفة الليال وقوله كالبدر والمرتاد يرقبه
ثانية اذ حال منه ويجوز ابدال همزة المرتاد واوا من جنس حركة ما قبلها تخفيفا
فقوله في محل يتعلق بسلفت وجملة كنا بها صفة له وقوله كخلس يتعلق بكان
خبر كان والكاف تحتمل الحرفية والاسمية وقوله في وصل يتعلق بما دلت عليه
الكاف من التشبيه ويحتمل ان يكون خبرا ثانيا لكان او حالا من اسمها وقوله بلا
تعب نعت لوصل والله تعالى اعلم **المعاني** انما فصل جملة دالة عما قبلها
لما بينهما من كمال الانقطاع بلا ايهام ولانه لا جامع بينهما اذ موضوع الكلام
المتقدم غير موضوع هذا لانه كان ينبه عن حاله مع المحبوبة يوم الرحيل ويصف
ما اتفق له في ذلك المشهد انما يرد الموقف الحكيم بتذكر ما مضى له معها قبل
ذلك من العيش الرضي والوصل الهني في الزمن الرضي والعمر الزكي
ومن كلامهم ذكر ما فات يكدر الاوقات فقطع ما كان فيه من الوصف وصرخ
متوجعا ونادى متفجعا دالا على ذكر الليالي فهذا الكلام انشاء فيما يظهر
وليس بخبر اذ لا نسبة له في الخارج فتعين الفصل والله اعلم وتنكير ليال
للتعظيم او للنوعية لانها كانت في وجوه الدهر مواسم وبمنزلة الاعياد منه
او المواسم وكذا تنكير مغمر يحتمل المعنيين وقوله كالبرق والمرتاد لمحه
انها سريعة الذهاب قليلة اللبث والبارق يحتمل ان يراد به البرق نفسه ويحتمل
ان يراد به السحاب ذو البرق وكلاهما يضرب به المثل في سرعة الانصرام ومن
امثالهم سحابة صيف عن قليل تقشع ومن كلامهم اقبال الدنيا كلمحة في
صيف او سحابة صيف او زيارة ضيف ومعنى قوله في وصل بلا تعب واني وصل
لم تتخلله جفوة ولا كدر معاد له بعد شدة لان النكرة في سياق النفي تعم
والله تعالى اعلم ومما قيل في استقصار ايام الوصال قول ابي تمام

ولقد اراني والليالي بغفلة ... والعيش غض والزمان غلام
اعوام وصل كان ينسي طولها ... ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اردفت ... بجوى اسى فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكانها وكانهم احلام

وقال ابو الطيب

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالاصائل والضحى ... اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به ... وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا

وحكى ابو محمد اسماعيل بن الشيخ ابي منصور الجواليقي البغدادي اللغوي المشهور قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرءون عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها ... وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة ... ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال ابو محمد فلما سمعهما ابي قال يا بني هذا شيء من علوم النجوم ومعرفة سيرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيى الشيخ أن يسأل عن شيء ليس عنده منه علم فقام وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف كيفية سير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيتين المسؤول عنه أن الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لأنه آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لأنه آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر والله اعلم

ذكر نخلتي حلوان وما قيل فيهما

قال الشيخ ابو منصور الثعالبي في ثمار القلوب فيهما نخلتان كانتا بعقبة حلوان من غرس الأكاسرة يضرب بهما المثل في طول الصحبة وقديم المجاورة وقد اكثر الشعراء من ذكرهما فمنهم مطيع بن اياس ففي الأغاني عن مطيع قال كانت لي بالري جارية أيام قدمنا فيها مع سلم بن قتيبة وكنت أتعشقها وكنت أتعشق امرأة من بنات الدهاقين كنت نازلا في دارها فلما خرجنا بعت الجارية وبقيت في نفسي علاقة من المرأة التي كنت أهواها فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستندا الى احدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وارثيا لي من ريب هذا الزمان

ولعمري لو ذقتما ألم الفر ... قة أبكاكما الذي أبكاني

أسعداني وأيقنا أن نحسا ... سوف يلقاكما فتفترقان

فغنا لي سلم وذلك بمنزلة الأبيات في جاريته فاستحييت أن أصرفه فقلت نعم فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعهما لي فلم يلبث أن ورد كتابه أني قد ابتعتهما فدبرتا ولهما الرجال أو قد عزبت نفسي عنهما قام لي بخمسة آلاف دينار ولا والله ما كان في نفسي منهما شيء ولو كنت أحببتهما لم أبذل إذا بعث إلي من تركا ولهما ولونا كعمل أمير المؤمنين كلهم وعن عبد الله بن أيوب قال لما خرج المهدي إلى الري أعلمنا من قبل أبيه أبي جعفر المنصور وصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغدى وعادته حسنة جاريته فقال لها أما ترين طيب هذا الموضع غنيني بحياتي حتى أشرب منها أقداحا فأخذت محكة كانت في يدها ووقعت على محزة وغنته

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا ... إذا نام حراس النخيل جناكما

فطيبكما أربى على النخل بهجة ... وزاد على طول الفتاء فتاكما

هكذا في الأغاني والذي في مجمع الأمثال أن المهدي لما نزل تحت النخلتين للشرب فغنته المغنية

أيا نخلتي حلوان بالشعب إنما ... اشتركتما عن نخل جوخى شقاكما

إذا أغرجا وزنا الثنية لم تزل ... على وجل من شيمنا أو نراكما

فقال أحسنت والله فيما قلت إذ نبهتني على هذا والله لأقطعنهما أبدا ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت ثم أمر بأن يفعل فلم يزل الأمر في حياته على ما رسمه إلى أن مات وقيل إن الذي نهاه عن قطعهما هو والده أبو جعفر المنصور لما بلغه قوله لأقطعنهما ثم لما كانت خلافة الرشيد خرج إلى طوس في وجهه الأول فهاج به الدم بحلوان فأشار عليه الطبيب بأكل الجمار فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جمارا فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ولكن على العقبة نخلتان فأمر بقطع إحداهما وأتي بجمارها فأكل منه وراح فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة

وإذا

[illegible] تكون النخلة الصغرى بينهما فقال لنا وقد [illegible] فانظر ثم أبيات مطيع [illegible]

أقتحت إلى فراقهما * أسعداني وأيقنا أن نحسا * سوف يلقاكما فتفترقان * فقال أحسنت

والله [illegible]

وَرَاه على القابة مكتوب

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وارثيا لي من ريب هذا الزمان

الأبيات بأعلى الرشيد وقال يعز علي أن أكون قد نحستكما ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو بلغني الدر زاد في الثمار فعجبت النخلة المقطوعة فلم تلبث صاحبتها أن جفت أيضا وبكلتيهما ولهما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد

جعل الله نخلتي قصر شيرين ... فداء لنخلتي حلوان

جئت مستسعدا فلم تسعداني ... ومطيع بكت له النخلتان

وأنشد جحظة عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه لبعض الشعراء ولم يسمه

أيها العاذلان لا تعذلاني ... ودعاني من الملام دعاني

وابكيا لي فإنني مستحق ... منكما بالبكاء أن تسعداني

وأنا منكما بذلك أولى ... من مطيع بنخلتي حلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو ... من جواه وأنتما تعلمان

والشعر في ذلك كثير والله أعلم

ونلنا به ما نشتهي من لذة ... وقد عقه في ليل عشر دعجي

إذ ما كان السعد فيه مساعدا ... وغفلة الرقيب ذات تغني

والبدر فيها رسلاء عزة ... يقنع من لبنى إذا الهم نلتقي

اللغة قوله نلنا به أي النيل بلوغ المقصود وقد نال الشيء من أصحابه ومن مطلوبه أي أدرك ما أراده ونال خيرا يناله من باب فرح نيلا أصابه ويتعدى بالهمزة إلى الثاني فيقال أنلته مطلوبه فناله قوله ما نشتهي الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وقد شهيته كرضيه وشهاه كدعاه واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه وشيء شهي مثل لذيذ وزنا ومعنى قوله من لذة اللذة بالفتح نقيض الألم قاله في القاموس وللمتكلمين في تعريفها كلام ليس هذا محل بسطه وقد لذ الشيء يلذ من باب تعب لذاذا ولذاذة بالفتح فيهما فهو لذيذ أي شهي يقال لذ ولذيذ ولذذته أنا إلذاذا وجرته كذلك يتعدى ولا يتعدى ولذذت به والتذذت به بمعنى واستلذذته عددته لذيذا قوله وقد عقه

الدعة بفتح الدال الراحة والسعة في العيش وقد ودع زيد ككرم ونصر دعة
بالفتح فيهما وسكن فهو وادع ووديع وقال ابن بطال المكان وادع اي من غير كلفة
ورجل متدع اي صاحب دعة وراحة ويتدع بالمودوع اي بالسكينة والوقار
قوله في كل عشي قال ابن قتيبة يذهب الناس ان الظل والفيء بمعنى واحد
وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفيء لا يكون الا بعد الزوال فلا
يقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي ما بعد الزوال فيئا لانه ظل فاء عن جانب
المغرب الى جانب المشرق والفيء الرجوع وقال ابن السكيت الظل من الطلوع الى
الزوال والفيء من الزوال الى الغروب وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها بالغدوة
والفيء بالعشي قال وقال رؤبة بن العجاج كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه
فهو ظل وفيء وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل
والفيء ينسخ الشمس قاله في المصباح والظل ايضا العز والمنعة على الاستعارة
وانا في ظل فلان اي في كنفه والظلة الشيء يغشيك او دنا منك حتى القى عليك
ظله وقولهم تركته ترك الظبي ظله مثل يضرب للرجل النفور لان الظبي اذا نفر
من شيء لا يعود اليه ابدا والعيش الحياة والطعام وما يعاش به ومن اين
المراد هنا وقد عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة واعاشه الله وعيشة
الحياة والعيشة قوله رغد نال الا صعب عيشة رغد كفعل واسع وقال ابن
الاعرابي طعام رغد ورغد اي هني قوله ازمانا زمان السعد الازمان جمع زمن
كسبب واسباب وهو الوقت قل او كثر وقيل الزمان الدهر وجمعه ازمنة وازمن
كارغفة وافلس ولقيته ذات الزمين كزبير تريد بذلك تراخي الوقت كما يقال
لقيته ذات العويم اي بين الاعوام والسعد هنا بمعنى السعادة ضد الشقاء
وتكون في الدين والدنيا وقد سعد كعلم وعني سعدا وسعادة فهو سعيد ومسعود
واسعده الله فهو مسعود ولا يقال مسعد واسعده اعانه كساعده ولبيك
وسعديك اسعادا لك بعد اسعاد قوله ورقبة الرقيب يعني انما رمق والحافظ
يقال رقبته ارقبه من باب نصر حفظته فانا رقيب ورقبته وارتقبته انتظرته
والاسم منه الرقبة بالكسر وجمع الرقيب رقباء ورقيب النجم الذي يغيب
بطلوعه مثل الثريا رقيبها الاكليل اذا طلعت الثريا عشاء غاب الاكليل

واذا

وإذا طلع الإكليل عشاء فغابت الثريا قوله ذات بخنق البخنق بالتحريك البرقع
الصغير والكبير له ثقبتان أو لا يلتفت بثقب عينيه على حرفته ويكون ذلك بفقيهما
وانفتاحهما وقد يغطي كفرج ونحو يقرب بأخذ العين وتخيفهما والعين النجلاء العوراء
كالنجلاء خوفه وقد تغيبت إذا عينيه لمنع عورتها قوله سلام عزة السلام التحية
وهو اسم مصدر سلم سلاما كتكلم كلاما والسلام من أسماء الله تعالى والسلام
أيضا شجر بالبادية قيل إنه مر ابن السلام عليك فقال الجميلات عليك قيل له ما
هذا الجواب قال إنهما شجران مرّان وإن جعلت على أحد منهما جعلت عليك الآخر
وعزة بفتح العين والزاي ولبنى بضم اللام كلاهما علم امرأة وقد جمع الراجز بينهما في قوله

صلى على عزة الرحمن وابنتها * لبنى وصلى على خالاتها الأخر
هن الحرائر لا ربات أخمرة * سود المحاجر لا يقرأن بالسور

الإعراب والتصريف

قوله نلنا به جملة في محل النعت أو الحال
من ضمير في البيت قبله والراء تال منقلبة عن ياء وحذفت لالتقاء الساكنين
والباء في به ظرفية والضمير للمصدر وما نشتهي مفعول نلنا وعائد الموصول محذوف
والتقدير ما نشتهيه قوله من لذة بيان لها في محل الحال منه وزعمه معطوف
عليه ومن غفر وحذف الباء التي بين الواو وقد تجوز حذف هاء التأنيث قوله في
كل عيش متعلق بنلنا ويجوز أن يكون ظرفا مستقرا أي في محل النعت للذة وزعمه
إذا كان بنتين في كل عيش ويجوز أن يكون ظرفا لغوا متعلقا بالفعلين على سبيل
التنازع قوله أزمان كان الصغر ظرف متعلق بنلنا ويحتمل أن يكون متعلقا
بمحذوف تقديره كان ذلك أزمان كان الصغر فحذف ثم عادة تنهم أن يخبروا عن
أمر ويصفوا حالة ثم يقولوا الأيام كان كذا وكذا أو عمرك الله كان كذا وعشية أن نحو
ذلك فإن كان في الكلام ما يصلح للعمل في الظرف فذاك وإلا قدر له عامل من جنس
ما يقتضيه المقام وجملة كان الصغر في محل جر بإضافة أزمان إليها وبضمة النون
منه تحتمل البناء والإعراب حسبما مر عند قوله يوم استكمل البيت قوله
ومقلة الرقيب جملة في محل النصب على الحال من اسم كان أو من ضمير المتكلم المجرور باللام
ويحتمل أن تكون معطوفة على معمول كان من قوله لنا قرأت بحر مرفوع على الإهمال
لا واو ونصب على النسق قوله والنوم قد هان جملة معطوفة على جملة أزمان

كان الشعر أو غيره جملة نابت منابه والشرط كذلك يتعلق بهما وهو وجملتا فخر وأبيه
عن نائب وسلام عزة اسمها وجملة يقنع من لبنى خبرها والكلام على تقدير مضاف
أي يقنع من سلام لبنى وقوله إذا الخ نلتو كذلك متمم معنى الشرط يتعلق بيقنع
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه والتقدير إذا الخ نلتو فسلام عزة
يقنع من سلام لبنى والله أعلم **البيان** قوله في ظل عيش دهر فيه استعارة
بالكناية فإنه شبه العيش الهني بشخص شامخ أو زوج وبان ونحو في ظل وارف
وكنف واسع بحيث يعطف كل من ياوي إليه ويقيه حتى من حر الشمس الذي هو
أدنى المؤذيات في عرف العادة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بالظل الذي هو من
خواصه فجاء الكلام مشتملا على استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية
كقول أبي ذؤيب الهذلي

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله دهر غفل ترشيح للاستعارة إذ معناه الواسع وهو يلائم المشبه به
وإسناد الغفلة عنك إلى الشعر مجاز عقلي وهو استعارة بالكناية أيضا وقوله
نظيره قوله ومقلة الرقيب ذات كذا نحو هذا من باب التمثيل ويسمى الاستعارة
التمثيلية وحقيقتها اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه
التمثيل للمبالغة كقولهم للمتردد في أمر إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى وهو مجاز
في المركب كما تقرر ومنه كلام الناظم فإن المراد من قوله ومقلة الرقيب ذات كذا نحو
أبادل الزوجة المحبوبة كان قد حصل له في زمان الرقيب فيه مغلوب عليه
مكروه عن ناحيته فرار تحكم في منزلة النكر والشكف يرزع النعم ويأكل يزاله
من الأشياء وقد شاع من كلامهم قد جعلت عين فلان إذا أتيت بما يسخطه ويرغمه
ويرديه وتقول نسا من فلان أي معناه فكنت شجى في حلقه وقذى في عينيه
لا تريد أنك أغمضته بشيء ولا أنك أصبت عينه بآفة وإنما تريد أنك كبته
وحسرته فصار حاله حال من به الشجى والقذى **واعلم** أن الذين يتعرضون
للمحبين ويحزنون عليهم عيشهم في المحبة ثلاثة أصناف العاذل والواشي
والرقيب وبين هؤلاء الثلاثة فرق ولكل واحد خاصة ورسم فالعاذل هو اللائم
من الذي يلوم المحب ويعذله إما على علاقة قلبه وشغل فكره بما يهيم به غرامه

من أفرد دينه ودنياه من غير تعرض للمحبوب بحزم ولا ذم وإنما الحامل له على العذل
فضل النصيحة وإنما الشفقة بمنزلة ناصح مشفق وأما أن يكون العذل للمحب وبمنزلة
إباية حسده على ذلك المحبوب لما اختص عليه من صفات الجمال وخصال الكمال
وأما أن يكون العذل للمحب على علاقة قلبه بمحبوب غير مرضي الجمال أو قليل الرشاقة
وجهه أو قبيح بفعاله فيريد حسن الوجه قبيح الفعال كما قال أبو الطيب

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلائق

وأما أن يكون لوم العاذل لكونه لم ير المحبوب ولا شاهد من حسن صورته وجميل
فعاله ما يغري به المحب وهو بحيث لو رآه لغبط المحب وعذره وساعد في محبته
تكرارا كما قال الآخر

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل

وأما الواشي فهو أشد على المحب من العاذل قالوا الواشي يسعى بين المتحابين
بالنميمة ويثير البغضاء والمنافرة والفرقة وإنما سمي واشيا من الوشي
وهو الرقم لأنه يزين الباطل ويبرزه في صورة الحق ويحسن القبيح ويقبح الحسن
حرصا على قبول قوله والوصول إلى غرضه فيستميل المحبوب بما يزخرف له من
الأقاويل ووجوه التأويل كما قال الآخر

قلت للأحباب الذي نفع الغضا * كلام الوشاة ما ينبغي لك
قال قول الوشاة عندي ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

فالعاذل أمره أخف وحاله أيسر لأنه يلقي إلى المحب ما يلقيه على جهة إظهار
النصيحة وقلما يقبل ذلك منه إذ الغالب أن الحب أملك وأما الرقيب
فهو المتسلط على المتحابين الحائل بينهما بالفعل والقول الحريص على أن لا يكون
بينهما وصل ولا يجتمع لهما شمل فهو مشغل أوقاتهم ومنغص لذاتهم واستعماله
عليهم لا يغيب عنهم ولا يفارقهم كمرضه غير أن الواشي بين العاذل والرقيب
وفي بعض الحال الواشي ويعلم قصده فلا يسمع قوله وتعكس عليه أغراضه
وشأن الرقيب أشق وأمره أعظم وأما قول من قال

أعجب الرقيب أن الرقيب * يكون إذا كان حبيبي معي
وأهوى العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعي

فهذا قد اغتفر الرقيب في جنب اللذة واحب حضور الرقيب لحضور المحبوب لأن في الرقيب لملازمته له يحضر حيث يحضر ويغيب حيث يغيب فحضور الرقيب لا لذاته بل لما يلزم على حضوره من حضور المحبوب واظهر في البيت التلذذ بأنه يهوى العذول ويرضى بعذله لأن عذله على حبه يستلزم ذكر المحبوب فيغتفر ألم العذل في جنب لذة سماع ذكر المحبوب والتعريض عنه وهذا الحكم ذاهب بذا على الابتداع والمبالغة في الحب والخروج عن المعتاد فيه ومقويه ان قول الآخر

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

وقد رده أبو الطيب هذا المذهب بقوله

القلب أعلم يا عذول بدائه ... وأحق منك بجفنه وبمائه

فومن أحب لأعصينك في الهوى ... قسما به وبحسنه وبهائه

أأحبه وأحب فيه ملامة ... إن الملامة فيه من أعدائه

وقد الف بعض المتأخرين كتابا سماه الحكم العادلات في العذول والرقيب والواشي والعاذل ، فما أتيه الى الترتيب المتقدم ورد الافعلمن على المحبين الرقيب ثم الواشي ثم العاذل فالرقيب أشدهم على الاطلاق ولذا اختتم الناظم من بينهم ووقع حاله غاية التقبيح بكريه الكناية والتصريح . واما قوله والبدر فدها رسلاج عزلة البيت فمعناه انه لما غاب السعد وانعكس الجد صار يتعلل من لبنى بالقليل منها منزلة واحط منها رتبة وهي عزة وفي هذا تلميح الى قصة قيس بن ذريح ومن كما قال في الأغاني انه لما طال على قيس ما به من حب لبنى بعد فراقه اياها اشار قومه على ابيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبنى بعد ذلك فدعاه ابوه الى ذلك فأبى عليه وقال

لقد خفت الا تقنع النفس بعدها ... بشيء من الدنيا وان كان مقنعا

وازجر عنها النفس اذ حيل دونها ... وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فألح عليهم أبوه بمبادرة عليه فقالوا له مره بالمسير في احياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه ان تقع على امرأة تعجبه فأقسم عليه ابوه ان يفعل فسار حتى نزل بحي من فزارة فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خز عن وجهها وهي كالبدر ليلة تمه فقال لها ما اسمك يا جارية قالت لبنى فسقط على وجهه مغشيا عليه

فنضحت على وجهه ماء وازالت عنه ما عراه ثم قالت ان لم يكن هذا قيس بن ذريح
انه لمجنون فافاق وهو ينتسب فانتسب فقالت قد علمت انك قيس ولكن نشدتك
بالله وبحق لبنى الا اصبت من طعامنا وقربت اليه طعاما فاصاب منه
باصبعه وركب فاتى على اثره اخ لها كان غائبا فرأى مناخ ناقته فسألهم عنه
فاخبروه فركب حتى رده الى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهرا فقال له لقد
شققت علي ولكني سأتبع هواك والعذري يزداد اعجابا بفروسيته وعقله
وروايته فعرض عليه الصهر فقال له يا هذا انك لرغبة ولكني في شغل
لا ينتفع بي معه فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون قد خشينا ان يصير
علينا بفعلك سبة فقال دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام فلم يزل به حتى
اجابه وعقد الصهر بينه وبينه على اخته المسماة لبنى وقال له انا اسوق عنك
صداقها فقال انا والله يا اخي اكثر قومي مالا فما حاجتك الى تكلف هذا انا
سائر الى قومي وسائق اليها المهر ففعل واعلم اباه الذي كان منه فسره ما
فسر له وساق المهر عنه ورجع الى العذريين حتى ادخلت عليه زوجته فلم يرها
حتى انقضت ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها واقام على ذلك اياما
كثيرة ثم اعلمهم انه يريد الخروج الى قومه اياما فأذنوا له في ذلك فمضى
لوجهه الى المدينة وكان له صديق من الانصار بها فاتاه فاعلمه الانصاري
ان خبر تزوجه قد بلغ لبنى فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت امتنع من اجابة
قومي الى التزويج فانا الان اجيبهم ثم تزوجت ولم ينتفع كل منهما بصاحبه الذي
تزوج والخبر في ذلك يطول واعلم ان ارباب التعبير والشعراء اختلفت في هذا
المعنى الذي هو التسلي بمحبوب عن اخر فمنهم من رأى ان المحب اذا تعذر عليه
امر محبوبه فليتسل بنفسه في التسلي عنه بالمرأة او استبدال غيره به فان النفس
اذا الفت التنقل من حال الى حال واستبدال محبوب باخر ربما تسلت عن الجميع
وكان هذا رأي من ليس براسخ في المحبة ولا صادق المودة وان تعلقا ولكنه
رأي ابي تمام اذ يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

ومن أحسن ما قيل في النسيب قول عمر بن أبي ربيعة

آلآنَ وازدادَ الرحيلُ بنا غدت ... إذا انبتّ حبلٌ أنّ قلبك كعابرُ

أمِن فِرقةٍ والعاشقون وفارقوا الشـ ... ـعوبَ واستمرّت بالرجال المرائرُ

زعِ النفسَ واستبقِ المحبّةَ فإنّما ... تُبعِّدُ أو تُدني الربابَ المقادرُ

أحِبّ حبيبَها واجعل قديمَ وصالِها ... وعشرتَها أشباهَ من لا تعاشرُ

وهبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... به الدارُ أو من غيّبته المقابرُ

وكالناس عُلِّقتَ الربابَ فلا تكن ... أحاديثَ من بدوٍ ومن هو حاضرُ

فإنّك لم تفعل ولستَ بفاعلٍ ... ولا قابلٍ نُصحاً لمن هو زاجرُ

فنفسَكَ لُمْ عنَيتَ حيث الزيّ تَري ... فكما وعت أمرَ الغويّ إذ أنت سادرُ

وقد قلّ إلا أن تقضّي حاجةً ... بسرٍّ وتخفي دمعةَ المتبادرُ

قال المدائني أخبرني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال أجمع من لقيت علمه بالشعر بالحجاز أن شعر عمر بن أبي ربيعة هذا أغزل شعر قيل في مفارقة الأحباب. وقوله من بدوٍ ومن هو حاضر يعني ساكن البادية وساكن الحاضرة. وقوله عنيت حيث الزي تري قال الزبير معناه حيث معاينة ما ترى فقال ثعلب وأنا أقول إن عنيت بدل من نفسك وأو في قوله إذ أنت ساه رفقتعه (?) وساد ومعناه حيران وأكثر الشعراء يأبون أن يكون النسيب بحمد عن إخوانها قلعاً في قلع عمرو والحب من القلب قال وقبل

ولما أبى إلا جماحاً فؤادُه ... ولم يسلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلِ

تسلّى بأخرى غيرِها فإذا التي ... تسلّى بها تُغري بليلى ولا تُسلي

وقال البحتري *

وقالوا تجنّبها تعزّ فاجتنبتها ... زماناً فما أسلى فؤادي التجنّبُ

وقالوا تغرّب يسلك الحبّ أو تبن ... علالةَ قلبي فاختلالُ التغرّبُ

ونحو ما أخذوه من قول ابن الدمينة *

وقد زعموا أن المحبّ إذا دنا ... يملّ وأن النأي يشفي من الوجدِ

بكلٍّ تداوينا فلم يشفِ ما بنا ... على أنّ قربَ الدار خيرٌ من البعدِ

على أنّ قربَ الدار ليس بنافعٍ ... إذا كان من تهواه ليس بذي ودِّ

وقد جمع الدنيا قال الحكم بن عمرو النغفي قال خرجت منتزهاً فإذا أعرابية بإزاء

بكسر الهمزة وشد الميم كالقعة بلد جاريتين أختين لم أر كحسنهما وكمالهما
وكسوتهما وأحسنت إليهما قال ثم حججت من قابل ومعي امرأتي وقد اعتللت ونصل
خضابي فلما صرت بالمدينة إذا إحداهما قد جاءتني فسألتني سؤال منكر قال فقلت
فلانة قالت من لك أبي وأمي وإنك تعرفني وأنكرتني قال قلت الحكم بن صخر قالت
من لك أبي وأمي رأيتك عام أول شابا بسواده وأراك العام شيخا ملكا وفي دون
هذا ما تنكر المرأة صاحبها فأرسلتها مثلا قال قلت ما فعلت أختك فتنفست
الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها وخرج بها فذاك حيث تقول

إذا ما قطعنا نخرا بعد مثله * فحسبي من الدنيا فعودة إلى نجد

قال فقلت أما إني لو أدركتهما لتزوجتها فقالت من لك أبي وأمي ما يمنعك من
شقيقتها وشريكتها في حسنها وجمالها قال قلت يمنعني من ذلك قول كثير

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها * أبينا وقلنا الحاجبية أول

فقالت كثير بيني وبينك الشعر الذي يقول *

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من أختها خلف

قال الحكم فتركت جوابها وما يمنعني من ذلك إلا العي

فوالله لو حلت ديار قومها	واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون سجاله	وجفنها لم يكتحل بأرق
مع ثلاثة تقفي صاحبها	تلاه تكر فوق الرفاية تقفي

اللغة قوله والله لو حلت في الحلول النزول حللت البلد وبه حلولا من باب قعد
نزلت به والمحل بفتح الحاء موضع الحلول وفيه لغة بالكسر حكاها ابن القطاع
وقوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله ليس من هذا وإنما المعنى حتى يبلغ المكان الذي
يحل فيه قوله ديار قومها أي منازلهم والدار المحل الذي يجمع البناء والعرصة
جمعها ديار ودور وأدور على القلب والقوم جماعة الرجال ليس فيهم امرأة
قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وقال زهير

وما أدري وسوف إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

وإنما خص القوم بالرجال لأنهم قوام على الشيء إذا حزبه وإنما عنى بالرجال
أنهم القوامون على النساء كما في الآية الكريمة قوله واحتجبت بمعنى الاحتجاب

الا شيئا زور قوله ببابٍ مغلق يقال اغلقت الباب اذا جعلته بحالة الغلق
بالتحريك وهو ما يسد به الباب فغلق كأكرم وغلقت الابواب شدد للكثرة وغلقته
غلقا من باب ضرب لغة ردية متروكة حكاها ابن دريد عن ابي زيد قال ابو الاسود
الدؤلي في رديتها * ولا اقول لقدر القوم قد غليت * ولا اقول لباب الدار مغلوق
قوله لزرتها الزيارة في العرف وقد زاره يزوره زورا وزيارة قصده فهو زائر
وزور تسمية بالمصدر وقوم زور كذلك والمزار يكون مصدرا ويكون اسم موضع الزيارة
قوله والليل جون حالك الجون يطلق بالاشتراك على الاسود والابيض فهو من
اسماء الاضداد والمراد هنا الاول وجمعه جون بالضم والحالك شديد السواد ويقال
بالنون بدل اللام وقد حلك كبرح حلوكة اشتد سواده واحلولك مثله ويقال في
الالوان اسود حالك واحمر قانئ واصفر فاقع واخضر ناضر وابيض ناصع قوله
وجفنها لم يكتحل باثمد الجفن غطاء العين من اعلاها واسفلها وهو مذكر وجمعه
اجفان واجفن ومثله جفن السيف وهو غلافه والاكتحال استعمال الكحل في العين
كالتكحل والاثمد بالتحريك الشهير بالنيل كالاثمد وقد ابن وكيع هو ادق والاثمد
والاثمد كذا بالتشديد اسم في قوله تقي صاحبها الوقاية المعجمة ومنه التقوى
التي هي في اللغة الحذر وفي عرف الشرع امتثال المأمورات واجتناب المنهيات
والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله والله لو طلقت جملة
قسم مستانفة لا محل لها من الاعراب ولو حرف شرط للربط في الماضي عكس ان
وطلقت فعل الشرط ودنيا رفع فاعله وثلاثا مفعوله وياء دنيا منقلبة عن واو لوقوعها
عقب كسرة واجبت جملة معطوفة على جملة الشرط وعني وبباب مغلق يتعلقان
به والقاف منقلبة عن واو وقوله لزرتها جواب لو والشرط وجوابه جواب
القسم قوله والليل جون حالك جملة في محل الحال مرتبطا على زرتها قوله وجفنها
لم يكتحل باثمد جملة معطوفة عليها قوله يعني ثلاثة جملة حالية مرتبطا على
الزيارة ايضا وثلاثة يكتب بدون الف بعد اللام وجملة تقي صاحبها نعت لثلاثة
وياء الفعل الغني تقي محذوفة تخفيفا لكونها واوا انقلبت ياء لكسر ما قبلها اذ ال
المضارع مبدوا بالياء وحمل المبدوء بغيرها عليها كما هنا قوله فالم تكن جملة
نصب على المفعولية المطلقة من تقي وما نكرة موصوفة ولم تكن صفتها ونون الوقاية

تحذف

اسم

اسم نكرة وجملة نفى في آخر البيت خبر ما والعائد من الصفة إلى الموصوف محذوف
والتقدير من يعي ثلاثة نفى من جانبها من وقاية لم تكن دون الوقاية نفيا وتعميم هذا
التركيب قوله تعالى فإن أعرضوا عنه فإنا لا نعرضه أحدا ويحتمل الكلام غير هذا من
الإعراب وما ذكرناه أظهر والله أعلم **المعاني** إنما فصل جملة القسم عما
قبلها لما بينهما من كمال الانقطاع بلا إيهام لأن القسم إنشاء وما قبله خبر
وإنما أقسم على الزيارة وأكد مضمونها بما فيها من التعبير والجمال بالتعبير بمعنى
من يراه بالاستبعاد والإنكار فالتأكيد مستحسن أو واجب على ما عرف في محله
وفي قوله الوصلات دبار دونها الأزمنة من ربط الشرط بالبعد المنفيين كما في
قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وتقريره أن
الخوف وعدمه نفيا للأكر عدمه إذ عدم عدم المعصية من وجوده بوقوع الربط
بعد إشارة إلى أن عدم العصيان من صهيب حاصل على كل حال وهكذا تقول في كلام
الناظم إن الوصل المحبوبة بريائها دونها وبعدها عنها مستنزلة عنهم نفيها وكلاهما بعيد
من توقع زيارة الناظم لها لأنه لا بد أن يكون لها من يمنع عنها ويمنعها كما هي
العادة ولا يكون زيارته لها ومن بعد دونها وبين أهلها وعشيرتها مع توقعها
بالإسرار وبالإشعار بعد وأغرب فربط الشرط بهذا الأبعد ليعبر أنه يزورها
على كل حال لأنه إذا كان يزورها في هذه الحالة الصعبة فلأن يزورها في غير هذه
أولى وأحرى وفي كلام الناظم الإطناب حيث ذكر الثلاثة أولا مجملة ثم بين هذا بعد
بما سيأتي والله أعلم **البيان** في تعبير الناظم بالاكتحال في جانب الأرق انتقاد
من جهة أن الأرق عدمي فلا يناسبه ذلك وإنما المعروف استعمال الاكتحال في
جانب النوم كما في حديث الإفك من قول عائشة رضي الله عنها فبكيت تلك
الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فالتعبير بالاكتحال في جانب النوم
حسن واقع في محله ومعاده مجازه ومن استعارة تبعية بخلاف استعماله
في الأرق لأنه وإن ساغ بوجه تكلف فلا يحسن حسن الأول وذلك لأن التقابل بين
النوم والأرق من باب تقابل العدم والملكة فالنوم ملكة والأرق عدمها فالقسم
وفي إسناد الوقاية إلى الثلاثة مجاز عقلي ومن تفرع والله أعلم **البديع**.
في كلام الناظم هنا التقسيم وهو كما عند ابن حجة الحموي أن يأتي الشاعر في بيت

يعني لا يشتغل القلب بغير حبه بحول اللّه دون تقسيم له إما في بيت ذاك أو في بقية
البيت ومن شواهده قول محمد بن وهيب في المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

ومن أحسن شواهده وأشبهها بكلام الناظم قول الشنفرى في لاميته

وإني كفاني فقد من ليس جازيا ... بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع ... وأبيض إصليت وصفراء عيطل

وفي كلامه أيضا الاقتباس من علم النحو فإنه ذكر بنون الوقاية وأشار إلى حكمه
وذلك اصطلاح خاص بالنحاة **فإن قلت** الاقتباس لا يكون إلا من القرآن أو من
الحديث **قلت** ذكر العلماء أنه ينبغي أن يلحق بهما كلام من يتبرك به من الصحابة
والتابعين ونحوهم رضي اللّه عنهم **وذكر** الشيخ أبو علي اليوسي في زهر الأكم
أن بعضهم زاد الاقتباس من علم الفقه وزاد آخرون الاقتباس من سائر العلوم
وذكر من ذلك جملة وافرة فانظره وبعضهم يسمي الاقتباس من غير الفنون توجيها
وانظر كتب هذا الفن ومن أحسن ما قيل في التوجيه بنون الوقاية قول أمين الدين أبي
الحسن علي السليماني

أضيف الدجى معنى إلى لون شعره ... فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

واعلم أن الناظم رحمه اللّه كان يتكلم في فن الغزل وقد أجاد في ذلك ما شاء
والآن أخذ يتكلم في فن الحماسة والتلصص والغارة والافتراس وذلك منهج معروف
للشعراء يتشبهون فيه بفرسان العرب وشجعانهم في ارتكابهم الأخطار وقطعهم
المهامه والقفار في زيارة صواحباتهم وغشيانهم أخبية من يلاطفونه والتعرض
معهن وذلك مذكور في أخبارهم معروف في أشعارهم من ذلك ما حكاه أبو عبيدة
قال كان توبة بن الحمير العقيلي ثم الخفاجي وهو صاحب ليلى الأخيلية كثير الغارات
على بني الحرث بن كعب وخثعم وهمدان وكان يزور نساءهم ويتحدث إليهن وقال في ذلك

ولو أن ليلى في ذرى متمنع ... بنجران لالتفت علي قصورها
أيذهب ريعان الشباب ولم أزر ... غرائر من همدان بيضا نحورها

قال أبو عبيدة وكان توبة ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم ويمر ببلاد مهرة

وبلاد عقيل ومفازة منكرة لا يقطعها الكثير وكان يحمل مزاد الماء ويتزود منه على
مسيرة كل يوم مزادة ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة وإنما كان يتحمل
حمالة الخيل وشرك الحمر فإذا ركب المفازة رجعوا عنه وكان كثيرا ما يزور صاحبته
ليلى الأخيلية وبين عشيرتها زوجها جحيه وقومه من بني الأدلع فرصدوه وعزموا
على قتله بغير أن شكوه إلى السلطان فأباح لهم دمه فلما علمت بذلك ليلى
خرجت وهي سافرة حتى جلست له على طريقه فلما رآها سافرة فطن لما
أرادت وعلم أنه قد رصد وإنما سفرت لذلك فركض فرسه ونجا وفي ذلك يقول

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
على دماء البدن إن كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي * فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

وكان بعض بني دارم يزور خلة له في بني نهشل فترصدوه وأسروه فقال يتشوق
ويستغفلهم * وقائلة ما باله لا يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد دار كشح والعداة محيطة * أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل
قال * فقد ينعش الله الفتى بعد عثرة * ويصطنع الحسنى سراة بني نهشل
فأطلقوه ومن أحسن ما قيل في الزيارة وأخفها قول أبي الطيب

كم زورة لك في الأعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قال الثعالبي في اليتيمة هذا البيت أمير شعر أبي الطيب وقد جمع فيه بين الزيارة
والانثناء وبين السواد والبياض وبين الليل والصبح والشفاعة والإغراء وبين لي وبي
وقال ابن البقاء اجمع الحذاق بمعرفة الشعر أن لأبي الطيب نوادر لم تسمع لغيره
وهي مما يحير فهم أهل الأدب منها هذا البيت والله أعلم *

(وسيف كمصماصة عمرو باتر * لا يتقى بيلب ودرق)

اللغة قوله سيفا السيف معروف قال الحمز واسماؤه تنيف على الف
فأردت ذكرتها في الروض المسلوف راجع ما تفرع عنه قوله * ولم تزل تقطع
جلباب الرجس البيت قوله كصمصامة عمرو الصمصامة في الأصل السيف الصارم
الذي لا ينثني كالصمصام والمراد به هنا سيف عمرو بن معدي كرب يأتي ذكره وخبره قوله

العفول

زهغرا الالفناه

نام

بأثر البتر القطع أو مع استعماله وسيفا بأثر وبتار قاطع قوله لا ينتفي أي
لا يتعلق منه بيلب وفي رواية اليلب بالتحريك بمعنى الدروع اليمانية كانت تتخذ
من الجلود يخرز بعضها الى بعض وهو اسم جنس الواحدة يلبة قال عمرو بن كلثوم

علينا البيض واليلب اليماني ** وأسياف يقمن وينحنينا

وقيل اليلب كل ما كان من جنس الجلود ولم يذكر من الحديد ومنه قيل للدرق يلب
قال الشاعر * عليهم كل سابغة دلاص * وفي أيديهم اليلب المدار *
واليلب في الأصل اسم لذات الجلد قال أبو دهبل الجمحي *

درعي دلاص شكها شك عجب * وجوبها القاتر من سير اليلب

قوله جوبها يريد الترس والقاتر الذي في الجسد للتقدير وأما الدرق بمعنى الجمع
واحده درقة كقصب وقصبة وتجمع أيضا على دراق وأدراق والله أعلم

الإعراب والتصريف

قوله سيفه خبر ومعطوفا عليه بعد
بدل من ثلاثة وكلمة عمرو في محل الجر بالإضافة له والصمصامة علم فإضافته
لما بعده الخاص بعد سلبه العلمية لئلا يجتمع معرفتان على معرف واحد قوله
باتر صفة ثانية لسيفه وجملة لا ينتفي بيلب صفة ثالثة أو حال منه وأصل ينتفي
يوتفي بالواو لأنه من الوقاية فأبدلت تاء وأدغمت في تاء الافتعال كما في
اتقى واتحد والله أعلم

ذكر عمرو وصمصامته

أما عمرو فهو أبو ثور عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن
زبيد الأصغر وهو منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زبيد الأكبر بن
الحرث بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن
كهلان بن سبا المذحجي ثم الزبيدي الفارس المشهور والبطل المذكور صاحب الغارات
والوقائع في الجاهلية والإسلام قال ابن عبد البر قدم عمرو بن معديكرب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد زبيد فأسلم وذلك في سنة تسع
وقال الواقدي في سنة عشر وقد روي عن ابن إسحاق وبعض أهل المغازي مثل ذلك
وعمر عمرا طويلا وشهد عامة الفتوح بالعراق ومع أبي عبيد بن مسعود ثم مع
سعد بن أبي وقاص زمن عمر رضي الله عنه وشهد القادسية مع سعد وهو ابن
مائة وعشر سنين وكانت له في ذلك اليوم اليد البيضاء والبلاء الحسن والذكر

المشهور

المشهور حمل على فيل الأعاجم وعليه رستم كبير جيش الفرس فجزم عمرو قوايمه
وسقط الفيل الى الارض وقتل رستم وتمت الهزيمة على جموع الفرس وكان الفتح
الذي لا كفاء له وعن ابي عبيدة عن ابن سيرين ان عمر رضي الله عنه كتب الى سعد بن
ابي وقاص اني قد امددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد الاسدي
فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئا واخبار عمرو في الشجاعة يطول ذكرها
قال ابو عبيدة عمرو بن معد يكرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الباس
والشدة وعن ابي اليقظان قال عمرو بن معد يكرب لو سرت بظعينة وحدي على
مياه معد كلها ما خفت ان اغلب عليها ما لم يلقني حراها او عبداها فاما
الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب واما العبدان فاسود بني
عبس يعني عنترة بن شداد والسليك بن السلكة وكلهم قد لقيت فاما عامر بن
الطفيل فسريع الطعن على الصوت واما عتيبة بن الحارث فاول الخيل اذا اغارت
وآخرها اذا آبت واما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب واما السليك فبعيد
الغارة كالليث الضاري قالوا فما تقول في العباس بن مرداس قال اقول فيه ما قال في

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئي * زبيدا فقد اودى بنجدتها عمرو

واختلف في وفاة عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه والصحيح انه مات في آخر
خلافة عمر رضي الله عنه ودفن بروذة بين قم والري من عراق العجم على قارعة
الطريق فقالت امرأته الجعفية ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا * بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها * فقدتم ابا ثور سنانكم عمرا
فان تجزعوا لا يغن ذلك عنكم * ولكن سلوا الرحمان يعقبكم اجرا

واما صمصامة عمرو فقال الثعالبي في ثمار القلوب صمصامة عمرو بن معد يكرب
اشهر سيوف العرب وبها يضرب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمضاء
والتصميم وكان عمرو وهو فارس اليمن حسن الاستعمال له في الجاهلية كثير الغناء
به في الاسلام وفيه يقول من شعر له

سناذا زردا لا عيب فيه * وصمصامي يصمم في العظام

وفي كامل المبرد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه لبعض اليمانية لكم

من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صمصامتها يعني سهيلا من النجوم والركن اليماني من الكعبة وصمصامة عمرو بن معديكرب وممن تمثل بالصمصامة من المتقدمين نهشل بن حري الدارمي يرثي أخاه مالكا وكان قد استشهد يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد ... كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
أغر كمصباح الدجنة يتقي ... قذى الزاد حتى تستفاد أطايبه

وكان عمرو قد وهب الصمصامة لخالد بن سعيد بن العاص لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملا على اليمن فقال عمرو في ذلك شعرا

خليل لم أخنه ولم يخني ... إذا ما صاب أوساط العظام
حبوت به كريما من قريش ... فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفي صفي نفسي ... على الصمصام أضعاف السلام

ثم صار الصمصامة بعد خالد إلى أخيه سعيد بن العاص وشهد به يوم الدار مع عثمان رضي الله عنه حين حصر فجرح سعيد صريعا وفقد منه السيف والغمد ثم وجد الغمد فلما ولي معاوية جاء أعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر فقال سعيد هذا سيفي فجحد الأعرابي مقالته فقال سعيد الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيه فيكون كفافه فبعث معاوية إلى الغمد فأتي به من منزل سعيد فإذا هو عليه فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار فأخذه سعيد منه وأثابه فلم يزل عنده ثم حتى أخذه المهدي العباسي من البصرة فلما كان بواسط بعث إلى آل سعيد فيه فقالوا إنه للسبيل فقال خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه كذا في الأغاني وقال في الثمار لم يزل الصمصامة في آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك فاشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال خطير وأنفذه إلى هشام وقد كان كتب إليه فيه فلم يزل عند بني مروان حتى زال الأمر عنهم ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به وعن الهيثم بن عدي أن موسى الهادي اشترى الصمصامة بمال جزيل وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء فجرده وجعله بين يديه وقال لحاجبه ائذن لمن بالباب من الشعراء فدخلوا عليه

وقد عمّا بمكتل فيه برد من العيش وقال لمن حضر قولوا في هذا السيف فقال الثعالبي في الثمار فقالوا وأكثروا ولم يأتوا بكلام يرتضى فقام ابو الفضل الحميم وأنشأ يقول

حاز صفائح الزبرجد من بيش   جميع الألوان من سرور وطيس
سبق عمرو وكان فيما سمعنا   غير ما أطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين حدّيه برد   من ذباح تميس فيه المنون
أو فرند بزرقة المواعين نارا   ثم شابت به الزعاف القيون
فإذا ما سللته بهر الشمس   ضياء فلم تكد تستبين
فاتيا في من انتضاه لحرب   أيما أمسكت به أم نميس
يستكين الأبصار كالقبس المشتعل   ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا   ري في صفحتيه ماء معين
وكأن الحتوف تبكت إليه   فهو من كل جانبيه منون
نعم مخراق ذي الحفيظة في يوم   الروع يعصي به ونعم القرين

فقوله من ذباح بضم الذال المعجمة نبت قاتل للبهيمة وقد جاء في الشعر كثيرا وقوله أو فرند بزرقة المواعين نارا فإن الفلاسفة يزعم كثير من الناس ان بعض الشيوخ من خبث نار المواعين فذلك في أقوال العرب شائع وقوله يعصى به هو بفتح الصاد مضارع عصيه بالكسر اذا ضربه بالسيف فقال الفضل في ابيات والذي ما في نفسي واستجمع السرور فأمر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء الخاجم فمن اخذ فشانكم والمكتل وقطع السيف عنا فاشتراه العاد منه بمال جزيل وقال المسعودي في مروج الذهب اشتراه منه بخمسين الفا وذكر ابو هلال ان صاحب منزل الفضل اشتراه منه بخمسين وقال غيره بل هو ابو الهول من الفا بل في وصف هذا السيف ابيات

كأن على متنيه أمواج لجة   تقاذف في خمصاتها وتجول
كأن صغار الذر يسرين فوقه   قرون جراد بينهن ذحول
حسام غداة الروع ماض كأنه   من الله في قبض النفوس رسول
وأما الثريا من جعفر الفال بن يحيى
تقبل كأن الهناء بالجنة تعتمر   في كلولة فمن ابن عمر الفقر

امضى من الاجل القاضي وانفذ من * حد القضاء واضوى من سنا الزمن
وذكر السهيلي في الروض ان الصمصامة وذا الفقار سيفي النبي صلى الله عليه وسلم
كانا معا من حديدة وجدت في الجاهلية من دفون عند الكعبة فصنع منها هذان
السيفان وقيل انهما معا من الاسياف الخمسة او السبعة التي اهدتها بلقيس
الى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام والله اعلم وذكروا ان بعض
ملوك الهند اهدى الى الرشيد سيوفا قلعية مع كلاب سراة فلما حضرت الرسل بين
يديه ونشروا الهدية وفيها السيوف وهي من اجود سيوفهم اراد الرشيد ان
يغرب عليهم فدعا بالصمصامة وصف تلك السيوف وجعل يقطعها بالصمصامة
كما يقطع الغير بالخشب والرسل ينظرون ويعجبون ثم صار الى الواثق ووصل
الصمصامة الى الخليفة المتوكل ومن بعده الى المعتمد باغر التركي وكان من قدر الله
ان قتله به وعند باغر انقطع خبرها كذا في شرح الزيدونية والله تعالى اعلم
(ومن جنبني فؤاد ابن احب * مغرم فاسمع قول ابن زيدون)
اللغة قوله ومن جنبني الجنب شق الانسان وغيره ولكل شيء جنبان
وهو ما تحت الابط الى كشحه والجمع جنوب مثل فلس وفلوس والصاحب بالجنب
صاحبك في السفر وقيل اعم منه والجار الجنب بضمتين جارك من غير قومك قوله
فؤاد ابن احب مغرم الفؤاد القلب وهو مذكر والجمع افئدة وفي القاموس الفأد
التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكرا وهو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب
قوله قول ابن زيدون القول بالفتح الكلام كان حقا وزنا ومعنى والله اعلم
الاعراب والتصريف قوله ومن جنبني فؤاد جملة معترضة
على قوله سيف كصمصامة عمرو وقد راعى الناظم جانب المعنى فوسط الجملة بين
مفرد باعتبار المعنى وفؤاد مثل فؤاد ابن احب مغرم والمعاني الثلاثة بدل من
ثلاثة حسبما قدم ومن نكرة مبهمة لا يتبين معناها الا بما بعدها الى ان يتبين بما عدا
كما هنا او قد يتقدم عليها ذلك كقوله تعالى غدا من ذلك وجنبني مثنى مضاف
الى ياء المتكلم وقوله فاسمع قول ابن زيدون نعت لابن احب مغرم وهو وصف بمعنى
المصدر فجعله نعتا للمعرفة والف قولا منقلبة عن واو وسكت الفا والله اعلم
البيان قوله ومن جنبني فيه الكناية على حد قول زياد الاعجم

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنه لما أراد أن يثبت لابن الحشرج هذه الصفات كنى عن ذلك بأن جعلها في قبة مضروبة عليه ولا شك أن الأمر إذا ثبت في مكان الرجل وحيزه فقد ثبت له ونحوه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثله كلام الناظم فإنه لما أراد أن يثبت لنفسه الاتصاف بالشجاعة والصرامة كنى عن ذلك بكون فؤاد ابن أبي عفراء بين جنبيه إذ يلزم من كونه بين جنبيه أن يكون مثله في الشجاعة والمضاء ثم الكلام على معنى التشبيه أي وبين جنبي فؤاد مثل فؤاد ابن أبي عفراء والله أعلم وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن مولى بني هاشم أسود مشوه الخلق جبانا وكان قد ابتغى فقالت له زوجته يا هذا إن الأدب أراه قد سخفك نجمه وكما شر سهمه فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك وادخل مع الناس في غزو واتبع عسى الله أن ينيلك من الغنيمة شيئا فقال في ذلك

إليك عني فقد كلفتني شططا	حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتني رجلا	أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها	فكيف أمشي إليها بارز الكتف
حسبت أن نزال القرن من خلقي	وأن قلبي في جنبي أبي دلف

فبلغ ذلك أبا دلف العجلي فبعث إليه بألف دينار وقيل إنه أحضره وقال له كم أملت زوجتك أن يكون رزقك قال مائة دينار قال وكم أملت أن تعيش قال عشرين سنة قال لك ما أملت زوجتك في مالنا دون مال السلطان وأعطاه إياه وقوله فاهم قد ابن حاز زرد معناه فاهم كفؤه وهو عبارة عن استكمال شبابه واحتداد نار فتنته ونزعته والعرب تقول على سبيل التمثيل فيمن ملأ رشده فلان أدرك الملكه وإياه وفاهمة الكف المصيبة التي تأتي على الأخلاق والمال ومنه قوله تعالى تكاد أن يفعل بها فاقرة أي داهية تقصم فقار الظهر وقال ابن قتيبة فقرت الرجل بشر وفقرت إذا أصبت فقار ظهره لما بلغ أن أرأسته وبهتنه والله أعلم

ذكر آل أبي صفرة وآل الأزد وبعض أخبارهما

أما ابن أبي صفرة فهو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد [illegible] الأزدي

ثم انتقل البصرة امير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ بالبصرة في دولة آل
ابي سفيان ثم استعمله مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في خلافة اخيه
عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثم ولاه عبد الله خراسان وقتال الخوارج
على ما سيأتي وهو اول من اتخذ الركب من الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب وكان
يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبة العشيرة وقتيبة بن مسلم بدهائه وساد
المهلب بهذه الخلال كلها وقال ابو عمر ابن عبد البر المهلب بن ابي صفرة من التابعين
روى عن سمرة بن جندب وعبد الله بن عمر وروى عنه ابو اسحاق السبيعي وسماك بن
حرب وغيرهما وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلة وموقوفة ليس به باس
واما من عابه بالكذب فلانه كان صاحب الحرب يحتاج الى المعاريض والحيلة
فمن لم يفهم فيما عده منا كذبا وكان شجاعا ذا رأي في الحروب خطيبا ومن آثاره حمى البصرة
من الازارقة بعد ان جلا اكثر اهلها عنها الا من يكرله فوقف على الشطوط حتى قيل
بصرة المهلب واما ابن الازرق فهو نافع بن عبد الله بن الازرق بن قيس الحنفي رأس
الخوارج واليه تنسب الازارقة منهم لقولهم بمذهبه قال المبرد كان نافع مترا
شجاعا مقدما في فقه الخوارج وله مع ابن عباس رضي الله عنه مسائل كثيرة
يأتي ذكر جملة منها ان شاء الله واعلم ان فرق الخوارج المشهورة اربع
الازارقة اصحاب نافع المذكور وهم اصحاب الشوكة والقوة منهم وان كان في كلهم
شوكة وكان رأي نافع البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل
الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفارا والفرقة الثانية النجدية
ويقال لهم النجدات وهم اصحاب نجدة بن عامر الحنفي كان مع نافع بن الازرق
ففارقه في مذهبه فافترقا وهو خالف الازارقة في جميع ما ذكرناه
والفرقة الثالثة الاباضية وهم اصحاب عبد الله بن اباض التميمي وهم
يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الرأي الاول ولا يقفون
عند الثاني ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ومعاملتهم وهؤلاء اقرب الى السنة
من غيرهم ومن هؤلاء البيهسية اصحاب ابي بيهس هيصم بن جابر الضبعي والفرقة
الرابعة الصفرية قيل نسبوا الى عبد الله بن صفار التميمي السعدي وقيل الى زياد
ابن الاصفر وقيل الى صفرة الوانهم لما نهكتهم من العبادة وهم اقرب للاباضية

الذي في البصرة فان الله باخذه اشد على البصرة منهم وربما اختلفت بهم الاراء بعد
ذلك اختلافا فاحشا وكانوا قبل هذا الافتراق على رأي واحد يختلفون الا في الشيء
من الفروع حتى حدثت الفرقة بين ابن الازرق واصحابه بسببه فافترقوا وجرت
بينهم في ذلك مكاتبات ذكرها المبرد في كامله فلتنظر هنالك وقال ابو العباس ومن
علمنا ان استقامة البصيرة والشجاعة في جميع اصناف الخوارج وتقدم منهم فيما
انما هو بسبب الديانة لانا نجد عبسيا منهم ومن اليمن ونساءهم يقاتلن مثل قتالهم
ونجد السجستاني وهو عجمي واليماني وهو عربي والعراقي كلهم في القتال والصبر
سواء وفي ثبات العزيمة وشدة الشكيمة متكافئين فيما شهدوه حتى انهم في المعركة
مع اختلاف انسابهم وبلدانهم فهذا دليل على ان الذي سوى بينهم هو التدين
بالقتال اه قلت ولهذا اورد ابن النجيب شيئا عنهم فقال

غدوا الى ربهم من خارجي مزاره * فقد جاء زعفان في كتيبته المنتصرا

وكان ابتداء امر ابن الازرق فيما حكاه صاحب الزهر ان ابن الازرق والمذكورين لما
رجع من عند ابن الزبير بمكة ولم يجز عنده بعض قوله ووقع الخلاف بينه وبين
اصحابه اقام بسوق الاهواز واصحابه لا يعترضون الناس وقد كان تشكك في
ذلك فقالت له امرأة ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فدع
نحلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم
واثخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه
السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها واستعرض الناس
وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول ان هؤلاء اذا
كبروا كانوا مثل آبائهم وكلما وطئ بلدا فعل مثل هذا به الى ان يجيبه اهله
ويدخلوا في ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج حتى عظم امره
واشتدت شوكته وفشا عماله في السواد فارتاع لذلك اهل البصرة ومشوا
الى الاحنف بن قيس فشكوا اليه امرهم وقالوا ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان
وسيرتهم كما ترى فقال لهم الاحنف ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا به مثل سيرتهم
في سوادكم فجدوا في جهاد عدوكم وحرضهم فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل
في السلاح فاتاه عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن عم النبي المعروف ببّة وكان يومئذ

في البصرة وسألوه ان يقدم عليهم اميرا فاختار لهم مسلم بن عبيس بالعين المهملة
والباء الموحدة بصيغة التصغير وكان فارسا شجاعا عابدا دينا فسار بالناس حتى
انتهى الى الموضع المعروف بدولاب فخرج اليهم نافع بن الازرق وكان رأس نحو الستمائة
من انفا تلقه فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت
الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل في المعركة ابن عبيس امير اهل
البصرة وابن الازرق امير الخوارج فعجب الناس من ذلك وان الفريقين تضاربوا
حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رؤساء العسكرين وكان ذلك في جمادى الاخرة سنة
خمس وستين من الهجرة ثم امرت كل فرقة عليها اميرا وعادت القتال فانهزم
اهل البصرة وتبعهم الخوارج فالقوا انفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير جلهم
من الازد وفي ذلك يقول شاعر الازارقة

تركن من جاء يكفر في دجيل ... شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق اهل البصرة لذلك وخافوا فلم يتم الرعب بينما هم كذلك اذ ورد المهلب
ابن ابي صفرة متوجها الى خراسان وقد كتب له ابن الزبير بعهده عليها فلما
مر بالبصرة قال الاحنف لوجوه الناس والله ما للخوارج غير المهلب فكلموه
في ذلك فقال هذا عهدي على خراسان وما كنت لادع امر امير المؤمنين يعني عبد الله بن
الزبير فاتفق اهل البصرة مع الاحنف على ان يفتعلوا كتابا عن ابن الزبير يامره
فيه بقتال الخوارج واتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله ما اسير اليهم حتى
تجعلوا لي ما غلبت عليه وتعطوني من بيت المال ما اقوى به وانتخب من
فرسانكم ورجالكم من شئت فاجابوه الى ذلك فخرج بهم من يومه وسمع بخبره ما عليهم
المهلب وسار الى الخوارج فكان اشد عليهم من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير
افتعال الكتاب فلم يقل شيئا واقره على ذلك ثم ان المهلب اخذ بالحزم في القتال
واعمال الرأي والمكيدة ولذا واذكى العيون واقام الحرس وخندق على الجند وكانت
الازارقة اذا ارادوا بيات عسكر المهلب وجدوا امرا محكما ويحرس بهم زمانهم
مدة طويلة يباكرهم بالقتال ويراوحهم به حتى قتل ابن الزبير رضي الله عنه
واستولى عبد الملك بن مروان على العراق واجتمع امر المسلمين عليه والمهلب
في قتال الازارقة ثم ان عبد الملك بعث الحجاج على العراق وبضبطه الامر وشد

عضد المهلب بما احتاج اليه من مال ورجال حتى بلغ من ابادة الازارقة وتشريدهم
مراده بعد ان اقام في قتالهم قريبا من عشر سنين واستقصاء ذلك وتتبعه
يطول قيل للمهلب ما اعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم
يطعن اخر منهم في الحرب فيمشي في الرمح الى طاعنه وهو يقول وعجلت اليك رب
لترضى وللمهلب كلام محفوظ وحكم ماثورة ولما حضرته الوفاة وقد اقام في
خراسان جمع بنيه وعشيرته وكانوا كلهم ابطالا انجادا اكراما ودعا بسهام
محزومة ثم قال اترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال افترونكم كاسريها متفرقة
قالوا نعم قال هكذا الجماعة فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وكانت
وفاته سنة اثنتين وثمانين على ما في تاريخ الكبير وقيل في سنة ثلاث بعدها وقد
علمت مما نقلناه ان المهلب لم يكن قاتلا نافع بن الازرق لان مقتله كان في وقعة
دولاب وهي متقدمة على ولاية المهلب وانما قاتل شيعته وحزبه من بعده حتى
افناهم وعن هذا المعنى عبر الناظم بقوله فاقتفى قدا ابن الازرق حسبما بيناه
قبل وفيما قالت المهلب رثاه نهار بن توسعة الشاعر المشهور بقوله

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب
اقاما بمرو الروذ لا يبرحانها ... وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

وبقيت الرياسة في آل المهلب مدة طويلة ايام دولة بني العباس وكانوا
معروفين بالشجاعة والجود مضروبا بهم المثل في ذلك قال ابن خلكان اجمع اهل
التاريخ انه لم يكن في دولة بني امية اكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني
العباس اكرم من البرامكة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم اهلي

وقد ضرب بهم المثل الاشعر بن حمران في قوله من جملة قصيدة له

لنيرانه في الليل اذ تتحرى ... على الضيف ان ابطأ واي تلهب
وما ضر من يغشاه في ضوء نارها ... اذا لم يكن ينزل بآل المهلب

وقد انشد لي من قصيدة قلتها في بعض كبراء العصر قائلا

ليث المهالبة الامجاد قد سمعوا ... او البرامكة الامجاد قد علموا

يزورون مجازا فابدوا ذكروا * منذ اشتعيت وانت الآمل بغريم
(وفرس كلاحق او داحس * يوم الرهان رشا ولا يلحق)

(اللغة) قوله وفرس الفرس معروف يقع على الذكر والانثى ولا يقال للانثى فرسة وتصغير الفرس فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابي بكر ابن السراج وجمعا كفرسي رهان يضرب لاثنين يستبقان الى غاية فيستويان وهذا التشبيه في الابتداء لان النهاية يفضل عن السابق بوزن فعالة وجمع الفرس افراس وراكبه فارس اي صاحب فرس مثل لابن وتامر ويجمع على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه لان فواعل انما هو جمع فاعلة مثل ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حائض وحوائض او ما كان لغير الآدميين مثل جمل بازل وجمال بوازل وحائط وحوائط فاما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك ونواكس فاما فوارس فلانه شيء لا يكون في المؤنث فلم يخف فيه اللبس واما هوالك فانما جاء في المثل يقال هالك في الهوالك فجرى على الاصل لانه قد يجيء في الامثال ما لا يجيء في غيرها واما نواكس فقد جاء في ضرورة الشعر قال ابن السكيت اذا كان الرجل على ذي حافر برذونا كان او فرسا او بغلا او حمارا قلت مررنا بفارس على بغل ومررنا بفارس على حمار قال الشاعر

واني امرؤ للخيل عندي مزية * على فارس البرذون او فارس البغل

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير لا اقول لصاحب البغل فارس ولكني اقول بغال ولا اقول لصاحب الحمار فارس ولكني اقول حمار والفراسة بالفتح والفروسة بالضم والفروسية بزيادة الياء العلم بركوب الخيل والثقة بالامر فيها وقد فرس الرجل بالضم يفرس قال ابن كعب وليس كل من ركب الفرس له حكم الفروسية عند العرب ولا كان الفارس عندهم من احسن الجلاد على الفرس واشتهر بالشجاعة كعمرو ابن معدي كرب وربيعة بن مكدم وعنترة بن شداد وملاعب الاسنة واضرابهم من فرسان العرب وقال الشاعر

لعمر ابيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لفارس

فلم ينفرد بفضل الركوب * قوله يوم الرهان هو بكسر الراء مصدر قولك راهنت فلانا على كذا رهانا ومراهنة اذا خاطرته ويكون ذلك في المسابقة على الخيل

عدلنا وقد يكون في غير هذا قوله شأوًا لم يلحق الشأو والغاية والأمد وعدا
الفرس شأوًا أي طلقًا والشأو السبق أبو زيد شأوت القوم شأوًا إذا سبقتهم
قال امرؤ القيس *

فألقيت في فيه اللجام فبزّني * وقال صحابي قد شأونك فاطلب

وتشاءى ما بينهما تباعد والله أعلم *

الإعراب والتصريف

قوله وفرس معطوف على سيفًا فيما تقدم وقوله كلاحق أو داحس في محل الصفة
له وقوله شأوًا ولم يلحق جملة من فعل وفاعل صفة ثانية لفرس أو حال منه ويجوز
إبدال همزة شأو والقاء حركتها على ما قبلها كما في رأس وباس ويقوم الرشاد كحرف
يتعلق بلحق فرع عليه ويحتمل أن يكون متعلقًا بالاستقرار أي حال لاحق أو داحس والله
أعلم *

ذكر لاحق وداحس وما يتعلق بهما *

أما لاحق فقد ذكر في الفاء من سرائه اسم لعدة أفراس كانت للعرب والذكر المشهور
منها وهو المراد هنا فرس كان لبني غني بن أعصر وهو الذي عناه النابغة بقوله

فيهم بنات العسجدي ولاحق * ورقًا مراكلها من المضمار
يتحلب اليعضيد من أشداقها * صفرًا مناخرها من الجرجار

وقال أيضا يذكر بني أسد *

تعودها آل الوجيه ولاحق * يقيمون حولياتها بالمقارع
يجرون أرماحًا كهولًا متونها * بأيدي كهول عاريات الأشاجع

وفي كلامه إضافة آل إلى ما لا يعقل وهو قليل من حيث كان علمًا شهيرًا كما هنا وأن
هذه الأفراس كانت معروفة عندهم قال أبو عبيدة الوجيه ولاحق والغراب
والمذهب ومكتوم كلها كانت لغني وفي ذلك يقول طفيل الغنوي

بنات الوجيه والغراب ولاحق * وأعوج تنمي نسبة المتنسب

وأعوج الذي ذكره قال الأصمعي هو فحل كريم كان لبني هلال بن عامر قيل لصاحبه
ما رأيت من شدة عدوه قال ضللت في بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطا يقصد
الماء فتبعته وأنا أغض من لجامه حتى توافينا على الماء دفعة واحدة وهذا
أغرب شيء يكون فإن القطا أسرع من الطير إذا قصد الماء اشتد طيرانه أي أكثر مما
كان قبله حتى قال كنت أغض من لجامه ولولا ذلك لكان يسبق القطا وإنما قيل

تعلى

له الاعوج لانه كان صغيرا وقد جاءتهم غارة فهربوا منها وكان حوله في خرج فحملوه
لعدم قدرته على المشي لصغره فاعوج كتفه من ذلك فقيل له الاعوج واما داحس
فهو بن شنشور كان لقيس بن زهير بن جذيمة العبسي يضرب به المثل في الشؤم لما جرى
بسببه من الفتن والحروب بين العرب وكان من خبره ان امه كانت فرسا لقرواش
ابن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها جلوى وكان ابوه فرسا لحوط
ابن ابي جابر بن اوس بن حميري بن رياح بن يربوع يقال له ذو العقال بضم العين وتشديد
القاف وانما سمي داحسا لان بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نجعة لهم
وكان ذو العقال مع ابنتي حوط بن ابي جابر يجنبانه فمرتا به على جلوى فرس قرواش
وهي في يوم ودوق او ودق بالدال المهملة المستهيئة للفحل فلما انتشا الفرس
همل وودى فضحك شباب من الحي فاستحيت الفتاتان فارسلتاه فنزا على جلوى فـ
وافق قبولها فالقحت ثم اخذه لهما بعد رجال الحي فلحقوا بهما حوطا وكان رجلا
سيء الخلق فلما نظر الى عين فرسه قال والله لقد نزا فرسي فاخبرتاني ما شانه
فاخبرتاه الخبر فنادى يا لرياح وقال والله لا ارضى ابدا حتى اخذ ماء فرسي
فقال له بنو ثعلبة والله ما استكرهنا فرسك وما كان الا منفلتا فلم يزل
الشر بينهم حتى عظم فلما راى ذلك بنو ثعلبة قالوا دونكم ماء فرسكم فسطا
عليها حوط وجعل يده في ماء وتراب ثم ادخلها في رحمها ودحسها حتى ظن انه
قد اخرج الماء واشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه
داحسا لذلك والدحس ادخال اليد بين جلد الشاة ولحمها للسلخ وخرج كانه
ابوه ذو العقال وفيه يقول جرير

ان الجياد يبتن حول قبابنا * من نسل اعوج او لذي العقال

فلما خرج المهر وشب مع امه في الحي راه بنو رياح فقال حوط هذا ابن
فرسي واخذه فقالت بنو ثعلبة يا بني رياح الم تفعلوا فيه اول مرة ما فعلتم
ثم هذا الآن فقالوا هو فرسنا ولن نترككم او نقاتلكم عليه او تدفعوه الينا
فلما راى ذلك بنو ثعلبة قالوا اذا لا نقاتلكم وانتم اعز علينا من فرس فدونكم
فدفعوه اليهم فلما راى ذلك بنو رياح قالوا والله لقد ظلمنا اخوتنا مرتين
ولقد حلموا وكرموا فارسلوا به اليهم مع لقوح فمكث عند قرواش ما شاء الله

وخرج احوة خيول العرب ثم ان قيس بن زهير العبسي اغار على بني يربوع فلم
يصب احدا غير ابنتين لقرواش ومائة من الابل وصادف القوم خلوفا فلم يشهد
من رجالهم غير غلامين من بني ازنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فجالا في متن الفرسين
من ترقبه ومن مغيب يقيس حرير فاحملهما القوم عن حمل القيد واتبعوهما فلحقهم بالغامش
فمنع احدهما بجوابه فلما راه قيس ذلك رغب في الفرس فقال لهما لكما حكمكما وادفعا
الي الفرس فقالا او فاعل انت قال نعم فاستوثقا منه على ان يرد ما اصاب
من قليل وكثير ويخلي لهما ثم يعطي ثم دفعا اليه الفرس فلما راى ذلك اصحاب
قيس قالوا له اصبنا مائة من ابل وامراتين فعمدت الى غنيمتنا فجعلتها في فرس
لك تذهب به دوننا فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الابل
فلما جاء قرواش قال للغلامين اين الازنميين اين فرسي فاخبراه فابى ان يرضى ان
يدفعا اليه فرسه فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه فقضى بينهم ان ترد
اليهما تارة وابل الى قيس بن زهير وترد عليه الفرس فلما راى ذلك قرواش رضي
بعد التي واللتيا وانصرف قيس ومن هنالك اتخذ احوى وكان يومئذ نازلا على بني بدر
من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر وكانت
لبني بدر خيل كريمة الا ان خيل قيس بن زهير اكرم منها فكان حذيفة بن بدر يجد في
نفسه من ذلك الى ان وقعت المراهنة في خبر كثير بين بعض ال قيس بن زهير وبعض
ال حذيفة بن بدر فراهن قيس على داحس وراهن حذيفة على الغبراء بن بدر لسه
وجعلوا الرهان مائة ناقة ومنتهى الغاية مائة غلوة والمضمار اربعين يوما ثم
ارسلاهما من اسر الحبال فاكمن حمل بن بدر اخو حذيفة في بعض الشعاب التي كانت
في طريقهم فتيانا من فزارة وقال لهم ان جاء داحس سابقا فردوه عن الغاية
فلما نهضا برزت الانثى على الفحل اولا فقال حمل بن بدر سبقتك يا قيس فقال قيس
رويدا يعدوان الجدد وترشح اعطاف الفحل فارسلها مثلا فلما اخرجا من الجدد
الى الوعث برز داحس على الغبراء فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها مثلا
فلما شارف داحس الغاية وثب ناس من الفتية ولطموا في وجهه وردوه حتى برزت
عليه الغبراء فجرى الشر بين قيس وبني بدر بسبب ذلك وفي ذلك يقول
قيس بن زهير من قصيدة له

* *

فما لاقيت من حمل بن بدر ... واخوته على ذات الإصاد
هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

ثم ان حذيفة بن بدر بعث ابنه مالك بن حذيفة الى قيس بن زهير يطلب منه السبق فزعم انه لم يغضب قيس ونشأ ولم يقم فطعنه بقبو فدق صلبه ورجعت الفرس الى حذيفة فاجتمع الناس وحملوا دية مالك مائة ناقة عشراء وزعموا ان الربيع بن زياد العبسي هو الذي حملها في ماله ثم ان حذيفة بعد ما اخذ دية ابنه اغار على مالك بن زهير اخي قيس بن زهير نازلا بموضع يعرف بالشربة وكان مالك ممن تزوج اخت حذيفة وهي ام قرفة التي يضرب بها المثل في العز والمنعة فيقال امنع من ام قرفة وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين فارسا كلهم محرم لها كذا قال ابن بدرون في شرح العبدونية وفي مجمع الامثال ان ام قرفة كانت زوجا لمالك بن حذيفة فلما علم حذيفة بن بدر بمكان مالك بن زهير دس اليه من قتله وفي ذلك يقول عنترة بن شداد العبسي

* * *

فلله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوة ... وليتهما لم يرسلا لرهان

فاتت بنو جذيمة حذيفة فقالوا ردوا علينا مالنا اذ قتلتم مالكا بمالك فابى حذيفة ان يرد عليهم شيئا من الدية وكان الربيع بن زياد العبسي نازلا فيهم فقال لهم بئس والله ما فعلتم فبلغ ذلك حذيفة ثم غدر بهم فقالوا لولا انك جار لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا لك ثلاثة ايام واخرج عنا فخرج وكان الربيع ممن يسمى هو واخوته بالكملة وامهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية انمار بغيض لا انمار بجيلة وهي احدى المنجبات وهي التي قيل لها في النوم فيما زعم ابو عبيدة اعشرة هدرة احب اليك ام ثلاثة كعشرة فلم تقل شيئا فعاد لها في الليلة الثانية فلم تقل شيئا فقصت ذلك على زوجها فقال لها ان عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية انس الفوارس وعمارة الوهاب وربيع الحفاظ وسئلت فاطمة عن بنيها ايهم افضل فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل انس ثكلتهم ان كنت ادري ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ولما خرج الربيع بن زياد من بني بدر كان بينه وبين قيس بن زهير عداوة على درع غصبها الربيع

ان زوجها ... العبسي ... فقال لها ان عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة فولدتهم

منه

منه فلما اخذ بنو ذبيان الصلح مع قيس وقال في ذلك *

فان تلحقوا بكم اقسمت عواننا * فاني لكم اكرم من جنانا معا

ولا كرو لن مسودة او زنوما * وحشوا انا رمعا لمن اصطلحا معا

فاني غير خاذلكم ولا ليس * سأسعى الان اذ بلغت مراميا

ثم تناهت ذبيان وعبس للحرب وعلى بني ذبيان حذيفة بن بدر وعلى بني عبس الربيع بن زياد فالتقوا بيوم المريقب واقتتلوا وسمي بذلك للموضع الذي كانت فيه الوقعة وكثرت فيه فتكات عنترة بن شداد وفيه يقول قصيدته المشهورة التي اولها * يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي وقال ايضا * ولقد علمت اذا التقت فرساننا * بلوى المريقب ان ظنك احمق

ثم اجتمعت عبس وذبيان واحلافهما والتقوا بذي حسى وهو واد في الصفاة من ارض الشربة فانهزمت بنو عبس وخافت الا تقوم بجموع بني ذبيان واحلافهم فاتبعوهم حتى ادركوهم فقالوا لهم اما التقاذف وتقيدونا من قتلى يوم المريقب فاشار قيس بن زهير وكان ذا امية على الربيع بن زياد الا يناجزهم وان يعطوهم رهنا من ابنائهم حتى ينظروا في امرهم فتراضوا ان تكون رهنا عند سبيع بن عمرو احد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فدفعت اليهم عبس ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس وكان رأي الربيع مناجزتهم وفي ذلك يقول

اقول ولم املك لقيس نصيحة * ارى ما ترى والله بالغيب اعلم

اتبقي على ذبيان من قتل مالك * وقد حش جاني الحرب نارا تضرم

ومكثت رهنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا تبيد ان انت احتفظت بهؤلاء الاغيلمة وكأني بك لو قد مت اتاك خالك حذيفة وعصر لك عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم ثم لا تشرف بعدها ابدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم فلما ثقل سبيع جعل حذيفة يبكي ويقول هلك سيدنا فوقع ذلك من قلب مالك فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك حتى اختدعه عن الصبيان فدفعهم اليه فاتى بهم موضعا يسمى اليعمرية وجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا للسهام ويقول ناد اباك فلا يزال يرميه والصبي ينادي

ابا له عنتر بزرقة النبل فقال الزافر بن جنبر منهم ناد اباله فجعل ينادي يا لعمراه
خلا فلا عليهم وكرامة ان يحمل اباه على المكروه وقال الابن جنيبة عمرو بن عمرو
الاسلع ناد جنيبة وكان رضيع ابيه فجعل ينادي يا لعمراه باسم ابيه حتى قتل
وقتل الصبيان كلهم ولم تزل الحرب تستعر بينهم والرقاء تكثر الى ان التقوا الى
جانب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم
وكان حذيفة بن بدر يحرق الركض بفرسه فقال قيس بن زهير يا بني عبس ان حذيفة
رجل محرور والحر وانه مستنقع الآن في جفر الهباءة فعليكم به فخرجوا وقصوا
اثره وكان حذيفة قد استدبر خيزرانة من فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة
ان يعرف اثره ثم شد الحزام فوقع صدر قدمه على الارض مع قوله وعرفوا اثر
المنقاة من حمل بن بدر فقال قيس هذا اثر المنقاة فقفوا اثرهم حتى وافوهم
بالهباءة مع الكمية فبصر بهم حمل بن بدر وهو في النهي فقال لهم من ابغض الناس
اليكم ان يقف على رأسه قالوا قيس بن زهير والربيع بن زياد قال فهذا
قيس والربيع فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس واصحابه على شفير الجفر وقيس
يقول لبيكم لبيكم يعني الصبية الذين قتلهم حذيفة بالنبل وفي النهي يومئذ
حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك اخوهما وورقاء بن بلال وحنش بن عمرو فوقف
عليهم شداد بن معاوية وعمرو الرعينتان فحال بينهم وبين خيلهم ثم تواقف
فرسان بني عبس فقال حمل ناشدتك الرحم وقيس يقول لبيكم لبيكم فعرف حذيفة
انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك ومأثور القول وقيل ان حملا هو الذي قال
لحذيفة ذلك فارسلها مثلا يريد انك تقول قولا تنتفع به وتقتل فيبقى عليك
عاره ولا تنتفع به والعامة تقول في هذا الذي يموت لا يتزعم وقال حذيفة
لقيس لئن قتلتني لا تصطلح غطفان بعدها ابدا فقال ابعدها الله ولا اصلحها
ثم جاء اليه قرواش بن هني وكان حذيفة قد رباه فاستقبله ونزع له بمعبلة
فقصم صلبه وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضربا عليه وقتل
الربيع بن زياد حمل بن بدر واستعفوا عيينة بن حصن ويقال ان اباه حصن في
حذيفة فخلوا سبيله وقال قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة ما يريم

ولولا كلمه ما زلت ابكي | عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر | بغى والبغي مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي | وقد يستجهل الرجل الحليم

في ابيات اخر وقتلوا حذيفة بن بدر كما قتل اخوه بالهباءة وقطعوا مذاكيره وجعلوها في فمه وقطعوا لسانه وجعلوه في استه وفي ذلك يقول زبان بن زياد وكان يبسر حذيفة على شربه

وان قتيلا بالهباءة في استه | صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤوها تهدكم من ضلالكم | وتعرف اذا ما فض عنها الخواتم
فان تسألوا عنها فوارس داحس | ينبئك عنها من رواحة عالم

فلما اصيب اهل الهباءة عظمت غطفان قتل حذيفة فاتفقوا على ابنه حصن ابن حذيفة وقيل على ابنه عيينة بن حصن وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وكان من المؤلفة قلوبهم وكان يسمى الاحمق المطاع فعرفت عبس ان ليس لهم مقام بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا على اخوالهم من بني حنيفة مدة ثم انتقلوا الى بني سعد بن زيد مناة بن تميم فمكثوا فيهم مدة من الزمن ثم ارادوا الغدر بهم فشعرت بنو عبس بهم فقوضوا ابنيتهم ليلا وقدموا ظعنهم امامهم ووقفت الفرسان بموضع يقال له الفروق فقاتلوا بني سعد وقتلوا فيهم حتى قتلوا منهم فساروا ثلاثة ايام بلياليها حتى قالت بنت قيس بن زهير يا ابتا اتسير الارض فعلم ان قد جهدن فقال انيخوا فاناخوا وابلى عنترة يوم الفروق بلاء حسنا شهد له فيه بالنجدة والبسالة وسئل بعد ذلك عن ذلك اليوم وكان قد اجتمع عليهم جمع عظيم كم كنتم فقال كنا مائة لم نقل فنضعف ولم نكثر فنتكل ثم كانت بينهم حروب اخر وايام معروفة كيوم شعواء ويوم قطن وغيرهما مما يطول ذكره فبان الحرب قد استمرت بين عبس وذبيان في شأن داحس اربعين سنة الى ان اصطلحوا بسعي الحارث بن عوف بن ابي حارثة وهرم بن سنان ابن ابي حارثة المريين في خبر طويل وفي ذلك يقول زهير في معلقته

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله | رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما | على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ولما اصطلحت عبس وذبيان انصرف قيس بن زهير الى عمان وقال لا انظر في وجه
امرأة قتلت اباه واخاه ابن اختي ومات غريبا وفي المستقصى ان قيس بن زهير
اصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر احدا بحاجته
وفي كتاب العقد والبلاغة للشريف ابن الحسن ابن عبد ربه شيء من هذا قال

فاز قيس بن زهير كلبا * ومن كبير الشيب لما سغبا
فرد له القوم وما اعطوه له * شيئا ومنوا منه اذ راوه له
فقال نفسي رضيت بالذل * وخضعت كطالبة للاكل
حنظلة بالارض تموت جوعا * جمع الطعام والجوعا
ومات جوعا ورثته النائحة * وذكرت ما كان فيه شارحة

(تقدح نيران الحباحب عنوة * بقادح منسم خبب وكلال)

اللغة قوله تقدح من قدح النار استخراجها من حجر الزناد بقرع حديدة ونحوه
عليه وتلك الحديدة المقدحة بكسر الميم وذلك الحجر القداح والقداحة
بتشديد الدال وقد قدح النار قدحا من باب نفع اوراها وقولهم في المثل اقدح
في اقدح لك اي كن في اكن لك وقيل يقدح في حاجتك حتى اشعر فيها كانه زاد في
لفكر البنا من استنبطها فاقدح لك هم في نفاذها حتى احصل لك غرضك فقوله
الحباحب جمع حباحب وهو معروف ويكون للطير وغيره من الدواب سمي بذلك
لانه يلمع في الارض بشرره ولكنه علبها وقد استعاره الشاعر للقدح فقال

فما برح الولدان حتى رأيته * على البكر يمريه بساق وحافر

وقوله عن خبب وكلال اما الخبب فهو بالتحريك ضرب من العدو وهو ان
ينقل الفرس ايامنه جميعا وأياسره جميعا وقيل هو ان يراوح بين يديه ورجليه
وقد خب الفرس يخب بالضم خبا وخببا وخبيبا واخبه صاحبه وجاءوا
مخبين اي مسرعين على خيولهم وخب النبات اذا طال وارتفع والبحر اذا اضطرب
واما الكلال فهو بالتحريك ايضا وهو حدوث الفرس لا يقتصر الى غاية يقال
كل الفرس كلالا وكلالة كما يقال كل كلالا اذ عجز كثيرا قال الشاعر

جرى وكلالا حتى اذا قيل سابق * ترادعه عن ذي الكلال فبلدا

الاعراب والتصريف قوله تقدح نيران الحباحب جملة في محل الصفة او الحال من فرس في البيت قبله ونيران الحباحب مفعول تقدح وحوافره فاعله والياء في نيران منقلبة عن واو لوقوعها ساكنة عقب كسرة كما في ميزان وبابه وقوله حوافره ينشد بضم الهاء للوزن وهي لغة قال ابن عادل الزبيدي المغربي هي لغة قيس وقال غيره هي لغة بني عقيل وبني كلاب منهم وانشد سيبويه

لو عصر الكلم بنيو عمرو وليته * فما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

وانشد ايضا

فما له من مجد تليد وما له * من الريح حظ لا الجنوب ولا الصبا

وقال بعض بني عامر

انا ابن كلاب وابن قيس فمن يكن * قناعه مغطيا فاني لمجتلى

وقال آخر

اما تقود به شاة فتاكلها * او ان تبيعه في بعض الاراكيب

انشده في العمدة وهو كثير وانما وصف الناظم الفرس بكون حوافره تقدح النار هنا لانه عذر له لقلة نفعها وشررها ولكنها وذلك محمود في الخيل كما قال الله تعالى في وصفها والعاديات ضبحا فالموريات قدحا الاية وقال الشاعر

متى ما تقع ارساغه مطمئنة * على حجر يرفض او يتدحرج

وقال آخر ومنه اخذ الناظم

اذا افترشت خيلنا الارض بحته * تجاجا وبالكدان نار الحباحب

ومن احسن ما قيل في وصف الفرس بهذا المعنى وغيره وهو من البديع المسمى بالاستطراد قول ابي تمام

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء امين غير خوان
اظمى الفصوص ولم تظما قوائمه * فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى زيم * تحت السنابك من مثنى ووحدان
ايقنت ان لم تثبت ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

ذكر نار الحباحب وما قيل فيها

نار الحباحب تضرب مثلا للشيء الذي لا طائل تحته ولا نفع وراءه قالوا

أخلف من نار الحباحب وأكذب من نار الحباحب وقال بعض المولدين

قد بلونا قرة فتى لعمي إغابه ... شمرت لغدا بر عل الطلاب شمرله

وأضعف من نسج العناكب عقده ... وأخيب من نار الحباحب وقده - اه

وفي تفسيرها أقوال فقال ابن الكلبي كان الحباحب رجلا بخيلا وفي القاموس إنه من محارب وكان لا يوقد نارا إلا بليل مخافة أن يراها من ينتفع بضوئها أو يقتبس منها فإذا احتاج إليها أوقدها ثم إذا انتبه لها أحد أطفأها وكان لا يوقدها إلا في كلب الشتاء ليلا ثم يطفئها فضربت العرب المثل بناره وذكروها عند كل شيء لا ينتفع به قال أبو عمرو الشيباني نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها فقالت أنا من قوم يشتوون القد من الجوع قال ومن هؤلاء ويحك قالت محارب ولم تقره فبات عندها بأشر ليلة فقال فيها قصيدته التي أولها تنأتك بليلى نية لم تقارب * وما حب ليلى من فؤادي بذاهب ... إلى أن قال

فأقبلت في صحب وريح تلفني ... وفي لج ظلماء غيم ذات كواكب

إلى حيزبون توقد النار بعدما ... تلفعت الظلماء من كل جانب

فسلمنا تنازعنا الحديث سألتها ... من الحي قالت معشر من محارب

من المشتوين القد مما تراهم ... جياعا وريف الناس ليس بعازب

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن ... علي مناخ السوء ضربة لازب

ألا إنما نيران قيس إذا شتوا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقال غير ابن الكلبي الحباحب النار التي توريها الخيل بسنابكها من الحجارة ومنه قوله تعالى فالموريات قدحا وعليه مشى صاحب الكشاف ومن مراده ثم وقيل الحباحب طير من الطيور كان يوقد نارا ضعيفة وكذلك نيران اللصوص ضعيفة وقيل الحباحب كما بريكيم في الكلام قدر الذبابة وله جناح يحمر إذا طار يتراءى من البعد كأنه شرارة نار وقال ابن الأعرابي أم حباحب دويبة مثل الجندب فيها خضرة وصفرة ورقطة يقول لها الصبيان إذا رأوها أم حباحب اخرجي بردي ذا في حباحب فتنشر جناحيها كذا في شرح البردية لابن مشلاح اللخمي وقال الجاحظ نار الحباحب هي كل نار لا حقيقة لها عند العرب فهي كالنار المنقدحة من حوافر الخيل إذا وكنت الحصى الصغار والجلاميد الكبار

قال النابغة في وصف السيوف

تقدّ السلوقيّ المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

(وكالريح في مهبوبه والسمع في * ذنوبه وكالمها في فشوه

به أجوس في خلال دورها * وانثني كالنار المؤتلق)

اللغة قوله كالريح في مهبوبه: الريح معروفة وسميت بذلك لأن الغالب عليها أن تأتي في هبوبها بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يورث الغم والكرب قاله في الزاهر وقال في المصباح الريح الهواء المسخر بين السماء والأرض نسيم قال والريح مؤنثة على الأكثر فيقال هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو الريح وهب الريح نقله أبو زيد قلت وعلى هذه اللغة درج الناظم فلذا أعاد الضمير عليه مذكرا ويحتمل أن يكون الريح في كلامه جمع ريحة وهي لغة في الريح فيكون من الجمع الذي يفرق بينه وبين مفرده بسقوط التاء كما في نخل ونخلة ولذا أن فيه لغتين التذكير والتأنيث قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر وقال كأنهم أعجاز نخل خاوية ويؤيد هذا أنه قال بعد وكالمها في فشوه وهو من هذا القبيل أعني أنه جمع مهاة ومهبوب الريح ومهبها وهبيبها ثورانها وهيجها نشاطها والهبوب كصبور الريح المثيرة للغبار كالمهبوبة قوله والسمع في ذنوبه السمع بالكسر سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع يقال إنه لا يعرف الأسقام والعلل ولا يموت حتف أنفه كالحية وإنما يموت بآفة من الآفات وليس في الحيوان شيء عدوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا ويضرب به المثل في قولهم السمع الأزل اشتق له اسم منه قال الشاعر

تراه حديد الطرف أبلج واضحا * أغر طويل الباع أسمع من سمع

قوله وكالمها في فشوها المها جمع مهاة وهي البقرة الوحشية والفشو بالتحريك الغزو والنشاط وقال أبو عمرو الفشو انتشار النفير والحزم قوله به أجوس الجوس والاجتياس بالجيم وبالحاء المهملة ترداد طلب الشيء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت وفي الغارات والنهب قوله خلال دورها يعني ما بينها وحواليها وهو جمع خلل كجبال جمع جبل وقيل هو مفرد كحجاب وجدار وقرئ قوله تعالى فجاسوا خلال الديار بالجيم والحاء كما قرئ خلال بالإفراد والجمع

واختلفت عبارات المفسرين في معناه فعن ابن عباس رضي الله عنه ان معناه
بثوا خلال الديار وقال ابو عبيدة طلبوا مهربا وقال ابن قتيبة طافوا
وانتشروا وقال الزجاج كانوا طافوا خلالها هل يفتني احد منهم يقتلونه فقال ان الراغب
الحبور من التردد والطلب وذلك يحتمل الكلام على الوجه قوله وانشق كالبدر
المحو تلو الانثناء الرجوع والانعطاف والبدر وان تلو تقدم الكلام عليه والله
اعلم الاعراب والتصريف قوله كالبرق في ثبوته صفة او حال من
فرس كالبرق قبله وياء البرق منقلبة عن واو وفي ثبوته متعلق بالكاف لما فيها
من معنى التشبيه قوله والسمع في ذنوبه معطوف عليه بتقدير الكاف وكلاهما
في بشر معطوف كذلك والف انهما يحتمل ان تكون منقلبة عن واو فتكتب الفا
ويحتمل ان تكون منقلبة عن ياء فتكتب ياء فقد سمع في جمعها مهوات ومهيات قوله
بها اجوس جملة مقتضبة افاد بها المقصود من انتفاء منزلة الكبر واختيار ويصح
ان تكون صفة له او حالا كالجمل التي قبلها وتقدم الجار والمجرور على الفعل
لافادة الحصر وفي خلاله ورمنا يتعلق به ايضا اعني قوله اجوس ومن
البلاغة في مع الكبر رجوعنا الى الاهل كما هو هنا من قال

أفي الحق أني مغرم بك هائم * وأنك لا خل هواك ولا خمر

والا فعدوي عنق عنها بدليل الاية الكريمة ومنها اقتبس الناظم ويجوز ان يكون
من هنا ايضا انه بالغ في تفخيم ذور منزلة الحبرية والولوج فيها والمبالغة
لقومه وتعسيرتها في مثل هذا وعجزه يا رسم تكييفها قيل به في قوله تعالى وقال
اركبوا فيها وان كان يحتمونا فيه والله اعلم وقد وصف الناظم رحمه الله الفرس
باوصاف متعددة واراد بقوله كالبرق في ثبوته البيتا انه يشتمل ضروبا
كثيرة من السير وانواعا متباينة من العدو فتارة يمر مر البرق وتارة يثب
وثوب السمع واخرى يمرح مرح الكبش وفي المثل انشط من كبش وعن الى قارعة
من كونه يفرح الناس به حوامر عند ابتغيه والكلول مقسم كما قال امرؤ القيس
في وصف فرسه

على مثبكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا واني

بتامل ما اشتملت عليه البكفة افانين مما لو عد كان كثيرا وما افتن به من جميع

أفنان الجودة كمرعى ابن غزي كلب ولا مسلة لم نعثر عليه عند الكرازة والعزى
وبما أكثر عيوب الخيل وفي تلاميذه إشارة بديعة وأما تشبيه الفرس في عدوه
بالريح فهو كثير ومن أحسن ما قيل في ذلك قول أبي تمام الأندلسي

وأقبلت تنفر البروق إذا جرى ... من عينكما حسبنا بأرض تلحس
ملك الرياح قوائما يجري بها ... فيكاد يأخذ من قبلا من قد سرى

وقال أيضا

ونمتن ريح تسبق الريح إن جرت ... وما خلقت إن الريح ذات قوائم
له في المدى سبق إلى كل غاية ... كأن له فيها نعوذ عزائم
وبمنة نغير نزمنته عمر الورى ... فيا عجبا أعتن العلى في البهائم

ومن باب واسع وكلام الناس فيه كثير بل ورد في بعض الأحاديث أن الخيل
مخلوقة من الريح ففي تاريخ نيسابور للحاكم أبي عبد الله في ترجمة أبي جعفر
الحسين بن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن يخلق الخيل
قال للريح الجنوب إني خالق منك خلقا فاجعله عزا لأوليائي ومذلة لأعدائي
وجمالا لأهل طاعتي فقالت الريح اخلق يا رب فقبض منها قبضة فخلق منها
فرسا وقال خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم
مجازة على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق وأيدتك على غيرك من الدواب وعطفت
عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب وإني
سأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني ثم قال صلى الله
عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعه
الملائكة إلا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة خلق الفرس قالت يا رب
نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك فماذا لنا فخلق الله تعالى لها
خيلا بلقا أعناقها كأعناق البخت يمد بها من شاء من أنبيائه ورسله قال فلما
استوت قوائم الفرس في الأرض قال الله تعالى إني أذل بصهيلك المشركين وأملأ
منه آذانهم وأذل به أعناقهم وأرعب به قلوبهم قال فلما عرض الله
تعالى على آدم كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس
فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا أبد الآبدين ودهر

الدائم من قوله في مروج الذهب وفي شفاء الصدور عن ابن عباس رضي الله عنه
يعني هذه اللفظة ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اراد الله
تعالى ان يخلق الخيل اوحى الى ريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت
فامر جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل هذه قبضتي
ثم خلق منها فرسا كميتا ثم قال الله عز وجل خلقتك فرسا وجعلتك عربيا
وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على
ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم ارسله فصهل فقال الله عز وجل باركت
بصهيلك ارهب المشركين واملأ مسامعهم وازلزل اقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل
فلما خلق الله آدم قال يا آدم اختر اي الدابتين احببت يعني الفرس والبراق
قال والبراق على صورة البغل لا ذكر ولا انثى فقال آدم يا رب اخترت احسنهما
وجها وهو الفرس فقال الله تعالى يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا
وخالدا ما خلدوا قال ابن عباس فذلك الرسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة
يعني الغرة والتحجيل قال المسعودي عقب هذا الخبر وعقب اخبار تتعلق بالعنقاء
والنسناس ونحوهما ولولا ان المؤلف حاطب ليل ما ذكرت هذه الاخبار يعني
لضعفها وقال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله في جواب له ما نصه ان الخيل
قد خلقت قبل آدم عليه السلام ما نصه وقد جاء عن وهب بن منبه في
الاسرائيليات ان الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لا يثبت فما قلناه
ولا نلتزم صحته لانا لا نصحح الا ما صح لنا عن الله عز وجل ورسوله صلى
الله عليه وسلم وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه ان الخيل كانت
وحوشا وان الله تعالى ذللها لاسماعيل عليه السلام وذلك لا يثبت فما
قلناه من تكون خلقه قبل آدم عليه السلام اذ كانت تركب في وقت
ثم توحشت ثم ذللت لاسماعيل عليه السلام وليس في ذلك عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم دليل قاطع فما قلناه
من دلالة القرآن والذي قيل من ان اسماعيل عليه السلام اول من ركبها
امر مشهور ولكن اسناده ليس بصحيح حتى يلتزم وقد قلنا انا لا نلتزم
الا ما صح عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هـ كلام السبكي

واستمرت على وحشيتها الى عهد اسماعيل عليه السلام اولا

رحمه الله وقد ادل بدلالة القرآن ان الايات عامة قد دلت على ان الارض وما
فيها مخلوق للادمي وذريته اكراما لهم ومن كمال الاكرام وجودها قبلهم من
ذلك قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وما اشبههما والله اعلم

(وقل رتب الزباء خلف نقص ما * وكعفص سفنجا للنفق)

اللغة الزباء مثلا امرأة بالغ حسنها وهي من الازب اي كثير الشعر وكذلك
كانت هذه المرأة فانه كان وجهها شعر تستحييه اذا مشت واذا ارسلته غطى
بدنها وبذلك لقبت بالزباء وعلى هذا فلعلها ممدود كحمراء تأنيث الاحمر وقال
البكري ان الف الزباء مقصورة قال وقد رد العلماء المرجحين للافعال تأنيث زبان
الاسم المستعمل فالزباء ممدودا فانما هو تأنيث الازب ولم يستعمل اسما وانما
هو صفة للكثير شعر البدن قال والشاهد لها فلذلك قول عدي بن زيد *
* فاضحت في مدائنها كأن لم * تكن زباء حاملة جنينا انتهى
وحكى الشريف الغرناطي في شرح المقصورة الفولية فقال والزباء تمد وتقصر
فمن مد جعل مذكرها ازب مثل احمر وحمراء ومن قصر جعله زبان مثل غضبان وغضبى
ه وقد رد الشيخ ابو علي اليوسي وجه القصر وجزم بانه ممدود وان من قصره
من الشعراء فانما قصره للضرورة واصل ذلك لابن الزلال انتهى كلامه في
زهر الاكم فقوله وكعفص سفنجا للنفق بكسر الصاد اسم رجل بالغ خبره
ايضا والنفق بالتحريك سرب في الارض له مخلص الى مكان اخر وفي المثل ضل
دريص نفقه يضرب لمن يعيى بامر نفسه ويعجز عن حجته بينما ما يمنع الحاجة
والدريص كزبير ولد الارنب واليربوع ونحوهما والنافقاء احد جحرة اليربوع
يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب
النافقاء برأسه فانتفق اي خرج منها ونافق اذا اخذ في نافقائه ومنه اشتق
المنافق في الدين وهو الذي يكتم الاسلام ويظهر الكفر عياذا بالله اعرابه
والتصريف فقوله فارتب الزباء الفاء فصيحة اي فحيث عرفت شرحه فقدر
فانه لما انقسم ليرد ويبنى على كل حال وقعه ثلاثة مما افرده عنه كل
شرك كانه قال واذا كان الامر على ما وصفت لك فارتب الزباء خلف نقص
ا وان حذف شرطه وتقدم بعد الشرط مجزوم بالسكون على النون وحذفت تخفيفا

وابن عصفور من النحاة يشترط كون المجزوم بها أن لا يليها ساكن وإلا لم تجزم كقوله
تعالى لم يكن الذين كفروا وخالفه يونس بن حبيب فأجاز الجزم في ذلك متمسكا
بنحو قوله * فإن لم تك المرآة أبدت وسامة * فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم *
واختاره ابن مالك وعليه مشى الناظم هنا وبما يأتي من قوله فإن يك السعد عنه
غير البيت وحمله الجماعة على الضرورة واسم تك ضمير الشأن والزباء خبرها على
حذف مضاف أي مثل الزباء وتقدم الكلام في وجه نصبه وقوله دخلتا فقدما جواب
الشرط وقوله وقدهم شغفتها للانقو الواو عاطفة ومعه داخلة في التقدير على
الفعل معطوفا على الجواب وكفهم حال من فاعله أو من ضمير الناظم والكاف
اسمية أي مثل قدهم وعين الفعل محذوفة لالتقاء الساكنين وأصلها الواو والألف
من السنور وللنفر يتعلق بشغفتها واللام بمعنى إلى وبين فيهم جملة وقدهم شبه
هنا من الاستغناء

ذكر قصير والزباء وما كان من أمرهما *

الزباء ملكة امرأة من تغلبية ملكت الشام من أهل بيت عاملة منهم وهي
الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة من ولد السميدع بن هوبر العملقي
الذي قتله يوشع بن نون صاحب موسى عليهما السلام وكان سلف الزباء يملكون
جزيرة الموصل ومشارف الشام وكان الاسماء ثم أوكليلا إلى أن أفضى الملك إلى
عمرو بن الظرب منهم وهو والد الزباء وكان رفقاؤه بالحضر بفتح الحاء وهو
حضر بالجزيرة مشهور وهو الذي عناه عدي بن زيد بقوله

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور

وقتله جذيمة الأبرش صاحب الحيرة والعراق وهو جذيمة بفتح الجيم وكسر الذال
المعجمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بضم العين المهملة وبالثاء المثلثة
ابن عبد الله بن زهران الأزدي ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ قال ابن عبدرة وهو
أول من كان بالحيرة من العرب وأول من نصب المجانيق وأوقد الشموع وكان بعد
عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وقيل دون ذلك اختلفت عبارات المؤرخين
في قدر مدته من الستين سنة إلى مئة والمدائة وقال الكلبي كان جذيمة من أفضل ملوك
العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من استجمع له الملك بأرض

صوريا

العراق وضم إليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عنه
فقالوا الوضاح والأبرش إعظاما له وكانت منازله ما بين الحيرة والأنبار
وهيت وعين التمر ونواحيها وكانت تجبى إليه الأموال وتفد عليه الوفود [illegible]
قال وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن
أذينة العملاقي من عاملة العمالقة فكانت بينه وبين جذيمة حروب فقتل جذيمة
عمرا وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء
واسمها نائلة كذا عند الكلبي وقال ابن دريد اسمها ميسون وقيل اسمها الفارعة
وكانت جنود الزباء من بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات إلى تدمر
ولما استجمع أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة وطلبه بثأر أبيها
فقالت لها أختها زبيبة تصغير زينب على الترخيم وكانت عاقلة إن غزوت
جذيمة فإنما هو يوم له ما بعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب وإعمال
الحيلة فأجابتها إلى ذلك وكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها ليتزوج بها
وتضيف ملكها إلى ملكه وقالت فيما كتبت إنها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في
السماع وضعفا في السلطان وإنها لم تجد لنفسها ولا لملكها كفؤا غيره فلما
انتهى إليه كتاب الزباء استخفه ما دعته إليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع
إليه ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته إليه واستشا
فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ويستولي على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير
ابن سعد من لخم وكان أبوه سعد قد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا قالوا ولم
يكن قصيرا وإنما سمي به فقط وكلامهم ككلام المبرد في الكامل أنه كان قصير القامة
فلا نعرف لما تكلم على القصور والقصر وما قيل فيهما فلا فائدة فيه وقد يقال الكيس
في القصر وقد قيل في غير قصير وكثيره ومكره ما سار به المثل ولما استشار جذيمة
بطانته وأجمعوا على ما أجمعوا عليه خالفهم قصير وكان أريبا حازما أثيرا عند
جذيمة فقال رأي فاتر وغدر حاضر فذهبت مثلا ثم قال لجذيمة الرأي أن تكتب
إليها فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت
أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن
لا في الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي فاستشاره فشجعه

على المسير وقال الرأي ما رأت فسر مع الزباء فلو رآوا لهم هذا زوا معك فاتكلا عنده
فقال قصير لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على
ملكه وجعل عمرو بن عبد الجن التنوخي معه على جنوده وخيوله وسار جذيمة في
وجوه أصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي فلما نزل الفرضة دعا
قصيرا فقال ما الرأي يا قصير فقال قصير ببقة تركت الرأي فذهبت مثلا قال
وما كنه بالزباء قال القول رداف والحزم عثراته تخاف فذهبت مثلا واستقبلته
رسل الزباء بالهدايا والألطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطب يسير في خطب
كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة وإن
أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فإن القوم غادرون بك فاركب العصا فإنها
لا يشق غبارها فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى فإني راكبها
ومسايرك فلقيته الكتائب والخيول فحالت بينه وبين العصا ويقال إن
قصيرا عرضها له فشغل بنفسه عنها وقيل إنه من ركوبها فحضر ذا اللحم فركبها
قصير وولى فنظر إليه جذيمة موليا على متنها يتقطع السراب دونها فقال ويل
أمه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وقال أيضا ما ضل من جرت به العصا فذهبت
مثلا وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها
برجا يقال له برج العصا وقال ابن عبيدة والأصمعي انقطعت ثلاثين ميلا ثم
وقفت فبالت فبنى على ذلك الموضع برجا يسمى برج العصا وقالت العرب
خير ما جاءت به العصا مثلا تضرب به وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول
حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت له فإذا هي مضفورة الإسب ومعنى
بالمضفورة شعر العانة والفرج فقالت له يا جذيمة أدأب عروس ترى فذهبت
مثلا فقال جذيمة قد بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا وفي بعض
الروايات أنها قالت له أشوار عروس ترى فقال جذيمة بل متاع فاجرة بظراء
فقالت والله ما ذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة من أناس
والمواسي بفتح الميم جمع موسى الآلة المعروفة والأواسي بفتح الهمزة الأطباء
ثم قالت لجواريها خذن بعضدي سيدكن ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه
وأمرت برواهشه فقطعت وأمرت بطست من ذهب فأعدته لدمه قيل لها ولا

بأن يزيّنت دمه مغرًا وذلك بأن سقته الخمر حتى أغرقت منه فأخذتها وكانت
الملوك لا تقتل بضرب الأعناق والذبح فتقتل تكرمة لتخضب الحلي وإنما عرفت
الطست لدمه لأنه قد قيل لها إن قطر من دمه شيء في غير الطست طُلب بدمه
ولا بد فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه قطرة على رخام القصر فقالت
لا تضيّعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دمًا ضيّعه أهله فذهبت مثلا ولما
قُتل جذيمة جعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذين هلكت العصا
بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة من أجله فاختلف منه وعمرو
ابن عدي اللخمي تنوخي مثل قصير أي ابن عم الأبرش فقال له الكلب برم ابن عمك والاستبـ
به العرب فلم يجعل بذلك وإنما جعله ابن عمه مع أنه تنوخي وجذيمة أزدي كما مر
لأن تنوخ عرب قبائل من اليمن الأزد وغيرهم وإنما قيل لهم تنوخ لأنهم اجتمعوا فأقاموا
بالبحرين بعد انقطاع بعث نكث بالعرب وتحالفوا على التناصر وأقاموا هناك فسموا
تنوخ بوزن صبور والتنوخ بالضم الإقامة ولما يئس قصير من عمرو بن عدي اللخمي
مشى إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال له هل لك في أن أصرف الجنود
عن أن تتقلب بثأر خالك فما نعم له بذلك فأتى فيهم فأذلّ الجند واستمالهم بالمال
فانصرف إليه منهم بشر كثير وتهاوى الغرار للقتال ثم اصطلحوا على تمليك عمرو
ابن عدي وانقاد إليه عمرو بن عبد الجن ولما تم الأمر على ما ذكرنا قال قصير لعمرو
ابن عدي انتهز فيها وخذ بثأر خالك من الزباء فقال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب
الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء قد سألت كاهنة لها عن أمرها وملكها فقالت
أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين اسمه عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن
حتفك بيدك ومن قبله يكون ذلك فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الذي كانت
تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها وقالت إن فجأني أمر دخلت النفق إلى حصني
وفي الأغاني أن الزباء كانت من أحزم الناس فخافت أن تغزوها ملوك العرب
فاتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات ثم سكرت الفرات في
وقت قلة الماء وبنت أزجا من الآجر والكلس متصلا بذلك النفق وجعلت نفقا
آخر في البرية متصلا بمدينة أختها ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت
عدوا دخلت النفق ثم دعت رجلا مصورا أجاد فأجهزته وأحسنت إليه

وقالت له سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكرا فتتصل بحشمه وتخالطهم وتعلمهم
بما عندك من علم التصوير ثم اثبت لي عمرا وصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا
ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه ثم اقبل الي فانطلق المصور حتى قدم على
عمرو بن عدي وفعل ما امرته به الزباء وعاد اليها فارادت بذلك ان تعرف
عمرو بن عدي فلا تراه على حالة الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو بن عدي
اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو ما انا بفاعل وما انت لذلك
اهلا فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا قال عمرو فانت ابصر فجدع
قصير انفه وضرب ظهره وخرج كانه هارب الى الزباء فقالت العرب لامر ما
جدع قصير انفه وفي ذلك يقول المتلمس

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير ورام الموت بالسيف بيهس

ثم سار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فامرت به فادخل
عليها فاذا هو مجدوع الانف مضروب الظهر فقالت ما الذي ارى بك يا قصير
قال زعم عمرو اني غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بي
ما ترين فاقبلت اليك وعرفت اني لا اكون مع احد هو اثقل عليه منك فاكرمته
واصابت عنده بعض ما ارادت من الحزم والراي والتجربة والمعرفة بامور الملوك
فلما عرف انها قد استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لي بالعراق اموالا
كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثيني لاحمل اليك من طرائف العراق وصنوف
ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحا وبعض ما لا غنى بالملوك عنه فسرحته
ودفعت اليه اموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق واتى الحيرة
متنكرا فدخل على عمرو بن عدي فاخبره الخبر وقال جهزني بصنوف البز والامتعة
لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فاعطاه حاجته وكان
اكثر ما يكون بها من العراق والشام انصرف بذلك تجهيزا كثيرا فرجع قصير الى الزباء
بما معه من الطرائف فعرضه عليها فاعجبها ما رات وسرها وازدادت به
ثقة وجهزته ثانية باكثر مما جهزته به في الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل
من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه الا ساقه اليها ثم عاد
الثالثة فاخبر عمرا الخبر وقال له اجمع لي ثقات اصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر

والمسوح

والمسوح وقيل اتخذ الجوالق وادرجها في الغرائر وموّه اقفالها وحمل على كل
بعير رجلين في غرارتين وجعل معقد رؤوسها من داخل وقال لعمرو اذا دخلت ا
لمدينة الزباء فامتحن على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل
المدينة فمن قاتلهم فاقتلوه وان اقبلت الزباء تريد النفق فجللها بالسيف
ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير
الليل وكانت الزباء قد وشي لها بقصير على ما قيل فصارت تستطلع اخباره في
ومغايبه فسالت عنه فقيل لها انه قد اخذ على طريق الغوير فقالت عسى
الغوير ابؤسا فذهبت مثلا قال ابن الكلبي والغوير ركز تير ماء معروف لبني
كلب ولما صار قصير فرسخا من مدينة الزباء تقدم اليها فاعلمها كثرة ما حمل
من المتاع والطرائف وسالها ان تخرج فتنظر الى ما جاء به وقال قد جئت بما صاء
وصمت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في
الارض من ثقل احمالها فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا   أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا   أم الرجال جثما قعودا

وفي تجمع الامثال انها قالت ثلاثة اشطار فاجابها قصير في نفسه بقوله

بل الرجال جثما قعودا

وقيل ان الشعر مصنوع ومنسوب اليها ثم دخلت الابل المدينة حتى كان آخر
بعير منها على بواب المدينة وكانت بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت
خاصرة الرجل الذي فيها فضرط فقال البواب بالرومية ما تفسيره الشر الشر فلما
توسطت الابل المدينة انيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذي كانت الزباء
تدخله اذا ما جاءها امر وكانت قد اريته اياه قبل ذلك وخرجت الرجال من
الغرائر وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق
واقبلت الزباء تريده فابصرت عمرا فاذا هو على بابه فعرفته بالصورة التي
صورت لها فمصت خاتما كان في يدها فيه سم وقالت بيدي لا بيد عمرو وقد ذهبت
مثلا وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وماتت وصار معنى قول الناظم رحمه
الله وكفتهم شفتها للنفوس اغتيالهم ان في سبا والحكاية بقدر افهم اذا عمرنا

هنا

زعم ان افتداء

نام

منه فأكلهم إلا الأبح والأخرم والقصة المعروفة وهما قتل عمرو الزباء أصاب
ما أصاب من قصير يشفعا ثم عاد إلى العراق وعظم أمره وملك بعده الملوك وترتب
ببلاد الزباء خالية بعد أن عادت بالسبي فيقال إن الزباء أول من سبي فسمي في العرب
من غنائم الروم وعمرو بن عدي هذا هو جد ملوك الحيرة من آل المنذر على ما عليه
جمهور الإخباريين قال ابن قتيبة فذكروا الأوتار في الجاهلية ثلاثة سيف
ابن ذي يزن الحميري وقصير بن سعد اللخمي وبيهس الفزاري الملقب بنعامة وسيأتي
ذكره إن شاء الله

(وقد حماه ما كليب بلسه   جساس رمح زاهد بالكرى)

اللغة قوله ومن حماه ما كليب الحماية المنعة والنصرة تقول حميته
حمياً وحماية إذا دفعت عنه ومنعته وعليه زجاجة الخفيفة وعلى الزجاج
بكسر الذال المعجمة وعلى من الحمى بالتصغير أي يحمي حوزته وما يليه وأحميت
المكان بالألف جعلته حمى لا يقرب ولا يجترأ عليه قال الشاعر

ونرعى حمى الأقوام غير محرم   علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وفي الحديث لا حمى إلا لله ولرسوله وسمع الكسائي في تثنية الحمى حموان
بالواو وقال والوجه حميان والحمية كغضبة الأنفة وفلان أحمى أنفا من فلان
أي أمنع لما وراءه منه وكليب بالتصغير اسم رجل يأتي خبره قوله جلّه جساس
رمح الرمح معروف وجمعه أرماح ورماح ورجل رامح أي صاحب رمح ومعنى كونه جساسا
أنه يبحث عن الحقائق ويتكشفها حتى يعلم اليقين من جس الأخبار وتجسسها
أي تتبعها ومنه الجاسوس لأنه يتتبع الأخبار ويبحث عن بواطن الأمور قوله
زاهد بالكرى الزهد بسكون الهاء المهملة ويطلق على القعود على طريق وعلى الترقب
والانتظار وقد رصده رصدا ورصادا فهو راصد والرصد بالتحريك القوم
يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا أرصاد
والمرصد موضع الرصد وأرصدت له بالمرصاد أي مراقب له لا يخفى عليه شيء
من أفعالك ولا تفوته وقيل للأعرابي أين ربك فقال بالمرصاد قال تعالى ما يكون
من نجوى ثلاثة الآية **الإعراب والنحويات** قوله ومن حماها
كليب جملة معطوفة على جملة الشرط فتبعه ومن اسم شرط مبتدأ وحماها

وفعل الشرط مجزوم المحل وفاعله ضمير عمرو ومفعوله ضمير لبنى وقيل العكس وفعل
الشرط وحده لا أنه اسم تام وفعل الشرط مشتمل على ضمير أو بفعل الجواب وحده
لأن الفائدة به تمت أو بمجموعهما والصحيح الأول وإنما توقفت الفائدة على
الجواب من حيث التعلق وفقط لا من حيث الخبرية والألف حماما منقلبة عن ياء لاكنها
تكتب ألفا للفرق بينهما وعشوا بسبب اتصال ضمير المفعول بها وقوله ككلب حال من
فاعل حماها والكاف اسمية ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا على حذف موصوف
ومضاف والتقدير ومن حماها حماية مثل حماية كلبها والأول أولى لكونه أقل
تقديرا قوله فله حسا من رغم جملة في محل جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء
وله خبر مقدم وحسا من رغم مبتدأ مؤخر وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي
رغم حسا من وقوله راغم بالكره صفة ثانية لرغم وأل في الكره للاستغراق
والله تعالى أعلم **البيان** في قوله حسا من رغم استعارة بالكناية فإنه
شبه الرغم بحال تعود في أعضاء المهجو به ووصوله إلى مقاتله من قلب
وكبد ونحوهما بجامع سوس يدخل أن ذكر النمو ويتغلغل فيها لتعم الأعضاء والبحث
عنهما ورمز لذلك بذكر الحبس الذي هو عبارة عن المعهود كما قررنا فهو أيضا
استعارة أصلية في المصدر تبعية في الوصف وقد قرروا أن الاستعارة التخييلية
قد تكون قرينة للمكنية كما في قوله تعالى ينقضون عهد الله ومنه ما هنا وقوله
راغم بالكره ترشيح للاستعارة والمراد بالكره هنا كره الخيانة من
البر كما قال الشاعر ومنه أخذ الناظم رحمه الله

فشين المفرقين في الكره وشيبوكم ... حتى عن قد مساليك الأزواج

والشاعر أبو الحسن مثل المعتنى من زيد الخيل الكلاعي رضي الله عنه حيث يقول

واسمر من فروع يبرق رايته ... بحير إذا أمرته بالمقاتل

وتبعه أبو تمام فقال

كأنما وهو في الأوداج والغة ... وفي الكلى تجد الغيظ ابن تجد
من كل أزرق نظار بلا نظر ... إلى المقاتل ما في متنه أود

وقال الأديب

يسابق سيفي منايا العداة ... إليهم كأنهما في رهان
يرى حده غامضات القلوب ... إذا كنت في مبترك لا تراني

وقال ابن دريد

ابيض كالملح اذا انتضيته * لم يلق شيئا حده الا برى

يريك الماثور حين تقفو اثره * في كلم الاكباد سبلا في ثرى

وفي كلام الناظم مجاز مرسل فان المراد بقوله فلذة جساس رمح اي لذة كطعنة الرمح لا نفس الرمح وفيه ايضا تورية فان لفظ جساس له معنيان قريب وهو انه علم على الرجل الذي قتل كليبا كما سياتي وبعيد وهو الجاسوس الذي يبحث عن الاخبار وانما كان الاول قريبا لشهرته لاسيما عند الادباء والناظم رحمه الله اراد المعنى البعيد كما قررناه في الاستعارة واوهم انه يريد القريب وتمم بذكر كليب والرمح والرمي بالكر والله تعالى اعلم

ذكر كليب وجساس وما كان من امرهما

اما كليب فهو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل التغلبي ينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار واما جساس فهو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل وفيه اجتمع نسبه مع كليب وكان من خبرهما ان كليبا كان رفيع العز وساد في ربيعة حتى ضرب المثل بعزته فقيل اعز من حمى كليب وقاد معدا كلها يوم خزازى وفض جموع اليمن فاجتمعت عليه معد كلها وجعلت له قسم الملك وتاجه واطاعته وبقي بذلك حينا من الدهر ثم داخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش ارض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد احد مع ابله ولا يوقد نار مع ناره ولا يمر احد بين بيوته ولا يحتبي في مجلسه ولا يتكلم فيه الا باذنه وفي ذلك يقول اخوه مهلهل يرثيه بعد مقتله

نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في امر كل عظيمة * لو كنت شاهد امرهم لم ينبسوا

اي لم ينطقوا وفي مجمع الامثال انه كان اذا مر بروضة اعجبته او غدير ارتضاه كنع كلبا في ربضه فواقه ثم رمى به هناك فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يرعى وكان اسم كليب وائلا كما قلنا فلما حمى كليبه المذكور الكلأ قيل

اعز من كليب وائل بالاضافة ثم غلب هذا الاسم عليه حتى كمنزلة اسمه وقد
مر يوما بقبرة وهي نوع من العصافير وقد باضت فلما رأته صفقت بجناحيها
وصرصرت فقال لها امن روعك انت في ذمتي ثم انشأ يقول

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري *

وذلك ان القنابر انما تبيض وتعشش في المعشب والأثر وبعضهم يروي هذا البيت
لطرفة بن العبد وكانت بنو جشم رهط كليب وبنو شيبان رهط جساس اخلاطا
في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن
شيبان وهي اخت جساس بن مرة ثم انه حمى ارضا من العالية في انف الربيع فكان لا يرعى
فيها الا ابله وابل جساس للمصاهرة التي بينهما ثم ان البسوس بنت منقذ
التميمية من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وهي خالة جساس زارت اختها ام جساس
ومعها جار لها من جرم يقال له سعد بن شمس ومعه ناقة له اسمها سراب كقطام
وهي التي يضرب بها المثل في الشؤم فيقال اشأم من سراب كما يضرب بالبسوس
فيقال اشأم من البسوس لانهما كانتا سبب الحرب بين الحيين بكر وتغلب ابني
وائل فخرجت سراب في ابل جساس حتى دخلت الحمى فقال الفتى ووطئت بيض القبرة
وكسرته ويقال ان كليبا اتى الحمى مرة فرأى سراب فانكرها اذ لم يكن يعرفها قبل
ذلك فسأل عنها فقيل له انها ناقة جار جساس فقال او يبلغ من قدره ان يحمي دون
اذني وكان لا يحمي احد الا باذنه يا غلام ارمها فرماها بسهم فانتظم ضرعها
وقيل في سبب رميه اياها غير هذا وولت الناقة وضرعها يشخب دما ولبنا
حتى بركت بفناء صاحبها فلما نظر اليها صرخ واذلاه فسمعته البسوس
فخرجت فلما نظرت الى الناقة ضربت بيدها على رأسها ونادت واذلاه ثم
انشأت تقول

لعمرك لو اصبحت في دار منقذ * لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني اصبحت في دار غربة * متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل * فانك في قوم عن الجار اموات
ودونك اذوادي فاني عنهم * لراحلة لا يفقدوني بنياتي

فلما سمع جساس قولها سكّنها وقال ايتها المرأة ليقتلن غدا جمل هو
اعظم عقرا من ناقة جارك جرير بن زبان كليبا فبلغ كلامه كليبا فظن انه يعني
فحل ابله الذي كان يرعى عليها بضم العين المهملة وتشديد الياء فقال دون
عليائه خرط القتاد فارسلها مثلا يعني انه لا سبيل لجساس الى ان يصل الى
ذلك الفحل ثم ان الحي انتجعوا فمرت بنو بكر على نهي ماء يقال له شبيث بالتصغير
فنفاهم عنه كليب وقال لا تردونه فكثرة ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص
فنفاهم عنه ايضا فمضوا حتى اتوا غدير الذنائب فنزلوا عليه وتبعهم كليب
في بني تغلب حتى نزلوا معهم فمر جساس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب فتقدم
فقال له طردت اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما
منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال جساس هذا كفعلك بناقة جاره
فقال او قد ذكرتها اما اني لو وجدتها في غير ابل مرّة لاستحللت تلك الابل بها
فعطف عليه جساس فرسه وطعنه بالرمح فانفذ حضنيه اي جنبيه ووجد
كليب كظم الموت فقال يا جساس اسقني ماء فقال هيهات تجاوزت شبيثا
والاحص وبزودي لنعه فقال له ما عقلت استسقاء الماء منذ ولدتني امي الا
ساعتك هذه وكان مع جساس رجل من عشيرته يقال له عمرو بن الحارث بن ذهل
فقال له كليب يا عمرو اغثني بشربة ماء فنزل عمرو عن فرسه وتقدم اليه
فاحتز رأسه فقتله

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد عمي جساس حين قومه عدا مع الزمار وقامع الغبار ورجع فتم على اهله
ذلول اخته لابيها حين رأته وقيل ان جساسا لما رجع خارجة ركبتاه
وكان بركبتيه وضح لابيه فقال ان لك لأمرا والله ما خرجت الا لأمر عظيم فلما
انتهى اليه قال له ما وراءك يا بني فقال ورائي اني طعنت طعنة لتشغلن
بها بني وائل زمنا قال اقتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك قتلتم
قبل هذا ما بي الا ان تتشاءم بنا وائل ثم نظر جساس الى اخيه نضلة بن مرة
ومعه عشرة اخوة كانوا له فقال له

واني قد جنيت عليكم حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

مزكّرة حتى ما يبغي منهما * فبتنا نستبيت بامر غير صلاح

فاجابه نخلة بقوله *

فارتج فرجنبيت على حسرتنا * فلا وارن للارث السلاح

فالبس نوبها وآخذ ويد عيسى * فعاما والمزلة والفلاح

ثم ان مرة بن ذهل دعا قومه الى نصرته فاجابوه وشحذوا السيوف وقوّموا الرماح وجلوا الاسنة وتهيئوا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة وهو اخو جساس ومهلهل بن ربيعة وهو اخو كليب قد تصادقا وتآخيا وتعاهدا ان لا يكتم احدهما صاحبه من امره شيئا فاتفق انهما كانا ساعة قتل كليب يشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليه الجارية واسرت اليه بالخبر فقال له مهلهل ما اسرت اليك الجارية فجمجم عليه فذكره العهد الذي بينهما فقال اخي جساس قتل كليبا فقال مهلهل است اخيك اضيق من ذلك وسكت همام واقبلا على شربهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الحذر فلم تلبث الخمر ان صرعت مهلهلا فانسل همام واتى قومه وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا الى حل معهم وفشا مقتل كليب وافاق مهلهل فسمع النعي والتهفت عليه وجوه تغلب نساؤها ورجالها ومهلهل هذا اسمه عدي بن ربيعة ولقب مهلهلا لانه اول من هلهل نسج الشعر اي رققه وحسنه وهو اول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغنى بالنسيب من شعره وهو خال امرئ القيس ابن حجر الكندي ومنه ورث اجادة الشعر وكان ايضا كثير المحادثة للنساء حتى كان اخوه كليب يسميه زير النساء والزير هو الكثير من يحب محادثة النساء ويكثر زيارتهن ولذلك يقول بعد مقتل كليب والحرب بثاره *

فلو نبش المقابر عن كليب * فيخبر بالذنائب اي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا * وكيف لقاء من تحت القبور

ولما اجتمعت عليه بنو تغلب قال لا تعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من اشرافهم حتى اتوا مرة بن ذهل وهو في نادي قومه فقالوا له انكم اتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليكم خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيي لنا كليبا

وأما ان تدفع الينا جساسا فنقتله به فانه لم يظلم من قتل قاتله وأما
ان تدفع الينا هماما فنقتله وكان أشرف بني مرة وأما ان تقيدنا من نفسك
فان فيك وفاء لدمه فسكت مرة وقد حضرته وجوه بكر بن وائل فقالوا له تكلم
غير مخذول فقال أما احياء كليب فلست بقادر عليه وأما جساس فغلام حدث
حدث كغبنة على عجل وركب فرسه فلا أدري أي أرض قصد وأما همام فانه أبو عشرة
وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما أنا
فهل هو الا ان تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما أتعجل من الموت ولكن لكم عندي
خصلتان أما احداهما فهؤلاء بني الباقون فخذوا أيهم شئتم بنسعة في رقبته
فاقتلوه بصاحبكم وأما الأخرى فاني أدفع اليكم الف ناقة سود الحدق حمر
الوبر فغضب القوم وقالوا انا لم نأتك لترذل لنا بنيك الصغار ولا لتسومنا
اللبن فتفرقوا ووقعت بينهم حرب البسوس المشهورة التي دامت بين بكر وتغلب
أربعين سنة وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بنحو مائة سنة
ولما رجع القوم الى مهلهل وأخبروه بما رد عليهم مرة جز شعره وقصر ثوبه وهجر
النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب والغناء وشمر لحرب بني بكر وكانت بينهم
وقائع يطول ذكرها أعظمها خمس يوم عنيزة ويوم واردات ويوم القصيبات
ويوم قضة ويسمى يوم التحالق ويوم مقتل جساس ثم بعد جساس قيل وان الحيين
قد أسرفوا على التفاني واختلف في مقتل جساس فقيل ان بني تغلب لما طلبوه أشار
الكلاب فقال له أبوه مرة الحق بأخوالك بالشام فامتنع فالح عليه وسيره سرا
في خمسة نفر وبلغ الخبر مهلهلا فندب له أبا نويرة التغلبي في ثلاثين فارسا
من شجعان قومه فساروا مجدين فأدركوا جساسا فعطفوا عليهم وقاتلهم فقتل
أبا نويرة وأصحابه حتى لم يبق منهم سوى رجلين وأصيب جساس بجراحة مات
منها وأصيب أصحابه معه فلم يسلم منهم سوى رجلين أيضا فعاد كل واحد من
السالمين الى أصحابه فلما سمع مرة بقتل ابنه جساس قال انما يحزنني ان لا يكون
يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة
عشر رجلا ما شركه أحد منا في قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن
قلبي عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل في حرب البسوس وكان سبب قتله

ان اخته جليلة كانت تحت كليب كما قلنا فلما قتل كليب عادت الى قومها وهي حامل
ووضعت الحرب وكان من الامر بينهم ما كان ثم عادوا الى الموادعة فولدت جليلة غلاما
فسمته هجرس بن كليب ورباه خاله جساس وكان لا يعرف ابا غيره وزوجه ابنته
فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكري ما انت بمنته حتى نلحقك بابيك
فامسك عنه ودخل على امه كئيبا فسألته فاخبرته الخبر فلما اوى الى فراشه ووضع
انفه بين ثديي زوجته تنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت
الجارية فزعة ودخلت على ابيها فاخبرته الخبر فقال ثائر ورب الكعبة وبات جساس
على مثل الرضف حتى اذا اصبح دعا هجرس بن كليب فقال له انما انت ولدي وانت مني
بالمكان الذي تعلم وقد زوجتك ابنتي وكانت الحرب بيننا وبين قومك في ابيك
زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما
دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معي حتى ناخذ عليك مثل ما اخذ علينا وعلى
قومك فقال هجرس انا فاعل ولكن مثلي لا ياتي قومه الا بلامته فحمله جساس
على فرس واعطاه لامة ودرعا فخرجا حتى اتيا جماعة قومهما فقص عليهم جساس
ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا الفتى ابن اختي
قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ هجرس بوسط
رمحه ثم قال وفرسي واذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لا يترك الرجل
قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه فكان آخر قتيل
في بكر بن وائل قال ابن الاثير وذلك الاكثر وقد كان الحرث بن عباد فارس بكر ودينها
وقيل له فارس النعامة وهي فرسه وكان قد اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة
لي فيها ولا جمل فارسلها مثلا فقيل له ان مهلهلا قد كاد يفني قومك فارسل
الى مهلهل ابنه بجيرا وقيل ابن اخيه وقال قل لمهلهل ابو بجير يقرئك السلام
ويقول لك قد علمت اني اعتزلت قومي وخليتك واياهم وقد ادركت وترك وقتلت
قومك فانشرح البقية منهم فاتى بجير حتى وقف على مهلهل وهو في نادي قومه
فقال له خالي يقرئك السلام فقال له مهلهل ومن خالك يا غلام وهم نحوه بالرمح
فقال له امرؤ القيس بن ابان التغلبي مهلا يا مهلهل فان ابا هذا ممن اعتزل
حربنا ولم يدخل في شيء مما نكره ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل

عن خاله ويروى عن خالد بالمهملة وكان من فرسان الفداء فقتل بعد امرؤ القيس
المذكور فقتله الحرث بن عباد يوم قضة فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشق عليه
حكمه فلبسه بالدرع وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا
بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحرث بن عباد مقتل بجير قال نعم القتيل قتيلا اصلح
بين بكر وتغلب وباء بدم كليب فقيل له ان مهلهلا لما قتله قال بؤ بشسع نعل
كليب فلم يصدق وارسل الى مهلهل يقول ان كنت قتلت ابني بكليب فقد رضيت فقال
مهلهل انما قتلته بشسع نعله فعندها غضب الحرث ونادى في قومه بالرحيل وانشا
يقول قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني * ان بيع الكرام بالشسع غالي
قربا مربط النعامة مني * لبكاء الشيوخ والاطفال
قربا مربط النعامة مني * لحنين النساء وابن غزال
قربا مربط النعامة مني * شاب راسي وانكرتني رجالي
قربا مقادي ففي بانا بجمال * عند بساتين يبتغون السعالي
لا بجير اغنى قتيلا ولا رهط * كليب تزاجروا عن ضلال
لم اكن من جناتها علم الله * واني بحرها اليوم صالي

والنعامة فرسه وهذا الشعر من قصيدة له تشتمل على نحو مائة بيت كرر فيها
قربا مربط النعامة مني في نحو خمسين بيتا منها قاله ابن بدرون ثم نهض لحرب
تغلب فاتح عليهم حتى ابادهم وفر مهلهل حتى ملك خوف الدار وكان اول يوم
شهده الحرث بن عباد من ايامهم يوم قضة فلم تقم لبني تغلب بعده راية وكانت
الغلبة قبل ذلك لهم انما تكون لهم حتى اسرف مهلهل بقتل بجير فانعكس الامر عليهم
وفي ذلك يقول ابن الانبارية في كتاب العلادم والتاج *

لا تحرجوا الخصم في امر اجد * جميع ما تكرهوه من حاجه
ان عديا اذ تعدى الحدا * وجاد في قتل بجير اذا
واضرم الحرب لانا شررا * وتم من امره ما جرى

ثم ان مهلهلا لما سئم الحرب قال لقومه قد رايت ان تبقوا على انفسكم وقومكم
فانهم يحبون صلاحكم وقد اتت على حربكم اربعون سنة وما لمتكم على ما كان

من قبلكم بوترتم فلو فرّقتم مثل السنور في رقاب عنيزة لكانت تمنّت أن لم تكن قبلها
وبكيه وقرّحتي أعينا وثكلت الأمّهات ويتّمت الأولاد ونائحة لا تزال تصرخ
ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وإنّ القوم
سيرجعون إليكم غدا بمودّتهم ومواصلتهم فأمّا أنا فما تطيب نفسي أن أقيم
فيكم ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب وأنا سائر إلى اليمن وفعل ذلك ثمّ سار إلى
اليمن ونزل في جنب وهم حيّ من مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم فأجبروه على إنكاحها
وساقوا إليه مهرها جلودا من أدم فقال في ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدها الأراقم في * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها * ضرّج ما أنف خاطب بدم

الأراقم بطون من جشم تغلب يعني حيّ بطون الأراقم وهم عشيرته ثمّ تزوّجها
رجل من جنب بأدم وقوله بأبانين تثنية أبان وهما جبلان أبان الأسود وأبان الأبيض
وأحدهما هو المذكور في قول امرئ القيس

كأنّ أبانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمّل

ثمّ إنّ مهلهلا عاد إلى ديار قومه فلقيه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري بنواحي
هجر فأخذه أسيرا وأحسن إساره فمرّ عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان
صديقا لمهلهل فأهدى إليه وهو أسير زقّا من خمر فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا
بكرا وشربوا عند مهلهل في بيته وقد أفرد له عمرو بيتا يكون فيه فلمّا أخذ فيهم
الشراب تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب فسمع ذلك
عمرو بن مالك فقال إنّه لريّان والله لا يشرب عندي ماء حتّى يرد زبيب يعني فحلا
كان له وكان يتناول الدهر من أعواه هجر فيرعى فيها ولا يرد إلّا خمسا وأكثر
في حمارّة القيظ فطلب ركبان زبيبا وهم حراص على ألّا يملك مهلهل
فلم يقدروا عليه حتّى مات مهلهل عطشا وكانت ابنة خال مهلهل وهي ابنة
المجلّل التغلبي زوجته فأرادت أن تأتيه وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجلّل بيضا * ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما إليك غير بعيد * لا يؤاتي العناق من في الوثاق

ضربت صدرها إليّ وقالت يا عديّاً لقد وقتك الأواقي

فلما بلغها ما صنع به لم تلبث حتى ماتت وقد ذكروا في موت مهلهل وجها آخر وهو أنه كان قد أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملّا منه فخرجا به يريدان سفرا فلما كانا به في بعض الفلوات عزما على قتله فلما عرف ذلك كتب على قتب الرحل وقيل أوصاهما بذلك

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه وعادا إلى أهله ونعياه فقالا إن صبرنا من قبلك وأنشدا بيت الشعر فعكر بعضهم لذلك وقال ما كان مهلهل ليقول هذا الشعر الذي لا معنى له وإنما أراد

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا بالفلاة مجدلا

لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فحبسوا العبدين وقرروهما فأقرا بقتله فقتلا به والقول الأول أصح والله تعالى أعلم

(لا تبرحي منها وإن تحصنت بالأبلق الفرد وبالخورنق

لا تبرحي منها وإن عثرت في ذيل الحسام والسنان الأزرق)

اللغة قوله لا تبرحي منها أي لا براح ولا محالة ولن تستعمل إلا مقرونا بأداة النفي ويقال البراح بالفتح العدم وقوله وإن تحصنت التحصن التحرز والامتناع بالحصن وهو بالكسر كل موضع حصين لا يقدر عليه لارتفاعه والأبلق الفرد والخورنق تقدم ذكرهما قوله وإن عثرت في ذيل الحسام أصل الذيل أن يكون للثوب يقال ذال الثوب ذيلا من باب باع طال حتى مس الأرض ثم أطلق على طرف الثوب الذي يلي الأرض وإن لم يمسها تسمية له بالمصدر ثم توسع فيه حتى أطلق على طرف كل شيء والحسام السيف القاطع من حسمت الشيء فانحسم قطعته فانقطع وحسمت العرق قطعته ثم كويته بالنار لئلا يسيل دمه وقولهم حسما للباب أي قطعا للوقوع فيه قطعا كليا وقوله تعالى وثمانية أيام حسوما أي لا فترة فيها حسمت كل خير واستأصلت كل بركة قوله والسنان الأزرق سنان الرمح نصله أي حديدته التي تركب في رأسه وجمعه أسنة والأزرق الشديد الصفاء قال ابن السكيت نصل أزرق بين الزرق إذا كان شديد الصفاء ويقال للماء الصافي أزرق قال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والعرب تصف الحديد الصافي بالزرقة كما تصفه بالخضرة ومنه كتيبة خضراء لما يعلوها من سواد الحديد وقال ابو الطيب في وصف السيف

يلقاك مرتديا بأحمر من دم ذهبت بخضرته الطلى والأكبد

البيان في كلام الناظم الكناية وذلك انه كنى عن كثرة الحرس بعثورهم بقوله وان عثرنا في ذيلها لان ذلك لا يكون في العادة الا من كثرتهم وقعودهم بكل من هو بكانه يقول لا بد من الولوج عليها في اعز اماكنها ولو كثر الحرس حولها يا ربما عشوا الي لا افشي سرا فيهم ولا اكلا ابن عمرو اسلمتهم والاصل فيما ذكره الناظم قول توبة بن الحمير

ولو أن ليلى في ذرى متمنع بنجران لالتفت علي قصورها

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر غرانق في دهمان بيضا نحورها

وقال ابن خفاجة ومنه اخذ الناظم

وجبت ديار الحي والليل مشرق منمنم ثوب الأفق بالأنجم الزهر

أشيم بها برق الحديد وربما عثرت بأطراف الردينية السمر

وفي كلام الناظم من البديع الفن المسمى بالتكرار وقد تقدم

ذكر الابلق الفرد والخورنق وما يتعلق بهما

اما الابلق الفرد فهو حصن قديم بتيماء وهي بلدة في بادية تبوك من اعمال الحجاز اذا خرج الانسان من خيبر اليها تكون على منتصف طريق الشام وهو الحصن الذي يضرب به المثل في العزة فيقال اعز من الابلق الفرد ومثله في ذلك حصن آخر له بدومة الجندل يقال له مارد وغزتهما الزباء فعجزت عنهما فقالت تمرد مارد وعز الأبلق فذهبت مثلا واختلف فيمن بنى الأبلق الفرد فقيل بناه نبي الله سليمان عليه السلام وفي ذلك يقول الاعشى

أرى عاديا لم يمنع الموت ماله وورد بتيماء اليهودي أبلق

بناه سليمان بن داود حقبة له أزج صم وطي موثق

يوازي كبيرات السماء ودونه بلاط ودارات وكلس وخندق

وانما قال ازج صم كما يقال دار بلاقع وبرمة اعشار وثوب اسمال وقيل بناه

عاديا اليهودي وهو السموأل الذي اشتهر بالوفاء وعرف بهذا الحصن وهذا هو
الصحيح لأنه توارثه عن آبائه وفي ذلك يقول

بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

قال الجاحظ قال ابن قتيبة أحبت العرب أن تشارك العجم في البناء وتنفرد
بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وحصن مارد والأبلق الفرد وغير ذلك من
البناء وكان مارد مبنيا بحجارة سود وكان الأبلق الفرد مبنيا بحجارة سود
وبيض والأبلق في لسان العرب ما فيه سواد وبياض وقيل إنما قيل له الأبلق لأنه
بني بالحجارة المختلفة والكلس أحيانا وقيل كان يرى به من بعيد للحجارة وبياض
الكلس فقيل له الأبلق وسيأتي خبر السموأل مستوفى في محله إن شاء الله وقد
اتفق لي التمثل بالأبلق الفرد في أبيات من قصيدة قلتها في بعض كبراء العصر وهي

أأغفل قدري للذي لا يرى له ... مقاما ولن يرعى ذمامي ولا عهدي
وأنزلهم ما أهبط الأزهري كسرة ... وكذا ذا أزهر في مقالة الشعر
يحاول إذا جاوزته وكأنني ... من المجد قد أمسيت في الأبلق الفرد

وأما الخورنق فهو قصر قديم كان بظاهر الحيرة التي كانت دار ملك اللخميين
من آل المنذر وبينها وبين الكوفة نحو ثلاثة أميال ولفظ الخورنق فارسي
معرب وأصله خورنكاه قال ابن قتيبة وتفسيره الموضع الذي يأكل فيه الملك
ويشرب وكان الذي بناه هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس
ابن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ملك الحيرة من قبل الأكاسرة وأما عمرو بن عدي
المذكور في هذا النسب فهو ابن أخت جذيمة الذي تقدم ذكره في خبر الزباء وأما
امرؤ القيس ابنه فهو أول من تنصر من ملوك اللخميين وكان يقال له
البدء يشكره الزمان ومعناه الأول في الرياسة وأما امرؤ القيس الثالث فهو
المشتغل هو الذي يلقب بالمحرق لكونه أول من عاقب بالنار وقيل لأنه حرق القرى
وأما ابنه النعمان فهو باني الخورنق كما قلنا ويقال له النعمان الأكبر ويعرف
بالأعور وبابن الشقيقة وهي أمه امرأة من شيبان وإنما حققت هذا لأنه
وقع فيه الغلط كثيرا لاشتباه تكرار الأسماء في عمود النسب وكان السبب في
بنائه الخورنق أن يزدجرد الأثيم بن سابور ذي الأكتاف أحد ملوك الفرس الساسانية

يغ

ثم ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بطول بقائه وسعادة جده وعظيم شانه
وصير الملك اليه بعد محنة وشدة وذكروا اغترابه وانه ينشا بين امة نائية
ذات همم عالية واحساب زاكية ونفوس ابية وانه يتناول ملكه من بين
كفرانهم فاجال يزدجرد فكره في صفات الامم ومزايا طباعهم فالفى العرب اذكى الامم
بتلك الاخلاق والشيم وصدق له المنجمون ووقع اختياره عليهم فاستدعى النعمان بن
امرئ القيس في جماعة واكابر من رؤساء العرب وسادة قبائلهم وعلمائهم واخبرهم
بما يريده من تمليك النعمان عليهم فانعموا له بذلك فتوجه وملكه على العرب
وسلم اليه ابنه بهرام جور وجعل اليه حضانته وامره ان يسير به الى بلاده
فانطلق به النعمان واسترضع له اربع نسوة صحيحات الجسوم ذكيات العقول من بنات
الاحرار وسنيات الاخلاق وامراتين من العرب وامراتين من الفرس واجرى عليهن
ما يصلحهن وقد احتفل بالحيرة فبنى له الخورنق بظاهرها حسبما اتفق عليه من عجيب
مبانيه وبديع هندسته واحسن القيام على بهرام حتى كان من امره ما كان وكان
الذي تولى بناء الخورنق رجلا يقال له سنمار وهو الذي يضرب به المثل في المكافاة على
الاحسان وكان رومي الاصل مشهورا باتخاذ المصانع والقصور وبناء القصور
للملوك فبنى هذا القصر في مدة عشرين سنة كان يبني مدة ويغيب مدة ليتمكن
البنيان فلما فرغ منه وصعد عليه النعمان ومن معه وراى البر والبحر وراى صيد
الظباء والضباب وصيد الحيتان وصيد الطير وسمع اصوات الملاحين في السفن
وغناء الحمالين في القفر اعجبه حسن البناء وطيب موضعه فقال سنمار عند
ذلك متعرضا اليه بالعز وحسن المعرفة لو علمت انكم توفون اجرتي وتصنعون
بي ما استحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت فقال النعمان وانك
لتبني ما هو افضل منه ولم تبنه ثم امر به فطرح من اعلى الجوسق وفي بعض الروايات
انه قال له اني لاعرف في هذا القصر ذكر من اركانه موضع حجر لو زال لتداعى
القصر اجمع فقال له اما والله لا تدل عليه احدا ابدا ثم رمى به من اعلى القصر
فقالت الشعراء في ذلك اشعارا كثيرة منها قول سليط بن سعد

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر ۔۔ وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي وكان وافدا على الحارث بن مارية الغساني

افراشا ووبر عليه وكان جميلا بهيا فأعجب به واختصه وكان للمهلب ابن مسترضع في بني عبدود بن كنانة من كلب فنشأ حبة فكر المهلب أنهم اغتالوه فقال لعبد العزى جئني بهم ولكن القوم فقال انهم قوم أحرار ليس لي عليهم فضل في نسب ولا حسب فقال لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن فقال له رجونا من حبائك اقترافا أدونه عقابك ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحرث فكتب معهما الى قومه

جزاني جزاه الله شر جزائه	جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة	يعلي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه	وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
وظن سنمار به كل حبوة	وفاز لديه بالكرامة والقرب
رمى بسنمار على أم رأسه	وذاك لعمر الله من أعظم الذنب

ثم إن النعمان جلس يوما في مجلسه من الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والأنهار في يوم من أيام الربيع فأعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فبم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج فارا بنفسه ولم يوقف له بعد على خبر وكان من أول ملكه الى وقت سياحته تسعا وعشرين سنة وكان من المتقدمين فمن شاء عبر في ابن بلاو وكثرت الرهبانية في أيامه وقد عمر فيهم لا زالت عمريته فترهب فيمن ترهب والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وفي الأغاني عن خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي المشهور قال أوفدني يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال فقدمت عليه وقد خرج متبديا بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه فنزل بأرض قاع صحصح ؞ متنائف أفيح ؞ في عام قد بكر وسميه ؞ وتتابع وليه ؞ وأخذت الأرض زينتها ؞ على اختلاف ألوان نبتها ؞ من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر ؞ وأحسن مختبر ؞ بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ؞ قال وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها وقد أخذ الناس مجالسهم قال فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي شبه المستنطق فقلت أتم الله

عليك يا أمير المؤمنين نعمه وسوغكما بشكرك وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا.
ومما قيد ما تؤول إليه حمدا. وأخلصه لك بالتقوى وكثره لك بالنماء. ولا كدر عليك
منه ما صفا. ولا خالطه سرور الردى فقد أصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحا.
إذ يفضون إليك بأمورهم. وإليك يقصدون في مظالمهم. وما أجد يا أمير المؤمنين
جعلني الله فداك شيئا هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك مما من الله عز وجل
علي به من مجالستك والنظر إلى وجهك من أن أذكرك نعم الله عليك وأنبهك لشكرها
وما أجد يا أمير المؤمنين في ذلك شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك
فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته به فاستوى جالسا وكان متكئا ثم قال هات
يا ابن الأهتم قال قلت يا أمير المؤمنين إن ملكا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا
هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه. وتتابع وليه. وأخذت الأرض فيه
زينتها. من نور ربيع مونق. فهو في أحسن منظر. وأحسن مختبر. بصعيد كأن ترابه
قطع الكافور. حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب. وكان قد أعطي فتاء السن
اليسير مع الكثرة والغلبة والقهر فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه لمن مثل
هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه لأحد وهل أعطي أحد مثل ما أعطيت قال وعنده
رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه قال ولن تخلو الأرض
من قائم لله بحجة في عباده فقال أيها الملك إنك سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب
عنه قال نعم قال أرأيت هذا الذي أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك
ميراثا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك قال كذلك هو قال فلا
أراك إلا أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غدا
بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال إما أن تقيم في ملكك فتعمل
بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وأمضك وأرمضك وإما أن تضع تاجك وتخلع
أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك قال فإذا
كان السحر فاقرع علي بابي فإني مختار أحد الرأيين فإن اخترت ما أنا فيه كنت
وزيرا لا يعصى وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا لا يخالف قال
فقرع عليه بابه عند السحر فإذا هو قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس
أمساحه وتهيأ للسياحة فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما قال خالد

ابن صفوان فبكى والله هشام حتى اخضل لحيته وبل عمامته وأمر بنزع ابنيته ونقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا ما أردت الى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه مأدبته فقال اليكم عني فاني عاهدت الله عز وجل ان لا أخلو بملك الا ذكرته الله تعالى وقرأتم عدي بن زيد العبادي في رائيته المشهورة بفائدة العظة وغيرها فقال

أرواح مودع ام بكور ... أنت فانظر لأي ذاك تصير الى ان
قال وتقول العداة أودى عدي ... وعدي بسخط رب أسير
أيها الشامت المعير بالدهر ... أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر ... وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم ... لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة ... تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك ... عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف ... يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك ... والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة ... حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمة ... وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف ... فألوت به الصبا والدبور

وقال الأسود بن يعفر فيما يقرب من هذا المعنى

نام الخلي وما أحس رقادي ... والهم محتضر لدي وسادي
من غير ما سقم ولكن شفني ... هم أراه قد أصاب فؤادي
إن المنية والحتوف كلاهما ... يوفي المخارم يرقبان سوادي
ولقد علمت لو ان علمي نافعي ... إن السبيل سبيل ذي الأعواد

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد

حكى الأصمعي قال تقدم رجل من أهل الشام له من بني دارم رهط الأسود بن يعفر إلى القاضي سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة فصادفه يتمثل ببعض الأبيات المذكورة ثم أقبل على الدارمي فقال له أما تروي هذا الشعر فقال لا قال أتعرف من يقوله قال لا قال رجل من قومك له نباهة وقدر قال أحمقه لا ترويها ولا تعرفه بقائله يا أقرام اثبت شهادتك عندي فإني أتوقف عن قبولها حتى أسأل عنك فإني أظنك ضعيفا

ص

فإن كلفت بالمنى من قربها * فالغت في صيانة العرض النقي
وإذا بغيت بمثل ما كنت فلا * زلت بغيض مضجعي ونمرقي

اللغة قوله فإن كلفت بالمنى الكلف بالتحريك الولوع بالمطلوب وقد كلف به كفرح والكلفة ما تكلف به وتكلف الشيء تكلفا ورجل مكلف صاحب ولع بالحرب وغيرها لا يمل ولا يفتر الذي كلف به والمنى جمع منية بالضم ويكسر وهي ما يتمناه الانسان كالأمنية قيل مأخوذ من المنا بفتح الميم والشد وهو القدر لأن صاحبه يقدر حصوله قوله فالغت في صيانة المبالغة في الشيء بذل المجهود فيه وقد بالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد ولم يقصر والصيانة الحفظ وقد صانه صونا وصيانا وصيانة فالفاعل صائن والمفعول مصون على النقص قوله العرض النقي أما العرض فبالكسر وهو موضع المدح والذم من الانسان وقد يطلق على النسب والحسب والبدن وسائر ما يحوز الانسان فيه نقص وعيب وفلان نقي العرض أي بريء من أن يشتم أو يعاب قوله فلا زلت بغيض البغض بالضم ضد الحب والبغضة بالكسر والبغضاء شدته وقد بغض الرجل بالضم بغاضة أي صار

بغيضا وبغضه الله الذي تبغيضا فأبغضته أي مقته وكرهته فأنا مبغض
بالكسر وهو مبغض بالفتح والتباغض ضد التحابب قوله مضجعي ومن في المضجع
كمقعد موضع الضجوع وهو وضع الجنب على الأرض لنوم ونحوه وقد ضجع كنفع
ضجعا وضجوعا فهو ضاجع كاضطجع والضجيع الذي يضاجعك في نحافتك فعيل
بمعنى فاعل كالنديم والجليس بمعنى المنادم والمجالس وقال حسن الضجعة بالكسر
أي حسن هيئة الضجوع كالجلسة والركبة قوله ونمرقي النمرق والنمرقة بضم النون
والراء وسادة صغيرة وقد تكسر وتفتح وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل
نمرقة وهي عن ابن عصفور قوله تعالى ونمارق مصفوفة قال الكلبي وسائد مضموم
بعضها الى جانب بعض أي ما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند الى أخرى والله
أعلم **الإعراب والتصريف** قوله فإن كنت في البيت مما كلمة
وفيها معنى السببية وإن حرف شرط وكنت فعل الشرط مجزوم المحل ويا لهفي يتعلق
به والقصر عربيا فتكتب ياء وقوله من فرقهما بيان للهفي أي بالتمني الذي هو
فرقهما كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان وهذا تقرير معنى لا تقرير إعراب
إذ الجار والمجرور يكون بعد المعرفة حالا منها وقوله بالعنا في صيانة في جواب
الشرط والياء في صيانة منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها كما في صيام وقيام
والتقي صفة للعرض وأصله تقيو كفعيل وزنا ومعنى اجتمعت الواو والياء
وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء التي قبلها ثم
خففت لأجل القافية قوله وإن بغيت في جملة معطوفة على التي قبلها ومثل ما
كنت حال من ضمير الفاعل وما موصول اسم من تشبه مع ما دخلت عليه بمصدر أي مثل
كونها في حالتي الأولى ويحتمل أن تكون موصولة اسمية بتقدير موصوف وعائد أي مثل
الكون الذي كنته ونكبتي مثل قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقول أبي دهبل الجمحي

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه ... حتى يذوق رجال مثل ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم ... قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا

قوله فلا زلت جملة في محل جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء وكان مقتضى
الكلام أن يقول فلا أزال لأن مراده الإخبار عما يصير إليه حاله في المستقبل
لكنه أبرزه في صورة الدعاء لأنه أبلغ في الدلالة على هذا المراد كما سنوضحه

منقلبة

وإنما قلنا أنه ذو دعاء لأمرين أحدهما أنه قرنه بالفاء ثانيهما أنه لم يكرر
لا لمزية أخرى مع أن القاعدة أن الفعل إذا كان ماضيا لفظا ومعنى ودخلت عليه
لا النافية وجب تكرارها كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى كما أن القاعدة أيضا أن
جواب الشرط إذا كان فعلا ماضيا بلا استغنى عن الفاء وقد اجتمع الأمران في قول الحطيئة

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا * وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها * وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

الشاهد في عجز البيت الثاني ولما قرن الناظم الجواب بالفاء ولم يعطف عليه
مثله علمنا أنه قصد به الدعاء وقد صرح ابن مسلم في المغني بأن المسوغ لعدم
تكرار لا في قول ذي الرمة * ولا زال منهلا بجرعائك القطر * إنما هو قصد
الدعاء وقوله بغيض مضجعي أي مبغضه فهو فعيل بمعنى مفعل الرباعي كنذير من أنذر
وسميع من أسمع قال عمرو بن معدي كرب

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

البيان في قوله العرض البيت استعارة تمثيلية فإن الاستعارة التحقيقية إنما
تكون في الشيء المحسوس كالثوب ونحوه فإذا استعملت في العرض الذي هو معنى من
المعاني فهو استعارة والمراد بها البراءة مما يشين ويعيب كما قالوا في مدح عرض
ذي شرف إذا كان بريئا من عيب ونقص قال بعضهم في بخيل

خوان لا يطاع بلوح فيه * وعرض مثل منديل الخوان

وأراد الناظم رحمه الله بصيانة العرض ونقاوته الاتصاف بالعفاف عند تمكنه
من المحبوبة والخلوة بها وأنه يقتصر من زيارتها على الفكاهة تارة والشكوى أخرى
ونحو ذلك مما يجري بين المحبين أمثال الفرزدق وعمارة الذيل ومثله كانت عادة الكثير
من عشاق العرب حسبما هو مذكور في أخبارهم قال توبة بن الحمير

علي دماء البدن إن كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي * وهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

روي أن ليلى الأخيلية وهي المقصودة بهذا الشعر وفدت على الحجاج بعدما
كبرت وأسنت فأكرمها الحجاج وقربها وقال في جملة ما قال لها يا ليلى إن شبابك
قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك إلا صدقتني هل كانت بينكما

ريبة قط أو خنا كنت في ذلك قط فقالت لا والله ابن الأعم إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له

وفي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت وعن أيوب بن عباية قال سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلا عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين فرأياه جالسا حجزة منها يحدثها ويشكو إليها بثه ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزينيه قالت بماذا قال بما يكون بين المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيدا منه ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا فضحك وقال والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ولو علمت أنك تجيبينني إليه لعلمت أنك تميلين إلى غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد أوما سمعت قولي

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو ابصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

قال فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي قال بينا أنا في الشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال هل لك في جميل نعوده فإنه عليل فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر إلي وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له والله ما أحسبك أن سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة قال لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة فما برحنا حتى مات وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه عباس بن سهل الساعدي فذكر القصة والله

اعلم بالصواب وفي محاضرات الراغب قال ابن الزبير كان الرجل اذا عشق جارية
راسلها سنة رضيا وتمضغ علكا فتبعث به اليه والا زيد على ذلك تشبيب
وحليها كانه قد اشتهر على نكاحها ابا هريرة رضي الله عنه وفي المستطرف عن محمد بن
يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا احب الفتاة يطوف حول
دارها حولا يفرح ان يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار
واليوم يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشاكيا
حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كانه اشهد على نكاحها
ابا هريرة ومما قيل من الشعر في العفاف قول ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت به وحدي فيقنعني ... منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان فاحشة ... لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال غيره

فقالت بحق الله الا أتيتنا ... اذا كان لون الليل مثل الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها ... وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه ... جميعا ولم اقلب لها كف لامس

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل ... وهن دوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة ... كما كرهت صوت اللجام الشوامس
بيض غرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا ... ويصدهن عن الخنا الاسلام

وقول الناظم رحمه الله فلا زلت بغيضا منجعي اراد به انه لم ينل مراده من
عشق المحبوبة وهو العذري منها على الوجه الذي ذكرنا لا يصيب له حبيب ولا يبغي له
قرار وكانت العرب اذا كان لها مطلب او ثار قبل تحرق وحموا على الشعر تحيطه
من النساء والنعم على انفسهم حتى يدركوه وذلك مشهور عنهم مذكور في
اشعارهم واخبارهم قال الاخطل

فقوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار
يكنى الناس بهم عن هجر المعتزل للرفث على نفسه بان لا يلابسه مضجع ولا يصيب له
مضجع ومراده عدم غشيان النساء ونزاهتهم بانهم والله اعلم

في اثر كل غارة شعواء على * قرنيهما في مقنب وفيلق
وفي خميس من خيار يعرب * ذوو رماح وخيول سبّق
من اسرتي بني ملوك يقصهم * الاقرع في مرسى عبرة ومرتقي

(اللغة) قوله اثر كل غارة تقدم تفسير الاثر انه على وجهين بالسين المهملة اذا
ارسلته ارسالا من غير تنسيق واذا اصبته فعرقا قلت شننته بالمعجمة وكذا تقول
في التراب ونحوه ومنه قولهم شن عليهم الغارة اذا فرقها عليهم من كل وجه قال
مالك الاشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم اشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

وفي جعل الشن بالمهملة فيما تفرق فيه وبالمعجمة لعكسه مناسبة من اللفظ
والمعنى كالنضح بالحاء المهملة والنضخ بالمعجمة فان الاول للرش والثاني للجريان
وهو اكثر ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان انسب من الالفاظ لاشباه المعاني
ومنه ما يفتن وهو ما انبأنا به ابن جني في باب التقطيع دون الاول وفيه
القضم والخضم فان الاول لليابسات كالحب ونحوه والثاني للفواكه الرطبة كالبطيخ
ونحوه وفي المثل يبلغ الخضم بالقضم اي ان الشبعة قد تنال بالاكل بأطراف الاسنان
ومنه ايضا القصم والفصم بالقاف والفاء وهو كثير في كلام العرب وتتبعه يطول
والغارة الشعواء الفاشية التي تاتي من كل ناحية من قولهم شجرة شعواء اذا
كانت منتشرة الاغصان وقوله في مقنب وفيلق اما المقنب بالكسر فقال في الكفاية
انه جماعة من الخيل تجتمع للغارة وفي الصحاح ما بين الثلاثين الى الاربعين واما الفيلق
ففي الكفاية ايضا الكتيبة العظيمة وفي الصحاح الجيش قوله وفي خميس الخميس
الجيش وسمي بذلك لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة
ويعرب ابو قبيلة وبالجملة فقوله من اسرتي الاسرة الرجل بالضم رهطه ماخوذ
من الاسر وهو الشد والتوثيق لانه يتقوى بهم ويشتد ظهره بهم قال جميل

أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ مِنْ مَعَزٍ * فِي الأُشْرَانِ الحَمْرَاءِ وَالعِيرِ الأَشَرْ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَشَرَّدْنَا اشْتَرَيْنَا اذْ اخْذْنَا رَبَّكُمْ مُقَابِلِهِمْ بِالأَغْصَابِ وَمِنْهُ اسامبهم لأنه يربكم بالإسار وهو الأشر فقوله من ساعرة وقد قفي الساعين من الأشعار فابين الخزمور الاكب وهو الزراع وأما المزمو كجلس وهم فهو محل الزراع من العضد والله اعلم **الأعراب والتصريف** فقوله اشر كل غارة شعواء جملة مشتملة على الاستثناء فالنية فيها بأنه لما دعا بالا يزال يغير مصبحه كأن قائلا قال له فما تصنع إذا فقال اشر كل غارة والغارة منقلبة عن واو وقوله شعواء نعت لها وقصرها ضرورة وقوله على من مجمعا متعلق باشر ومن موصولة وجملة مجمعا صلتها وكان من حقه ان يقول مجمعين بالياء بفتح الميم لأنه مرفوع لكنه اكتفى بالكسرة عن الياء وهي لغة من قال قال الفراء سمعت العرب تقول اللاذون ولعجز وانشد ابن الانباري وغيره للأخير اشر المرة

وَلَا أَذَى مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ يَدَاهُ * سُرُورًا أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ وقال

آخر لَئِنْ تَجْفُنِي بِيَسَارَةٍ فَمِنْ رَبْوَةٍ * وَلَقَدْ تَخِفُّ شِيمَتِي إِعْسَارِي وقال

آخر كَفَاكَ كَفٌّ مَا تَلِيقُ دِرْهَمًا * جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

قال ابن الانباري وهي لغة مشهورة عند بني عامة اليمانيين رغبة في الاختصار والإيجاز إذ كانت الكسرة من قبيل الياء ومجزوءة في الذي عليها ومؤدية عنها قلت وقد ورد بذلك في مواضع كثيرة من قراءات القراء ومع ذلك فلا ارى للناظم رحمه الله شاهدا منها لأن جميع ما استشهدوا به واقع في آخر الكلمة لم يتصل به شيء وهنا قد اتصل بالفعل ضمير المفعول وتحذف به الياء ومعلوم انهم يعطون الأطراف احكاما لا يعطونها الأوساط من أجل ان الأطراف عرضة للتغيير فكانت تغتفر فيها وجوه كثيرة من التغيير وقوله في مغيب وتبلج حال من فاعل اشر ولا يصح ان يكون حالا من فاعل مجمعا لأن عطف ما بعده عليه يمنع من ذلك فقوله من خيل دبغ بالتضعيف وذي رماح نعت لخيل لأن الخيل بمعنى الجيش غير محضة وقوله شقو نعت لخيول وهو بضمتين جمع شقو وهي لغة في شابور بكسرة فيه كصبور وغفور وغفر تقول في جمعهما صبر وغفر وقال كرمه

*

زمن خط فنداه ل ناهي

ثم زادوا انهم في قومهم * غفر ذنبهم غير فخر وقال ايضا
نسند الخيل على مكروهها * حين لا يمسكها الا الصبر *
وقال سعد بن معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر انا لصبر في الحرب
صدق في اللقاء فقوله من اسرتي بيان لجنسه بعده ولا يحسن ان يكون بدلا منه من
حيث المعنى لان المبدل منه في نية الطرح وما جيء به للثناء والمدح لا يكون كذلك
وقوله بني ملوك حال من اسرتي فقوله جنهم الجوع في جملة معطوفة على جملة اشتر
؟ وفي الفاء معنى السببية وفي قوله الجوع في ؟ تعريض بانه مخبر لزوال العشية
ممنوع الكلمة عندهما متبوع العقب فيهما والاختصاص بالعشية والنفر بما هو من
شأن العرب وذلك موجود في اشعارهم لا نطيل به وفي التنزيل في مواضع جمة
فليدع نادية سندع الزبانية وانما ضرب بهما عن الشاعر والمدح لانه لا شيء
اجوع للانسان من عقول المتصل به وقد قال الحريري عن ابي زيد وقد تفرع الى
النعام يشكو وجنته مع اذا الجوع لما من بنا نعا واعنى عليها من جنا نعا ويقول
الحكماء البدن كله بجميع اعضائه آلة للنفس تصرفها في جلب ما ينفعها
ودفع ما يضرها فاذا كانت الاعضاء كلها آلة فيمن الجوع شيء يجبر كيف
ولهذا المعنى ان لنا في التعبير بالشاعر والمدح ودونهما من الاعضاء
لان الله وان شئت من الحسا عمرا والثاني من الارتفاع وبلعه ابوله وقد يقال
خرج من حد الحماسة الى حد الفخر والله الموفق *

* ذكر يعرب بن قحطان وتغلب امره *

اعلم ان امة العرب تنحصر في ثلاث طبقات ارم وقحطان وعدنان فاما
ارم فهو ابن سام بن نوح عليه السلام وتحته شعوب شتى منهم عاد بن عوص
ابن ارم وعبيل بن عوص بن ارم وثمود بن جاثر بن ارم وجديس بن جاثر بن ارم وطسم
ابن لاوذ بن ارم وعمليق بن لاوذ بن ارم وغيرهم وقيل ان لاوذ هو ابن سام
لصلبه ومنها ولده يقال لهم العرب العاربة اي الذين انفتقت السنتهم
بالعربية بادي بدء وسموا بذلك التوكيد كما يشتق من اللفظ كقولهم ليل اليل
وظل ظليل ويقال لهم ايضا البائدة لانهم بادوا وانقرضوا في الزمن الاول
ولم يبق على وجه الارض منهم احد واما قحطان فهو في قول الاكثرين ابن عابر

في المثل

ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وعابر هو هود عليه
السلام في قول جمهور النسابين من العرب ولذا يقال قحطان بن هود فقال المتنبي
إلى الثمر الحلو الذي طيء له * فروع وقحطان بن هود لها اصل
وانكر ان هودا عليه السلام من عرب إرم ثم من شعب عاد منهم بدليل قوله تعالى
وإلى عاد أخاهم هودا وقيل ان قحطان من ولد اسماعيل عليه السلام والاصح ما
قيل في هذا انه قحطان بن الهميسع بن تيمن بن قيذار او بن نبت بن اسماعيل عليه السلام
والقول الاول اصح وعمود قربان عقب نوح عليه السلام مذكور في التوراة على
سبيل التفصيل ولما ذكر عابر بن شالخ لم يذكر له الا ولدين وهما فالغ ويقطان
ولم يذكر له ولدا اسمه قحطان واجيب بان يقطان هو قحطان الا ان العرب
عربته قال ابن خلدون والمحققون على ان يقطان هو قحطان الا ان العرب عربته هذا كذا
وايضا فقد ذكر في موضع آخر من التوراة ان عابر قد ولد بنين وبنات سوى الولدين
المذكورين وايضا فقد ذكر ان حضرموت وسبا وغيرهما من قبائل اليمن من ولد
يقطان فصح انه قحطان اذ لا خلاف ان قحطان هو ابو اليمن كلهم ويقال لهم العرب
المتعربة وهم الذين ورثوا اللسان والملك بجزيرة العرب من بني إرم بن سام
وكانت لهم بها دولة عظيمة وملك ضخم ومنهم التبابعة والاذواء والاقيال
وتفرقت قحطان شعوبا عظيمة وقبائل وكملا ومنهم ايضا جرهم الا انهم
انقرضوا بعد اسماعيل عليه السلام ولما تكلم ابن قتيبة في كتاب المعارف
على قحطان بن عابر قال فلما نشأ ابنه يعرب بن قحطان اول من تكلم بالعربية ونزل
ارض اليمن فهو ابو اليمن كلهم وهو اول من حيا بتحية الملك انعم صباحا
وابيت اللعن قال ومن ولد ارفخشذ ايضا يقطان بن عابر وهو ابو جرهم وجرهم
هو ابن عم يعرب وكان نشأ معه من سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا مكة هـ وقال
ابن سعيد جرهم امتان امة كانت على عهد عاد وامة من ولد جرهم بن قحطان قال
ومنهم الامة الثانية هم الذين بعث اليهم اسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم
هـ قال ابن هشام وكان يعرب يسمى اليمن وبه سميت اليمن يمنا قال لنا شيخنا رحمه الله
من عرب اليمن ثم من حمير منهم فلذلك قال من اشرفي واما عدنان فقد اجمعوا
على انه من ولد اسماعيل عليه السلام وانما الخلاف فيما بين عدنان واسماعيل

من الآباء من قلل إلى الأربعة ومن كثر إلى الأربعين وليس تتبع ذلك من غرضنا
وبقوله يقال لهم العرب المستعربة ومنهم الذين أوزعهم الله الملة الأعظم والعز
الأفخم والملة الناسخة والدولة الراسخة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعظم
شعوب عدنان وأشهرها ربيعة ومضر ومن مضر تناسلت أجداد النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغتهم نزل القرآن وتعلقت الشريعة والآثار وبقي من العرب طبقة رابعة
سماهم ابن خلدون العرب المستعجمة وعنى بهم عرب هذا الجيل الموجود بأكناف
المشرق والمغرب قال ولما كان لسانهم الذي نزل به القرآن ووقع به الإعجاز قد
استعجم وتغير إعرابه وإن كانت أصول مفرداته لا تزال على وضعها الأول استحقوا
أن يوصفوا بالعجمة وسميناهم المستعجمة ثم اعلم أنه ورد أن أول من تكلم بالعربية
إسماعيل رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ويقول الزبير بن بكار في كتاب
الأنساب له من حديث علي رضي الله عنه وروى الشيرازي في الألقاب بسنده
أن النبي صلى الله عليه وسلم أن أول من فتق الله لسانه بالعربية إسماعيل
عليه السلام وهو ابن أربع عشرة سنة وورد في أحاديث أخر كما في الصحيح
وغيره أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم لما نشأ بينهم وأصهر إليهم وقال
جمهور الأخباريين إن يعرب بن قحطان هو أول من تكلم بالعربية وعليه اقتصر
في الصحاح وحكاه في القاموس بقيل وقال ابن دريد في كتاب الوشاح أول من تكلم
بالعربية يعرب بن قحطان ثم إسماعيل عليه السلام وقال الهمداني يعرب بن قحطان
أول من أجرى الله العربية المحضة بمضر ونزار وربيعة ونصب وخفض وقال ما بلغ
واقتصر ما وجز واستعار المعنى وحذف واشتق اسم العربية من اسمه وتكلم بلسانه
أبوه قحطان بن عابر أخو عمران وأخوته وأولاده سائر كافة وهو أول من أنجز
الإنذار وصار بالعربية ونشأ بمعنى اليمن وقيل الكافة من رواة الأخبار
أن بني إرم من عاد وثمود والعمالقة وغيرهم كانوا عربا وأنهم ملكوا جزيرة العرب
وعليه فقبل جمهور القحطانية بما قال التبريزي وجمع الأئمة لسان العربية عاد
وثمود وعبيل وطسم وجديس وأميم وعمليق وهم العرب العاربة وقال ابن خلدون
قد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية
ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه وقال في موضع آخر وثبت أن قحطان

كان يتكلم بالعربية وانه لقيها من الاحياء قبله وكانت لغة بنيه ه فهذه
الاحاديث والآثار متعارضة في الظاهر **والجواب** ان يقال اولا من تكلم
بالعربية المحضة بالنسبة الى عربية ارم نحو ما قالوه في عربية اسماعيل
بالنسبة الى عربية جرهم **قال ابن حجر** في فتح الباري اولية اسماعيل عليه السلام
في العربية بحسب الزيادة في البيان لا الاولية المطلقة فيكون بعد تعلمه اصل
العربية من جرهم الهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها قال ويشهد
لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي ان عربية اسماعيل كانت افصح
من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم قال ويحتمل ان تكون اولية اسماعيل
في العربية بالنسبة الى بقية اخوته من ولد ابراهيم عليه السلام ه فتكون عربية
ارم على هذا منحطة عن درجة الفصاحة والخلوص بكثير فلما جاء يعرب زاد في
فصاحتها وخلوصها بعض الشيء فلما جاء اسماعيل عليه السلام كمل خلوصها
وتم له في الفصاحة والبلاغة الى حد لا تمكن الزيادة عليه فالعربية نوع
تحته ثلاثة اصناف عربية ارم وعربية قحطان وعربية عدنان وهي عربية
اسماعيل التي نزل بها القرآن فحيث قيل ان عادا وثمود والعماليق وسائر بني
ارم كانوا يتكلمون بالعربية فهو صحيح بلا ريب اذ لم يتكلموا بها على انه كمال ولكن
كانت عربيتهم تباين عربية من اتى بعدهم من بني قحطان بعض المباينة وحيث
قيل ان اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان فصحيح ايضا بمعنى انه تصرف فيها
تصرفا لم يكن لمن تقدمه من بني ارم مع عدم خروجه عن نوعها بالكلية وهكذا
يقال في عربية اسماعيل عليه السلام ومن علم سر الله في الوجود وتبدل الاحوال
الآنية وانتقالها بدءا بدءا ونقلها على تعاقب الازمان والاعصار والاجيال لم
ينكر ما قلناه واقرب شاهد عليه هذه اللغة التي نتكلم بها اليوم فانا
نسميها عربية ولا كرشينا وما بينها وبين عربية عدنان التي نزل بها القرآن
الا انها لما كانت متفرعة منها ومحولة عنها سميت عربية وتسميتها بهذا
الاعتبار صحيح لانها عينها لما انها ذهب اعرابها فهكذا يقال في الاصناف
الثلاثة المتفرقة ويظهر من كلام الهمداني الذي نقلناه ان عربية ارم كانت
غير معربة بل مقتبسة او موقوفة كعربية اليوم لانه زعم ان يعرب اول من عرب

ونصب وخفض فلا ينكر ذلك حكيم فتبارك الله تعالى وباهر حكمته وقضائه في خلقه
كيف تطورت هذه اللغة في أطوار مختلفة وكانت في أول أمرها موقوفة ثم أعربها
يعرب بن قحطان ثم هذبها إسماعيل عليه السلام حتى وقع بها الإعجاز ثم عادت
اليوم إلى الحالة التي بدئت عليها وهذه سنة الله في خلقه فإن كل ما كان من عالم
الكون والفساد لا بد له أن يعود إلى الحالة التي بدئ عليها في الكبر أو بعد حين
وهو مقتضى دوران الفلك وتوالي الحركات وإذا تأملت بعين البصيرة وجدت ذلك
مبينا ونبه عليه الكتاب والسنة وكلام الحكماء والعلماء وها هنا بحث
وهو أن عادا إرم من عرب إرم فيكون لغتهم على هذا موقوفة والذي نقله المفسرون
والمؤرخون من أشعارهم في قصة هلاكهم بالريح يقتضي أن لغتهم كانت معربة
والجواب أن تلك الأشعار المنسوبة إليهم لم تثبت من طريق صحيح وهذا
بعيد في الدلالة فربما نقلوا ذلك بالمعنى ونقلوه في تفاسيرهم ونظموا تبعهم
منسوبا إليهم أو يقال إن عادا اثنتان عاد الأولى وعاد الثانية فالأولى هي
عاد إرم والثانية هي التي أهلكت بالريح وقد قال بهذا جمع من المفسرين ويشهد
لهذا قوله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وأيضا فإن عادا الذين أهلكوا بالريح
ذكروا في قصتهم أنهم ذهبوا إلى مكة يستسقون لقومهم وسمعوا إذ ذاك من الله
تعالى السحابات الثلاث فاختاروا منها سحابة سوداء حسبما هو مبسوط في التفسير
وهذا يقتضي أنهم كانوا بعد إبراهيم عليه السلام لأنه الذي بنى مكة وعمرها
ولده إسماعيل من بعده وللشيخ أبي العباس السجلماسي صاحب الذهب الإبريز
عن شيخه أبي فارس عبد العزيز بن الدباغ رضي الله عنه في هذه القصة كلام عجيب
من طريق الكشف فانظره **واعلم** أن هذه اللغات انجر بنا الكلام إلى البحث
في وضعها وعلم الله وراء ذلك كله هذا وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله
الشكيبري في كتاب اللباب وغيره خبرا عن وهب بن منبه في كيفية حدوث اللغة
العربية في بني قحطان وتلقيهم إياها فإن صح كان فيه شاهد للأشعري والجمهور
في قولهم إن وضع اللغات بالوحي والتوقيف وحاصله أن الناس من عهد آدم
إلى نوح عليهما السلام إنما كان لسانهم السريانية غير أن آدم وحده كان
يتكلم بجميع اللغات ولما بعث الله نوحا عليه السلام أنزل عليه بعض

الكوفا ربما انزل الصحيفة من بعد فيها حروف مقطعة مثل كـــــبزا
سر له دال اللالا ار له لاالالا الالا وو ال م لاو كه واو او ال ع ال م ر اله
م ا ـ ا ری سر ط لاالالا الالا و ال ع ری ر ال ح کی م ح ک م ال حی
اری 2 و م ار له ا د ال ع د ک سر ال رم ا ر وک د ر ال ن سر و ا ر وح ک م
د 2 د ری له ا د م ال سر ح کا ر وع ار له د اال سر ا ر وع د د م الالا و د ان
وو د ر ال و ر ا د ان ع د الالا م ح م د ا د ال ع د ل و ال د د ا ری و ر اال
و ا ر وی ر ص ر دی و ر الا 2 م ا ر وع ار له ا و ا ر ک له و ر ال سر و د ا ر الا ا ر له لا ن
دی د ع د له و ا ر ح ع ار ف ال الا وع د له سر له د ال الا له د ال ح ی فقال
وهب بن منبه بهذه الصحيفة اول ما انزل الله من الكتاب العبري وهي تشتمل على
جميع الحروف العربية وانما انزل ثمانية على هود كما سياتي ولم يفهمها غير عليه
السلام لكونها ليست بلغته وقراءة هذه الصحيفة مثل كذا شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
حكم الحق المخلوق انه اذا تمكن الزمان وكثر الشرار وحكم في ذرية آدم الشيطان
وغلب على الناس وعبدت الاوثان بعث الله محمدا بالعدل والبيان يغفر الله بهداه
وينصره من الامان زمانه او ان ظهور الشر وان الانبياء نبي بعده ولن يبلغه
الله ويعزله شهد الله بالحق وبقيت الصحيفة عند نوح عليه السلام الى ان
حضرته الوفاة فقال يارب ما اصنع بالصحيفة التي اودعتنيها فاوحى الله
اليه على لسان جبريل عليه السلام انها كنز من كنوز الجنة وامره ان يدفعها لابنه
من بعث عليه الغم منهم فهو صاحبها وليعلمها وليحتفظ بها فكان كذلك
ورجعت الصحيفة على سام فاودعها اياه فكانت عنده حتى مات ثم صارت الى
ابنه ارفخشذ ثم الى ابنه شالخ ثم ابنه عابر وكل يوصي بها من بعده من يحب ان يعلمها
فيها وانما ذلك اتباعا لوصية نوح عليه السلام فبقيت عند عابر زمانا ثم
راى في منامه كان بابا من السماء قد انفتح ونزل منه ملك فاخذ بيده واضجعه ثم
شق صدره واخرج قلبه فغسله ثم رده والصق عليه فعاد صحيحا من غير الم
فلما انتبه عابر دخلته وحشة شديدة واعتزل اخوته وقومه وامتنع من
الاكل والشرب فشكى له اهله وعشيرته وظنوا انه قد خولط ثم اتاه الملك مرة

اخرى منها فقال له اخذ الحميرية التي عندك فاخرج ما فقال له اقرأ شعر
الله انه لا اله الا هو ونفخ فيها حتى اثر على دماغها وعاد رضعة الملك بعد
مدة ان احتى فقلبها فانتبه عابر وفرائصه ترعد دهشة وقام من نومه وجعل يفكر
فيما علمه الملك في نومه وجعل الملك يتبعونه ويحرسونه لانهم كانوا انه قد
جن وتركوا نومهم ويتوارون عنهم والحميرية في يده ينظر فيها ويتلو تلك الامور
التي يعرف لغتها ثم اتاه الملك ليلة ثالثة فقال له ما في الحميرية فاتاه
فيها فقال له تدبر بعقلك مخارج الحروف من فيك وشفتيك واسمع كل حرف بما
يعطيك لسانك عند النطق به فلم يزل يتدبرها حتى سهل عليه امرها
وفهمها كلها وقيل ان شوهر له كان يعبر تلقينه الحروف وان الملك امر له ان يسمي
ابنه هود عليه السلام فان الله قدرة ان يلد ذريته باللسان العربي وعلمه
ما في الحميرية ثم ولد هود عليه السلام كان ابناء اتاه فاعلمه شيئا
فانطلق لسانه بتلك الامور التي في الحميرية وسهل عليه النطق بها وصار
يتكلم بلغتها فقال وهب ثم انزل الله بعد موت عابر على ابنه هود حميرية
اخرى فيها ذكر البيت الحرام وامره ببنائه وانزل عليه فيها ما يبقى من حروف
الحروف العربية ما كان ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن
ص ض ع غ ف و س ش ه لا ي وبعد هذه الاحرف كتابة اخرى يقول فيها
يا هود ان الله تعالى قدرة ان يلد ذريتك بيسير الكلام وسيكون لولدك بعدك ۞
استكمالة وفضله وفضيلة على الخلق حتى يختم الله الامم بنبوة محمد صلى
الله عليه وسلم الذي يخرج من صلب اخيك فالغ ثم صار بنو عابر ومنهم يتكلمون
باللسان العربي وانتشر في غيرهم ثم امر هود في النوم فقيل له اذا اصبحت فخذ
الميسر لاكبر من ولدك فليتبعها وليقف حيث تنقطع به فان العبد في ذلك حكمها
من نفعه فوجد منها عابرة بمؤله يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام فان قبل بعثهم به
ونوقه فاتبعها حتى انقطعت به ارض اليمن وبها سميت يمنا لان اليمن في هذا
اليمين تبرزا انما قيل له يعرب لجريه اللسان العربي على لسانه ولسان ولده اكثر من
غيره وترك سائر الالسن من السريانية والعبرانية وغيرهما فنزل يعرب اليمن
وبها بنو هود وقبائل عاد وغيرهم من بني ارم فجمع رئيسهم وحاز بهم وذلك فيما

ا

حملى كثير ببعض جبال اليمن فاستولى عليه وتعوّذ به على قبائل عاد فما زال بهم الى
ان اهلك الله بقيتهم بالريح وتم له الملك باليمن وغلب على الكثير من جاوره
من الامم واجلى بنى حام الى جهة المغرب قلت الاقرب ان هودا المذكور فى هذا
النص غير نبى قوم عاد المذكور فى القرآن وبه يندفع ما يلوح فيه من التعارض
والتناقض والله اعلم قالوا ويعرب اول من قال اما بعد واول من قال الشعر
ومن شعره قوله

انا ابن قحطان الهمام الافضل لست بشكاك ولا بزمّل
لما فلجت باللسان المسهل جسرت والامم فى تبلبل

فى ابيات اخر فيها البشارة بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن خلدون ثم كان
يعرب بن قحطان من اعاظم ملوك العرب يقال انه اول من حياه قومه بتحية الملك
قال ابن سعيد وهو الذي ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد وغلب
العمالقة على الحجاز وولى اخوته على جميع اعمالهم ثم توارث بنو يعرب
الملك من بعده الى ان انتهى منهم الى حمير وبنو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن
قحطان ومن حمير كانت التبابعة والاذواء وارباب الاذهر ومن قبلهما وبنو حمير
الزائدين واعلم ان ما وقع فى خبر وهب بن منبه من ان يعرب اول من تكلم بالعربية
وانتقل لسانه بها فخالف به ما يقوله بنو اسرائيل من ان عابر اول من نطق
بالعبرانية قالوا ولذلك اشتق اسمها من اسمه والذي يظهر والله اعلم ان الخلاف
فى ذلك وان اللغة التى نطق بها عابر على لسان الخليل كانت غير متمحضة للجهة
العبرانية ولا للجهة العربية بل وسطا بينهما بدليل انها لم تكن مشتملة على جميع
الحروف العربية فلا تقع كل فصاحة ان تلك لغتها مع انها اصل لهما ثم
تمحضت العبرانية فى فالغ وبنيه وتمحضت العربية فى قحطان وبنيه حسبما قدم
من ان يعرب هو الذي اعرب الكلام واشتقت العربية من اسمه او اشتق اسمه
من اسمها والذي يؤيد هذا ان الائمة قد نصوا على ان العربية والعبرانية والكنعانية
والسريانية اخوات قال فى القاموس الكنعانيون امة تكلمت بلغة تضارع
العربية اولاد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وقال السهيلي كثيرا ما يقع
الاتفاق او التقارب بين اللسان السرياني والعربي فى الالفاظ الاترى ان انجابيع

ى

تفسيره لأبي رحيمه وكذلك فالغين في العربية والعبرانية وإنهما متقاربتان
وأخذ إحداهما متبوعة عن الأخرى فلت وقد اختبرت أنا ذلك بدراستهما جميعا
ورأيت اللغتين معا تشتركان في كثير من المواد والكلم غير أن العربية زادت
بمزية الإعراب وبفصاحة الألفاظ ونصاعة الحروف وإتقان مخارجها وتأملت
الكثير من ألفاظ العبرانية فوجدتهم كثيرا ما يبدلون الكاف في العربية بالخاء ويبدلون
الذال المعجمة بالزاي ويقولون في الذكر مثلا الزخر وفي البركة البرخة وفي المذبح المزبح
فيبدلون الذال زايا ويزيدون الياء ولا شك في تقارب مثل الحروف في المخرج
ورأيتهم أيضا يختمون بالألف في الأسماء نحو الواو فيقولون في سلام سلوم وفي حمار
حمور ومثل هذا وقد تبين بهذا أن اللغات كانت في القديم قليلة الأجناس متقاربة
الأصول ثم تشعبت أنواعها وكثرت أجناسها إلى أن كادت تخرج عن الحصر ويكفيهم
والله أعلم أن بني سام ومنهم سكان المشرق كانت لغتهم أصلا واحدا ثم تنوعت
إلى أنواع وأن لغة بني حام ومنهم سكان المغرب أصل آخر ولغة بني يافث ومنهم
سكان الشمال أصل ثالث ويؤيد هذا ما ذكرناه من أن العربية والعبرانية
والكنعانية والسريانية أخوات ويشهد له أيضا الاختبار فإنه ليس بين
العربية والعبرانية من التغاير والتباعد ما بين العربية وبين لغات البربر مثلا
لا في حروفها ولا في موادها ولا في أبنيتها وصيغها فإن لغة البربر شديدة
البعد من العربية من كل وجه بخلاف لغات أجناس البربر فيما بينها فإنها وإن كانت
متغايرة في الجملة لكنها عند التأمل ترجع إلى أصل واحد يفهم كل واحد منهم
بعضهم عن الآخر لغته وإن لم يتيسر التكلم بها ومثل هذا القول في لغة البربر وزناتة
ومن سكان المغرب مع لغة من جاورهم من أمم السودان فإنها كثيرة أما تبعد
في الأبنية والمواد فيشهد لذلك الاختبار الصحيح والتأمل التام ومن كلام
الكلام في هذا الفصل لأننا أردنا به فتح باب التفكر والتأمل لمن شاء منهم
إلى التبصر في أسرار الموجودات والله الهادي إلى الصواب ومن آياته خلق
السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين
(مثل ابن خلدون علينا قلنا * بحمد ما قدم نحسن)
اللغة قوله قلنا بحمد البحر أفلح مغرود ما سمي بذلك لأنه عن بحر التسمير

عند كلو بها وقيل لانه عن يمين الكعبة والنسبة اليه يمني على القياس ويمان
بالالف على غير قياس وعلى هذا بعد الياء مشددة او مخففة فيهما ومنع الاسمي تخفيفهما
واقتصر عليه كثيرون وبعضهم ينكر التثقيل ووجهه ان الالف دخلت قبل الياء
لتكون عوضا عن التثقيل وعليه فلا تثقل لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه
والثاني ان التثقيل بعد ان الالف زيدت بعد النسبة فبقي التثقيل الدال على النسبة
تنبيها على جواز حذفها فقوله فان جمع ما ذكر كمكرمة وزنا ومعنى سميت بذلك
لانها تؤثر اي تنقل وتحدث بها وحدثت ما اثر بنقله خلف عن سلف واثارة من
علم اي بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك فقوله لم ينموا اي لم يتم يقال نمى ينمي نميا
من باب نفع اذا اكمله وتممه حتى لم يبق له اثر والله اعلم **الاعراب**
والتصريف فقوله سهل ابن خلدون جملة طلبية لا محل لها من الاعراب لانها
مستانفة وسهل فعل امر مهموز العين اصله اسهل فنقلت حركة الهمزة الى الساكن
قبلها ثم حذفت تخفيفا واستغني بها اي بالحركة عن همزة الوصل وقال فكري
يقال سال يسال مثل راى يرى وسال يسال مثل خاف يخاف والامر منه سل
مثل خف وبهذه اللغة قرا نافع وابن عامر سال سائل كقال قائل وابن خلدون مفعول به
ويجوز فيه الصرف انما قاله بعد نون وعدمه انما قاله بعد ان زيد فيه من شبه
العجمة قال بعضنا ابدي التصريح ووقع في لامية الشيخ ابي القاسم الشاطبي لعله ابي
عثمون مصروفا تارة وممنوعا اخرى وقال الجعبري عثمون فعلون من الغلبة كحمدون
من الحمد ومنعه من الصرف مبنيا على راي الفارسي في اعتبار مثل الزيادة تبرونا به
فيما ياتي على المختار اخذا بالمزيد فيه فناسبه ان وجه الصرف هو المختار وقوله
علينا يريد عنا بن ان الشان وما تصرف منه يتعدى بعن لكنه اطلع على مقام عن
لانها ترد بمعناها كما قال الشاعر

اذا رضيت علي بنو قشير ... لعمر الله اعجبني رضاها
وقال الاخر
في ليلة لا نرى بها احدا ... يحكي علينا الا كواكبها

وقيل للشامي في البيتين ان الاول ضمن رضي معنى عطف والثاني ضمن يحكي معنى
ينم وعليه فلينكر ما وجه كلام الناظم فقوله فلنا بيمن الله سبب ولنا
خبر مقدم ويمن يتعلق بالاستقرار العامل في الخبر وما نونيتها مؤخر وحرفه للغمرة

وقيل إن هذا الجمع يجوز حذفه في الاختيار كقوله تعالى سلاسلا وأغلالا وقال ابن الحاجب * والحذف في الجمع أتى كثيرا * حتى ادعى قوم به التخييرا
وجملة لم تحو نقط ما نثر والله أعلم **البيان** اشتغال الناس بهم رحمة الله
سؤال ابن خلدون لهما لغة كتابه وكذا أيضا في قوله الآية وسأل سليمان الكلام
بقي أن الغائبين إنما علمه بما لغة كتابيهما مثل الغائبين إنما علمه بإخبار من
شاهده لو كانا غير ولهذا قال بعضهم في وصف الكتب

لنا جلساء لا نمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
ولا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أحياء فلست بكاذب ... وإن قلت أموات فلست مفندا

ومن هذا المعنى قول الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخشاب البغدادي النحوي
ملغزا في الكتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

وأحسن منه قول الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الفاسي
ملغزا في الكتابة

لله في خلقه من صنعه عجب ... كادت عقول بني الوجود تنقلب
كلم بغير لسان للأذن تسمعها ... يحكيها حاضر والمقاد غيبوا

وإنما خص الناظم ذكر هذين الكتابين من بين سائر كتب التواريخ والسير لأنهما
عمدتا كتب المتقدمين وزبدة التآليف والله تعالى أعلم

ذكر تبابعة اليمن وبعض مآثرهم

فذكر هنا أن يعرب بن قحطان أول من ملك اليمن وأنه أفنى من بقي من بقية قوم عاد
وغيرهم من العرب العاربة الذين هم بنو إرم بن سام ثم توارث الملك بنوه من بعده
فملك بعده ابنه يشجب بن يعرب ثم ملك بعده ابنه عبد شمس بن يشجب وهو سبأ
وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سن السبي وبنى مدينة سبأ وسد مأرب وساق إليه
سبعين نهرا وساق إليه السيول من أماكن بعيدة ثم ملك بعده ابنه حمير بن سبأ

ورثى اباه بقوله

عجبتُ ليومِكَ ماذا فعل * وسلطانِ عزِّكَ كيف انتقل

فأسلمتَ ملكَكَ في همّا بعثا * وسلّمتَ للأمر لمّا نزل

ومن كهويلة وتبع بن حمير هذا بالعرنجج كسفرجل ومعناه العتيق وهو اول من تتوج
بالذهب من ملوك اليمن وانما قيل له حمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وبعد ابن اخيه
ثمود من اليمن الى الحجاز ثم ملك بعده ابنه وائل بن حمير وتغلب اخوه مالك بن حمير
وبنو قضاعة على عمان وكانت بينهما حروب ثم ملك بعده ابنه السكسك بن
وائل بعد ان نفى قضاعة ابن مالك صاحب عمان الى ان نفاه عنها ثم ملك بعده ابنه
يعفر بن السكسك وخرجت عليه الخوارج وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة وكذلك
الفتنة بينهما الى ان هلك يعفر وخلف زوجته حاملا بابنه النعمان المعروف
بالمعافر بن يعفر بضم الميم ومن غيره المعافر بالفتح الذي [illegible] من همدان وقد وثب
على ملك اليمن رجل من حمير يقال له عامر ذو رياش واخبر بشأن زوجة يعفر وانها
حامل فطلبها ففرت الى بعض المغارات فاخبره بعض الكهان بمكانها فبعث من
اتاه بها وقد ولدت النعمان فاراد قتله فقيل له انه صبي مما تخاف منه
فحبسه عنده ووضع عليه الحرس الى ان بلغ النعمان مبلغ الرجال وعقل امره
وعرف حاله من قومه فقال يخاطب نفسه

إذا أنتَ عاقرتَ الأمورَ بهمّةٍ * بلغتَ معالي الأكرمين الأفاضلِ

فإمّا حِمامُ الموتِ تلقاه عاجلا * وإمّا تراثُ الأرضِ عن ملكِ وائلِ

في ابيات اخر وهذا الشعر سمي المعافر لقوله اذا انت عاقرت الامور بهمة
فاجابه ما تبع بقوله

ألا أيّها الراغبُ بالعيشِ خفضه * صبرتَ على خشيٍ من الزمنِ زائلِ

فيا ملكُ في الدنيا حياةٌ بغلبها * وهذا عنك غيبة ذا رفا ليلِ

في ابيات اخر ايضا فانتفض النعمان بالفرج فلما كان المساء هرب وجماعة من
حمير فبشر النعمان وكانوا قد سئموا ملكة ذي رياش فاخرجوا النعمان وادخلوه على
ذي رياش فقبض عليه وسجنه واستقل بملكه وتراث ابيه ويعفر وذو رياش في السجن
حتى سمع الخيانة من اليمن ناحية في بن مغمر لمن بره اليه ولسعته فمات وعاش

النعمان ذو مرثد الكويلا ولما حضرته الوفاة قال لقومه لا تدفنوني فيطمع فيكم من يضعضع ملككم فنحتوا له اسطوانة وادخلوه فيها فلما بقيت فيها قائمة الى ان غادرها فيمن ببعض جبال اليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك فالفي فيها اسطوانة منقوش عليها بالرصاص ومن تحته ذهب وجوهر وسلاح فلا نبي ام بعا الى سليمان فامر بكسرها فوجدت اخلقها شيخ قائم وفوق رأسه لوح من رخام منقوش فيه بالحميرية انا الملك النعمان المعروف بالمعافر ابن ذي مرثد الكويلا ولم يكن يذكر من الموت بجوده فليعتبر

في قال ابن خلدون كان من مذهب من تقدم من اهل الدول انهم يدفنون موتاهم بموجودهم من ذهب وغيره لما كانهم كانوا يعتقدون من الرجعة او نحو ذلك ثم ملك بعده ابنه السمح بن المعافر فاضطربت احوال حمير وصار ملكهم طوائف الى ان استقر في الحرث الرائش ومن اول التبابعة وقيل بل ملك في منزل الملك شداد بن عاد العاتي وهو شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير من الأذواء فيما قيل في نسبه وعلى كل حال فهو حميري النسب واجتمع له الملك وغزا البلاد الى ان بلغ اقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع وابقى الآثار العظيمة وكان من اعظم قوة وبسطة في الجسم وكان يلوذ الحميريون به ويجيء بالأسر فيحز حبشا ومن الملك موالين اولعت به العامة والقصاص ويذكرون عنه اموراً مستحيلة في العادة كبناء ارم ذات العماد وزينتها ضاهى بها الجنة الموعودة بها بعد الموت وجعلها لبنة من ذهب ولبنة من فضة واجرى تحتها الانهار في قنوات الفضة الى غير ذلك مما تحيله العادة وجوده على وجه الأرض ويغلطون في نسبه فيجعلونه من عاد ارم ذا الذين اهلكهم الله بالريح وكل ذلك باطل وانما شداد بن عاد فلحق من ملوك حمير اعطي قوة في الجسم وبسطة في العمر وتمكنا في الأرض اكثر ممن تقدمه من ملوك قومه فحملت له الشعراء بذلك فنسب الناس اليه كل غريب وقد عرفت الصواب في ذلك والله اعلم ثم ملك بعده اخوه لقمان بن عاد وليس بلقمان المذكور في القرآن ولا بلقمان صاحب النسور الذي تضرب العرب المثل بحكمته وهو اكثر كلامه في امثاله فان المذكور في القرآن حبشي من الحبشة وكان مملوكا لرجل من بني اسرائيل على عهد داود عليه السلام فاعتقه سيده وصاحب النسور نسبه في عاد ارم وكان في وفد عاد الذين وفدوا مكة

يستسقون لقومهم وخيّم لقمان من بينهم في كهول الحمير فاختار عمر سبعة انسر
وأما لقمان الذي في القرآن فلا فهمنا فيه بنو من حمير كما علمت والأسماء تترادف فيقع
الغلط ولا غلط بعد هذا ثم ملك بعدهما أخوهما ذو سدد بن عاد ويقال لغ ر
قرائن وبعضهم يقول شدید بن عاد والله أعلم بحقيقة الأمر ثم ملك بعده
ابنه الحرث بن ذي سدد ويقال له الرائش وهو أول التبابعة ويقال إن الحرث
الرائش هو ابن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر وإنما قيل له الرائش لأنه راش الناس
بالغنائم ويقال أن راشهم بالعطاء وفي عصره مات لقمان ذو النسور ثم ملك
بعده ابنه الصعب بن الحرث وهو ذو القرنين قيل هو المذكور في القرآن ونقل
ابن سعيد أن ابن عباس سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير
قال ابن العربي وهذا مما يقوي أنه الصعب المذكور لأنه كان ملكا عظيما ثم
ملك بعده ابنه أبرهة بن الصعب وهو ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على
طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع ثم ملك بعده ابنه افريقش بن أبرهة
وقال ابن حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي أخو الرائش على ما مر فيه من الخلاف
وهو الذي ساق البربر من أرض كنعان إلى افريقية بعد ما أوقع بهم يوشع بن
نون صاحب موسى عليهما السلام وبه سميت افريقية ولما سمع كلام البربر
ورطانتهم قال ما أكثر بربرتكم فسموا البربر والبربرة في لغة العرب هي
اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه بربرة الأسد ثم ملك بعده أخوه
عمرو بن أبرهة وهو ذو الأذعار لأنه سبى قوما وحشية الأشكال وجوههم
في صدورهم فذعر الناس منهم وقيل لأنه حمل النسناس إلى أرض اليمن فذعروا
منه فقال صاحب التيجان زعم ابن هشام خلعته وملكت عليها شرحبيل بن عمرو من
ولد يعفر بن السكسك وكان زمانه بعد أن فقد عمرو ذو الأذعار وحاربت ابنته
الهدهاد بن شرحبيل من بعده وابنته بلقيس بنت الهدهاد من بعده وهي صاحبة
سليمان عليه السلام وبعثها تمنعه على أن يتزوج بها ثم قتلته غيلة واحترقت
على ملكه ثم غلبها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أن توفي ثم ابنه رحبعم
ابن سليمان كذلك ثم اجتمعت حمير من بعده على ناشر بن عمرو وقيل هو ابن عمرو
ذو الأذعار وقيل هو من ولد يعفر بن السكسك ويقال له ناشر النعم لإنعامه

ش

على الناس وزعم أهل اليمن أنه غزا أرض المغرب فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه
أحد قبله ولم يجد فيه مجازا لكثرة رمله وعبر جماعة من أصحابه فلم يرجعوا فأمر
بصنم من نحاس فنصب على شفير الوادي وكتب على صدره بالخط المسند هذا الصنم
لناشر النعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب وأنكر ابن
خلدون وجود هذا الوادي بأرض المغرب قلت ولعل المراد به رمال الصحراء
التي بين أرض السودان وأرض البربر فإنها رمال عظيمة تجمعها الرياح حتى تكون
أمثال الجبال ثم تنقلها إلى جهة أخرى فيضل الركب العظيم فيها ويهلك ولا يتأتى
السير فيها إلا لمن كان هاديا خريتا ثم ملك بعده ابنه شمر يرعش بن ناشر
النعم سمي بذلك لأنه كان به ارتعاش وقيل هو شمر بن افريقش وخرج نحو العراق
ثم توجه يريد الصين فدخل مدينة الصغد وراء النهر وهدمها فقالت العجم شمر
كند أي شمر خربها ثم أعيدت فبقي ذلك الاسم عليها ثم عربته العرب
فقالوا سمرقند بإسكان الميم وفتح الراء كما في القاموس ثم ملك بعده
ابنه زيد بن شمر وهو تبع الأقرن لشامة كانت في قرنه ثم ملك بعده ابنه ملكي
كرب بن زيد ملكي كرب وكان ضعيفا لم يغز قط إلى أن مات ثم ملك بعده ابنه
أبو كرب أسعد بن ملكي كرب وهو تبع الأوسط لأن كل من قصد من هؤلاء الملوك ظعنا
في الرايش كان يلقب بتبع وهي سمة لمن ملك منهم حمير وحضرموت وما لاذا
ذاغهم وهو المراد بقوله تعالى أهم خير أم قوم تبع لأنه قد آمن بالنبي صلى
الله عليه وسلم قبل ظهوره وهو القائل

*

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أشهر التبابعة وأخباره مذكورة في السير يضيق عنها المحل ثم ملك
بعده ابنه حسان بن أبي كرب وهو الذي أوقع بجديس وقتل زرقاء اليمامة
فقتله أخوه عمرو بن أبي كرب بممالأة حمير له في ذلك لأنهم سئموا الغزو
معه كل عام ولما عزموا على قتله خالفهم ذو رعين من أقيالهم ونهاه فأبى
وكتب ذو رعين صحيفة وأودعها عمرا فقتل عمرو أخاه حسانا بالموضع
المعروف بالبوع برحبة مالك بن طوق ورجع بعسكره إلى اليمن فسلط الله عليه

الشمس حتى أشرق على البلاد فيرعنا بالعز أبيرو أصحاب التجربة بعد أن آل إليه ما
قتل أخا قريبه على أن ملك الاسلاة الذي عليه الشمس ولم يتمتع بملكه فجعل
يقتل كل من أساء عليه بقتل أخيه حتى خلص إلى ذي رعين فقال له أحضر الصحيفة
التي عندك فأحضرها فإذا فيها

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الإله لذي رعين

فعرف صدقه وعذره ثم ملك عمرو بن أبي كرب ومرج أمر حمير وتفرق ملكهم فكانوا
في غير بيت المملكة وتداولتهم ثوار إلى أن اجتمع أمرهم على ذي نواس من ولد ابن أبي كرب
أسعد والكلام أنه ليس بولده لصلبه خلافا لابن إسحاق ومن تبعه فإنهم يذكرون
بين ابي كرب وبين البعثة أكثر من ألف سنة على ما يؤخذ من كلام ابن الأثير وذو
نواس كان بعد عيسى بكثير بدليل أنه قتل أهل نجران على النصرانية وكانوا قد
أخذوها عن أتباع أتباع عيسى عليه السلام والكلام أن ذا نواس كان قبل
البعثة بنحو مائتي سنة تزيد قليلا أو تنقص قليلا لأن دين النصرانية لم يفش
في الأمم لا بعد نحو أكثر من ثلاثمائة سنة من رفع عيسى عليه السلام وقول
ابن خلدون أنهم اتفقوا على أن ذا نواس كان ولد ابي كرب لصلبه فيه نظر كبير ومن
ذكر المسعودي وغيره وبين ابي كرب أربعة آباء والأكثر أنهم أكثر من ذلك والله
أعلم بحقيقة الأمر وذو نواس هذا هو صاحب الأخدود المذكور في القرآن وكان
متدينا بدين اليهودية وانتهى إليه أن أهل نجران أخذوا بدين النصرانية فخد
لهم الأخدود وأحرقهم بالنار ثم قتل بقية من بقي وأفلت منهم رجل يقال له دوس
ذو ثعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم ومت إليه بدين النصرانية واستنصره
على ذي نواس وأراه نسخة من الإنجيل قد احترق بعضها فكتب له قيصر إلى النجاشي
يأمره بنصرته فبعث معه النجاشي سبعين ألفا من الحبشة فاستولوا على اليمن
وهلك ذو نواس غريقا في البحر لما دارت الدائرة عليه وعلى قومه واستقر ملك
الحبشة باليمن نحو سبعين سنة وغزا أبرهة الحبشي منهم الكعبة بالفيل على
عهد عبد المطلب بن هاشم وأهلكه الله وأهلك جنده بالطير الأبابيل
كما نص عليه القرآن وكان البلاد على أهل اليمن نحو الحبشة وعتبهم خرج

منهم سيف بن ذي يزن الحميري من بيت ذي الملك وبقية ذلك السلف فتكالح
على ملوك الحبشة وشكا اليهم فلم يشكه اهرمز وكسرى انوشروان ملك الفرس
فبعث معه جيشا من اساورة فارس فقتلوا الحبشة في كل وجه وولوا سيف بن ذي يزن
على اليمن وبقي عليها نحوا من سنين ثم اغتالته جماعة من ابناء الحبشة كانوا
في خدمته فاخذوا بثأر ابائهم منه وانقرضت بهلاكه دولة حمير
والتبابعة وبقيت اليمن في يد الفرس حتى جاءهم الاسلام والى الله عاقبة
الامور **واعلم** انا قد ذكرنا في سرد هذه الدولة العظيمة والمملكة الفخيمة
وتجوزنا فيها حسب الكفاية وانما المقصود شرح بعض الآثار التي اشار
اليها المؤلف رحمه الله **قال** ابن خلدون وكان زعماء التبابعة ملوكا عربا
في عصور متعاقبة واحقاب متمكنة ولم يحفظهم الحصر ولا تعرف منهم الشواذ
وانما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب
تارة ويقتصرون على يمنهم اخرى فاختلفت اخبارهم واتفقت اسماء كثير من
ملوكهم ووقع اللبس في نقل اخبارهم ودولهم فاذا عرض لك ما يخالف ما
رسمناه فالعلة فيه ما ذكره ابن خلدون وغيره انا تحرينا فما رايناه اقرب الى
الصواب والله الموفق **التعريف بابن خلدون وذكر بعض احواله**
هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ثلاث مرات ابن الحسن بن خلدون الحضرمي
يتصل نسبه بوائل بن حجر احد اقيال اليمن واحد الصحابة الوافدين على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعا له بقوله اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده
الى يوم القيامة وكان بيت بني خلدون باشبيلية فانتقلوا عنها الى تونس عند
ما غلب عليها الطاغية في اواسط المائة السابعة فولد ابو زيد هذا
في تونس غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ونشأ بها مكبا على
تحصيل العلم ثم بعد على افتاء الوقت بل قرأ القرآن بالقراءات السبع
ثم برواية يعقوب وحفظ الشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الاصلي والفرعي
وحفظ دواوين الشعراء الستة وحماسة الاعلم وشعر حبيب وكثيرا من
شعر المتنبي وسقط الزند وبعض اشعار كتاب الاغاني وقرأ العربية والفقه
على شيوخ تونس منهم قاضي الجماعة ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري

وأخذ عن جماعة من شيوخ فاس حين قدموا تونس صحبة السلطان أبي الحسن المريني
ثم ولي كتابة العلامة عن السلطان أبي إسحاق الحفصي صاحب تونس باستدعاء
أبي محمد بن تافراجين إياه بذلك ثم انتقل إلى فاس وكتب عن سلطانها أبي عنان المريني
وأدنى مجلسه ثم سعي به عنده فاعتقله نحو السنتين إلى أن مات أبو عنان
وولي بعده السلطان أبو سالم فأطلقه وكتب عنه السر والإنشاء مدة ثم ولاه
خطة المظالم ثم انتقل إلى الأندلس بعد مقتل أبي سالم فقدم غرناطة فأكرمه
سلطانها أبو عبد الله ابن الأحمر المدعو الغني بالله ورفع منزلته وكان الوزير
ذو الوزارتين لسان الدين أبو عبد الله ابن الخطيب فأكرمه مدة إقامته بها ثم اغتبط
به ثم توجه بعد مدة إلى بجاية فولي الحجابة بها لسلطانها أبي عبد الله محمد بن أبي
زكرياء الحفصي إلى أن هلك ثم تنقلت بابن خلدون الأحوال إلى أن عاد إلى فاس
ثم إلى الأندلس ثم إلى تلمسان ثم لحق بأحياء العرب وأقام عند أولاد عريف أربع
سنين ورفض السلطان وتخلى عن شواغله وتفرغ لتأليف تاريخه المشهور المسمى
بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وأملى جله من حفظه ثم احتاج إلى تنقيحه
وتصحيحه من الأصول والدواوين التي لا توجد إلا في الأمصار فخاطب أمير الموحدين
يعمل على العودة إلى تونس فقدمها وأكرمه سلطانها أبو العباس أحمد بن محمد
الحفصي وكان لهذا السلطان المذكور من أقوى الأسباب في جمع ذلك الكتاب
إلى أن أكمله ثم حدثت بينه وبين الشيخ أبي عبد الله ابن عرفة إمام الجامع بتونس
وشيخ الفتيا بها نفرة فكان ذلك باعثا له على الرحلة إلى المشرق وركب البحر
من تونس منتصف شعبان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ودخل مصر فأقبل عليه
سلطانها الملك الظاهر برقوق أول الملوك الجراكسة وولاه قضاء القضاة مرارا
ثم عزله بعد مدة ثم حج البيت بعد ذلك وعاد إلى مصر فتلقاه السلطان المذكور بالمبرة
والعناية وأجرى عليه الجراية ولزم ابن خلدون كسر بيته وعكف على بث العلم
ودرسه وتلمذ له جماعة من أعلام مصر منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري
والدماميني شارح المغني وغيرهما ثم ولي القضاء وعزل عنه مرارا إلى أن مات
فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة فجمعوا له

الصدارة على الجملة، وأما حاله فقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة فالمترجم انتقل
سلفه أي ابن خلدون من إشبيلية عن نباهة وتعيّن وشهرة عند الحادثة فيها فاستقروا
بتونس ونالوا علو حظوة وسيادة ورسوخ حسنة، وأما المترجم به فهو رجل
فاضل حسن الخلق جمّ الفضائل باهر الخصال رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد
وقور المجلس خاصّي الزي عالي الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوي الجأش طامح
لقنن الرياسة خاطب للحظ متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث
كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغرى بالتجلة جواد حسن العشرة مبذول
المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الأصالة مفخرة من مفاخر التخوم
المغربية، ثم ذكر نشأته في قراءة العلم وما اتصل بذلك، وأما تآليفه فمنها
التاريخ الكبير الذي تقدمت الإشارة إليه وإياه فسّر أولًا ثم وشرح البردة
وتعليقه في المنطق وتلخيص المحصول في علم الأصول للفخر ابن الرازي وتلخيص كثير من كتب
ابن رشد وألّف كتابا في الحساب وشرح رجزا في أصول الفقه وغيره في الحكمة وتآليفه كلها
في غاية الجودة، وحسبك فالإتيان بغرائب العلوم ودقائق الفنون في الجزء
الأول من تاريخه، وأما نثره وسلطانياته السجعية فخلج بلاغة ورياض فنون
ومعادن إبداع، وأما نظمه فنهاية في الجودة والبراعة رحمه الله ونفعنا به

وسل سليمان الكلاعي كم لنا * من خبر بغيبه والمغزى
ويوم بدر وحنين وتستر * وأحد والسويق وبني المصطلق

الإعراب والتصريف

قوله وسل سليمان جملة معطوفة على التي
قبلها وسليمان يكتب بدون ألف بعد الميم لأن الأعلام متى زادت على ثلاثة أحرف
وحكمها الحذف كسليمن وإبرهيم وحرث وخلد وجب حذف الألف فما لم يكثر استعماله
فإنه يلتبس بغيره أو يحذف منه حرف آخر كداود فإنه قد حذفت منه الواو فلو
حذفت الألف أيضا لوقع فيه إجحاف، والكلاعي نعت لسليمان وخففت ياء النسب
للضرورة ومثل هذه الضرورة حسنة، والمسؤول عنه محذوف أي عمّا بالسيرة فلا تنازع في سؤال
ابن خلدون، وقوله كم لنا من خبر جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب نحو بالسؤال وتعليق له
عن العمل لفظا ويجوز أن تكون سادّة مسد المسؤول عنه لأن العامل علق عنها
لأنها مستفتحة من اسم الاستفهام وإنما صح التعليق في مثل السؤال وإن لم يكن قلبيا

لأنه يستلزم ذلك لأن السؤال معناه الاستفهام وهو قلبي قال السمين إن بالله
وذا ألحقوا بأفعال القلوب في التعليق غيرها مما نحو نظر وأبصر وسأل واستنبأ ثم مثل
سأل بقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين قال قلت كيف تكون جملة الاستفهام
سادة مسد المسؤول عنه ولا معنى لتعلق السؤال بها قلت يجاب عنه بما أجيب
به عن تعلق العلم بالاستفهام في قولك علمت أزيد عندك أم عمرو من أنه على حذف
مضاف وأن المراد علمت جواب هذا الكلام وكذا يقال في كلام الناظم وأن معناه
سل عن جواب كم لبثتم وكم اسم استفهام مبتدأ والمراد منه الزمن ولبثتم خبر له ومن خبر
تبيينه وحين يتعلق بالاستقرار العامل في الخبر وحين وبني خبر شبه الاستفهام
قوله ويوم بأن يجوز جره بالعطف على لفظ حين ويجوز نصبه على المحل فيه بالعطف
على محله ومن أجاز الفارسي في قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
أن يكون يوم القيامة عطفا على محل هذه وحين معطوف على حين قال المؤلف يذكر
ويؤنث فإن قصدت به الموضع ذكرته وصرفته كقوله تعالى ويوم حنين إذ وإن قصدت
به البقعة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الأبطال

قوله وتبوك معطوف كذلك وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث كذا قال
الشنواني وتعقب بأنه سهو لأن علة منعه كونه على وزن الفعل والمذكر والمؤنث في
ذلك سواء قال الجوهري إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوما من أصحابه يبوكون
حسي تبوك أي يدخلون فيه القدح ويحركونه ليخرج الماء فقال ما زلتم تبوكونها
بوكا فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك وهي تفعل من البوك قوله وبني المصطلق
الطاء فيه بدل من التاء لأن الافتعال وما تصرف منه تبدل تاؤه طاء إثر حرف من
الأطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء ليحصل التناسب بين الحرفين
صفة ومخرجا والله أعلم ومقصود الناظم رحمه الله بهذا الكلام الابتهاج
بما كان للأنصار رضي الله عنهم من المشاهد العديدة والمقامات الحميدة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيه وفتوحاته لأنهم من الأزد ونسب الأزد
في كهلان بن سبأ والناظم رحمه الله حميري النسب كما قيل وحمير وكهلان هما
الشعبان اللذان ترجع إليهما أنساب عرب اليمن كما مر فافتخاره بهم من جهة الجنسية

صحيح والله اعلم

ذكر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحاته *

اعلم انه لما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم واكرمه بالنبوة اولا وبالرسالة ثانيا اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يعبد الله تعالى ويدعو الناس الى عبادته ويبشرهم ان وحدوه صابرا على اذاهم محتسبا فيما ناله منهم ثم لما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة امره الله تعالى بقتال من اعرض عن الله ورد عليه كرامته وكان اول ما نزل في ذلك قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال الشيخ ابو حيان والمأذون فيه محذوف اي في القتال لدلالة قوله يقاتلون عليه وعلل ذلك بانهم ظلموا فشمر صلى الله عليه وسلم لما امره به ربه من جهاد عدوه وقتال الشيطان وحزبه فكتب الكتائب وبعث البعوث وجهز السرايا في النواحي وربما خرج بنفسه الى ان كانت غزوة بدر الكبرى التي اظهر الله بها الدين واعز الاسلام والمسلمين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترض عير ابي سفيان بن حرب القادم من الشام فسمعت به قريش فخرجت لتخلصها من يده فكان اللقاء على بدر قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد وبدر قرية مشهورة على نحو اربع مراحل من المدينة الى جهة مكة قاله النووي وفي معجم ما استعجم على نحو ثمانية وعشرين فرسخا نسبت الى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر اسم بير هنالك ويوم بدر هو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من قدومه المدينة وكان القتال يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان المذكور فامكن الله رسوله من عدوه فقتل منهم سبعين واسر سبعين ثم كانت غزوة السويق يوم الاحد لخمس خلون من ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان ابا سفيان بن حرب لما رجع من بدر نذر ان لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدا واقبل في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى واتى العريض ناحية من المدينة على ثلاثة اميال فحرق النخل وقتل رجلا من الانصار وحليفا له ورجع عودة على بدئه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه

في كل بيت فيها ثنين من الطعام يكون للانصار فجعل ابو سفيان واصحابه يطرحون
جرب السويق تخففا وكانت عامة ازوادهم فلم يدركهم النبي صلى الله عليه
وسلم وسميت الغزوة لذلك السويق وهو قمح او شعير يقلى ثم يطحن ويتزود به
وربما لت بسمن او عسل ثم كانت غزوة احد التي محص الله فيها المسلمين
يوم السبت لاحدى عشرة خلت من شوال سنة ثلاث من الهجرة استشهد فيها سبعون
من الصحابة منهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فكانت من بشرائعها واخذت
بثار منا من المسلمين وجبر بهم يوم بدر وجزع المسلمون لذلك فانزل الله تعالى
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر قلتم انى هذا الآية وقتل
من المشركين يوم احد ثلاثة وعشرون رجلا ثم كانت غزوة بني المصطلق وتسمى
غزوة المريسيع يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة والمصطلق
بطن من خزاعة واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وجذيمة بالجيم والذال المعجمة
مصغرا وانما قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان اول من غنى في خزاعة
وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه ان رئيسهم الحارث بن ابي ضرار قد جمع
لحربه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في بشر كثير حتى واقاه على الماء بالمريسيع وهو ماء
لخزاعة على مسيرة يوم من الفرع بضمتين وبين الفرع والمدينة ثمانية برد فنصر
الله نبيه على الحارث وجمعه فقتل منهم في كل وجه وسبى النساء والذرية وغنم
النعم والشاء ولم يستشهد من المسلمين الا رجل واحد وفي هذه الغزوة اصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام المومنين جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار المذكور
وتزوجها ومن على قومها فاطلق سبيهم وفيها قال عبد الله بن ابي المنافق
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ونزلت آية التيمم وقال اهل
الافك في عائشة رضي الله عنها ما قالوا فبراها الله وكانت هذه سبع
الغزوات ثم كانت غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب في شوال سنة خمس ايضا
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق وشامي المدينة من جهة الحرة
الشرقية الى جهة الحرة الغربية ولم يكن من مكايد العرب وانما اشار به سلمان
الفارسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنا اذا حوصرنا خندقنا علينا
فاستحسنه النبي صلى الله عليه وسلم وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين

وسببها ان نفرا من يهود بني النضير حملتهم عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
على ان خرجوا حتى قدموا مكة فاستمالوا قريشا على حرب النبي صلى الله عليه
وسلم ووعدوهم على ان يكونوا يدا واحدة عليه حتى يستأصلوه ثم اتوا غطفان
من قيس عيلان ووعدوهم على مثل ذلك وجعلوا مثله في كل من اجابهم من قبائل
العرب فخرجت قريش ومن اتبعها معها وغطفان ومن اتبعها حتى نزلوا بمجمع السيول
حول المدينة في عشرة آلاف وسميت غزوة الاحزاب لتحزبهم وحاصروا النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى بلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون
ووقع قتال يسير ومراماة بالنبل ثم ان الله اوقع الخلاف بينهم وبعث عليهم
ريحا في ليلة ظلماء فرقت جمعهم بعد نحو عشرين يوما من مقدمهم وذلك قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها الآية ثم اوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ذلك
ببني قريظة فاستاصل رجالهم قتلا ونساءهم وذراريهم سبيا ثم كانت
قضية الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة صالح فيها النبي صلى الله
عليه وسلم قريشا على وضع الحرب بينهم عشر سنين بعد ما صدوه عن البيت
فقضى عمرته من العام القابل وهي عمرة القضاء ثم كانت غزوة خيبر خرج
اليها صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فحاصرها بضع عشرة ليلة
الى ان فتحها وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة
الى جهة الشام وقسمها صلى الله عليه وسلم بين اصحابه ثم ساقى اهلها عليها
بالنصف قال ابن عمر رضي الله عنه ما شبعنا حتى فتحنا خيبر وقالت
عائشة رضي الله عنها لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر وفي هذه الغزوة
اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن اخطب سيد بني النضير
من السبي ثم اعتقها وتزوجها وفيها حرم لحوم الحمر الاهلية وفيها سمته زينب
بنت الحارث اليهودية في ذراع الشاة فبقي اثر تلك الاكلة به الى ان كانت منه
منيته صلى الله عليه وسلم ثم سار الى وادي القرى ففتحه وصالحه وصالحه اهل
تيماء على الجزية وكانت هذه البلاد كلها لليهود ثم قفل صلى الله عليه وسلم
الى المدينة مؤيدا منصورا ثم بعث جيشا فيه ثلاثة آلاف مقاتل الى مؤتة

من ارض الشام فقاتلوا الروم والمتنصرة من العرب فاستشهد امراء الجيش
الثلاثة وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وغاب عن
الناس واخذ خالد بن الوليد الراية ورجع بالمسلمين الى المدينة ثم نهض
صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة ففتحها منتصف رمضان سنة ثمان من
الهجرة، وكانت قريش قد نقضت الصلح الذي عقدته مع النبي صلى الله
عليه وسلم بالحديبية فامكن الله منهم وكان من الفتح سبب انقياد العرب
كلها للدخول في دعوته فهو الفتح الاعظم المراد بقوله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا الاية وبقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وبقوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وبه انقطعت الهجرة قال
صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة سار الى حنين بالتصغير وهو واد قرب
ذي المجاز بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفة وتسمى غزوة هوازن
وذلك انهم لما سمعوا بفتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة اجتمعوا هم
وثقيف وتعاقدوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رئيسهم في
ذلك مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فخرج اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست خلون من شوال
في اثني عشر الفا من المسلمين فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء الموالية لـه
فاوقع بهم بعد ان جال المسلمون جولة ورجعوا على اعقابهم حتى لم يبق مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا نفر من اصحابه واهل بيته وهو يقول انا النبي
لا كذب: انا ابن عبد المطلب: ثم وجه سرية نحو اوطاس بعض فل هوازن
الذين تجمعوا بها وحصل النصر التام والفتح العام ثم تقدم صلى الله عليه
وسلم نحو الطائف بعد ان جمع غنائم هوازن وتركها بالجعرانة فحاصر ثقيفا
بالطائف ثمانية عشر يوما ثم افرج عنهم وعاد الى الجعرانة فقسم غنائم
هوازن واعطى المؤلفة قلوبهم حتى عمهم واغناهم وعاد الى المدينة بعد
غيبته عنها شهرين ونصفا فاقام بها يبعث البعوث ويجهز السرايا
وتفد عليه الوفود واصفقت العرب على الدخول في دعوته ونسلوا من كل حدب

الى تلبيته ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى تبوك غازيا بني الاصفر يوم
الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة في نحو من ثلاثين الفا وتبوك موضع معروف
بالطرف الشامي بينه وبين المدينة اربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى
عشرة مرحلة وتسمى غزوة العسرة وهي المرادة بقوله تعالى لقد تاب الله
على النبيء والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية قال
الزمخشري كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة
من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة السنخة وبلغت
بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة اهـ ونجم النفاق في كثير
ممن كان يخفيه ولذا سميت الفاضحة واقام صلى الله عليه وسلم على ماء تبوك
بضع عشرة ليلة ثم انصرف راجعا ولم يلق كيدا بعد ان صالح صاحب ايلة
وصاحب اذرح وصاحب دومة الجندل على الجزية وهي آخر غزواته
صلى الله عليه وسلم ثم كانت حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وفيها نزل
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا ثم كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة جملة مشاهير غزواته صلى الله
عليه وسلم قد ذكرناها بحسب الامكان ورتبناها على ما مشى عليه في الخلاص
والناظم رحمه الله رتبها بحسب ما سمح له النظم وقد عرفت الصواب في
ذلك وعدة غزواته التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون غزوة على ما
عليه اصحاب المغازي والسير قاتل في تسع منها ومن التي اعز الله بها
الدين واظهر بها الاسلام والمسلمين وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه
من قصيدة يذكر فيها فضل قومه وما اكرمهم الله به من نصرة نبيه صلى
الله عليه وسلم

وكنا ملوك الناس قبل محمد * فلما اتى الاسلام كان لنا الفضل
واكرمنا الله الذي ليس غيره * اله بايام مضت ما لها شكل

بنصر الإله والرسول ودينه — وألبسناه اسما مضى ما له مثل
أولئك قومي خير قوم بأسرهم — فما كان من خير فقومي له أهل

وهي طويلة وله أشعار أخر في هذا المعنى يطول جلبها وعن الهيثم بن عدي أن الأنصار حضروا باب معاوية رضي الله عنه وهو خليفة فاستأذنوا عليه فخرج حاجبه وهو سعد بن أبي درهم فنادى من كان بالباب من الأوس والخزرج فليدخل وتنكب أن يقول الأنصار وكان ذلك بإشارة معاوية وعمرو بن العاصي رضي الله عنهما فوثب النعمان بن بشير رضي الله عنه وأنشأ يقول

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا — نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا — أثقل به نسبا على الكفار
إن الذين ثووا ببدر منكم — يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضبا فانصرف فبعث معاوية من رده فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم **قلت** وكفى الأنصار رضي الله عنهم فخرا قول الله تعالى فيهم والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية فليس بعد ثناء الله ثناء وليس بعد ذكره ذكر والله تعالى أعلم

التعريف بأبي الربيع الكلاعي رحمه الله

هو الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الكلاعي البلنسي الحافظ المشهور عرف بابن سالم ينتهي نسبه إلى ذي الكلاع الحميري وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكتب إليه صلى الله عليه وسلم مع جرير ابن عبد الله البجلي فأسلم وخرج مع جرير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبلغه خبر وفاته صلى الله عليه وسلم بالطريق فرجع ذو الكلاع ثم وفد على عمر بعد ذلك قال ابن عبد البر ولا أعلم لذي الكلاع صحبة أكثر من إسلامه واتباعه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ولكنه أحد الوفود عليه والله أعلم وكان القائم بأمر معاوية في حرب صفين وقتل قبل انقضاء الحرب ففرح معاوية بموته لأنه بلغه أنه عازم على التشغيب عليه لتحققه أن عليا رضي الله عنه بريء من دم عثمان رضي الله عنه وعن أبي قيس أن عمرو بن شرحبيل وكان من أفضل أصحاب ابن مسعود قال رأيت ذا الكلاع في المنام في ثياب بيض في أفنية الجنة فقلت ألم يقتل بعضكم بعضا قال بلى ولكن وجدنا الله واسع المغفرة وأما المشركون

خل

أبي

له، وقد كان بقية أكابر العلماء بصقع الاندلس الشرقي وخاصة بكتابة الحديث مبرزا
في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من
الأدب كاتبا خطيبا بليغا خطب بجامع بلنسية واستقضي بها بعد بالعدل
والجلالة. وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة. قال تلميذه أبو عبد الله
ابن الابار واليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه والسماع منه وكان يحضر
الغزوات ويباشر القتال بنفسه ويبلي البلاء الحسن وكانت ولادته بخارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة وأخذ عن أبي القاسم ابن حبيش وأكثر
عنه وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي بكر ابن الجد وأبي محمد الحجري وغيرهم وأخذ
عنه أبو عبد الله ابن الابار وأبو عبد الله بن حزب الله وأبو الحجاج ابن حكم
وابن الغماز وغيرهم ممن يطول ذكرهم وله تآليف عديدة منها كتاب الاكتفاء
في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ومنتزع المغنى للناظم ومصباح الظلم في الحديث
والأربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة والأربعون السباعية والسباعيات
من حديث الصدفي وحلية الأمالي في الموافقات العوالي وتحفة الوراد ونجعة
الرواد والمسلسلات والانشادات وميدان السابقين وحلبة الصادقين
المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية
زوجه من الصحابة والإعلام بأخبار البخاري الإمام والمعجم في مشيخة أبي القاسم
ابن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب ونكتة الأمثال ونفثة
السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح وامتثال المثال في
ابتداع الحكم واختراع الأمثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل
بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل وهجا زينبا اللجم واللاحق المبتدر مائة مسألة
ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية
على لابسها أزكى الصلاة والتسليم قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم
لكان أحسن وله كتاب الصحف المنتشرة في القطع العشرة وديوان رسائله سفر
وديوان شعره سفر وأشعاره كثيرة جيدة على طريقة أهل الاندلس لا نطيل بجلبها
واستشهد رحمه الله في وقعة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم
الخميس المكمل عشرين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله

متفرقا اقام الفقهاء زمنا ان الكتاب وقبلا عليهم والرواية بيده ومن ينشد
المتزيين امر الفتنة يعتذرون عشي فتراها بدا متنسبا بدء الدهر مضيعه وكان اذا
يقول ان فتيتي عمره سبعون سنة لزيارة امام في صغره فكان كذلك وذلك تمييزه
انما بكر ابو عبد الله ابن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي يقول في اولها

ايها باشلاء العلاء والمكارم * تغير بالخرائب العفاة والصوارم

فبعض فخرت ثم زدت فخرا * بالحق في الفخر وحسن منكفي

وزان علمي اذ في قلب ثري * من شعري كشعري المنمق

اللغة قوله بعض فخرت الفخر بالشكور وفخرا والفخار التمدح بالخصال والمناقب
من حسب ونسب وغير ذلك اما في المتكلم او في آبائه وقد فخرت بهم فخرا وفخرا ايضا
فهو كما فخرت وتفاخروا فخر بعضهم على بعض وفاخره في مفاخرة وجعلنا عما رضي
بالفخر وفخرته من باب نصر اي غلبته قوله بالحق في الفخر قال ابو زيد الانصاري
الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل والجمع
آداب مثل سبب واسباب والمراد به هنا علوم خاصة تتعلق بلسان العرب وما نهجا
وابانها وابن جني الى ذلك والغض الطري كالغضيض وقد غض يغض من باب تعب
وضح غضاضة وغضوضة والغضيض الطلع اول ما يبدو وكل ناضر فهو غض كالشباب
وغيره قوله كشعري المنمق التنميق التحسين وقد نمقت الشيء تنميقا حسنته وزينته
ونمقت الكتاب كذلك كتبته كتابة حسنة قال النابغة *

كأن مجر الرامسات ذيولها * عليه حصير نمقته الصوانع

الاعراب والنحو قوله بعض فخرت جملة مستأنفة وضمير بعض يعود
على بعض الملوك المتقدم ذكرهم وتعين المعمول يؤذن بالحصر وقوله ثم زدت
فخرا جملة معطوفة عليها وعطف بثم المقتضية للتراخي لان فخر ابن نشأ ابا
وشرفه بعض يكون مصحوبا به من حين يولد كما قال المتنبي في مرثية صبي من ابناء
الملوك ومثلك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والاصل
وفخره بنفسه يكون بعد بلوغه مبلغ الرجال واكتسابه حميد الخصال قال الشاعر

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

وقوله زدت فعل وفاعل ومن مزيدا العين اصلها ياء انقلبت الفا ثم حذفت

لالتقاء الساكنين وباذ في يتعلق به أو بمجنون والعض نعت له ومن مجاز عن كونه
متقنا مزويا عن أمثاله مع سيلان دمه وانقياده كنبيح ووجوده في جنبه واستخدام
لنكتة وعيوبه عند الحاجة اليه وإرادة حشر المنكر وما أورثته من ذلك في اللسان
وبشاعة الجنان وجودة الفهم من الربان ومن ماء الفصاحة والبيان فقوله وذاق
على أدب جملة معطوفة على التي قبلها والف ذاق منقلبة عن ياء والاولى ان يكون ذاق
بالعلا من غدا وعلى متعلق بمفردا ولشرح من باب فلا يجب فيه تقديم الفاعل
بمنازلة اللذين كما ضرب موسى عيسى ان كثير الأدب زاينا للعلم من السادات وان
كان كل منهما يزين الآخر ومنه قول الأديب محمد بن فنجد من قصيدة يمدح بها يوسف بن
ابي الفتح * شيئان عرفت بالكتابة عنهما — عتب الحبيب وعمر ايام الصبا

وثلاثة من كلاب عرفت نسيمها — زمن الربيع وخلق يوسف والصبا

علامة الآداب وفرائد عاذل — لعلومه اضحت كمرآة ان تعبا

قوله فلم ترى جملة معطوفة كالتي قبلها والفاء سببية ولم حرف ينفي
المستقبل والماضي تأكيد نفي ولا تأتي الا خلافا للزمخشري وترى منصوب بها واصله
ترأي كيمنع ثم قلبت الياء الفا لاستثقال الحركة عليها ونقلت حركة الهمزة
الى الساكن قبلها وهو الراء ثم حذفت تخفيفا فصار ترى ثم يحتمل ان تكون بصرية
فمن بعدها نكرة موصوفة وجملة شغلت كشعري صفتها ويحتمل ان تكون علمية
فمن مفعول اول والجملة مفعول ثان ويجوز ان تكون نعتا لمن والمفعول الثاني محذوف اي
موجودا والنكات في قوله فلم ترى عام لم يقصد به واحد بعينه وانما المراد من تصح
منه الرؤية والله تعالى اعلم قال الشيخ ابو علي اليوسي رحمه الله في محاضراته
ما ملخصه الانسان قد يفتخر بنسبه وهذا هو الفخر العظامي لأنه افتخر بالعظام
الرفات وقد يفتخر بنفسه اي بافعاله التي اتصف بها والدرجة التي نالها في
الدين والدنيا وهذا هو الفخر العصامي وهو مأخوذ من قول عصام حاجب النعمان بن
المنذر نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكا هماما *

والناس في هذا الفخر مختلفون في هذا المعنى فقوم يفتخرون بآبائهم ويغتنون بذلك كقوله
انا ابن من يعرفها مضر وحي * ابوه منذر ماء السماء

وقال العرجي وهو من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه

كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو

وقال الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولما أنشد حسان رضي الله عنه النابغة قوله

ولدنا بني العنقاء وابني محرق * فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

قال له النابغة افتخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك في أشياء أخر انتقدها عليه فهذا مذهب العرب وهو الافتخار بالآباء وقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس بنو آدم وآدم من تراب الحديث **قلت** ومن أقبح الحماقة من افتخر على غيره بشرف آبائه دون علمه وقوم يفتخرون بأنفسهم وهذا الوجه كثير أيضا لأنه كمدح الآدمي لا يكاد يسلم منه أحد ولا يحصر ما وقع فيه من كلام الناس نظما ونثرا ومن أبدع ما ورد في هذا المعنى قول السموأل

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

القصيدة المشهورة وقول الفرزدق

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما * يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

وغير ذلك ثم إن كثيرا من الناس لا يلتفتون إلى النسب ولا يقيمون للمفتخر به وزنا كما قال الحريري

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال آخر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

إلى غير ذلك مما لا يحصى وأعدل الأقوال أن في النسب فضيلة قال تعالى وكان أبوهما صالحا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بني هاشم إن أبانا كان رجلا مكافئا لا خلاف ووصف الإنسان وشرفه هو الشأن والنسب زيادة فضيلة فإن عدم النسب رأسا جبر وإلا فنقصان عليه يجبر والصواب ما قال عامر بن الطفيل

وإني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

ومثله قول الآخر

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال الخليفة الراضي بالله العباسي

لا تعذلي كرمي على الإسراف ... ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كآبائي الخلائف سابقا ... وأشيد ما قد أسست أسلافي
إني من القوم الذين أكفهم ... معتادة الإخلاف والإتلاف

فهذا وأمثاله البعض الغالب البين أن المتأسي لا ذكر له **قلت** ومثل هذا سلكه الناظم رحمه الله حيث قال فيمن عدمت ثم زدت فخر الأب **واعلم** أن الناس في هذا الباب ثلاثة رجل كان أصيلا ثم قام مقام أبيه بتشييد بنيانه ويحوطه بستانه كالذي قبله فهو أكرم الناس والثاني بكل فخر ورجل لا أهل له ينتمي إليه ولا حسب يعتمد عليه ولكن انتصر في اقتناء المكارم واقتناء المفاخر حتى استحق مجالس الجلال وصار في عداد أهل الكمال وأنشد لسان حاله

فما بعزة شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

فهذا حري أن يشرف بنفسه وأن يشرف به من يخلفه وأن يكون مؤسسا من بيته ومفرعا نبته ورجل له أصل وقديم شرف ثم لم يحفظه ولم يقم مقامه بل قصر عن أمثاله فلم يبن ولم يهدم مع أنه في الحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان وهذا لا فضيلة له إلا مجرد النسب والفخر العظامي كما مر وأما إن هدمه فلا نسبة خيرا كان عليه سلفه فهذا بمنزلة من هدم الدار ثم هدم البقعة فأفسدها فهذا مذموم فما جنى على نفسه وما جنى على حسبه ونسبه هـ كلام الشيخ اليوسي رحمه الله بالاختصار

(فإن مدحت فمدحي يستسقى * به كمثل العسل المسروق
وإن هجوت فهجائي كالشجا ... يقف في الحلق ومثل الشوك)

اللغة قوله فإن مدحت المدح الثناء على الشيء بما فيه من الصفات الجميلة

خلقية كما تقدم او اختيارية وهذا كان المراد اعم من المجاز لان المجاز لا يكون الا بالاختيار
وقد مر تحقيقه مزجا من باب نفع والمزج والمزجة والالة مزوجة ما يمزج به قوله يشفى
به الشفاء الدواء وجمعه اشفية وشفاه الله من مرضه شفاء بالمد برأه
واستشفى من طلب الشفاء واستشفى بكذا تداوى به قوله كمثل العسل الخ
اما العسل فهو معروف يذكر ويؤنث واختلف الناس في حقيقته وكيفية تكونه
قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ما ملخصه رايت في كتب الطب ان الله
تعالى يحدث في الهواء في بعض الليالي طلا لطيفا يقع على الازهار والاشجار فبعضه
يقع اجزاء لطيفة متفرقة على الاوراق واوراق الازهار وبعضه يقع اجزاء كثيرة
مجتمعة محسوسة وهذا الثاني هو الترنجبين فانه طل ينزل من الهواء ويجتمع على
اطراف الاوراق في بعض البلدان وذلك محسوس واما الاول اللطيف فهو الذي
الهم الله النحل ليتغذى به فتلتقطه من اطراف الاوراق والازهار بافواهها فتتغذى
به حتى اذا شبعت اخذت بافواهها باقيه ثم ذهبت به الى بيوتها فتدخره لغذائها
في زمان البرد وايام الشتاء حتى تتغذى به وهذا الترنجبين فانه يجتمع من ذلك الطل
في بيوت النحل حتى يصير كثيرا فهو العسل ومن الناس من يقول ان النحل تأكل من
الازهار الطيبة والاوراق العطرة فيستحيل ذلك في بطونها عسلا ثم تقيئه في بيوتها
فذلك القيء هو العسل والاول اقرب عقلا واشبه فان طبيعة الترنجبين قريبة
من طبيعة العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ثم يقع على
الازهار والاوراق فكذا هنا وايضا فنحن نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل ولذلك اذا
اخرجنا العسل من بيوتها نترك لها منه بقية تتغذى بها لعلمنا ان ذلك غذاؤها
انتهى بتصرف قوله تعالى يخرج من بطونها شراب فيه تفسيران احدهما انها البطون المتعارفة
وهذا على ان العسل قيء ثانيهما ان البطون افواهها لان كل تجويف في البدن يسمى
بطنا وهذا على ان العسل هو الطل الذي تحمله الى بيوتها اه وقد تعقب كلام
الشيخ علاء الدين الخازن بما ينبغي الوقوف عليه قوله المرور اي المتقدم من ان
النحل يرعون اذا جاعت ويرجعون اذا شبعت واذا ودعت الى بيتها قوله وان يحدث النحو
والسماء ثلاث الا غرائب فكر ... الناس بالشيء والنحل تقصر اما ينسب في
النحل من حكم وغيره وقد سمي به كثيرا فقال الشاعر

من يكن في بيته كنت فيه * كالشجا بين حلقه والوريد

قوله ومثل الشرق وهو بالتحريك الغصة في الحلق وقد شرق بريقه اي غص به
قال عدي بن زيد * *

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

الإعراب والتصريف قوله فان مرضنا جملة معطوفة على التي قبلها
والفاء سببية وان حرف شرط ومرضنا فعل الشرط مجزوم المحل وجملة فمن ذا يشتفي
به جوابه وهي في محل جزم بها فتم اتصالها بالفاء والياء في يشتفي منقلبة عن ياء وباب
الفاء على هذا الجار والمجرور وقوله كمثل العسل حال من الناس والكاف زائدة
قوله وان نجوت جملة معطوفة على التي قبلها واعرابها كاعرابها وقوله
كالشجا خبر مبتدإ محذوف وجملة تقع في الحلق حال منه او صفة له لان المراد منه الجنس
فهو في معنى النكرة كقوله * ولقد امر على اللئيم يسبني *
وهذا الوجه اولى لسلامته من التقدير والتاخير ويجوز ان يكون خبر المبتدا هو جملة
تقع وكالشجا حال من فاعله قدم عليه وهذا الوجه انسب باعراب البيت الذي
قبله ومعنى وهو ان المراد في الحلق على هذا انه يعترض فيه غصة تقع بفعل الشجا
والياء منقلبة عن واو وشكلت الياء قوله ومثل الشرق معطوف على قوله كالشجا
على انه خبر مثل المعطوف عليه مرفوع وعلى انه حال مثله منصوب والله اعلم
ومثل ذا البيتين ماخوذ من قول الشاعر [illegible]

وان لست في شدة يشتفى بها * وهو على من صبه الله علقم

والمراد من هذا الشرح بالفصاحة والتنزل على الكلام والتصرف في فنون الشعر
حسنها وقبيحها كما قال الله تعالى في وصف الشعراء الم تر انهم في كل واد يهيمون
الاية وقد اكثر هذا المعنى بقوله بعد قوله زين الشعر عمى غير الابيات السبعة
واعلم ان الهجو محظور لانه اما غيبة او قذف وكلاهما حرام بالكتاب والسنة
والاجماع واذا كان يخلو الكلام بما يسره المسلم فكيف بالهجو المنظوم الذي
يبعث صاحبه على ترويجه وتصنيفه بالمبالغة في تزويقه فينبغي ان يحذر على صفحات
الدهور وتتداوله الاجيال والعصور فنسأل الله السلامة والعافية
ولغرض كونها بلغ ابن عساكر في تاريخ دمشق حسبما نقله ابن خلكان في ترجمة ا

في ابي الحسين ابن منير الشاعر فقال حدثنا الخطيب السديد ابو محمد عبد القاهر بن عبد
العزيز بن الخطيب الحماني قال رأيت ابا الحسين ابن منير الشاعر في النوم بعد موته وانا على
حائط بستان من نقعة فسألته عن حاله وقلت له اصعد الي فقال لا اقدر من رائحتي
فقلت تشرب الخمر فقال شر من الخمر يا خطيب فقلت ما هو فقال اتدري ما جرى علي
من هذه القصائد التي قلت في مثالب الناس فقلت له ما جرى عليك منها فقال لساني
قد طال وثخن حتى صار مد البصر وكلما قرأت قصيدة منها صارت كلابا تتعلق بلساني
وابصرته حافيا عليه ثياب رثة الى غاية وسمعت قارئا يقرأ من فوقهم لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الآية ثم انتبهت مرعوبا اللهم يا خالق الطول
والعرض ومن بيده ملكوت السموات والارض اغفر لنا ما اجترحناه الزلل والنقل
والعرض ولا تفضحنا يا مولانا يوم العرض هذا ومن ثم خص بعض الشعراء
للهجاء ويلتمس له مخرجا يوم يتشوقه في بعض الأخبار روى ذلك من تزيين ابناء اهل
بالعز والعز فهي ذالك ان الخليفة المتوكل قال لابي العيناء الى كم تمدح الناس
وتذمهم فقال ما احسنوا واساءوا وان ذلك دأب الله عز وجل في خلقه رضي عن
عبد فمدحه فقال نعم العبد انه اواب وغضب على آخر فزناه فقال ويلك وكيف
زناه قال انه قال في الوليد بن المغيرة عتل بعد ذلك زنيم والزنيم مثل الدخيل في القوم
وليس منهم ثم انشد

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا * ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما

وغريبا ورد عند ابن سناء الملك اذ جعل الاثم انما يترتب على المدح دون الهجو فقال

وقالوا في الهجاء عليك إثم * وليس الاثم الا في المديح
لأني إن مدحت مدحت زورا * واهجو حين اهجو بالصحيح
(وما زاد الشعر عصى غير فقر * كما غنى في عيشي وحنقي
وان يكن سيفا يحلى ولفظ * ابى فيه ذلك همي ونفسي)

اللغة قوله في عيشي وحنقي العيش النشاط والحنق بالتحريك الغيظ او
شدته وقد حنق عليه حنقا وحنقا كفرح فرحا واحنقه غيره فهو حنق ككرم قالت
قتيلة ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

قوله شيبا مفعول ... التمليد التزيين بالحلي بفتح فسكون وهو ما يتزين به من الذهب
والفضة كما في الكشاف وقال الجوهري هو ما يتزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة
وحلية السيف زينته قال ابن فارس ولا تجمع والحلية ايضا الصفة وهي مأخوذة من
الاولى وهذه تجمع على حلى بكسر الحاء وضمها مع القصر قوله ابلى نجاده اي نجاد
السيف حمائله والغنا وبالكسر والقصر معا نفقة وعنا فالاداء ضمة والنون فيه وهو
مأخوذ من العنق لان المتعانقين يجعل كل منهما يديه خلف عنق صاحبه ويضمه اليه
والمتعنقات اللازم اعتنقه بعد وقوله والله تعالى اعلم **الاعراب والنظر فيه**
قوله فان يك الشعر في جملة معطوفة على التي قبلها والفاء سببية وان حرف شرط
ويك فعل الشرط مجزوم بالسكون على النون المحذوفة تخفيفا وقد تقدم ان حذفها مع
ملاقاة اللام التعريف مذهب يونس وتبعه ابن مالك وعند الجماعة لا تحذف الا
اذا لقيها متحرك كقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها وما ورد على خلاف ذلك
فضرورة كقوله * فان لم تك المرآة ابدت وسامة * فقد ابدت المرآة جبهة ضيغم
والشعر اسمها وجملة عصى خبرها والياء منقلبة عن ياء وتكتب كذلك
وجملة فقد اطاع جواب الشرط والف اطاع منقلبة عن واو وفي عصى وعنى
متعلق على تقدير مضاف اي في حالتي عصيه وعنوه والكلام فيه مجازية قوله
وان يكن شيبا جملة معطوفة على التي قبلها اعرابها كاعرابها وعلى نعت للشيب
ويكن اسمه مفعول لاجله محليا كمعظم متحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا
فاجتمع ساكنان الالف والتنوين فحذفت الالف وتكتب بالياء لانها منقلبة عنها
وجملة فلقد ابلى في جواب الشرط واللام في لقد جواب قسم مقدر تقديره والله لقد
قال ابن هشام في المغني وحيث قيل لقد فعل او لقد يفعل او لئن فعل ولم تتقدم جملة
قسم فثم جملة مقدرة نحو لاعذبنه عذابا شديدا ولقد نصركم الله ولئن
اخرجوا لا يخرجون معهم وقوله ابلى فعل ماض والياء منقلبة عن ياء ونجاده مفعول
مقدم وعنا وما على موضع وعنى قضاء اليه ما قبله والله اعلم **البيان**
في كلام الناظم رحمه الله الاستعارة بالكناية حيث جعل الشعر ممتنعا فلا تتصور
منه الطاعة والعصيان كما تتصور من العاقل واضمر التشبيه ورمز له بعصى واطاع
وفيها ايضا مجاز عقلي لسبب ... الشعر عليه وصعوبته على غيره كالارادة في قوله

تعالى حذارا أن يدرك ان يفتخر وقد مر أن الزمخشري يجعل الاستعارة التخييلية قرينة للمكنية كما هنا وفي قوله وان يكن سيفا التشبيه البليغ إذ الأصل وإن يكن مثل سيف وقوله ابلى نجاده ترشيح للتشبيه وهو أيضا كناية عن رسوخ قدمه فيه وإلفه له منذ زمان الصبا كقول عمرو بن معدي كرب في الكناية عن طول زمنه في الحرب واعتياده لها

أعاذل إنما أفنى شبابي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد

مما كثر استعماله في الأمثلة **البديع** في كلام الناظم منه الفن المسمى بالكناية والتعريض وهو مما استحسنه أبو العلاء المعري من قول أبي الطيب المتنبي يصف نفسه بالعفاف

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

قال إنما أراد أبو الطيب أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تكون المكافأة في قافية البيت فلم يمكنه الوزن فعدل إلى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فجاءت بمحاسن التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعكسه المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بشيء عن معنى يريده وقد بحث معه الشيخ زكي الدين ابن أبي الإصبع بما فيه ضعف فانظره وبيان هذا المعنى في كلام الناظم أنه أراد أن يقول في عينيه وهم بأن الغنى هو النشاط وإنه يفنى بلطف حقيقة هو الغم فلما لم يسعه الوزن وأتى بعده إلى لفظة حتى التي تعني ما الغضب وأما ما فيها من زيادة من ذلك شبهة الظباء وكقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فإن الرحمة تستلزم اللين الذي هو ضد الشدة كما أن الغنى يستلزم الغم الذي هو ضد النشاط حتى يحصل الا تقابل بين معنى بما فلم يخل كلام الناظم من معنى بديعي كما ترى وفي قوله عنا عنفي جناس الاشتقاق وهو كثير والله أعلم والبيت الأول من كلام الناظم مأخوذ من قول أبي تمام يهجو مقران المباركي

لقد كان مقران يفتك بعرضه ... فوا بي بشعري لو تركت محارما
إذا ما عصت قدماه أو سما لها ... ألا ما حمت فتى عقبا يسوس عزبا

ومن هذا المعنى ما روي أنه قيل لأبي العتاهية كيف تقول الشعر فقال ما أردته

فيكم أن المثل في قولنا فإن الأربعة وأثر لنا ما للأربعة والبيت التالي مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

أرى العنبر سبقا والفريق فداءه ... ولولا فداء السبق لم يتغلب

وغيره جملة لذات السيوف جماله ... تحلت بأبكار الثناء المحلى

وإن كان الناظم جعل الشيء نفس الشيء والعنبر جعله فداء له فالمعنيان متقاربان وسلم الناظم من هذا المعنى في قوله وهو للعنبر فداء سبقه البيت والله أعلم

وإن يكن بردا فقد عرفت به ... معتجرا دون جميع الشرق

وإن يكن تاجا فقد زاد سنا ... جوهره من حل بغرب وبشرق

اللغة قوله وإن يكن بردا البرد بالضم ثوب مخطط يجمع في القلة على أبرد وأبراد وفي الكثرة على برود والبردة بالهاء كساء أسود مربع تلبسه الأعراب قوله معتجرا الاعتجار لف العمامة على الرأس قاله في الصحاح وقال غيره الاعتجار بالعمامة ونحوها أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه وفي الاعتجار بالبرد يقول الراجز

جاءت به معتجرا ببرده ... سفواء تردي بنسيج وحده

قوله سفواء أي بغلة خفيفة سريعة قوله دون جميع الشرق هو جمع سوقة بالضم وهي خلاف الملك من الناس وليس المراد به ما كان من أهل الأسواق خاصة بل كل من غير الملك فهو سوقة قال نهشل بن حري

ولم تر عيني سوقة مثل مالك ... ولا ملكا تجبى إليه مرازبه وقال

زهير يا حار لا أرمين منكم بداهية ... لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وهو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع بلفظ واحد فقالت بنت النعمان بن المنذر

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

أي نخدم الناس وربما جمع على سوق كما فعل به الناظم وكما قال زهير

يطلب شأو امرأين قدما حسنا ... نالا الملوك وبذا هذه السوقا

قوله وإن يكن تاجا التاج للعجم كالعمامة للعرب ولذا يقال العمائم تيجان العرب ويقال توج فلان أي أسود وأمر لأنه يلبس التاج حينئذ كما يقال في العربي

عميم وقال المتنبي يمدح سيف الدولة وهو عربي النسب *

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة … لأبلج لا تيجان الا عمائمه

قوله فقد زاد سنا السنا بالقصر ضوء البرق او مطلقا وبالمد الرفعة والشرف
وقد قرئ قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار بالوجهين والمراد هنا الاول
قوله جوهرة قال في القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به
قلت ولعل هذا المعنى هو المراد هنا وقد غلب الجوهر في عرف الناس على
الحجر الذي يتكون في جوف الاصداف البحرية قالوا ان مطرا ينزل في بعض ايام السنة
فتطفو الاصداف على وجه البحر وتفتح افواهها متعرضة لذلك الماء فاذا اصابها
شيء منه انطبقت عليه ثم غاصت به الى قعر البحر فيتكون في بطونها جوهرا
فما كان منه صغيرا فهو اللؤلؤ وما كان منه كبيرا فهو الدر واذا اصابت الصدفة
قطرة واحدة عظمت في جوفها حتى تكون كاعظم الدر وهي اليتيمة لانها لا اخت
لها وفي هذا المعنى يقول الشاعر *

أرى الاحسان عند الحر دينا … وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء في الاصداف در … وفي بطن الافاعي صار سما

قوله بدو وهو ضد الحضر ومجلس ومقعد وسكن الناس حيث يعدون الشعر وقد
قال الاخوص * بكليهما بلغت لما بكفر * والابعد يعرفون الخطاب

الاعراب والتصريف قوله واذ بكر بدا جملة شرطية معطوفة
على التي قبلها وقوله بقدر صرف به جوابها واسم بكر ضمير الشعر وبدا خبره
واسم صرف ضمير الناظم ومعتبرا خبرها وبه يتعلق به قدم عليه وقد
يتعلق به او بصرف وجميع الشرور تعلق بالبدء ما قبله قوله واذ بكر نادى خبر
جملة شرطية معطوفة كالتي قبلها والف التاج منقلبة عن واو وهي عين
الكلمة والف زاد منقلبة عن ياء وسنا مفعوله والفه منقلبة عن واو وتكتب
الفا وجوهرة فاعله وقد عمل فيه متعلق بزاد وجملة حال في محل جر بالاضافة
قد انتهى وما علمنا ضمير يعود على التاج وبدو ومقعد متعلق بحال والعبد
اعلم ولا يخفى ما في كلام الناظم رحمه الله من التشبيه والتشبيع وفي قوله
دون جميع الشرور تعريض بانه متنزل من الشعر الى منزلة المليح ومنه منزلة

الربعية وهذا كقول أبي العلاء المعري

أتمشي القوارع تحت غيم لوائه * وتمر على فوائدها أمراء

ويقرب هذا المعنى من كلام الناظم قوله بعد وان يكن تاجا فان التاج لا ينبغي الا للملك كما مر وكلام الناظم رحمه الله مأخوذ من قول الامام الشافعي رضي الله عنه

عني يوافيك الغريض وزاده * وعلى اكليل الكلام وتاجه

تربي على روض الربا أزهاره * ويرق في نادي الندى ديباجه

ومن قول ابن نباتة رحمه الله في وصف الشعر

كالدر والمرجان ألف نظمه * بالشذر في عنق الكعاب الرود

كشقيقة البرد المنمنم وشيه * في أرض مهرة أو بلاد تزيد

وان يكن حديقة فكلما * نزهت فيها خاطري وطرفي

وان يكن نورا فقد عقدت على * عرفه وكنت نعم المنتقي

اللغة قوله وان يكن حديقة الحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لأن الحائط أحدق بها أي أحاط ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على الروضة ذات الشجر وان كانت بغير حائط وفي التنزيل وحدائق غلبا وقال ابن الانباري في كلام العرب أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أوصافها فمن ذلك أنهم لا يقولون للبستان حديقة الا اذا كان عليه حائط ولا يقال مائدة الا اذا كان عليها طعام ولا للقدح كأس الا اذا كان فيه شراب ولا للبئر ركية الا اذا كان فيها ماء ولا للدلو سجل الا وفيها ماء ولا يقال لها ذنوب الا اذا كانت ملأى ولا للإناء كوز الا اذا كانت له عروة ولا للمجلس ناد الا وفيه أهله ولا للسرير أريكة الا وعليه حجلة ولا للمرأة ظعينة الا ما دامت راكبة في الهودج ولا للبيت خدر الا اذا اشتمل على امرأة ولا للقدح سهم الا اذا كان فيه نصل وريش ويقال للكبير مهري بكسر الميم الا ما دامت فيه العرية ولا للشجاع كمي الا اذا كان شاكي السلاح ولا للقناة رمح الا اذا ركب فيها السنان ولا للثوب مطرف الا اذا كان مصبوغا ولا للسرب نفق الا اذا انفرق فيه النار ولا للبنو مكرو الا اذا كان في فمه عليه ولا لماء الفم رضاب الا ما دام في الفم ولا للمرأة عانس ولا عاتق الا ما دامت في بيت أبويها

قوله تزمنت بيمانٍ، قال ابن السكيت ومما يضعه الناس في غير موضعه قولهم
خرجنا نتنزه إذا خرجوا إلى البساتين قال وإنما التنزه التباعد عن المياه والأرياف
ومنه قيل فلان يتنزه عن الأقذار وينزه نفسه عنها أي يباعدها عنها ويقوله
في النقاء من سرور زاد واستعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض
غلط قبيح وقال ابن قتيبة ذهب بعض أهل العلم في قول الناس خرجوا يتنزهون
إلى البساتين أنه غلط وهو عندي ليس بغلط لأن البساتين في كل بلد إنما تكون
خارج البلد فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت ثم كثر
هذا حتى استعملت النزهة في الخضر والجنان هذا لفظه وهو يجمع كلام الناظم
وقال ابن الفركية وجماعة نزه المكان فهو نزه من باب تعب ونزه بالضم
نزاهة فهو نزيه قال بعضهم ومعناه أنه ذو ألوان حسان وهو شاهد لكلام
الناظم قوله خاطر وحرف أما الخاطر فهو في الأصل ما يخطر بالبال من خير
أو شر وقال المجد الخاطر الهاجس وجمعه خواطر والناظم أراد به الفكر والبال
نفسه لأنه محل لذلك الوارد وبه يتعلق وأما الحرف فهو جمع حرفة وهي من
العيش سواه مما قوله وإن يكن غير البحر معروف وجمعه أبحر وبحور وبحار سمي
بذلك لاتساعه ومنه فرس بحر إذا كان واسع الجري قوله فقد غصت على
جوهر الغوص في الماء النزول إلى أسفله لاستخراج ما فيه من لؤلؤ ونحوه وقد
غاص يغوص فهو غائص وغواص مبالغة فيه ومنه قيل غاص فلان على المعاني
كأنه بلغ أقصاها حتى استخرج ما بعد منها قوله وكنت نعم المنتقى الانتقاء
الاختيار والتنقي التخير والمنتقى المختار ونقاوة الشيء ونقايته بالضم
فيهما خياره **الاعراب والتصريف** قوله وإن يكن حرفيه في جملة
شرطية اعرابها كإعراب الجمل التي تقدمت وقوله فقد غصت جواب الشرط
وهذا الفعل ن فاعله ن قد مكفوفة بالزائدة ولذلك صح دخولها على
الفعل ويكتب متصلا بها وقد تقدم الكلام فيه صدر هذا الكتاب قوله وكنت
نعم المنتقى كان ناقصة واسمها ضمير الناظم وجملة نعم المنتقى من الفعل
والفاعل خبرها والمخصوص بالمدح هو الضمير المتقدم المعمول لكان وإنه يجوز
دخول الناسخ على المخصوص إذا تقدم كقول الشاعر *

زعم الابناء
ناظم

إذا أرسلوني عند تعفير حاجة * أمارس فيها كنت نعم الممارس

البيان في كلام الناظم التشبيه والترشيح كالأبيات المتفرقة وفيه المجاز المرسل حيث أطلق لفظ الغمام على الماء نفسه من حيث انه محل له كما أن فيه مجاز مرسل علاقته المحلية وفي قوله فرهمت فيها خاطري وغصت على جوهرها استعارتان مصرحتان أصليتان في المفرد تبعيتان في الفعل وذلك أنه عبر عن اعمال الفكر في معاني الشعر وتسليط الفكر عليها واستخراج نكتها بتنزيهه آياه في روضها وغوصه في بحرها وذلك استعارة كما لا يخفى والله أعلم ومن تشبيه الشعر بالرياض قول البحتري

ألست الموالي فيك نظم قصائد * هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كأن الروض منه منورا * ضحى وكأن الوشي منه منمنما

ومن هذا المعنى قول أبي الطيب في الرئيس ابن العميد

قطف الرجال القول قبل نباته * وقطفت أنت القول لما نورا
فهو المتبع بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حسنه إن كررا

وهو كثير ومن تشبيهه بالبرد قول السري الموصلي يصف شعرا

ألفاظه كالبرد في أسلاكه * لا بل تزيد عليه في لألائه
من كل رائعة الجمال كأنها * عاد الشباب لها برونق مائه
والشعر يحزن إن انكسر دره * وتنال قسر الشعر إذ في حصبائه

وهو أيضا كثير ومن كلام أبي علي الحاتمي في رسالته التي شرح فيها ما أورده من سرقات أبي الطيب المتنبي ما نصه وكان يعني أبا الطيب يخيل إليه أن الأدب مقصور عليه وأن الشعر بحر لم يرد ثمد مائه غيره وروض لم يرع نواره سواه ه

(ص) وهل أتى آن أبي وهنا أن الرد * قد ترد كم من أقسام مفرقه

الأعراب والنص فيها أصل ما أن تكون للاستفهام عن النسبة وقد تستعمل في النفي مجازا كما هنا وكما في قوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وأما هنا فإن أتى بها للنفي السابع وأنه وردها خبر المبتدأ ولعل ونار الى كالم وقد يقال بمعنى قد ويكون الناظم منعه من العرب ضرورة كقول العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه *

فاعل إذا كان بعد
هل وأن تكلم الكرك وما
حرف لا مصدر لا هل
وما ذكرها حرف
نفي قال بعضهم ناظما لها رحمه
وإن لا وما وهل لنفي تمرها * إذا أتاك حرف إلا بعدها ه

وما كان حصن ولا حابس ✱ يفوقان مرداس في مجمع

منع مرداس من الصرف لإقامة الوزن أو يقال إن الناظم حذف تنوينه لملاقاته
حذف التنوين فيها كثير إذ من قرأ قل هو الله أحد الله بإسقاط التنوين من أحد
ورفع الجلالة وكقول الشاعر

فألفيته غير مستعتب ✱ ولا ذاكر الله إلا قليلا

بإسقاط تنوين ذاكر ونصب الجلالة وإن كان وصفا على وزن فعلان فهو ممنوع من الصرف
للوصف الأصلي وزيادة الألف والنون والوصفية جارية في حسان وعلى أنه من الحسن
أو من الحس وكذا نظائره فإن قلت منع الصرف في الوصف الذي على وزن فعلان
مشروط بأن يكون مؤنثه على فعلى كسكران وسكرى أما إذا كان مؤنثه على فعلانة
كندمان وندمانة فهو مصروف ومن أين لنا أن مؤنث حسان مختوم بالألف لا بالتاء
حتى يمنع من الصرف قلت باب سكران أوسع من باب ندمان والحمل على الأوسع أولى
عند جهل الحال أولى من العكس والله أعلم والاحتمال أن وإن أغنى كونه على وزن
فعال من الكلام فسمي الونان في اللغة هو الضارب بالون وهو الصنج ومعنى
ذلك أنه تتخذ من صفر وتجعل في الأصابع ثم يضرب بعضها على بعض على كيفية مخصوصة
وتعرف عند المغاربة بالصرافق والونان أيضا الضعيف قال الفقيه أبو عبد الله
المجيري الونان لقب لبعض أجداد الناظم رحمه الله وبه اشتهر سلفه فكان يقال
لهم أولاد الونان قال ولم أدر ما سبب تلقيبهم بهذا اللقب ه قوله إلى قرنه
نعت لابن الونان قوله كم من أبي كم من أخ فيه ومن قبائل قريته وقرائن جمعها
الناظم جمعا لما من الطراز حيث أعمل فيهما ما قبلهما ولبس فيهما فتلا وكلامه في جر
قال المرادي حكى الأخفش أن بعض العرب ينصب الفاعل على أن الخبر فيه بقبيل لا يقاس
عليه والصحيح جواز القياس عليه لأنها لغة ه ومنه تمثيل الناظم وعلى هذه
اللغة بنى الفراء إعرابه كم في قوله عز وجل أولم يهد لهم كم أهلكنا فاعلا
ليهد وتبعه على ذلك ابن عصفور وقال ابن مالك جاء على لغة رديئة حكى الأخفش
عن بعضهم أنه يقول ملكت كم عبيد فيخرجها عن الصدرية وأعطى ابن هشام
في المغني تخريج كلام الله تعالى على هذه اللغة الرديئة ووجه الآية بما ينبغي الوقوف
عليه وقوله من أعبد تمييز كم والأكثر في تمييز كم الخبرية أن يكون مجرورا بإضافتها

البيت لأكبر جزأيه من الخطاب مراد كثيرا أيضا كقوله تعالى وكم من قرية أهلكناها وقوله
من تقفو نعت لأمين وأصله من تقفي على وزن مفتعل استثقلت الضمة على الياء فحذفت
ثم حذفت الياء للساكنين ومعناه الذي يتبع الغزالي في الرتبة مقتديا وفي إتيان
الناظم بالعبارة أيضا مراد تأكيد للتشبيه وتحقيق لما وقع في كل من معنى التقفي
حتى كأنهما عين من التماثل أيضا بمعنى فرد أيضا وأن الاستفهام مستفاد من الهمزة
المقدرة معهما قال الناظم رحمه الله كأنه كرر الجملة مرتين وقال أنا ابن الوناز أنا
ابن الوناز وفي ذلك من الإشادة باسمه والتنويه بمنزلته ما لا يخفى وفي ارتكاب
التصريح باسمه جريا على عادة كثير من الشعراء والمؤلفين وقد ذكر الشيخ أبو علي
اليوسي في محاضراته لذلك فوائد ينبغي مراجعتها وأيضا فهو اقتداء بمن تقدم
حسبما نبهنا عليه سابقا وذلك يقتضي الإشادة باسمه ونسبه على ما هو
معروف من عادة العرب والمثل الصناعة الأدبية والتبرك بالمشيخة حسبما
نوضح ذلك في محله إن شاء الله تعالى

التعريف بابن الوناز ناظم هذه الأرجوزة

هو الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الوناز الحميري النسب
التواتي الأصل الفاسي الدار والمولد والمنشأ كان سلفه من قصور توات وهو بلد
بصحراء المغرب الأقصى مما اختطته زناتة يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل
وأنهار وتملكه بعد زناتة بنو معقل من عرب الصحراء وفيهم كان سلف الناظم ثم
انتقلوا إلى فاس وقطنوها قال ابن عبد الله الجبري وما زالوا ينتسبون إلى حمير
فلعل أن كان منتسبهم في النسبة إلى حمير من جهة أمهم ثم من بني معقل فبنو معقل
قد ترد في كلام ابن خلدون وفيهم من قال بأنهم من معقل قضاعة وعليه فهم من حمير بناء
على أن قضاعة من حمير لا من معد أو أنهم من معقل مذحج وعليه فهم من كهلان وهذا
الثاني من الراجح عندي على أنه ذكر أن فيهم قبائل أخر صاروا في عدادهم وليسوا
من نسبهم أنظر ما حققناه من ذلك في كتابنا طلعة المشتري في النسب الجعفري
وإن كان منتسبهم في النسبة إلى حمير غير ذلك فالله أعلم بنسبهم وافتخار
الناظم بالأنصار يقتضي أنه من كهلان لأن نسب الأنصار في كهلان كما مر وإن كان
يصح له الافتخار بهم من حيث اجتماع الجميع في القحطانية لا كهلان والأزد والله أعلم

قال

قال ابو عبد الله المجريري كان سلف الناظم بفاس بني عمرو واولاد الونار لا يعرف قدره
ابن بزالة حتى كتب امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي وسمى
المذكور بمنزلة الازجرلة والد الناظم بباب الشمعيين وتعلقت به منزلة الكتبة وكان
علما عليه فكان لا يدعى بعد ذلك الا بها ولذلك لما نظم والد ابو العباس
منزلة الازجرلة ونظر بها امير المؤمنين المذكور فتعذر عليه الوصول اليه تحسس
خروجه في بعض الايام واعترضه في موكبه ومعه نسخة اعاليا من الازهر ونادى باعلى
صوته * يا سيدي سبط النبي * ابو الشمعيين اني * دعا ؟ امير المؤمنين
قدس الله سره وامر باحضاره فعرض بلوغه الى منزله بحضرة وانشد الازجرلة المذكورة
فرفعت من امير المؤمنين الموقع واجزل صلته ورفع منزلته قال وكان الناظم على
ما بلغني شاعرا ماهرا ... ذا وجه وامداد ... وفي نجدة وفداد ... وبديهة
بارعة ... وفكرة لابكار المعاني بارعة ... وكان حسن النظم مكثارا ... لا يلحق جواد
لسانه عثارا ... الفت اليه صناعة الشعر بها زماما ... وفوضت اليه احكاما ...
ووقفت عليه نفعها وانهاما ... عنق ؟ هذا في عصره فكبرها واماما ... مبرزا على
اشكال الكلام وبرهانه ... فامر لها دفا ؟ زمانه ... بافكاره واحسانه ... وكان مع
ما قوله من الاكثار وابن خشان ... مولعا بالتجنيس بين اللسان ... معجبا بشعره ونثره ...
مزهوا بادبه ونحو بفكره ... ذا همة بنفسه كل مذهب ... لا يجيز عما اعتاده من
ذلك المذهب ... ريان من الفصاحة البديعة ... ملآن من العلوم العربية ... كاللغة
والنحو والتصريف والبيان والعروض والقوافي ونقد الشعر عارفا بايام العرب
وانسابها ... والمغازي والسير والتواريخ اخذ الاهما عن ابن زاكور ... اخذ عن جماعة
من شيوخ فاس كالفقيه العلامة ابي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وفارس المعقول
والمنقول ابي حفص عمر بن عبد الله الفاسي وشيخ الجماعة ابي عبد الله محمد التاودي
ابن سودة المري وخاتمة المحققين ابي عبد الله محمد بن الحسن بناني وغيرهم من اهل هذه
الطبقة واخذ الشعر والادب عن والده فانه كانت له في ذلك اليد الطولى
كما سيأتي في ترجمته ان شاء الله ومن شعر الناظم في الشعر والترفع عن اخذ الزكاة

اما الزكاة فان النفس تانف ان * يلوث الكف من اوساخها فنص
كان نسبة اقوال البرية لي * دون التطلب من الاقوال اودنس

وأكدره الرسم العافي انكدره * حتى كأن بها آثار العفة البرمكي

وقال في الاعتذار عن تخلف كبراء العصر عن ادباء زمانهم وهو معنى غريب

فمن لام في عذل الكرام بصدهم * عن اوجه الشعراء ليس بعاذر

لم يسأموا بذل النوال وانما * جمد الندى لبرودة الاشعار

ومن شعره في امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله وقد اوقع بكتائب من اهل الريف

شعر الذي اردى لطغاتها كما بغوا | وسعى بحد فتنت الشعيرا وابشر
لم يشف الا خائن متمرد | نبذ الاله فلاذ والشر يعقب من خشر
كبغاة اهل الريف لا فرق بينهم | غدر ولا اشقى بلاد ثم المكر
شقت عصا الاسلام منهم فرقة | سلكت الغرور فرابها نهج الغرر
ضلوا عن النهج السوي ببغيهم | فتكا بهم سيف الاله وما ائتمر
البغي عليهم من هووا عن نهبه | ما كان يحمد العبد منهم والاثر
كثروا عليا فيهم وزرا وادعو | خابت كنوزهم تباد والاوزر
كفرت بقتلهم البلاد من الاذى | ولكم بهم فركان فيها من فزر

وله في مدحه قصيدة اخرى من بحر البسيط على روي الدال يذكر فيها فتح ثغر الجديدة من يد الكفار ويصف انفار روميه طويلة وله فيه اخرى من بحر الطويل على روي الفاء يعارض بها قصيدة عمرو بن كلثوم في عبد الله بن طاهر وهي مشهورة ومن مدحه فيه ايضا قوله

ولما رايت البحر في الجود آية * ومن جوده الدر النفيس المقلد

سألت بحريا عن علمه الندى * فقال امير المؤمنين محمد

فهذا ما ذكره ابو عبد الله الجزيري من انشاد بعض اناشيده مع زيادة ما تيسر له ولم يذكر له مولدا ولا وفاة ولم نقف نحن على شيء من ذلك زائدا ووقفت له على رسالة كتب بها الى شيخ عصره ووحيد دهره ابي عبد الله محمد المصطفى بن الصالح الشرقي صاحب ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج نفعنا الله به وما تسلك به ونصها من الغرارة والمعارف ومعتمر المجد الناشر والدر الفاخر ومنبوع العلم النافع ومطلع انوار المعارف الساطع مجمع الخصال الانسانية ومنبع المواهب الاحسانية نعمة الله تعالى على الجيل وقدوة اهل العلم

والتحصيل

والتفضيل نجم الهداية والرشاد، وكعبة الفضلاء والزهاد، خديم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآله، والمقتدي به في أقواله وأفعاله، سليل الأئمة
البررة الأشراف، وقدوة أهل السلوك والاقتراف، وقرة عين الأخيار، ومن يجب به
الابتداء، شيخنا وسندنا، وقدوتنا وعمدتنا، الذي فاق أسلافه ورثهما، أبا
المحاسن والمكارم سيدنا ومولانا المعطي، لا زال ظافرا بكل خير يضفي ويعطي،
ولا أخزانا الله تعالى أن ضيعنا من حقوقكم واجبا أو شركا، والسلام على سيادتكم
الكاملة، وأمجادكم الفاضلة، ما حكم علمكم في فرضها بين فكها، وما دام من حكمه
للأفراد شيئا وفرضها، وبعد تقبيل يديكم الكريمتين، وتمريغ الخد عليهما مرتين،
فإنني ممن لم يحب حب شرين، وسوء فهم متوالي وتزيين، وبيننا عن الرؤية وخطة السعير
وكذلك مشتد وغريب، وهم لسيدي محمد الكانوني، ومنا أنا ومن سنا كيار الذين،
فاتهمنا من غفلة القلب، وسوء الكسب، والكسل والتفريط في كل عمل الرب،
فقد تشفعنا بالذي يرضى له المحتاج، وبجنابه في الصلاة على صاحب اللواء والتاج،
أن يجود علينا بالشفاء والعلاج، وما ذا لا زال حول صالحة نزل بغاما لنا
من علاج، ونتوسل بها إلى سلوك طريق الحق الواضح المنهاج، ونرغب إلى سيدنا أن
يمن خاطرنا ويؤنس ناظرنا، بكتاب بخط يده الكريمة، يكون لنا من سوء العواقب
حرزا وتميمة، متضمنا للدعاء الصالح، الذي هو المغنم المبارك والمتجر الرابح،
وإن الكاتب لمخاطبكم منزل الشكور، والمنشئ للمنظوم منها والمنثور، كما هو في
حضور العفو من الله ببركتكم والغفران ورد مقاب، وسوسة الباطن ونزغات
الشيطان، فإن القلب أسير المواطن، وقد خفت على حاله من وساوس تمادت
في الباطن، فادع الله لي بأن يبعدني من مكره وحباله، ونعم شيخ من كبير
ووباله، وكتب عبيد ربه أحمد بن محمد الونان عامله الله بالعفو والغفران
مستعطفا لكم بهذه الأبيات، على ما سمعت به القريحة في منزله أولا تسومي

سمعت لكم في عزمنا أنوار ... فالنيل أجمع من سنا أنهار
وجريت بفضلك مستعيضا في الورى ... ومن غرت تتهدت الثمار
وقد يحكم من لدي أقوامنا ... فكأنه الشمس الذي تشتار
يا سيدي المعطي الذي أسلافه ... لا ريب فيهم أنهم أخيار
ولهم من الأزمان شرحا مبر ... ومناقب ما إن لها إنكار

يحمى الكانون ببيت محبة * وتشوقوا إذ عز منك مزار
بيتيم عن حبه في النبوة البـــ * ـــو وبذا لي عندها تنزل الأوطار
جرحى بذي عوز لها التي تختارها * فاشتم إجمع في الذي تختار
لا تنسني إني لكم مفرق لا * تنسى لذي إفنائك الأعمار
وبربر فنيتها لكم عن إفريقي * حملت رسالته لك الزوار
فيها الوساوس بيانه وبه * تغدو على الأعضاء منه النار
عن شكاية عاجز عن عذره * ولا نشر الأعذار والأنصار
وإذا أكرهت وفي بكم متعلق * فعلى علاكم للاعلى الأنصار
وعليك ألف تحية مسكية * ما غردت في روضها الأطيار

قلت وقد انتهى الناظم عن حاله وأغنى الناس عن التعريف به حيث قال

وأحق من حليتي بالأستاذ والشيخ الفقيه العالم المحقق
وبالحبر الشهير والأديب والخبير والبليغ المطلق
وأعلم الناس بدون مرية * بسائر فن مغربي ومشرقي
بالشعر والتاريخ والأمثال والأنساب ثم تصريف

اللغة قوله أحق من حليتي الأحق بالشيء الأولى به من غيره تقول هذا أحق بكذا أي أجدر به وهذا أحق منه أي أجدر وأولى وفي المصباح وقولهم هو أحق بكذا يستعمل بمعنيين أحدهما اختصاصه بذلك من غير مشاركة نحو زيد أحق بماله أي لا حق لغيره فيه والثاني أن يكون أفعل تفضيل فيقتضي اشتراكه مع غيره وترجيحه عليه كقولهم زيد أحسن وجها من فلان ومعناه ثبوت الحسن لهما وترجيحه للأول قاله ابن زهير وغيره **قلت** وهذا الثاني هو المراد من كلام الناظم وقوله من حليتي يقال حليت فلانا بكذا تحلية إذا ذكرت حليته أي صفته التي هو عليها أو لم يكن عليها وإنما قلتها زعما وهو مأخوذ من الحلي الذي يتزين به من ذهب أو فضة فلذا ينبغي أن يكون لفظ التحلية خاصا بالصفة المحمودة ولا يستعمل في غيرها إلا مجازا قوله بالأستاذ هو بضم الهمزة وبالذال المعجمة لفظة فارسية عربتها العرب ومعناها عند الفرس العالم بالشيء الماهر فيه ذكره الزمخشري في شرح لغات الشفاء قالوا والسين والذال المعجمة لا تجتمعان في كلمة عربية وقال أبو البقاء

ع والأمثال

في شرح ديوان المتنبي الاستاذ كلمة ليست بعربية وانما تقال للصاحب هنا عـه
كالفقيه والمقرئ والمعلم وهي لغة اهل العراق ولم اجدها في كلام العرب والاستاذ
يسمونه الآن النصير استاذا اهـ قلت وهي في عرف المغاربة خاصة بالمقرئ وربما اطلقوه
على الشيخ المقتدى به قوله والشيخ هو في لسان العرب من دخل في سن الشيخوخة وهو
ما بعد الكهولة فما فوقها الى منتهى العمر واستعمل في العرف بمعنى الامام المقتدى
به والمأخوذ عنه وما اشبه ذلك وكأنه لوحظ فيه ما اقتضته الشيخوخة وكبر
السن من مزيد التوقير وفي الصحاح والقاموس وشيخته دعوته شيخا للتبجيل قوله
الفقيه هو من قامت به الفقه ملكة له والفقه لغة الفهم قال ابن فارس وكل علم
بشيء فهو فقه قال الجوهري قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت لك بالفقه
وشرعا العلم بالأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد كالعلم بان النية في
الوضوء واجبة وان الوتر مندوب وان تبييت النية شرط في الصوم وان الزكاة
واجبة في مال الصبي وغيره واجبة في الحلي المباح وان القتل بمثقل موجب للقصاص
ونحو ذلك من مسائل الخلاف بخلاف ما ليس طريقه الاجتهاد كالعلم بان الصلوات
الخمس فريضة وان الزنى محرم والاحكام الاعتقادية كالعلم بالله تعالى وصفاته
ونحو ذلك من المسائل القطعية فلا تسمى معرفة ذلك فقها لان معرفة ذلك يشترك
فيه الخاص والعام فالفقه بهذا التعريف لا يتناول الا علم المجتهد ولا يتم في ذلك
مع اختصاص الوقف على الفقهاء بالمجتهدين لان المرجع في ذلك الى العرف وهذا
اصطلاح خاص قوله العالم هو في الاصل وصف لمن قام به العلم اي علم كان
وخصه العرف بمن كان يحسن علما واحدا فاكثر من علوم الشريعة او ما يوصل اليها
من علوم لسانها فلا يقال للطبيب مثلا والمهندس والحاسب في العرف عالم
قوله المحقق هو اسم فاعل من حققت الشيء اذا تيقنته والتشديد فيه للمبالغة
والا فيقال حققته حقا ثلاثيا من باب قتل بمعنى تيقنته ويجوز ان يكون من حققته
اذا احكمته واتقنته ومنه ثوب محقق اذا كان محكم النسج قال الشاعر

تسربل جلد وجه ابيك انا * كفيناك المحققة الرقاقا

قوله وبالحديث هو العالم بفن الحديث وهو علم يعرف به اقوال الرواة للكلام
الرسول صلى الله عليه وسلم واخباره واصناف المرويات من ذلك وشروطه

الفنون والرد فيها وقيل فيه غير هذا من العبارات قوله والاديب هو العارف
بعلم الادب قال ابن خلدون هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها
وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور
على اساليب العرب وما يتوقف عليه ذلك من منظوم ومنثور قالوا اذا ارادوا حد
هذا الفن علم الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف
آرار قال وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اركان هذا الفن اربعة دواوين
ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ
وكتاب النوادر لابي علي القالي ثم رفع كتاب الاغاني عليها كلها واثنى عليه غاية
بالكمال ونقل الشيخ ابو علي اليوسي في محاضراته عن ابن حنبل قال الادب عشرة
اصناف ثلاثة شهرجانية وهي ضرب العود واللعب بالشطرنج واللعب بالصوالجة
وثلاثة انوشروانية وهي الطب والهندسة والفروسية وثلاثة عربية وهي
الشعر والنسب وايام الناس والعاشر مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه
الناس بينهم في المجالس وهذا غاية ونقل ايضا هذا الكلام ابو القاسم الراغب
في محاضراته الا انه جعل الشهرجانية انوشروانية وبالعكس والله اعلم وقال
الشيخ العارف بالله ابو العباس احمد زروق في الحادي عشر من شروح الحكم قال
ابو نصر السراج الناس في الادب على ثلاث طبقات اهل الدنيا واكثر ادابهم
في البلاغة والفصاحة وحفظ العلوم واشعار العرب واهل الدين واكثر ادابهم في رياضة
النفوس وتاديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب
الشبهات والمسارعة الى الخيرات وخصوص اهل الدين واكثر ادابهم حفظ القلوب
ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية هـ قوله والمجيد من اسم فاعل
من اجاد الرجل اجادة اذا اتى بالجيد من قول او فعل قوله والبليغ هو من كانت
البلاغة ملكة له وهي تمكنه بها من الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحا قوله
المفلق هو اسم فاعل من افلق الشاعر اذا اتى بالفلق بكسر الفاء وسكون اللام
وهو الامر العجيب والداهية قال الجاحظ يقال للشاعر المجيد فحل ومن
دونه مفلق ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور زاد في القاموس ثم متشاعر قوله
والقلم الناصر يعني ومرتبه اي بعض شد واخلا بالحرف ورفع انه في الاصل

نكرة لا يتعرف لأنه استعماله بمعنى غير كقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما
دون خمس أواق مجرورة أي في غير خمس أواق فقوله سيار خبر في مغرب ومشرق وأقطار
سيار بمعناه مثلا رأي منتشرا وسيان تثنية سي كمثل وزنا ومعنى قال الحماسي

فإياكم وحية بطن واد * هموز الناب ليس لكم بسي

أي بمثل بل بدون تعظيمه وعينه في الأصل واو خلافا لصنيع الصحاح والمصباح واستغنوا
بتثنيته عن تثنية سواء فلم يقولوا سواءان إلا شذوذا كقوله

فيا رب إن لم تقسم الحب بيننا * سواءين فاجعلني على حبها جلدا

وهو في كلام الناظم خبر مقدم وشرح مغرب ومشرق مبتدأ مؤخر فقوله بالشعر يتعلق
بالعلم وهو على حذف مضاف أي بعض فنون الشعر وهو علم يعرف به كيفية نظم الشعر
وترتيبه والاقتدار على إنشائه على قانون البلغاء وهو نقد الشعر ومعرفة جيده
من رديه ويعرف بكتاب العمدة لابن رشيق فإن ذلك الكتاب هو الذي انفرد بهذه
الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله وأنكر ابن
خلدون فيما تقدم هنا علم الشعر من الكتاب الأول من تاريخه فإنه أجاد إلى الغاية
فقوله والتاريخ هو في الأصل مصدر أرخت الكتاب وغيره إذا جعلت له تاريخا
أي وقتا معلوما يضبط زمان إنشائه وكتبه وفيه أرخت بالواو بدل الهمزة
وأرخت بالتشديد رباعيا وأرخت ثلاثيا واللغة التاريخ معرب وأصله بالفارسية
ماه روز فماه هو القمر وروز هو اليوم أي تاريخ الشهر وعادة العجم أن يقدموا
المضاف إليه على المضاف فسمته العرب تاريخا لعلة قلب روز في اللغة فأرخ
بصيغة اسم مفعول الثلاثي شذوذا وثم قواعد بسائر الأبنية الثلاثية
ومن التاريخ من جليل الفوائد مراعاة جمع الفوائد من معرفة الناس تقدما وتأخرا وهو
من بديع العلوم خلافا لمن جهل فضله وأنكر فائدته ولنا فيه كتاب جليل سميناه كتاب
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جمع من أخبار فكرة ما لم يجمع لغيره
فقوله والأمثال هو جمع مثل بالتحريك وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده
وعلم الأمثال علم شريف الغاية لا تتم معرفة اللغة إلا به نحو التعبير ولا الأدب
والمناداة إلا به والجاهل به كأنه لم يستنشق رائحة الأدب ولا له مساس بكلام العرب
قال إبراهيم النظام يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ

وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة وقال
ابن المقفع إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب
الحديث فقوله والأنساب جمع نسب بالتحريك وعلم الأنساب من العلم الغر[illegible] عليهم
للعرب الذي توفرت دواعيهم عليه انصرفت عنايتهم إليه وذلك أن
حاجتهم إليه ضرورية لا يمكنهم العيش بدون معرفة أنسابهم والانتماء بقومهم
وعشائرهم إذ ذاك منوط كمنعهم وغاراتهم وسورهم وحفظهم ومن لا نسب له
معروف ولا عشيرة يذبون عنه فهو مأكول مال له من جنده حتى يستجير بغيره ممن
له قبيل وعشيرة يعتز بهما فكان حفظ النسب عندهم من ضروريات الحياة بخلاف
غيرهم من الأمم الذين كانوا يضبطهم الملك وتحميهم الأسوار فكانوا في غنى
عن حفظ النسب والاعتصام به ولذلك لما جاء الإسلام وانتقلت أمة العرب
إلى المدن والأمصار وضبطتهم الملوك والحكام كغيرهم من الأمم ضاعت أنسابهم
فانبهم منها قبائل فيوفقا لابن خلدون ما ملخصه كره مالك رحمه الله الرفع
في الأنساب وقال من أين يعلم ذلك ونقله ابن أبي زيد في الرسالة وعليه درج كثير
من علماء السلف وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء إلى جواز الرفع في الأنساب
ولم يكترثوا محتجين بعمل السلف وأن الحاجة داعية إليه في كثير من المسائل
الشرعية مثل التعصيب في الإرث والولاية في النكاح والعاقلة في الديات والعلم
بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه القرشي الهاشمي الذي هاجر من
مكة إلى المدينة وتوفي بها وحكم الخلافة عند من يشترط فيها القرشية وكذا من
يفرق في الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم فهذا كله يدعو إلى معرفة الأنساب
ويؤكد فضل هذا العلم وأما ما روي من أن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر
فقد ضعف الأئمة رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والحق في الأنساب أن كل
واحد من المذهبين ليس على إطلاقه فإن الأنساب القريبة التي يمكن التوصل إلى
معرفتها لا يكره الاشتغال بها لما ورد من الحاجة إليها في الأمور الشرعية كما مر
وفي الأمور العادية كثبوت اللحمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة
ومن الحاجة التي دعت العرب في الجاهلية إلى حفظ أنسابهم كما ذكرناه وأيضا
ومنفعة ذلك في إقامة الملة والملك ظاهرة وروي عنه صلى الله عليه وسلم

أنه

أنه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وأما الأنساب البعيدة
العسيرة المدرك التي لا تنبني عليها ثمرة دينية ولا دنيوية فالاشتغال بها مما
لا يغني ومن ثم كراهة مالك رحمه الله لذلك والله أعلم قوله والآثار جمع
أثر بالتحريك ومن الحديث أنه ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثر
عن السلف المقتدى بهم وقد خص بعض الفقهاء هذا الاسم بالموقوف على الصحابة
رضي الله عنهم فالحديث يعمهما وفضل علم الحديث أشهر من أن يذكر وأكثر
من أن يوضع ويفترى كيف وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نضر الله
امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه
رواه الشافعي والبيهقي قوله من تصدى وأهل الكلام من جملة ما ذكرت لهم تمييزه
بالصدق وتمييزه وجزم السبب وأقام المسبب مقامه والله أعلم وفي كلام
الناظم من البديع التعبير ومن أعمال التلميح وقد من ثم أعلم أن الناظم رحمه
الله قد مدح نفسه بما لا مزيد عليه ومدح الإنسان نفسه مستهجن شرعا وطبعا
قال الشيخ أبو حامد الغزالي في كتاب آفات اللسان من الإحياء مدح الرجل
نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد
آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم
وقيل لحكيم ما الذي لا يحسن وإن كان حقا قال مدح الرجل نفسه وقال معاوية
لرجل من سيد قومك قال أنا فقال لو كنت كذلك لم تقلها وقد صرحوا بأن بعض هذه
الأمور يغتفر في الشعر لما أن الشعر له طريقة مخصوصة يتجوز فيه ما لا يتجوز في
النثر كما سنبينه في محله إن شاء الله على أن بعضهم قد اعتذر عمن مدح
لنفسه حتى في غير الشعر فيسأل الإنسان كيف أصبحت فقال أصبحت والله
أظرف الناس وأشعر الناس وآدب الناس فقال السائل أشكت حتى يقول
الناس ذلك فقال أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس أن يقولوا فلم يقولوا
ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك فقال أكله إلى الناس إذا لا يقولونه أبدا
قلت ومن العذر عن الناظم فإنه كان رحمه الله نادرة الزمن في الشعر
والبلاغة والأدب بحيث لم تسمح الأيام بمثله في أعصار ومع ذلك فلم يوجد
من اعتنى بأخباره ولا بالتعريف به كما ينبغي حتى إننا بحثنا عن مولده ووفاته

فلم نكتف بما فعلنا بهما وراء ذلك من جمع ديوان شعره وشرحه مثلا وقد
ذا الحال لأبواب شيد العلم وفحول النحو وزمن أبناء الزمان في المعارف ومن
ينتمي إليها ولله در أبي الطيب حيث قال

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * إن النفيس غريب حيثما كانا

وقد أحسن ابن الرومي في الاعتذار عن مدحه لنفسه حيث قال

وعزيز علي مدحي لنفسي * غير أني جشمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه * كل حر يريد يظهر حاله

فبشر ذا الحسود أنه * يكلف في بحر الهيجا بالغرق
وقل له إذا اشتكى من نصب * أنت الذي سلكت نهج الزلق
وقفت في الحيرة في هذا أسير * مت بغيظك وبالريق اشرق

اللغة قوله الحسود صيغة مبالغة من الحسد وهو تمني زوال النعمة عن
المحسود وانتقالها إلى الحاسد أو تمني زوالها فقط وقال الشيخ أبو حامد الغزالي
رضي الله عنه إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان إحداهما
أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة
النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره
وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص
باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد
اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني والحسد مذموم
في لسان الشرع ولسان الحكماء والأدباء وقد بين لي الأديب المرحل في نظم الفصيح
لفظ الغبطة ومعناها بقوله

وقد غبطت المرء في أحواله * أغبطه بالكسر في استقباله
أعني تمنيت لنفسي مثل ما * له ولن يسلب تلك النعما

قوله يكلف في بحر الهيجا الكلف بالتحريك الولوع بالمطلوب وكلفت بالفلانة
من باب فرح إذا وجد بها والكلفة ما يعزوه وكلفه به تكليفا إذا أمكنه منه
ورجل مكلف صاحب ولوع في الحرب قوله بالغرق هو بالتحريك مصدر غرق في
الماء يغرق كفرح يفرح إذا رسب فيه فهو غرق وغارق وحكى في الانتزاع عن

الخليل أن الغمر ومنه الراسب في الماء من غير مدة فإن دامت فحرقا فهو غمر يعني
مثل كريم هذا كلام العرب وعليه يقول الفقهاء للإنفاد غمر يوان أريد الإخراج
من الماء فهو كما هو وإن أريد خلاصه وسلامته من الهلاك فهو مثل الأول الحديث
لا تنصر سلامته قاله في المصباح قوله من درن الدرن بالتحريك الوسخ
في الثوب والبدن وقد درن درنا من باب فرح فهو درن ودرنه تدنيسا فعل به ما
يشينه ويستعمل في العرض مجازا قوله نبح الزلعوا النبح بفتح فسكون الكلب و
الظبي كالنبح بفتح الجيم والنباح بكسرهما وقد نبح الكلب ينبح نبحا ونبح واستنبحه
كانبح ونبحته أنا وانبحته وضمته يستعملا بلا زمير ومتعديين قوله ووقفه
في الجزولة خاصة أسر لي فيها وزنة وتعريفه في الجزولة خاصة الأسد والجزولة
الإقدام والمضاء بالكسر والمد سنن خفيتي الحيوان ومن عمل ومدرس ويقول بها
منه خص بعيل المغني وفعل قوله فزت بغيظهم الغيظ الغضب المحيط بالكبد
وهو أشد الغضب وفي التنزيل قل موتوا بغيظكم وهو مصدر غاظه إذا أغضبه
فالفاعل غائظ والمفعول مغيظ قالت قتيلة تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

ما كان ضرك لو مننت وربما ☐ من الفتى وهو المغيظ المحنق

وحكى ابن خلكان أن ابن الأعرابي كان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين
الظاء والضاد فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه وينشد

إلى الله أشكو من خليل أوده ☐ ثلاث خلال كلها لي غائض

بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب ه وفي المصباح ولا يكون الغيظ
إلا بوصول مكروه إلى المغتاظ وقد يطلق الغيظ مطلق الغضب في حق الإنسان
فيقال اغتاظ من الشيء كما يقال غضب من الشيء وكذا عكسه قوله وبالزين
اشرو البرين بالكسر ما بين القم والسرة به الغصن في الحلو وزنا ومعنى والله
أعلم الإعراب والتصريف قوله بتبين الفاء بمعنى احتبس
عن شركه وقد تعد يد له إذا عرفت منزلتي في العلم والأدب فبشرى والنون المتصلة
بالفعل للتوكيد وأصلها ثقيلة سكنت خففها كما في قوله عز وجل لنسفعا بالناصية
وليكونا من الصاغرين لأن نون التوكيد الخفيفة تبدل في الوقف ألفا وقد عرفت
أن الحكم إنه تراعى فيه حالة الابتداء وحالة الوقف فما أثبت فيهما أثبت في الحكم

وهذا لا قبله بخلاف الضمير فانه لا يرجع فيه حالة الوصل فافهم والمقصود نعت
لاسم الاشارة او بدل منه وقوله انه يحكم في محل المفعول الثاني لتبيين على
تقدير باء الجر اي بانه يحكم وحذف الجار مع ان وان مطرد وقوله بالعدل
متعلق بيحكم وفي بحر اسمها متعلق به او بالعدل وقدم للافادة الحصر ونصر النجاة
ضرورة وقوله وقد له في جملة معطوفة على التي قبلها واللام في له للتبليغ
وقد فتر الكلام فيهما وقوله اذا اشتكى ظرف متعلق بقال ولا يحتاج ان فيه معنى
الشرط وجملة اشتكى في محل جر باضافة اذا اليها واصل اشتكى واو في الاصل
لكنها استعملت ان لياء لوقوعها خامسة في الكلمة ثم قلبت الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها ويجب كتبها بالياء لا ستعمالها كما قلنا وجملة انت الذي سلكت في
في محل نصب محكية بالقول واتى بعائد الموصول غائبا لانه غائب مع ان العائد الموصول
غائب نكرة ان المبتدا كقول علي رضي الله عنه * انا الذي سمتني امي حيدرة *
والا كثر وان قبيح كما في التسهيل وشرحه للدماميني ان يراعى الضمير الذي هو الموصول
فيقال في كلام علي مثلا انا الذي سمته امه حيدرة وفي كلام الناظم انت الذي سلك
نهج الزلق والوزن يا با عن ذلك قوله وقفت في الجزء الخامس اسم جملة معطوفة
على جملة الصلة قبلها والتقدير انت الذي سلكت نهج الزلق وانت الذي تجاوزت
وتعديت في جراءتك وبغيك ما هو الأسد وقد وقع التتميم في المنصوص على حد قول الشاعر

ولو ان واش باليمامة داره * وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا

قوله حتى بغيبك الفاء استئنافية على راي من اثبته والجملة لا محل لها من
الاعراب وجملة وبالنزل اشتد معطوفة عليها والله اعلم **المعاني** في قوله
تشبه بتغير الى الفاء تتميمة وقوله ذا المقصود وصل اسم الاشارة بكاف
الخطاب ايذانا بتغير منزلته وانحطاطها اما حسا او معنى كما يقال ذا الحد الذي
يمر كذا والفرقان بعدما قرن في الجالس وقوله انت الذي القصر المستفاد من
تعريف الجزءين قصر قلب لان هذا المشكو لما اشتكى من جار النبي وتألم منه
اعتقد حاله انه مظلوم وان النبي جنى عليه اذ الشكاية الحقيقية انما تصدر
من المظلوم فقلب النبي عليه اعتقاده وقال له بل انت جنيت على نفسك
وسلكت نهج الزلق بما جنيت من الاعتداء على مجاهاته والا رادة هذا المعنى قدم

الناظم المسند اليه على المسند واتى بالخبر مقدما له بالجملة الفعلية حتى كان
الإخبار وقع مرتين مع ما في ذلك من تقوية الحكم بتكرر الإسناد وقوله ووقفت
في الجزء لاخاصي اسم فاعل من خصى الأسد خاصي الأسد يضرب مثلا لمن يقدم على
الأمر العظيم ويقدم على الرجل الكبير فيقال اجرأ من خاصي الأسد ولا شك
ان من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وعرضها للتلف وفي حديث علي رضي الله عنه
ان رجلا تزوج بابنة عم له وكانت خنثى ثم وقعت على جارية لها فأحبلتها
فقال علي رضي الله عنه للزوج متى اصبتها بعد احبالها الجارية قال نعم
فقال انك لأجرأ من خاصي الأسد وقوله يمت بغيظك جملة دعائية قال
الزمخشري في قوله تعالى قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى
يهلكوا به وقوله وما يريد اشر دعاء ايضا وهو مأخوذ من قولهم في المثل
شر وقلال بريقه اه اقرأ اذا اقرأ اي شيئا اي بفعله للأرجل الإنسان اقرب شيء
اليه والله تعالى اعلم البيان البشارة والكفر في كلام الناظم كلاهما
مجاز عما يسوء ويؤلم فهما استعارة تهكمية كقوله تعالى فبشرهم بعذاب
أليم وكقولك رأيت أسدا وانت تريد جبانا على سبيل التهكم او التمليح وإضافة
غدر الى الهجاء من إضافة المشبه به الى المشبه ويجوز ان يكون من باب الاستعارة
التخييلية كما قيل به في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل وقد مر الكلام فيه
وقد جعل الناظم الهجاء غدرا كما جعله ابو تمام سورا وغدرا في قوله

من حيث شئت من البلاد فقل بها * سورا عليك من الهجاء وغدرا

وذكر الغرق ترشيح او مجاز عن تكاثر الهجو لديه وترادفه عليه حتى يهوله ويفعل
به فعل الماء بالغريق وهو الكلام وفي قوله من تنير استعارة تهكمية لأنه
اراد به ما يلحق المهجو من عار الهجو وفضيحته وقوله انا الذي سلكت في ترشيح
او استعارة تمثيلية بأن شبه حاله في تعاطيه ما لا يقوى عليه بحال من سلكت
نفع الزلق وهو الكلام ايضا وفي قوله ووقفت في الجزء لاخاصي اسد التشبيه
وقد مر التنبيه عليه وفي كلام الناظم من البديع الاقتباس والتلميح وكلاهما
كما مر والله اعلم **ذكر خاصي الأسد وما قيل فيها** *

زمن الله فيما
ل

ناظم

قال في مجمع الامثال يقال ان حراثا كان يحرث فاتاه الاسد فقال له من الذي ذلل
لك هذا الثور حتى يطيعك قال اني خصيته وما الخصاء قال ادن مني اريكه فدنا
منه الاسد ففعل ذا ليعلم ذلك فشده وثاقا وخصاه فقيل اجرأ من خاصي الاسد
وقال الشيخ اليوسي في زهر الاكم تزعم العرب ان خاصي الاسد رجل مر به الاسد
وهو حراث يحرث بثورين بادنين فقال له يا حراث ما اسمن ثوريك فيم اسمنتهما فقال
الحراث اني خصيتهما فسمنا فقال الاسد فهل لك ان تخصيني عسى ان اسمن سمنهما
قال نعم فامكنه الاسد من نفسه فشده الحراث عليه وخصاه قالوا فجرى الاسد
وهو يسيل دما حتى دخل ربوة فاقعى عليها ثم بقي يتفكر في الحراث فبينما هو كذلك
اذا بثعلب فمر به فقال له ما لي اراك هكذا فذكر له ما فعل به الحراث
وما دهمه من الم الخصاء فقال له الثعلب هل لك في ان اتي الحراث واستنزله
عسى ان تمكنك منه فرصة فتاخذ لك بالثار منه قال نعم فراح الثعلب
وجعل يراوغ الحراث ويلعب به فتنة والحراث يحجره ويقذفه بحجر فبينما
فاتى الاسد وهو على ثلاث قوائم فاقعى معه على الرابية يشكوان بينهما ما لقيا
به من الحراث حتى مرت بهما نعجة فقالت لهما ما لكما على منزل الثعالب
فاخبراها خبرهما فقالت لهما انا اتيه فاستنزله حتى ادخل في انفه فجاءت
اليه وجعلت تقبل الحراث عنهما حتى اذا دنت منه فنزل عليها واخذ عودا فرشقه
في استها وارسلها فجاءت الى الاسد والثعلب وهي في شر من حالهما فرشق العود
في دبرها ومنعها ان تلحق بهما فبينما هم جلوس على الربوة يتشاكون اذ جاءت
امراة الحراث بغدائه فتغدى الحراث ورفع رجليها وجعل يكلمها وهو ينظر الى
تلك الحيوانات فقال الاسد ما ترون هذا المشؤوم يفعل بتلك المسكينة والله
اني لاظنه يخصيها فقال الثعلب ما اظنه الا يكسر فخذيها فقالت النعجة
والله بل يدخل في استها عودا فكانت النعجة اخبر بالامر وكذا وقيل
ان خاصي الاسد من الاقبح الذي يفترس من بيانه حكاه البكري عن قاسم بن
ثابت والله اعلم

وقال الزجاج عند ذلك يا خصي الليل * ذا الاقعاد في اللسان العربي
تكشفت بالزور ما كنت تعي * ان البلاء موكل بالمنطق

ولم تخف من شا من فيما انتضى * سيف البغا فرو جبال العنى

اللعنا قوله يا خبث الخب بفتح الخاء المعجمة الخبيث المخادع وفي الحديث
المومن غر كريم والفاجر خب لئيم وفيه ايضا لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن
ولا سيء الملكة قوله ذا الافعوان هو بضم الهمزة والعين ذكر الافاعي كالثعلبان
لذكر الثعالب والعقربان لذكر العقارب قال الكمال الدميري كنية الافعوان ابو حيان
وابو يحيى لانه يعيش الف سنة وهو الشجاع الاسود يواثب الانسان ومن شأنه
العجيبات قوله تكلفت بالزور اي بالكذب وهو ماخوذ من الازورار الذي هو الانحراف
وزور فلان كلامه زخرفه وقد ورد من الوعيد في قول الزور معروف وحسبك ان الله
تعالى قرنه بعبادة الاوثان في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول
الزور قوله اما كنت تعي الوعظ البعض كانه مشتق من الوعاء الذي هو الظرف
لان من وعيكم مستقر في ذهنه كما تستقر في وعاء وقالت الحكماء ان في الدماغ
بطنا يسمى الحافظة موضع انه المحفوظات وقال الزمخشري كل ما حفظته في نفسك
فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في
الظرف قلت ومنه قول عبيد بن الابرص

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد

قوله فيما انتضى يقال نضوت السيف من غمده وانتضيته اذا سللته وقوله
فر وجبال العنوا في قطعها يقال فريت الاديم اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته
اذا قطعته على وجه الافساد وقال الزمخشري في الاساس يقال افريت وما فريت
اي افسدت وما اصلحت وقال في المصباح وافريت الاوداج بالالف قطعتها وعليه
في الصحاح وعليه فعلى الناظم سؤال والله اعلم الاعراب والنظم بعث
قوله وما الذي دهاك المخ الواو عاطفة وما اسم استفهام اشرب معنى التعجب
مبتدا والموصول وصلته خبر له ويحتمل العكس وجملة النداء بعلقيه معترضة بين
المجرور ومتعلقه والافعوان نعت لذا الاشارية او بدل منه وجملة اللسان نعت
للافعوان او العنوان للسان وجملة تكلفت بالزور قسما ثانية فعر بها تنكيت
للمخاطب وتوبيخه قوله اما كنت تعي الهمزة للاستفهام الانكاري وما نافية
وكان واسمها وجملة تعي خبرها وقوله ان الله من كل بالمنكر محمول تعي على جهته

المفعولية فان فهمت المعنى فتحت همزة ان وكان معنى تعلم حينئذ تعلم وتيقن وان فهمت اللفظ كسرت الهمزة وتعين جعل ما بعده من الجملة كلاما قال ابن هشام فما كان من الجمل من هذا الباب ما تقدمه بمنزلة الجمل في محل نصب اتفاقا ثم قال البصريون النصب بقول مقدر وقال الكوفيون بالفعل المذكور لتضمنه معنى القول وقصر البدلاء ضرورة. قوله ولم تقع من شاعر جملة معطوفة على جملة تكلفت بالزور ويجوز ان تكون معطوفة على جملة ما كنت فتح من مفعولية للهمزة. قوله مهما انتهى جملة في محل النعت لشاعر ومهما اسم شرط وقد استعملها الناظم هنا بمعنى الظرف فقال في شرح الكافية جميع النحويين يجعلونها ومهما مثل من في لزوم التجرد عن الظرفية مع ان استعمالها ظرفا ثابت في اشعار الفصحاء من العرب وانشد ابياتا منها قول حاتم الطائي

وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

والمخالفون على خلاف ذلك قال الزمخشري هذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه وقدره بدر الدين ابن مالك فاستدل به والزلة من الاثبات وقال لا ارى في هذه الابيات حجة لانه يصح تقديرها بالمصدر وعلى رأي ابيه يكون معنى كلام الناظم اي وقت انتهى بسبب الهجاء قرين وعلى رأي الابن والجمهور يكون معناه اي انتهاء انتهى والكلام سبب بشاعة معناه وتركيبها وما يقع على ذلك يذكر في محله والف انتهى اصلها الواو ثم صارت ياء لوقوعها خامسة كما مر غير مرة وقصر الهجاء ضرورة والفا جرى منقلبة عن ياء وتكتب كذلك والله اعلم. البيتان في قول الناظم الافعوان استعارة تصريحية لانه اراد به نفسه والسم اي يشبهون الشاعر المنكبين بالحية والافعى بجامع ان كلا منهما اذا اصاب بلسانه لا يكفي وفي رقية لرايه هذا مجهول وذا الحسية ومنه قول الامام الشافعي رضي الله عنه

والشاعر المنكبين اسود سالخ * والسم منه لعابه ومجاجه

وشهر رأي ابن مالك

وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه

وقوله في اللسان الفرد يحتمل ان يكون بفتح الفاء وكسر الراء صيغة مبالغة ومعناه كثير الفرد أي الفطن أو الفقيه فيكون قد جعل اللسان شيئا ناطقا كما قال حسان رضي الله عنه

لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

ويحتمل ان يقرأ بفتح الفاء والراء فعلا فيكون الفرد بمعنى المنفرد كالقبض بمعنى المقبوض والقنص بمعنى المقنوص ومُعتركهم وقد شاع في كلامهم فلان فتق اللسان وشقوقه ومفتوقه اذا كان فيه فصاحة وجراءة قال أبو تمام

راحتي في الثناء فما بقيت لي * فضلة من لساني المفتوق

وهذا الاحتمال أولى لأنه يلائم ما قبله اذ لسان الافتقار كذلك مفرد في نفسه لا خبر مع ذاك يتبع للمعنى المراد من الأول فيكون ترشيحا للاستعارة كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

والشاهد في عجز البيت والإضافة في سيف الرجاء من إضافة المشبه به الى المشبه أو من باب الاستعارة التخييلية كجناح الذل ويحتمل ان يكون أراد بالسيف نفس اللسان والإضافة لشبه الملك فيكون استعارة تحقيقية وذكر الفرد ترشيح وفي قوله حبال العفو استعارة تحقيقية أيضا لأنه أراد به العصب او العروق التي تسمى الاوردة من حيث ان الاعضاء ترتبط بها كما ترتبط بالحبال وفي كل عضو وريدان يكتنفان صفحتيه من مقدمه مما يلي الرأس الى الوتين ومن تشبيه الوريد بالحبل قول رؤبة يصف رجلا شجاعا

غضنفر تلقاه عند الغضب * كأن وريديه رشاءا خلب

يعني كأن وريديه حبلا وأرشاء الحبل او حبل الليف وفي التنزيل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

ثم أورد إن البلاء موكل بالمنطق

اعلم ان ان البلاء موكل بالمنطق أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعن ابن عباس رضي الله عنه قال حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا وأبو بكر معه حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان رجلا نسابة فسلم فردوا

عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال واي ربيعة انتم امن هامها ام من لهازمها قالوا من هامها العظمى قال واي هامتها العظمى انتم قالوا ذهل الاكبر قال امنكم عوف الذي كان يقال فيه لا حر بوادي عوف قالوا لا قال امنكم جساس ابن مرة حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا قال امنكم بسطام بن قيس ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال امنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها انفسها قالوا لا قال امنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال افانتم اخوال الملوك من كندة قالوا لا قال افانتم اصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم ذهلا الاكبر انتم ذهل الاصغر قال فقام اليه غلام من القوم حين بقل وجهه فقال

إن على سائلنا ان نسأله * والعبء لا تعرفه او تحمله

يا هذا انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل فقال ابو بكر من قريش فقال بخ بخ اهل الشرف والرياسة فمن اي قريش انت قال من تيم بن مرة قال الفتى امكنت الرامي من سواء الثغرة امنكم قصي بن كلاب الذي جمع الله به القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا قال لا قال امنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال امنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كأن وجهه قمر يضيء في الليلة الظلماء الداجية قال لا قال امن المفيضين بالناس انت قال لا قال امن اهل الندوة انت قال لا قال امن اهل الرفادة انت قال لا قال امن اهل الحجابة انت قال لا قال امن اهل السقاية انت قال لا واجتذب ابو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درء السيل درء يدفعه * يهضبه حينا وحينا يصدعه

اما والله لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش او ما انا بدغفل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لابي بكر لقد وقعت من الغلام على باقعة قال اجل ان لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق. قلت شرح هذا الخبر وما اشتمل عليه من النكت والتلميحات يطول والغلام المذكور هو دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة المشهور اسلم وعاش الى خلافة معاوية رضي الله عنه ووفد عليه واعجبت معاوية بعلمه وقال له بم ادركت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وهو احد العشير تثنية عشر بكسر العين المهملة وبالفاء

المعجمة ومعنى الداهية من الرجال قاله في القاموس والعطار زبن بن الحرث النمري
ودغفل بن حنظلة الذهلي عالما العرب بحكمها وايامها اهـ وقال الفقيه في

احاديث من انباء عاد وجرهم * يثورها العطار زبن ودغفل

وقتل دغفل في وقعة دولاب قتلته الخوارج وقيل ان الذي قال البلاء موكل
بالمنطق هو النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن المسعودي في مروج الذهب وجعل
ذلك من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق اليها وذكر من ذلك جملة
وافرة فليشتغل من اراده وقيل هو من كلام عبيد بن شرية الجرهمي الذي عاش ثلاثمائة
سنة وادرك الاسلام فاسلم والصحيح الاول وقد نظم الشاعر ذلك فقال

احفظ لسانك ان تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

والكلام في التحذير من اللسان وآفاته شهير في الكتاب والسنة وكلام السلف
وكلام الادباء والحكماء ومن اراد شيئا من ذلك فعليه بكتاب آفات اللسان
من الاحياء للامام الغزالي رضي الله عنه فانه جمع فاوعى ومن الطيف ما قيل
في ذلك قول بعضهم رحم الله امرءا اطلق ما بين كفيه وامسك ما بين فكيه
والله تعالى اعلم * *

فلتق نفسك بكفيك ولا * تسم قبيح النطق بالتشدق
من الخنى لك واستمع الى * نصح الحكيم الخامر المحقق

اللغة قوله فلتق نفسك الوقاية الحفظ وقد وقاه الله الشر وقاية
بالكسر حفظه والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئا وروى ابو عبيد عن الكسائي
الفتح في الوقاية والوقاء وحقيقة النفس الانسانية مما تعددت فيه المقالات
وكثرت فيه الخرافات وتشعبت فيه الضلالات قديما وحديثا الى ان انتهت
اقوالهم فيها الى ثمانية الف قول وما يعقلها الا العالمون قال الله تعالى قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا واحسن من تكلم في ذلك فيما
المتاخرين الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في رسالته المسماة
بالنفخ والتسوية فينبغي لمن سمت همته الى اقتناء المعارف ان ينظر في ذلك
الكتاب فقد اتى فيه بالعجب العجاب قوله بكفيك تثنية كف وهي من الانسان
معروفة وقال الازهري الكف الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى

عن ابن بري قوله ولا تسم بفتح التاء وضم السين من قولك سمته سومة اذا عرضت
له بيعا واوليته اياه واصله من سوم السلعة عند المبايعة والتمشير بالميم
كلمة مولدة وانما العربية المحضة التبشير وبشير الدال بالميم في الصحاح وغيره
التبشير والذي يلوح شرفه للتفقه قوله نصح الحكيم النصح بالضم معروف والاسم
النصيحة يقال نصحت فلانا ونصحت له يتعدى بنفسه وباللام وهذا هي اللغة
الفصحى قال تعالى ونصحت لكم واشتقاق النصيحة اما من النصوح وهو الخلوص
قال الاصمعي الناصح الخالص من العسل وغيره مثل الناصع واما من النصح بفتح
وسكون وهو الخياطة قال الجوهري لانه خاط النصيحة التلفيق بين الناس من
النصح وهو الخياطة وذلك ان يلفق بين المتعاديين والحكيم المصيب في اقواله
وافعاله وللناس في تعريف معنى الحكمة كلام طويل يخرجنا التعرض له عن المقصود
والاقرب ما قلناه قوله الهامر هو الماء والمطر والسابغ الجيد واما المعنى
بعد تفريع الكلام عليه والله اعلم معنى الكلام يقول اذا كنت ايها
العاجز لا تقوى على المعارضة ولا تجد سبيلا الى المناهضة فبذل المحاولة
اجدر لك مما تروم من معارضة الشيء بالعصا واتقاؤك بالخضوع انفع
عليك مما تريد من معاطاة الشغب بالعصا اذ لا شيء انفع للعاجز من القاء
السلاح ومن راى اعوذ للضعيف من ترك الفخار والجماح كما قال ابو الطيب

اعز وارهما من خضوع ويكا عنوا * فما الجبن حتى ... غرب الفيافي

والاكتفاء بالكف في كلام الناظم كناية عن الذلة والخضوع اذ شأن الذليل
العاجز ان يتقي من يصول عليه بيديه ويدفعه عنه براحتيه فالكف قالت فاطمة
بنت الاجم وقد تمثلت به فاطمة الزهراء رضي الله عنها يوم وفاة ابيها
صلى الله عليه وسلم

* * *

قد كنت لي جبلا الوذ بظله * فتركتني امشي باجرد ضاحي
فاليوم اخضع للذليل واتقي * منه وادفع ظالمي بالراح

ثم قال فاترك ما انت عليه مما يفرد واقبل على استماع ما يرشد ولا يبغ له
لما انطوى عليك من الوصايا الحسان والحكم التي اربت على حكم لقمان ومن مثلها
يعلي ابناكم رحمه الله اي من الحكم والامثال فقال

*

وبكر مهذب الطباع ماجدا * بحكم وآداب فعنترى
وعاشر الناس بعشر خلقي * تحمد عليه زمن التعثر

اللغة

قوله بكر ومهذب الطباع اهل التهذيب التنقية وابن فلاح تقول هذبت النخلة اذا نقيت منها الليف ويقول ثم قالوا رجل مهذب اذا كان مطهر الاخلاق ومنهما قال النابغة * ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اي الرجال المهذب والطباع بالكسر السجية التي جبل عليها الانسان وهو لغة مفرد يجمع على طبع بفتحتين ككتاب وكتب والمشهور الطباع جمعا للطبع كما قد يتوهم نص عليه ابن القطاع وغيره ونقل ابو البقاء عند قول المتنبي * لا

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

انه قد نص عليه وتأنيث الطباع بالتاء العوضية فانكره وقال لي اقل هكذا يعني انه انما قال وتأبى بالياء التحتية لان الطباع عنده مذكر وقوله تحمد عليه زمن التعثر بفعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله مجزوم في جواب الامر وزمن التعثر ظرف متعلق به والله اعلم **معنى الكلام** يقول اذا وعيت ما اوصيتك به ايها المتأهل للحكمة المتأهل منه الاستماع: فكن مهذب الطباع: متحليا بالآداب والفضل متخلقا بالخلق واهل الكرم والبذل: ماجدا بحكم جامعة وآداب مفترقة لكن الزائد وتمامه ابيه فان خير العلم ما عوض به وقد قيل العلم اكثر من ان تحوى فخذوا من كل شيء احسنه ولكنه قد قال وينسب الى علي رضي الله عنه

ما حوى العلم جميعا احد * لا ولو مارسه الف سنة
انما العلم بعيد غوره * فخذوا من كل شيء احسنه

وقيل ما يتعلق بالعيون والبقر والثمرات لا يشبهنا فلذا اجمل اذا احد انت ثمرتها نافعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما العلم كثير فخذوا احسنه اما سمعتم قول الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال الشاعر

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم * في العين فضل ولكن ناظر العين

وذلك انه لا يكون الاديب اديبا حتى يتبع الامثال السائرة: والابيات النادرة: والحكايات المعجبة: والنكتة المطربة: والحكمة الجامعة: والفوائد النابعة: وقال يحيى بن خالد البرمكي من كل فن طرفا فمن جهل شيئا عاداه واكثره

ان تكون عدوا لشيء من الاداب وقيل اذا اردت ان تكون عالما فاقصد فنا واحدا
واذا اردت ان تكون اديبا فخذ من كل فن وقيل من لم يعلم الا فنا واحدا من العلم
سمي المتقن من العلماء قال في ارشاد القاصد واعلم انه لا شيء ولا واحد من
العلوم من حيث هو علم بضار بل نافع ولا شيء من الجهل من حيث هو جهل بنافع بل
ضار لان في كل علم منفعة اما في امر المعاد او المعاش او الكمال الانساني واذا
يتوهم في بعض العلوم انه ضار او غير نافع لعدم اعتبار الشروط التي يجب
مراعاتها في العلم والعلماء فان لكل علم حدا لا يتجاوزه وكذا موضوعا لا يخلط به
قلت ومن الكلام على قولهم ان العلم من حيث هو علم لا يتصور فيه الا النفع
فان العلم اشرف ولذا قالوا ان الجهل يكفي بكونه عارا وان ما ورد في بعض العلوم
انما هذا لاجل حتى قيل بمعرفتها باعتبار ذاتها بل من جهة معينة من فقد شروطها او وجود
ذريعة اقتضى الشرع سدها او نحو ذلك اما اذا اجتمعت الشروط وانتفى الشك
من ذلك بعدم تعلم المكروه او الحرام فلا باس حينئذ بتعلم اي علم كان بل قد يجب
كالسحر فانه حرام ومع ذلك فقد قالوا انه يجب تعلمه في بعض الاحيان كما لو
ظهر ساحر في بعض الافاق وادعى النبوة او الولاية فلو لم يوجد منا من
يعرف السحر ويعرف فساده ويميزه حتى يتمكن من ابطال ما عمله من جنس علمه
لربما افتتن بذلك الناس الا ترى ان من عظم ما كان معجزة لموسى عليه
السلام من قبيل السحر انما هو لما جمع السحرة الماهرين في تلك الصناعة
فافهم والله الموفق اعلم انه اذا سمعت مثلا لتعاطي فنون كثيرة فاياك
ان تعتقد ان ذلك ممكن في دفعة واحدة كما يفعله المتعاطون في هذا الزمان
يحضرون في ساعة واحدة درس الفقه في الصباح ودرس النحو في المساء وذلك مخل
في التعلم والتعليم وقل ان يحصل طالب العلم في ذلك على طائل او تستحكم له فيه
ملكة ومن اعظم الاسباب الموجبة لقلة العلم في زماننا وانقراض اهله بل من اعظمها
ومنها ايضا الاقبال الكلي على كتب المتاخرين وهجر كتب المتقدمين فان في ذلك
من الضرر على طلاب العلم ما الله اعلم به ولو اراد الله تعالى بالناس خيرا
لهجروا هذه الكتب المتاخرة ورجعوا الى كتب السلف ولا كثير زاد فيما فضل
الله سبحانه والكلام هنا طويل الذيل وما احوج الناس الى تاليف يكشف

تمم

بعض من مزايا العقل ويشرح لهم مزايا الفضائل مع ان جلها يدرك بالتجربة والفكر
العادة الى الصواب تتمة قال الناظم رحمه الله وعاشر الناس بحسن خلق تبد
بانه ملاذ الخير كله وناهيك ان الله تعالى اثنى على نبيه به فقال وانك لعلى
خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله
وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان
فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم محاسن الأخلاق وقال
صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه
وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق يا رسول الله قال ان تصل من قطعك
وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال
زدني قال خالق الناس بخلق حسن نقله في الاحياء وقد ينبغي ان ثمرة حسن الخلق
الالفة وانقطاع الوحشة والذكر بخير بعد الموت واستجلاب الرحمة بعد النقلة
الى الدار الآخرة فاذا انشأ عن حسن العشرة علم ينتفع به في اعمال المعاشرين وتلك
المعرفة الجارية والعمل الرائج كما قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم
انقطع عمله الا من ثلاث منها علم ينتفع به في صدور الرجال وهذا معنى قول الناظم
رحمه الله تمر عليه زمن البقا واعلم انه تبين في علم الاخلاق ان الفضائل
الانسانية التي هي امهات اربع وهي العلم والشجاعة والعفة والعدل
وما عداها فهي فروع عنها وترجع اليها فالعلم فضيلة النفس الناطقة
والشجاعة فضيلة النفس الغضبية والعفة فضيلة النفس الشهوانية والعدل
فضيلة التفسح بين تلك القوى الثلاث فهو عام في الجميع والنفس الناطقة
اشرفها ففضيلتها اشرف وعليك بكتاب رياضة النفس من الربع الثالث من
الاحياء ففيه الشفاء من كل داء والله تعالى اعلم *

ولا تصاحب من يرى لنفسه * فضلا فلا فضل له عند المتقي
وكل من ليس له عليك من * فضل فلا تكرمه بالتملق

يعني ان المتكبر ظالم وكذا المتهاون بكم اذ قولهم في المثل المشهور ولا تصحب

من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له وقال بعض الحكماء البرمكي في معناه ومنه أخذ كما

تذلل لمن إن تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله

وجانب صداقة من لم يزل * على الأصدقاء يرى الفضل له

وأما قوله وغير المتقي فهو كقول صاحب الحكم العطائية رضي الله عنه
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وانظر كتاب آداب
الصحبة من الإحياء تستفد وأما قوله وكل من يسر له عليك من فضل البيت فهو من
تتمة المعنى المتقدم ورفع الهمة مطلوب ومحمود شرعا وطبعا لا سيما على أبناء
الدنيا فقد قال علي رضي الله عنه ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء اتكالا
بما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله ومن
تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا
إلا تحول ما به إلي يعني أنه يتكبر عليه ويتكبر ذلك الحكيم عليه وقال رحمه الله

لم ألق مستكبرا إلا تحول لي * عند اللقاء له الكبر الذي فيه

ولا حلا لي من الدنيا وزينتها * إلا مقابلتي للتيه بالتيه

ومن كلامهم الجوع خير من الخضوع ولقد أجاد الشيخ أبو الحسن بن أبي الصقر
الواسطي وأغرب حيث قال *

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق

وأنا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق

لست أرضى من فعل إبليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وفي الإحياء إن التواضع وسط بين طرفين بين طرف فيه الميل إلى الزيادة يسمى تكبرا
وطرف فيه الميل إلى النقصان يسمى خساسة ومذلة والوسط يسمى تواضعا
والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فإن كلا طرفي الأمور ذميم
وأحب الأمور إلى الله أوسطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم
فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم إذا دخل عليه إسكاف
فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه
فقد تخاسس وتذلل وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطي
كل ذي حق حقه وسبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ومن دونهم حتى يخف

فليعلم أن التواضع المحمود في مماشي العادة أن فإن زاد حتى أشبه التملق والتخاشع
فقد خرج إلى طرف النقصان وليس بمحمود إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه إلى أن يعود إلى
الوسط الذي هو الصراط المستقيم هـ باختصار والله الموفق *

(وفوق سهم النميري خير * للكبر والعلياء لم يوفق) اللغة

قوله وفوق سهم النميري تقول فوقت السهم تفويقا إذا جعلت له فوقا وهو
الحز الذي يجعل فيه الوتر وإذا وضعت السهم في الوتر لترمي به قلت أفقته إفاقة
وأما السهم فهو واحد النبل وقيل السهم نفس النصل والنميري نسبة إلى نمير قبيلة والكبر
جمع كبرى مؤنث أكبر وتذكر وتؤنث وهي منه مجاز عن وجود الشرف وأشباهه والعلياء
فعلاء من العلو وهي في الأصل وصف للمنزلة العالية حسا أو معنى ثم كثر استعمالها
في الخصلة المحمودة حتى التحقت بالأسماء والتوفيق عند الأشعري والأكثر إطلاق
خلق القدرة على الطاعة وضده الخذلان وهو خلق القدرة على المعصية وقال إمام
الحرمين التوفيق خلق الطاعة لا خلق القدرة عليها والله تعالى أعلم الإعراب
قوله وفوق فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وتكتب بالألف مراعاة لحالة الوقف
كما مر عند قوله فبشر ذا المسودة وقوله لمن لكبر والعلياء في اللام تعليلية
وفي الكلام حذف وتقديم وتأخير والتقدير فوقن سهما مثل سهم النميري لأجل من
لم يوفق للسلوك للكبر والعلياء والله أعلم ومعنى الكلام من هذا البيت أيضا
من معنى ما تقدم من البيت على رفع الهمة والترغيب فيما عن فساد النفس وأشباهها
ففي جمع الجوامع وذو النفس الأبية يربأ بها عن سفاسف الأمور ويجنح إلى
معاليها وأصله الحديث الشريف إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها
رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير والأوسط ومعنى قول الناظم
سهم النميري أي سهما مثل سهم النميري في كونه لا يخطئه ولا يزال به حتى يصرعه
على ما يأتي بيانه فإن قد منزله هذا لبئة الموت أو زبير من الجبال به حياته كالعدم
ولهذا قيل * *

أخو العلم حي خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الأحياء وهو عديم

وما ذكره الناظم إنما هو مقتضى المبالغة الشعرية وإلا فكذا من أراد أن ابشر

القتال بسبب شغوفهم بالهمة وقال ابن الكيب ومن امثال الشاذين في علو الهمة والرغاب بالنفس كل قرعب

عجبت لمن له قد وحد * وينبو نبوة القضم الكهام
ومن يجد الطريق الى المعالي * فلا يذر المطي بلا سنام
ولم ار في عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام

وقال قبل هذا

وآنف من اخي لابي وامي * اذا ما لم اجده من الكرام

ذكر النميري وسهمه

اما النميري فهو ابو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة النميري الشاعر المشهور كان من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وقد مدح الخلفاء منهما جميعا وكان فصيحا مقصدا راجزا من ساكني البصرة قال ابن رشيق في العمدة كان ابو حية النميري من احسن الناس شعرا مرتما بالعزه وقد نزل عنده كثير التعصب له والرواية عنه وفي الاغاني كان ابو حية اهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك اجمع وكان ابو عمرو بن العلاء يقدمه وقيل انه كان يصرع وسيأتي بعض اخباره في الهوج والجبن واما سهمه المضروب به المثل فهو ما حدث عن نفسه يوما فقال عن لي ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات ومن كذبه في السهم ايضا انه قال يوما رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل ان يدركها ه قلت ومن هنا اخذ المتنبي قوله يصف جوادا بجودة الجري

يكاد يصيب الشيء من قبل رميه * ويمكنه في سهمه المرسل الرد
وينفذه في العقد وهو مضيق * من الشعرة السوداء والليل مسود

وقد ضرب المثل بسهم النميري خليل بن ايبك الصفدي في قوله

وشادن ان هب عرف الصبا * شممت منه عرفه كتيبه
اميل عنه خوف واش له * وقلبه يتبعني غيبه
كانني في قرانه كتيبه * وكم به سهم ابي حيه

وقد تبع الصفدي في ذلك ابن نباتة على عادته حيث قال

وبديع الجمال لم ير طرفي ... مثل أعطافه ولا كطرف غريره

كلما رقّ عن مقالة لفظي ... سهم ألحاظه كسهم النضيري

ونحوه في أشعار المولدين كثير ومن أخبار أبي حبيبة في الكذب ما حدث به عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال كان أبو حبيبة النميري من أكذب الناس فحدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء فقيل له يا أبا حبيبة أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع بك قال أبعدها الله إذاً ومن أخباره في الجبن ما حدث به ابن قتيبة أيضا قال كان لأبي حبيبة سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان من أجبن الناس قال فحدثني جار له قال دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصا فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك إني والله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبينما هو كذلك إذ خرج الكلب فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا وقال سلمة بن عياش لأبي حبيبة أتدري ما يقول الناس قال وما يقولون قال يقولون إني أشعر منك قال إنا لله هلك والله الناس * وقوله في أبيات كيما أنكر

(وافعل بمن ترتاب عنه مثل فعل المتلمس اللبيب المحترز
ألقى الصحيفة بنهر حيرة + وقال يا ابن مبذر أعز وانتزر)

اللغة قوله بمن ترتاب من الارتياب الشك والتهمة فإذا قلت ارتبت فيه فمعناه شككت وإذا قلت ارتبت به أو منه فمعناه اتهمته وتخوفته منه وهو المراد هنا والاسم الريبة بالكسر والمتلمس يأتي خبره واللبيب العاقل وجمعه الألباء وهو من اللب بالضم وهو العقل وأصله الخالص من كل شيء وقد لببت يا رجل بالكسر تلب لبابة أي صرت ذا لب وحكى يونس لببت بالضم وهو نادر لا نظير له في المضاعف والمحترز بكسر الزاي المعجمة الحازم وقد حزر الحصيف الرأي حزارة والفعل يحزر حزرا وحزارة إذا اهتم به وحزر بالكسر حزرا لغة قوله ألقى الصحيفة

قال في القاموس الصحيفة الكتاب والجمع صحائف وصحف ككتب نادر لأن فعيلة
لا تجمع على فعل قوله بنهر حيث ان النهر الماء الجاري المتسع والجمع نهر بضمتين وانهر
والنهر بالفتح لغة والجمع انهار مثل سبب واسباب ثم اطلق النهر على الاخدود مجازا
للمجاورة فيقال جرى النهر وجرى النهر كما يقال جرى الميزاب والاصل جرى ماء النهر قاله
في المصباح والحيرة بكسر الحاء المهملة بلد معروف بازاء خبرة قوله ازعد وابرق يقال
رعدت السماء وبرقت ثلاثية اذا وعدت وتهددت قال ابن احمر

يا جل ما بعدت عليك بلادنا * وطلابنا فابرق بارضك وارعد

وسيأتي شعر المتلمس في هذا المعنى واما ابرق وارعد رباعيا فقد انكره الاصمعي
ابي الدخول في البرق والرعد كما نقله في نوادره عن ابي حاتم قال قلت للاصمعي
اتقول في التهدد ابرق وارعد فقال لست اقول ذلك الا ان ارى البرق واسمع الرعد
قلت فقد قال الكميت

ابرق وارعد يا يزيد * فما وعيدك لي بضائر

فقال الكميت جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة والحجة الذي يقول يعني المتلمس

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية * فقل لابي قابوس ما شئت فارعد

قال ابو حاتم فاتيت ابا زيد فقلت له كيف تقول من الرعد والبرق في فعلت السماء
فقال رعدت وبرقت قلت من التهدد قال رعد وبرق وارعد وابرق فاجاز اللغتين
جميعا واقبل اعرابي محرم فاردت ان اسأله فقال لي ابو زيد دعني فانا اعرف
بسؤاله منك فقال يا اعرابي كيف تقول رعدت السماء وبرقت او ارعدت وابرقت
فقال رعدت وبرقت فقال ابو زيد فكيف تقول للرجل من هذا فقال امن الجخيف تريد
والجخيف التهدد فقال نعم فقال اقول رعد وبرق وارعد وابرق قلت وقد علمت
ان كلام الناظم جار على المشهور تعليله والله اعلم **الاعراب والتعريف**
قوله وافعل من ترتاب منه جملة معطوفة على ما قبلها وافعل مفعول مقدم ومعنى
ترتاب منه متعلق به والف ترتاب منقلبة عن ياء وقوله مثل فعل المتلمس مفعول
مطلق معمول لافعل ومثل على حذف موصوف اي فعلا مثل فعل المتلمس واللبب والحذر
نعتان للمتلمس والحذر ومنهما صيغة مبالغة كحذر في حاذر قال الشاعر

حذر امورا لا تخاف وآمن * ما ليس منجيه من الاقدار

فقوله الفعل التمييعية جملة مفسرة لفعل المتلمس كقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فجملة خلقه تفسير لمثل آدم ويحتمل ان تكون مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل ماذا فعل فأجاب بقوله الفعل التمييعية كقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم كأنه قيل ماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم وعلى كل حال فلا محل لها من الاعراب ويجوز ان تكون بدلا من فعل المتلمس على رأي من اثبت بدل الجملة من المفرد فجملة حينئذ في محل جر والف الفعى منقلبة عن ياء فتكتب ياء وقوله يومئذ حين اذ مضاف ومضاف اليه وجره لفتحة الحيرة من ال ضرورة والا فجمع فيه لازمة لكونها فارقة ومنعه كالسموءل وجملة وقال بيت ابن منذر معطوفة على جملة الفعل وصرف لفظة منذر على آخر التعبير فيها فأتى الفاعه

وجمع ربع الفادج تذكيرا سبق * وجمعه كمنذر والمنع احق

ويجوز كسر التنوين من منذر على اصل التقاء الساكنين وضمه اتباعا لثالث ما بعده ومعنى البيت من اراد عمرو وقد قرئ قوله تعالى محظورا انظر وعمرو بالوجهين والله اعلم

* ذكر الحيرة وما قيل فيها *

الحيرة بالكسر بلد قريب من الكوفة والنسبة اليها حيري على القياس وسمع حاري على غير قياس ومعن غيره داخلة في حكم السواد لان خالد بن الوليد فتحها صلحا في زمان ابي بكر رضي الله عنه ثم كان فتح السواد في زمان عمر رضي الله عنه والحيرة كانت في الجاهلية دار ملك اللخميين من آل المنذر وقيل انما سميت حيرة لان ابا كرب اسعد التبع بعد كان قد غزا المشرق ومر بارض الحيرة فتحير عسكره هنالك فخلف بها قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فاقاموا هنالك وبنوا الاطام وانضم اليهم غيرهم فسميت الحيرة ويقال لها البيضاء قال ابو الحمراء الاسدي وقد حلق صاحب الشركية راسه

* *

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط * اذا حلف الايمان بالله برت
لقد حلقوا منه غدايا كأنه * عثاكيل كرم اينعت فاسبكرت
وظل العذارى يوم تحلق رأسه * على عجل يلقطنها حين خرت

وقال الآخر

يا لهفتا ان الغرور لخزي * هل ترى اليوم غير ملك فان
اين رب السدير والحيرة البيضاء * اين صاحب الايوان *

قال الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم ولا يبعد أن تكون سميت حيرة لبياضها من قولهم
حورت الثياب إذا بيضتها ومن محاسن الحيرة الخورنق والسدير بناءان للنعمان الأكبر
على ثلاثة أميال منها في جهة الشرق وقد مر ذكرها والسدير نهر بناحيتها وقيل
السدير قصر عظيم في بريتها بناه بعض الملوك اللخميين وفي ذلك يقول الأسود بن يعفر

أرض الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد

وبارق موضع هنالك وسنداد نهر معروف أيضا وفي الأغاني عن سليمان بن بشر
قال كان بعض ولاة الكوفة ينزل الحيرة في أيام بني أمية فقال له رجل من أهلها وكان
عاقلا فلم تعيب بلدتنا بعد ما تمثل في الجاهلية والإسلام فقال وبماذا تمدح
قال بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلح للخف والظلف سهل وجبل
وبادية وبستان وبر وبحر محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم وقد قربتها
أصلحك الله فخيا برجعت متقلدا وزرتها متقلدا فما رأيت منكرا قال فكيف نعرف ما
وصفتها به من الفضل قال بأن تصيرني ثم ادع ما شئت من لذات العيش فوالله لك
أجوز بك الحيرة فيه قال فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك قال افعل وصنع لهم طعاما
وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحبارى
وسقاهم ماءها في قلالها وخمرها في آنيتها وأجلسهم على فرشها وكان يتخذ بها من
الفرش أشياء كثيرة ولم يستخدم لهم حرا ولا عبدا إلا من مولديها ومولداتها من
خدم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لغتهم لغة أهلها ثم غناهم حنين الحيري وأصحابه وشهور
وأصحابه في شعر عدي بن زيد العبادي شاعرها وأعشى همدان لم يتجاوزهما وحياهم
بريحانها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بعد أكلهم ثم قال له هل رأيتني استعنت
على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة
قال لا والله ولقد أحسنت صفة بلدك ونصرته فأحسنت نصرته والخروج مما
ضمنته فبارك الله لكم في بلدكم وقد خرب بنا الحيرة اليوم ولا بقي من قصورها ما
يعهد بآثار وبيع للنصارى وفلاة الرشا

ذكر المتلمس وصحيفته

أما المتلمس فهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب
ابن جلي بن أحمس بن ضبيعة وهو الأضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الضبعي
الشاعر وإنما لقب بالمتلمس بصيغة اسم الفاعل لقوله من قصيدة *

فهذا أوان العرض حُيَّ ذبابه * زنابيره والأزرق المتلمس

والعرض واد باليمامة وهو من ضبيعة أضجم بالضاد المعجمة والجيم كما ذكرناه في نسبه وأن الضبيعات في العرب أربع ضبيعة أضجم بالإضافة وهو ابن ربيعة بن نزار ومنهم المتلمس كما ذكرنا وضبيعة بن قيس بن ثعلبة ومنهم صاحبه وابن أخته طرفة بن العبد الشاعر المشهور وضبيعة بن الحارث بن ربيعة وضبيعة بن عجل بن لجيم وكانت ضبيعة قيس قد قتلت علقمة بن زرارة التميمي فقتل حاجب بن زرارة أشيم ابن شراحيل القيسي الذي يقال له ماوي الصعاليك بأخيه علقمة وقال في ذلك

فإن تقتلوا منا كريما فإننا * أبأنا به ماوي الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها * ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان المتلمس قد نشأ في أخواله من بني يشكر ويقال إنه ولد فيهم وساكنهم حتى كادوا يغلبون على نسبه وهو آخر الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنهم أشعر المقلين وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام وقال ابن فضل الله في حقه هو رجل نبيه الذكر معروف بصحيفة الفكر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته قلت وإليه الإشارة بقول الناظم اللبيب الحاذق ومن جيد شعره قوله

ألم تر أن المرء رهن منيته * صريعا لعافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة * وموتن بها حرا وجلدك أملس

فمن حذر الأوتار ما حز أنفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وقوله إلى كل قوم سلم يرتقى به * وليس إلينا في السلالم مطلع

ويهرب منا كل وحش ويتقي * إن وحشنا وحش البلاد فيرتع

وقوله لحفظ المال خير من فناء * وسير في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

أي غيره الذي مما يكون كذلك وأما صحيفته فكان من حديثها ما حكاه المفضل الضبي وغيره قال كان عمرو بن هند الملك وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وماء السماء أمه وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده وهما أمهما هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ملك كندة فوفد عليه المتلمس وابن أخته طرفة بن العبد فجعلهما في صحابة قابوس وأمرهما بلزومه

وكان قابوس شابا يعجبه اللهو وكان يركب يوما للصيد فيركض ويتصيد وهما
معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد لغبا ثم يكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان
بباب سرادقه الى العشي وكان ذا دأبهما معه حتى كان قابوس يوما على الشراب
فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة وقال

ليت لنا مكان الملك عمرو	رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات أسبل قادماها	وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها	وتعلوها الكباش فما تنور
لعمرك إن قابوس بن هند	ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي	كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم	تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم نحس	تطاردهن بالحدب الصقور
وأما يومنا فنظل ركبا	وقوفا ما نحل ولا نسير

البيت الاول من هذه الأبيات مخروم بالراء المهملة والرغوث المرضع والمراد هنا
النعجة او الشاة بدليل الاول قوله تخور فان الخوار صوت البقر ويدل الثاني قوله
وتعلوها الكباش والزمرات القليلات الصوف او الشعر وقادماها خلفاها
وضرتها بفتح الضاد المعجمة لحم ضرعها ومركنة ذات اركان وجوانب ودرور ذات در
اي اللبن والرخلان رخل والرخل ولدها وما تنور اي ما تنفر والنوك الحمق والكروان بكسر فسكون
جمع كروان بالتحريك والحدب بالتحريك ما ارتفع من الارض وهم من كل حدب ينسلون
يقول ليت لنا بدل هذا الملك شاة قليلة الصوف ضعيفة الحركة يضعها
ولدان حتى لا يكون فيها خير وكان عبد عمرو بن بشر الضبعي ابن عم طرفة وهو
من سادات زمانه ومن اكرم الناس على عمرو بن هند فشكت اخت طرفة يوما اليه
شيئا من زوجها عبد عمرو فعابه طرفة ووصفه في شعر وكان سمينا بادنا فقال

يا عجبا من عبد عمرو وبغيه	لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما
ولا خير فيه غير أن له غنى	وأن له كشحا اذا قام أهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله	يقلن عسيب من سرارة ملهما
له شربتان بالعشي وأربع	من الليل حتى آض سخدا مورما

ويشرب

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه   وإن أعطه أترك لقلبي مجثما

قوله فانعم أي فبالغ والضمير وهو للكشح أي الكشح والعسيب جريدة النخل المستقيمة الرقيقة التي كشط خوصها وملهم قرية باليمامة كثيرة النخل وسرار بقعة أكرم موضع فيها والشم بالضم الورم وقيل السلا الذي يخرج مع الولد فقد وقعت بمصبغة النساء وشبه بدنه في نعومته بالورم والسلا المنتفخ وهو مع ذلك خبيث قيل إن عمرو بن هند خرج يوما إلى الصيد ومعه عبد عمرو فرأى حمارا فعقره وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل وعالجه فأعياه فضحك منه عمرو بن هند وقال لقد أبصرك طرفة حين قال وإن له كشحا إذا قام أهضم ويقال إنه دخل معه الحمام فرأى كشحه فقال له ذلك فأنف عبد عمرو وقال أبيت اللعن ما قال فيك أقبح قال وما قال فيك قال ليت لنا مكان الملك عمرو الأبيات المتقدمة فقال عمرو ما أصدقه عليه وقد هجاه فيما ولا آمن أن تدركه الرحم فينذره فمكث غير كثير ثم دعا المتلمس وطرفة لأنه خاف أن يمكر به وعرف فيخبره المتلمس وقيل إن المتلمس كان قد هجاه أيضا فقال لهما لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ويسركما أن تنصرفا قالا نعم فكتب لهما إلى أبي كرب عامله على هجر وهو اسم لجميع أرض البحرين كما في القاموس أن يقتلهما وأخبرهما أنه قد كتب لهما بحباء ومعروف وأعطى كل واحد منهما شيئا فخرجا وكان المتلمس قد أسن فمرا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون فقال المتلمس لطرفة هل لك أن ننظر في ما في كتابنا فإن كان يسرنا مضينا له وإن كان شرا اتقيناه فأبى طرفة عليه فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه وكانت الكتابة قليلا ما تعرف في العرب فالحيرة لمكان الملك بها فقال الغلام ثكلت المتلمس أمه فيقال إنه أخذه منه بزالك وانتزعه منه ورمى به في النهر ثم قال لطرفة تعلم والله أن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي فقال طرفة لئن اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ علي وأبى أن يطيعه ومضى المتلمس من فوره حتى لحق بملوك غسان ومن كان مجنبه بالشام وقال في ذلك أشعارا منها قوله

إذا جاوزت من ذات عرق ثنية   فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد

وقال أيضا من أبيات

وإذا هلكت ودون نفسي غارة   فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وهذا معنى قول البنا كيف رحمه الله وقال يا ابن هند ان عمرو وابن .. وقال ابن مروان النحوي في ذلك

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

ومضى يظن بريد عمرو خلفه ... خوفا وفارق أرضه وقلاها

ولما اتصل خبر فرارهما بعمرو بن هند وجد فيه بالجعلة أقسم أن لا يأكل الحب من العراق أو شيئا فقال المتلمس

آليت حب العراق الدهر أطعمه ... والحب يأكله في القرية السوس

أغنيت شأني فأغنوا اليوم شأنكم ... واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

وقال أيضا في تحضيضه طرفة وعدم قبول طرفة لنصحه

من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس

أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حبائه المتلمس

ولقد نصحت له برد صحيفتي ... وجرت له بغير السعادة أنحس

ومثل الصحيفة تروى على وجه غير هذا ما حكاه عمير راوية الأعشى قال حدثني الأعشى قال حدثني المتلمس قال قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند وكان طرفة غلاما معجبا تياها فجعل يتخلج في مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من مكانه وكان عمرو لا يتبسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وهو الذي يقول له الزماني العجلي

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله ... وإن قيل عيش بالسدير غرير

به البق والحمى وأسد خفية ... وعمرو بن هند يعتدي ويجور

قال المتلمس فقلت لطرفة حين قمنا يا طرفة إني أخاف عليك من نظرته إليك مع ما قلت لأخيه قال كلا فكتب إلى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان لي كتابا ولطرفة كتابا فخرجنا حتى إذا هبطنا بظهر الحيرة من النجف إذا أنا بشيخ عن يسار يتبرز ومعه كسرة يأكلها ويقصع القمل فقلت تالله إن رأيت شيخا أحمق وأضعف من هذا اليوم قال وما تنكر قلت تتبرز وتأكل وتقصع القمل قال أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وأحمق مني وألأم حامل حتفه

بيمينه لا يدري ما فيه وتبرز واخرج ذاك وذاك أكل غذاءه واقتل عدوه واحمق منه
الذي يحمل حتفه على كتفه قال فنبهني وكأنما كنت نائما فإذا أنا بغلام من أهل
الحيرة يسقي غنيمة له من النهر فقلت يا غلام أتقرأ قال نعم ففككنا ولقد الكتاب
فقرأه فإذا فيه باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا أتاك كتابي هذا مع
المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقيت الصحيفة في النهر وذا الحين قوله

ألقيتها بالثني من جنب كافر * كذلك يلقى كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها * يجول بها التيار في كل جدول

وقلت يا طرفة إنها معك والله مثلها قال كلا ما كان ليكتب بذلك في عقر دار
قومه فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا، وقيل إنه أبى أن يقتله وكتب
إلى عمرو بن هند أني عمي فاقبل العمل فابعث إلى عملك من يليكم بيه فبعث رجلا
من عبد القيس يقال له ابن رشية وقيل أبو منذر فخير طرفة في كيفية القتل فاختار
فصد الأكحل وكثير من ذا أن طرفة قال في شعر له

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

يشير إلى فصد الأكحل وقال البحتري

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى * والشري أري عند أكل الحنظل

وكذا طرفة حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الأكحل

ورثته أخته لأبيه وهي خرنق بنت هفان القيسية بقولها

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه * على خير حال لا وليدا ولا قحما

وصحيفة المتلمس في أمثال الميداني والأمثال مضروب بصحيفته قديما وحديثا ووقع ذكرهما
في سنن أبي داود في أواخر كتاب الزكاة وذلك أن عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس
التميمي قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فأمر لهما صلى الله عليه وسلم
بما سألاه وأمر معاوية فكتب لهما بذلك فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته
وانطلق وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم مكانه فقال يا محمد
أتراني حاملا إلى قومي كتابا لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس فقال النبي صلى الله عليه

وسلم من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار فقالوا يا رسول الله وما
يغنيه قال قدر ما يغديه او يعشيه وكان الفرزدق قد قذع المزينة واكثر شيئا من
الشتم والمجانة وقال فيه ابيات شعرا فجاء اهل المزينة الى مروان بن الحكم وشكوا اليه
وان المزينة من قبل معاوية فقالوا انه ما يصلح ان يقال مثل هذا الشعر في ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم وقد اوجب على نفسه الحد فقال مروان لست انا احده
ولاكن اكتب الى من يحده ثم كتب له الى بعض عماله بجمع جزية يأمره ان يحده ويسجنه
واوهمه انه قد كتب له بجائزة ثم نزع مروان ورقة له سعيد اعمه يقول اني قد
قلت شعرا فاسمعه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... ان كنت تارك ما امرتك فاجلس
ودع المدينة انها مرهوبة ... واعمد لمكة او لبيت المقدس
واذا اجتنيت من الامور عظيمة ... فخذن لنفسك بالرتاج الاكيس

قوله فاجلس اي اقصد الجلساء وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لان الجلوس في
اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الابيات فطن لما اراد مروان فرمى
بالصحيفة وقال

يا مرو ان مطيتي محبوسة ... ترجو الحباء وربها لم ييأس
وحبوتني بصحيفة مختومة ... يخشى علي بها حباء النقرس
الق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

قوله يا مرو مرخم وقيل ان الفرزدق فطن للصحيفة من قبل نفسه وقال الابيات
فاجابه مروان بابياته والله اعلم وكان للقاضي شريح ولد يختلف الى المؤدب
فتركه ذات يوم وذهب يلعب مع الصبيان بالكلاب فكتب شريح معه الى المؤدب

ترك الصلاة لاكلب يسعى بها ... يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فليأتينك غاديا بصحيفة ... كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فاذا اتاك فعضه بملامة ... وعظنه موعظة اللبيب الاكيس
واذا هممت بضربه فبدرة ... واذا بلغت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بانك ما فعلت فنفسه ... مع ما يجرعني اعز الانفس

ولشريح مع ولده قصة اخرى تشبه هذه وهي انه جاء له ذات يوم من المكتب مضروبا

رجلاه وكان اليوم يوم خميس فسأله ابوه عن السبب فقال انما كنت صبيا يحكمني
اذ غلبني في اللعب فضربني المؤدب على رجلي فقال شعرا

عجبت لأيام الخميس وحومها ... ومن فعلة تشتكي منها المسامع
اذا اذنبت ابن تعاقب ارجل ... كذا الظلم يكثر عندنا وهو واقع

ومن ذلك تخميس عشر وكان يغدو بن الربيع في علو جارية وكلفها سبع سنين بين ابيها
جاهدة وقاله واخوانه ملكها فلما فاتت عنده ستة اشهر ماتت فقال فيها اشعارا
كثيرة منها قوله

حتى اذا ابتدر النساء واغمضت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأسا كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

واشعار الادباء في هذا كثيرة ومن فوائد هذه القصة وما يتعلق بها تفهم معنى كلام
الناظم وان مراده الحث على الحزم والاحتياط وان الثقة بكل احد عجز والاسترسال
الى كل واحد ورعم فهذا غرور والا نستشهد بكلام الحكماء والادباء ربما يكون اللغة

اعلم لو ولا تعد بمن عز عرفته اخا ... وفيه وما سموه الى بابه بلي
شح بادرع افهم في القيس وقد ... تراه نبله عسيل العلو

اللغة قوله ولا تعد بمن عز عرفته انه عز يستعمل في الخير والشر قال الفراء
يقال وعدته خيرا ووعدته شرا قال الشاعر

ابن عقيلا في كل حي معاقل ... ولا تعدا في الشر والخير مقبل

فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد
قال عامر بن الطفيل

واني وان اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ويعرفون بضم العين ياتي خبره وقوله وفيه وما سموه الوفاء هذا الغد يقال
وفا بعهده واوفى به ثلاثة وفاء وافى لغة وقد جمع الشاعر بينهما فقال

اما ابن عوف فقد اوفى بذمته ... كما وفى بقلاص النجم حاديها

والوفا ضد الغدر وجمعه اوفياء مثل غني واغنياء والسمو اياتي خبره والابلو
من الابتلاء الاختبار العصر المشهور بتما وقد مر ذكره فقوله شح بادرع افهم في القيس

حتى

نائم

زهر الافنان

الشح بتثليث الشين البخل مع حرص وقد شح يشح كبخل يبخل وزنا ومعنى وفي لغة بني
تابني قتل وضرب فهو شحيح وشحاح كسحاب وقوم اشحة واشحاء وتشاحوا اذا شح
بعضهم على بعض والادرع بالدال المهملة جمع درع بكسر فسكون وهو الآلة التي
تلبس في الحرب من الحديد قال الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام وعلمناه صنعة
لبوس لكم ليحصنكم من باسكم وهو قد يؤنث وقد يذكر وتجمع على ادرع شذوذا وتجمع
في القلة على ادراع وادرع كما نطق به الناظم وفي الكثرة على دروع واما درع
المرأة وهو قميصها فمذكر وامرؤ القيس اسم الشاعر المشهور قال في القاموس هو
الملك الضليل سليمان بن حجر وامرؤ القيس لواء الشعراء الى النار وفيه اي في اسمه غير ذلك
والقيس في اللغة الشدة فمعنى امرئ القيس رجل الشدة وقيل القيس اسم صنم
ولذلك كان الاصمعي يكره ان يروي قوله * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل *
ويقول يا امرأ الله فانزل قوله ومن تلا تحلة في البيت الاول ومعنى الاول مصدر
نجله ابوه اذا ولده قال الاعشى

انجب ايام والداه به * اذ نجلاه فنعم ما نجلا

وغسيل بمعنى مغسول والعلق بالتحريك الدم عامة وقيل الشديد الحمرة منه وقيل
الغليظ المتجمد وواحده علقة قال الله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة اي دما غليظا
متجمدا والله تعالى اعلم **الاعراب والتصريف** قوله ولا تعد جملة
معطوفة على التي قبلها ولا ناهية وتعد مجزوم بها وبا ولا عن وقبة لانه لو كان
المضارع مبدوا بالياء لكانت الواو التي هي الفاء تقع بين همز وياء وكسرة
بحذفت تخفيفا ثم طرد ذلك الحكم في سائر افعال المضارع وفي الامر والمصدر
المكسور الاول قال في الخلاصة

فبا افعل ومضارع من كل عمل * احذف وفي كعدة ذاك اطرد

وقوله بني عمرو مفعول على تقدير مضاف ومنصوب اي بني عمرو مثلا وغير عمرو هو
وانما هو معمول لفعل محذوف بالبقية الكلام دال على الحذف قوله ويعد زيد ما سموه الى
جملة معطوفة كذلك ويعد فعل امر من الوفاء يتعدى على عمرو واعمل لزيد باب فاسم
ولا عن بالاعلال المذكور في تعد وبالجزم ويجب وصله هنا هاء السكت كما
يجب الوقوف عليه بها ولا تجعل عليها علامة الشكل لانه لا ينطق بها وصلا

وإنما عدلنا عن أن الحكم يعتبر فيه حال الوقف وأن الحكم يعتبر فيه حال الوصل كما
بينا الأسماء قبل وهذا الفعل من جملة الأفعال التي تعين بالإعلال على حرف واحد
من غير الكلمة وقد أنهينا ما يتعلق بأن عشرين فعلا وحكم كتابتها والوقف عليها
مجردة فقررناه وقد أشار في الخلاصة إلى مسألة الوقف بقوله

وقف بها السكت على الفعل المعل ... بحذف آخر كأعط من سأل
وليس حتما في سوى ما كع أو ... كيع مجزوما فراع ما رعوا

وقوله وفي سموأل على تقدير حذفها وهو موضوع أيضا أي ووقف مثل وقف السموأل
وقصرها ضرورة كقوله

فنحن مثل الناس الذين يعرفونه ... وأهل الوفاء من حادث وقديم

ووجود السموأل من الضرورة كقوله

رأيت سموأل لا وفيت بعهده ... وكان سموأل كفذ الغيور

وإنما الضرورة بأن الهمزة لازمة مدغما رأيت وقفه ولا تفارقه إلا في نداء أو إضافة
كقوله إنك يا سموأل بن عاديا ... كقولك الغدر أقسى ما ويا
وبالانتقال في محل النصب من سموأل وقوله شيخ بالدرع أفرد الغيث جملة تحتمل أن تكون
تقسيما للوفاء والسموأل أو بدلا منه أو مستأنفة استئنافا بيانيا كما مر مثله في
قوله النعل الحقيقة بنفس جبرا وجملة قوله وقد ترك بخلده تحتمل الحالية والعطف
وتفسير النعل حال من النعل والله أعلم ومغنى الكلام الحث على تجنب
الكذب والغدر والتمسك بالوفاء وبالصدق وحسن الوعود التي هي مطلوبة وتعليله مع كل
آخر ولفظ الأخ في كلام الناظم ليس المقصود منه الأخ في النسب أو في الدين بل الأعم
من ذلك وإنما أتى بلفظ الأخ ترفيقا عليه وترغيبا في تحصيل الأخلاق اللائقة ومن
الصفة التي لا يليق بها كذا والموعود فيهما أخا ولا خفاء بدلالة الشرع والطبع على
مطلوبية ما أشار إليه الناظم وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام
بقوله إنه كان صادق الوعد قال ابن عباس رضي الله عنه إنه وعد صاحبا
له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وفي الصحيحين عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب

فاما

وإذا وعد أخلف وإذا أوعد أنجز فإن الوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة يفتخر صاحبه في الفخور وتصدر فيه خطرات الفخور ويقال الوعد وجه والإنجاز محاسنه والوعد سحابة والإنجاز مطرها وقالوا لا خير في وعد مشكوك والإنجاز قد يدوم وقالوا إخلاف الوعد من أخلاق الوغد وقال صالح التميمي

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد إذا كان كاذبا ... ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

والشعر في هذا المعنى كثير

ذكر عرقوب ووعده المكذوب

اختلف الناس في عرقوب هذا من كان فقيل كان من العماليق وقيل كان من الأوس وقيل هو عرقوب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وبنو سعد يقولون هو منا والصحيح أنه من عمالقة الحجاز نزل في بني عبد شمس بن ثعلبة منهم وهو عرقوب بن معبد وقيل ابن سعد بن أبي سلمة أكذب أهل زمانه أتاه أخ له يسأله تمرا من عرجون تمر نخلة من نخله فقال له إذا أطلع النخل فأتني فلما أطلع قال إذا أبلح فلما أبلح قال إذا أزهى فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال إذا أتمر فلما أتمر جذه ليلا ولم يعطه شيئا فضربت العرب المثل به في إخلاف الوعد والكذب فقالوا أخلف من عرقوب وأكذب من عرقوب قال المتلمس فيما هجا به عمرو بن منذر

يكلفني هند انتظاره ولا ... واللات والأنصاب لا تئل
أدنى الحلول ومن بهم حسبا ... في الناس من عمر فروا ومن حملوا
من كان خلف الوعد شيمته ... والغدر عرقوب له مثل

وقال جبيهاء الأشجعي

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقال آخر

وأكذب من عرقوب يثرب لهجة ... وأبين شؤما في الحوائج من زحل

والشعر في هذا كثير قال التبريزي الناس يروون يثرب في هذا البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وإنما هو بالمثناة والراء المفتوحة موضع قرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن الكلبي قلت وقاله أيضا ابن عبيدة وقد نوزعا في ذلك فقال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الأوس فيصح على هذا أن يكون بالمثلثة والمكسورة وقيل هو من العماليق

مكون بالمثناة والمفتوحة لأن العماليق التي كانت من اليمامة في دار وبيثرب
منازلهم فلا وكانت العماليق أيضا بالمدينة وقاله أيضا الحافظ أبو الخطاب
ابن دحية ذكره ابن هشام في شرح الكعبية **ذكر السموءل ووفائه**
هو السموءل بن غريض بن عادياء بن حباء اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق
الفرد بتيماء المشهور بالوفاء وقال عمر بن شبة هو السموءل بن عادياء ولم
يذكر غريضا ومن الناس من قيل نسبه في غسان وقيل هو من ولد الكاهن بن هارون
ابن عمران عليه السلام وإنما أمه غسانية وكان الأبلق الفرد لجده عادياء
واحتفر فيه بئرا روية عذبة وقد ذكرته الشعراء من ذلك قوله يذكر بناء جده له

بنى لي عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقا كذا في
الأغاني وما ذكره من أن باني الأبلق الفرد هو عادياء جد السموءل أو أبوه
مشكل مع ما ذكروه من أن الزباء غزت ماردا والأبلق فعجزت عنهما فقالت
تمرد مارد وعز الأبلق لما علم من أن عصر الزباء متقدم على عصر عادياء بكثير
فالصواب القول بأن الذي بناه سليمان عليه السلام ويكون نسبة البناء ثانيا
إلى عادياء على معنى أنه أصلحه أو زاد له تحصينا أو ما أشبه ذلك والله أعلم
وكان السموءل من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة
التي يقول فيها

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وأما وفاؤه المضروب به المثل فكان من حديثه أن امرأ القيس الشاعر المشهور
كان والده وهو حجر الأصغر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر الأكبر وهو آكل
المرار الكندي قد ملك على بني أسد بن خزيمة وغطفان فبقي بذلك برهة من الدهر
ثم ثاروا عليه فقتلوه في خبر طويل واتصل خبر مقتله بابنه امرئ القيس
وهو بأرض اليمن وكان أبوه قد طرده لأنه أنف من قوله الشعر والغزل أو انتحاله
ذلك وكانت الملوك تأنف من ذلك فكان امرؤ القيس يتنقل في أحياء العرب
يتصيد ويشرب الخمر على الغدران ومعه جماعة من صعاليك العرب وذؤبانها إلى
أن أتاه خبر مقتل أبيه وهو باليمن كما قلنا فشمر للأخذ بثأر أبيه وسار إلى بكر

وتغلب فاستنصر بهم على بني أسد فنهض إليهم وسار واقعهم فأوقع ببني كنانة يظنهم
بني أسد وكره من كان معه ذلك وتفرقوا عنه حتى بقي في نفر يسير وألح المنذر
ابن ماء السماء في طلبه وكان عمرو في سلاحه فجعل يستجير بأشراف العرب
ويقاولهم حيث إن أراد نزله خالفه المكاذب إلى عمرو بن جابر بن الفزاري فطلب منه الجوار
حتى يرى ذات غيبه فقال له الفزاري يا ابن حجر إني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس
بمثلك من أهل الشرف وأهل البادية أهل بر ليست لهم حصون تمنعهم وبينك
وبين اليمن ذؤبان قيس أفلا أدلك على رجل من شأنه كيت وكيت وذكر له السموأل
وأثنى عليه بحسن الجوار وأنه في حصن حصين وحسب كبير فقال له امرؤ القيس
وكيف لي به قال أوصلك إلى من يوصلك إليه فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له
الربيع بن ضبع الفزاري ممن كان يأتي السموأل فيحمله ويعطيه فلما صار إليه قال
له الفزاري إن السموأل يعجبه الشعر فقل فيه شعرا فقال له وأنكر أبو الفرج في
الأغاني أن يكون امرؤ القيس قال في السموأل شعرا قال وإن الشعر الذي نسب إليه
في ذلك مصنوع لا يشبه شعر امرئ القيس ثم مضوا حتى قدموا على السموأل
وكان مع امرئ القيس أدراع خمس كانت لأبيه الفضفاضة والضافية والمحصنة
والخريق وأم الذيول كانت للملوك من آل آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك ومعه
بنته هند وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث وسلاح ومال كان بقي معه
وفي كامل ابن الأثير أن الدروع كانت مائة فلعل الخمسة كانت أفضلها وأشهرها
وتعين الناظم بجمع القلة كما في القول الأول فلما قدموا على السموأل عرف
لهم حقهم فأنزل المرأة في قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكان عنده
ما شاء الله ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام
ليوصله إلى قيصر ففعل واستصحب معه رجلا يدله على الطريق وأودع بنته وماله
وأدراعه السموأل ورحل إلى الشام وخلف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ومضى
حتى انتهى إلى قيصر فقبله وأكرمه وضم إليه جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء
الملوك يتوصل به إلى ملك أبيه ثم أفسد عليه أمره الطماح الأسدي وسعى به عند
قيصر بما كان سببا في هلاكه في خبر مشهور وكان المنذر بن ماء السماء قد وجه من
قبله الحارث بن ظالم المري وأمره أن يستنقذ دروع امرئ القيس وماله من السموأل

وقيل

وقيل ان الذي فعل ذلك هو الحارث بن ابي شمر الغساني وانه جاء بنفسه حتى نزل
على السموأل في حصنه فامتنع السموأل من دفع ما فيه وتحصن بحصنه وكان له ابن
قد يفع وخرج الى قنص له فلما رجع اخذه الحارث ثم قال للسموأل اتعرف هذا
قال نعم هو ابني فقال اما ان تسلم ما قبلك واما ان اقتله قال شانك به فلست
اخفر ذمتي ولا اسلم مال جاري فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه بنصفين وهو
ينظر ثم انصرف عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بما كان عنده من الدروع والمال
فاسلمه الى ورثة امرئ القيس وقال في ذلك من قصيدة *

وفيت بادرع الكندي اني ... اذا ما خان اقوام وفيت

واوصى عاديا يوما بان لا ... تهدم يا سموأل ما بنيت

وقالوا انه كنز رغيب ... ولا والله اغدر ما مشيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه القصة في شعر له وذلك انه كان قد هجا رجلا من
كلب بن وبرة فاتفق ان الكلبيين اغاروا على قوم فاسروا فيهم الاعشى فاسر الاعشى
في نفر منهم وهم لا يعرفونه ومر في كبريتهم بشريح بن السموأل فاكرمه شريح ومر بجماعة
الاسرى فناداه الاعشى من بينهم ومتعلقا به في شعر من جملته قوله

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

اذ سامه خطتي خسف فقال له ... قل ما تشاء فاني سامع حار

فقال غدر وثكل انت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك اني مانع جاري

وهي طويلة وقوله اذ سامع حار يعني يا حارث بن عمرو فلما سمع شريح شعر
الاعشى اتى الكلبي وقال له هب لي هذا الاسير المضرور فقال هو لك فاطلقه
وقال له اقم عندي احبوك فقال الاعشى ان من تمام صنيعك الي ان تعطيني ناقة
ناجية وتخليني الساعة فاعطاه اياها فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي
ان الذي وهب لشريح هو الاعشى فارسل الى شريح ان ابعث الي بالاسير الذي وهبت
لك حتى احبوه فقال قد انفلتته برمته فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه وحكى
الكندي في كتاب اخبار الامم او بعضهم قال حدثنا المهلب بن عبد الله امارة مصر

من قبل المامون فخرج به اهل مصر من ابراهيم بن نافع الكلاءي وبكلفه المكلب فلم
يقدر عليه واتهم بدخوله عند فراعنة من اغنياء مصر وكان مبيرة بن مسلم صاحب
شرطة مصر وكان يعرف الدكان الذي اختفى فيه ابراهيم الكلاءي وكانت وديعة
عنده فسعي بمبيرة الى المكلب فاحضره وقال له ادفع الي ما اودعه عندك
ابراهيم والا اخرجت الذي فيه عينيك فانكر فامر به فضرب ضربا وجيعا وهو
لا يزداد الا انكارا فلما طال على المكلب جحوده وخشي عليه التلف تركه
ثم لما سكن عن ابراهيم الكلاءي بعث اليه مبيرة بماله مع بعض التجار فقال
في ذلك سعيد بن عمير

*   *   *

لعمري لقد اوفى وزاد وفاؤه   مبيرة في الكلاءي وفاء السموءل
وفاه المنايا اذ اتته بنفسه   وقد برقت في عارض متهلل
ومثل جار رتب فيه وولد لا   تطمع به ارض تكربا بحمى
واخفر عليها لا تخاف شراه   وكان شور لم ترد من قصري

(اللغة) قوله ومثل جار الجار يطلق ويراد به الحميم الذي يحمي غيره اسيد
يؤمنه مما يخاف ويطلق ويراد به المستجير وهو الذي يطلب الامان والمراد هنا
الاول والجار ايضا الحليف والجار الناصر وكلا معناهما اراده هنا والابو
دواه ياتي خبرها قوله لا تطمع به فتارع القاموس طمع فيه وبه كفرح طمعا وطماعا
وطماعية حرص عليه فهو طامع وطمع قوله ارض تكربا لا حمول لحمى فساد العقل
فالله الاثير وحمي يحمى فهو حمي من باب تعب وحمو بالضم فهو احمر والاشي حمقاء
والجماعة اسم منه قوله واحمر عليها في الجليس الجبا ليس كالنرجس بمعنى
المنادم والكليم بمعنى المكالم وابن شور رياه خبره قوله لم ترد من قصري قال
يقول الاهر الرجل اذا سكت فلم يتكلم والاهر الذي يتقنع بيكثر الى الارض
واذا وضعوا حصنها بالرمال قالوا الاهر والاهر الشجاع قال المتلمس
فلو كان الاهر والاهر الشجاع ولو زارنا مسا غالبنا بتيه الشجاع لصمما
ومنه اخذ قول المتنبي

*   *   *

والاهر في كثرة العبر ليس بنافع   اذا لم يكن في كثرة القلب ليس بمكرو

الاعراب والتصريف قوله ومثل جار لابد واد جملة معطوفة على

ارض

التي قبلها ومثل معمول المفسر يفسر له فاعل من باب الاشتغال او لتقدير وانزل مثل
جار لابي دؤاد لا تطمع به ويجوز رفعه على انه مبتدأ وجملة لا تطمع به خبر له والاول
ارجح لان الفعل طلبي ولأن العطف على جملة فعلية والفاء جارية مجرى العاطفة ولانه
من الجوار ومنع لعلك ابي دؤاد من الصرف ضرورة كقول العباس بن مرداس رضي الله عنه

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وجملة لا تطمع به لا محل لها من الاعراب لانها مفسرة. قوله ان تكن يا ابن خمس
جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما تفرع عليه وادخل الباء في ابن لك في خبر كان
المنفية على سبيل الغلط ومنه قول الشنفرى

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن * باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل

قوله واخير جليسا ان جملة معطوفة على ما قبلها وجملة لا يخاف شره في محل النعت
بجليس قوله وكان ابن شعوذ النون داخلة في التقدير على لم تري ومتى اثبتنا فيه
على رأي من اثبتها وليست علامة جزم ان قيل لا يعطف على الانشاء ولا حاجة لبعد
لتقدير ان الجملة بأداة الاستفهام وتري يحتمل ان تكون بصرية فجر بكرو مفعولها وكان من
شعوذ حال منه قدم عليه والمسوغ لمجيء صاحب الحال نكرة تقدم النفي ويحتمل ان تكون
علمية فجر بكرو مفعولها الاول وكان من شعوذ مفعولها الثاني ومن زائدة والله اعلم
ومعنى الكلام يقول ان هذا الزمان قد قل خيره وكثر شره وتفاقم ضرره
واستحكم شره وابتنى ولا اشتباه فيه ومن يشابه اباه فما ظلم فاذا ظفرت بجليس
يكف عنك الاذى ويصرف عن مجلسك شر الغاء فاحمد له واشدد يدك عليه وابق
من اللؤم فانما ان ظفرت بغيرك بانك تظفر بجار مثل ابي دؤاد او تري جليسا مثل ابن
شعوذ فهذا المثال قد صرم من هذا الدهر حبالك ولا تشغل به ابدا بالك: **ومما ورد**
في آداب المجالسة قوله صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانات وهو من جوامع
كلمه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لجليسي علي ثلاث
ان ارفعه بطرفي اذا اقبل واوسع له اذا جلس واصغي له اذا حدث وقال ابو تمام
متسعرا لما اجاله الناس هم

من لي بمن اذا غضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * اخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بكربه * وبسمعه ولعله أدرى به

وآن الغراب وانمرقا فلله أبو العجب *

أعز مكان في الدنا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب

ذكر جار أبي دواد وابن شعوب وما كان من أمرهما

أما جار أبي دواد فهو كعب بن مامة الإيادي الجواد المشهور وكان إذا جاوره رجل قام بكل ما يصلحه وأهله وحماه ممن يريده وإن هلك له بعير أو شاة أو عبد أخلفه عليه وإن مات وداه فجاوره أبو دواد الإيادي الشاعر مجاورا وزاده فكان كعب يفعل به ذلك ثم افتخر بقومه وصار يفعل بمن جاوره مثل ما كان يفعل به كعب فضربت العرب المثل به في حسن الجوار فقالوا كجار أبي دواد قال قيس بن زهير

أطوف ما أطوف ثم آوي * إلى جار كجار أبي دواد

وقال طرفة بن العبد *

إني كفاني من أمر هممت به * جار كجار الحذاقي الذي اتصفا

الحذاقي بضم الحاء المهملة وبالذال المعجمة والقاف هو أبو دواد واسمه حارثة بن الحجاج قال الميداني نسبه إلى حذاقة بطن من إياد وقال الجوهري معناه الفصيح اللسان ومعنى اتصف صار موصوفا في الجود يعني كعبا وقال بعض المولدين

فإن جزت عن رمي تلك الديار * ولو أني أبو دواد الإيادي

وما ذكرناه من أن جار أبي دواد هو كعب بن مامة هو الذي ذكره غير واحد وفي الأغاني أن جار أبي دواد هو الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان أبو دواد في جواره فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن أبي دواد فيه فقتلوه فخرج الحارث فقال لا يبقى صبي في الحي إلا غرق وأعطى أبو دواد فودى ابن أبي دواد عشر ديات فرضي وفيه قول أبي دواد *

إبلي الإبل لا يحوزها الرا * عون مج الندى عليها المدام

والله أعلم وأما ابن شعوب فهو القعقاع بن شور أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة كان رئيسا جوادا يضرب به المثل في حسن العشرة وكرم المجالسة فكان إذا جالسه أحد وعرف بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا ودخل القعقاع على معاوية

رضي الله عنه وجلسته عامرة بأهله فلم يجد موضعا فأوسع له بعض جلسائه
حتى جلس بجنبه ثم أمر معاوية للقعقاع بجائزة الوفد زيما فقال القعقاع لجليسه
اقبضها فلما قام ليذهب قال له الرجل خذ ما لك فقال ما دفعته إليك وأنا أريد
أن أسترجعه ومنه كذا في الثمار وفي شرح المقامات للشريشي عن ابن عبيدة أن القعقاع
كان من جلساء معاوية رضي الله عنه فأهديت إلى معاوية هدايا يوم المهرجان
فيها جامات ذهب وفضة ففرقها على جلسائه ودفع إلى القعقاع جام ذهب وفي القوم
أعرابي إلى جنب القعقاع فرمى إليه الجام فأخذه الأعرابي ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وهذا معنى قول الشاعر لم ... وقال الشريشي وعن الشوز أن رجلا جالس
قوما من بني مخزوم بن يقظة فأساءوا عشرته وسعوا به إلى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم * غزا بدرا بمجمرة وتور

نسبه إلى التوضيع يعني التخنث وكان أبو جهل من بني المغيرة والله أعلم

وثم كنوم العنبر أو عنبود عن * تغيب الورد والكثر لا تختفي
ولكنه أبصر من الفجر مبصر أو الـ * ـزرقاء بعين نفسه المختفي

اللغة قوله وثم كنوم العنبر النوم ضد اليقظة وحقيقته استرخاء أعصاب
الدماغ من رطوبة الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس
رأسا والعنبر وعنبود يأتي خبرهما والورد تعلق يقال قال الذي أن الورد ومعانيه إلى
التعلق والكثر التمر الواضح من ... عند تفادم الغيم المجازي فاله في القاموس
قوله ولكنه أبصر البصر البصر بالتحريك مثل البصير والجمع أبصار وهذا بصرته وأبصرته
والبصير خلاف الضرير والفجر والزرقاء يأتي خبرهما والله تعالى أعلم **الإعراب**
والنحو فيه قوله وثم كنوم العنبر جملة معطوفة على ما قبلها وثم بمعنى أوله
بقال أبو اهله النوع بحملة وقيل مكسورة بوزن العلم فنقلت حركة الواو إلى ما
قبل الكلمة إلى الثور التي مثلها ... وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها وقلبت
الواو ياء لتحركها أصالة وانفتاح ما قبلها ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين

فهذا زنتهم على وزن فعل قوله كنزع العقد مفعول ومحمول على تقدير موصوف أي نزعا
مثل نزع العقد ولفظه عقود ارتكازا تجميلا فمنع الصرف فيه كما مر وارتكازا وعن قبيلا
وهو الكثير من منع الصرف فيه ضرورة وقد استعمله غير الناظم من المولدين ممنوعا
من الصرف كالناظم والف الوزن منقلبة عن ياء فتكتب ياء والكثر مفعول مقدم بتشقوا
قوله ولتنتدا ابتهم والجملة معطوفة كذلك واللام في ولتنتدا لام الامر وهو مجزوم
بها وحذفت نونه تخفيفا واسمها ضمير الجماعة وابعد من الشر من يخصهما وقصر
لبكا الزوفاء ضرورة ومثل الصحيح خلافا للنعم اي في منعه فتم ما له قياس يوجب مد له
نحو معلقة افعل كما هنا ورد مذهب الفراء بان المسموع في اشعار العرب بخلافه وقد
من تكيده **ومعنى الكلام** يقول تعالى مثل ايها المشتغل عن عيوب الناس ولا تكن
فيهم نصوة فان الظن اكذب الحديث وما زاينت الا انبعث عن العيوب فانهت عن عيوبك
الراسخة في نفسك .. فيهما ما يشغلك عن عيوب ابناء جنسك .. وان عيب فيك
والظهر لك انك تغفل عن التفكر في عيوبك المحققة وتبحث عن عيوب غيرك المظنونة
او المشكوكة وذالك علامة الغرور والكبر والرضى عن النفس عرفنا الله بمعايبه
واعاننا على اصلاحها بمنه ذا ميرق يرحمه الله من قال

لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا ... فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ... ولا تعب احدا منهم بما فيكا

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية بسورة الحجرات
والتجسس والغيبة كلاهما حرام بنص القرءان ومعنى التجسس الا يترك عباد الله تحت
ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه
كان اسلم لقلبه ودينه ومنشا ذلك سوء الظن بعباد الله عياذا بالله وفي
الحديث قالوا يا رسول الله لا يسلم منها احد من الظن والحسد والطيرة فما نصنع
قال صلى الله عليه وسلم اذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق
رواه الطبراني وابن ابي الدنيا ومنه اقتبس الناظم قوله والظن لا تحقق قال
الغزالي رضي الله عنه ليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان
لا يقبل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده
بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي

ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية وقال ابو الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته * واصبح في ليل من الشك مظلم

ذكر نوم الفهود وعثوره وما يتعلق بهما

اما الفهد فهو حيوان معروف يتخذ للصيد وزعم ارسطو انه متولد بين النمر والاسد ومزاجه كمزاج النمر وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في دائه ودوائه وفي طبعه الغضب وذلك انه اذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك ويمتلئ رئته من الهواء الذي حبسه فاذا اخطأها نزل رجع مغضبا وربما افترسها بسعة وفيه مع ذلك حنو وشفقة على نوعه يقال ان الفهدة اذا اثقلها الحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فاذا حان ولادها هربت الى موضع قد اعدته لذلك وان الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لانفسها تجتمع على فهد فتي فيصيد لها كل يوم شبعها ويقال ان الفهود اقبل للتأديب من غيرها وان اول من صاد بالفهد كليب وائل وان اول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية واكثر من اشتهر باللعب به ابو مسلم الخراساني واما نومه الى اشار اليه الناس فقال الجاحظ الفهد انوم الخلق وليس نومه كنوم الكلب لان الكلب نومه نعاس واختلاس والفهد نومه مصمت وليس شيء في جسم الفهد في جسمه ومقداره الا والفهد اثقل منه واحطم لظهر الدابة ولذا قالوا انوم من فهد واثقل رأسا من فهد ويقال للرجل كذلك اذا اشبه الفهد في نومه وتمرده وفي حديث ام زرع من قول المرأة الخامسة زوجي ان دخل فهد وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد قال النووي رحمه الله معناه اذا دخل البيت بكثرة النوم والغفلة في منزله عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقي وشبهته بالفهد لكثرة نومه يقال انوم من فهد وهو معنى قولها ولا يسأل عما عهد اي لا يسأل عما كان عهده في البيت من ماله ومتاعه يعني انها تمدحه بالتغافل لا بالنوم الغفيفي لان كثرة النوم مذمومة وهي لم تقصد ذمه بل مدحته قال الراجز

لست باكال كاكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وقال حميد ابن ثور * ونمت كنوم الفهد عن ذي حفيظة * اكلت طعاما دونه وهو جائع

وقال ابن الرومي

رأينا نومكم عن كل خير * كنوم العبود لا يغني كراه

وأما عبود فيحكى عن المفضل بن سلمة قال كان عبود عبدا أسود حطابا فغبر في محتطبه أسبوعا لم ينم ثم انصرف وبقي أسبوعا نائما فضرب به المثل في ثقل النوم وطوله وقال الشرقي بن القطامي من أهل العلم إن عبودا تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني إذا أنا مت فسجي ونام فندبته أهله فإذا هو قد مات وفي القاموس عبود كتنور رجل نوام نام في محتطبه سبع سنين وفي حديث معضل إن أول الناس دخولا الجنة عبد أسود يقال له عبود وذلك أن الله عز وجل بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به أحد إلا ذلك الأسود وإن قومه احتفروا له بئرا فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرة فكان ذلك الأسود يخرج فيحتطب فيبيع الحطب ويشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي إلى تلك الحفرة فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيرفعها ويدلي له ذلك الطعام والشراب وإن الأسود احتطب يوما ثم جلس يستريح فضرب بنفسه الأرض شقه الأيمن فنام سبع سنين ثم هب من نومته وهو لا يرى إلا أنه نام ساعة من نهار فاحتمل حزمته فأتى القرية فباع حطبه ثم أتى الحفرة فلم يجد النبي فيها وقد كان بدا لقومه فيه فأخرجوه فكان يسأل عن الأسود فيقولون لا ندري أين هو فضرب به المثل لمن نام طويلا وممن ضرب المثل بنوم عبود أبو عبد الله بن حجاج حيث قال

فنوموا فما مثل الكسل فـــغ * عبود عندكم حرامـــه

ذكر الهدهد والرخاء وغيرهما

أما الهدهد فيقال له أبو الأخبار وأبو ثمامة والجمع هداهد والهداهد كثيرة ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض كما يرى الإنسان في باطن الزجاجة وزعموا أنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء ولهذا السبب تفقده لما فقده ويضرب به المثل في شدة الإبصار وقيل إنهم من منتن وفي الكامل للمبرد وشعب الإيمان للبيهقي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضي الله عنه فقال يا ابن عباس إن سليمان عليه السلام مع ما خوله الله من الملك وأعطاه كيف عني بالهدهد مع صغره فقال له ابن عباس رضي الله عنهما إنه احتاج إلى الماء والهدهد كانت له الأرض كالزجاج فقال

ابن الازرق فقال وكيف يبصر الماء من تحت ثلاثين ذراعا ولا يبصر الفخ اذا غطي له بقدر اصبع من تراب وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا نزل القضاء عمي البصر وحكاه من جواب ابن عباس هذا ان ذلك خاصية في جميع افراد الهدهد وفي كلام الثعلبي ما يقتضي ان ذلك انما كان خاصا بهدهد سليمان عليه السلام دون غيره من الهداهد والله اعلم وزرقاء اليمامة امرأة من جديس من العرب العاربة وقيل من طسم وانها كانت متزوجة في جديس وذكر الجاحظ انها كانت من بنات لقمان بن عاد وان اسمها عنز وانه قال الجاحظ وكانت بنو زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت البسوس زرقاء والعرب تتشاءم بالزرق من الناس ومن الابل والعرب من صفات العجم وكذا قال الواحدي السفير في العداوة عدو ازرق وكانت الزرقاء تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام وتبصر الشعرة البيضاء في اللبن الابيض واسمها اليمامة بنت مرة وبها سميت بلدها اليمامة لانها صلبت على بابها كما سيأتي ثم اضيفت اليها فقيل زرقاء اليمامة واسم البلد في القديم جو وربما قيل زرقاء جو فقال المتنبي

وابصر من زرقاء جو لانني * اذا نظرت عيناي ساواهما علمي

ومما يؤثر من شدة بصر الزرقاء ما ذكره ابو حاتم قال ان زرقاء اليمامة كانت لها قطاة بمر بها ذات يوم سرب قطا بين جبلين فقالت *

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه * الى حمامتيه * تم الحمام ميه

وقيل انها نظرت الى حمام في الهواء فقالت ذلك فوقع في شبكة صياد فعدت وقال الاصمعي عدت على الماء فوجدت ستا وستين فعرف بذلك انها نظرت اليها حين تمت ان يكون لها ذلك السرب ونصفه ومن تلك القطاة وكان جملة ذلك ستا وستين وبذا زيدت عليه حمامتها كان الحمام مائة وقد ذكر النابغة هذه القصة في قوله يخاطب النعمان بن المنذر

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما حسبت * تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها * واسرعت حسبة في ذلك العدد

فقوله احكم ليس من الحكم الذي هو القضاء وانما المراد كن حكيما ومصيبا فيما
تحكم به كفتاة الحي ومن هي الزرقاء والثمد الماء القليل وقوله جناحا نيق اراد
ناحيتا جبل وقوله مثل الزجاجة اي مقلة صافية لم يصبها رمد فيكم وفي الشعر
مبالغات نبه عليها الادباء وتركنا ذكرها اختصارا واما قتلت جديس كما
في خبرها في شرحه ان شاء الله خرج رجل منهم حتى اتى حسان بن ابي كرب بصنعاء
وهو احد التبابعة الذين قدمنا ذكرهم فاستغاثه على جديس فاجابه الى ذلك
وسار معه حتى اذا كانوا من جديس على ثلاثة ايام ابصرت الزرقاء على مسار ذلك
لها لتنكر مرآتها الجيش وكان الخثعمي قد قال لهم ان الزرقاء تبصر على ثلاث
ولكن ليقطع كل رجل منكم فرع شجرة ويجعله امامه لتلتبس عليها فلما رأتهم قالت
يا قوم قد اتتكم الشجر او اتتكم حمير فلم يعبئوا بقولها فقالت على مثال رجز

أقسم بالله لقد دب الشجر * او حمير قد اقبلت شيئا تجر

فلم يصدقوها فقالت احلف بالله لقد ارى رجلا ينهش كتفا او يخصف نعلا
وكان كذلك فلم يلتفتوا اليها ونظرت الى عير قد نفر من الجيش فقالت العير
اوقر لزيد من راع في غنمه . فارسلتها مثلا وقال القوم فوقعا خرفت وامروا
على حالهم حتى صبحهم حسان بجيشه فاجتاحهم واخذ الزرقاء فقلع عينيها
فاذا عروق عينيها سود من الاثمد وكانت اول من اكتحل به وصلبها على باب المدينة
فمن يومئذ سميت جو اليمامة والله اعلم وقد ذكرت الشعراء هذه القصة من
ذلك قول الاعشى

ما نظرت ذات اشفار كما نظرت * يوما ولا نظر الذئبي اذ سجعا
قالت ارى رجلا في كفه كتف * او يخصف النعل لهفي اية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل حسان يزجي السم والسلعا
فاستنزلوا اهل جو من منازلهم * وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

والذئبي المذكور في هذا الشعر هو سطيح الكاهن وذو آل في البيت
فذو هي التي تستعملها حمير في لغتها ومنه اذواء اليمن وآل الرجل اتباعه اي
اتباع حسان والسم معروف والسلع بالتحريك شجر مر او سم ومعناه مجاز عن
الجيش والقتال والله اعلم

ذوكس

اللغة (وكن كمثل واسطي غفلة * عن شتم ضارع وعتب شفو)
الواسطي نسبة الى واسط وهي مدينة بالعراق وبناها الحجاج بن يوسف في وسط
المسافة بين البصرة والكوفة منها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا وبذلك
سميت واسطا قوله عن شتم ضارع الشتم السب والاسم الشتيمة والضارع
الذليل وقد ضرع له يضرع بالفتح فيهما اذا خضع فهو ضارع وضرع ثم جمعه
ضرع مثل راكع وركع لغة وتضرع الى الله ابتهل والحمى اضرعتني لك اي اذلتني واخضعتني
قوله وعتب شفو يقال عتب عليه عتبا ومعتبا من باب ضرب وقتل لكن في
نسخة بقوله عاتب وعتاب والشفو بضمتين والتشديد جملة المغتابون للناس قاله
في القاموس **الاعراب** قوله وكن كمثل واسطي جملة معطوفة على التي
قبلها والكاف في قوله كمثل زائدة ومفعوله تمييز ويحتمل ان تكون حالا كما قيل بزيادتها
في قولهم ليس كمثله شيء او يشتم ضارع وعتب شفو كلاهما مصدر مضاف الى الفاعل
والله اعلم **معنى الكلام** يقول اذا اشتمك دني فلا تشاتمه واذا خاصمك
لئيم او سفيه فلا تخاصمه فان ذلك ابقى لمروءتك واصون لعرضك وانفع لقدرك
قال الله تعالى وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما **وروي** ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه شتمه رجل
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني وانت جالس فلما
رددت عليه قمت فقال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك
وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس الشيطان وشتم سفيه حكيما وهو ساكت
فقال يا احمق اغضب فقال الحكيم وعندك اغضب وقال رجل للاحنف ان قلت واحدة
لتسمعن عشرا فقال انت ان قلت عشرا لم تسمع واحدة وقالوا من سكت عن جاهل
فقد اوسعه جوابا واوجعه عقابا وقال الشاعر *

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني * فمضيت ثمّت قلت لا يعنيني
غضبان ممتلئا عليّ إهابه * إني وربّك سخطه يرضيني

وقال غيره

لا ترجعنّ الى السفيه جوابه * إنّ الجواب يزيده حنقا له
بشرّ يزيده ويزري حقيقة * ترد اليه نشا ما اردت جزاءها

* ذكر عقلة الواسطي والسبب فيها *

قال المبرد في قولهم تغافل كأنك واسطي أصله أن الحجاج كان يسخر أهل واسط في البناء فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء في المسجد فيجيء الشرطي فيقول يا واسطي فمن رفع رأسه أخذه فلذلك كانوا يتغافلون وقيل إنما يتغافل الواسطي ومعناه أن الحجاج لما بنا ما كان قد أغري بها حتى كان يعاقب من أحدث في شوارعها وأزقتها فاتفق أن أعرابيا دخلها فبال في بعض أزقتها فحبسه الحجاج ونسيه فمكث في السجن اثني عشر سنة حتى مات الحجاج فأخرج من كان في سجنه من أرباب الجرائم وفيهم الأعرابي فقيل له ما ذنبك فقال بلت في زقاق واسط وانطلق يعدو ويقول

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرئنا وبلنا لا نخاف عقابا

(وأعزز على رجلي سليك ما رأى * من فرع كل غنيق وسموق)

اللغة قوله وأعزز على رجلي سليك العز هنا القهر وفي المصباح عز الشيء عزا قارب العزولة وشرد وز الجري وهو عزاء على فعال ويتعدى بالهمزة فيقال أعززته بعدا والسليك بالتصغير واسم عنبر كقنفذ البخيل القصير والسمسق كجعفر الكذاب **الإعراب** قوله وأعزز على رجلي سليك جملة معطوفة على التي قبلها وأعزز فعل أمر وعلى رجلي سليك على تقدير مضاف ومفعوله أي على رجلين مثل رجلي سليك وجرد لفظ السليك من الألف واللام ومثل هذا من قال

إني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر

وليس بضرورة والله أعلم **معنى الكلام** من هنا من تتمة ما قبله لأنه لما أوصاه بأن لا تشاغل فيما وأن تغافل فيما أمر حتى فيما من أغرك وهو العزلة ومنه حتى لا يميل إليك ولا تميل إليه ولا يعيش عليك ولا ترد عليه وقد قالوا معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء وقال ابن السماك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وقال الشاعر

تجنب أبناء دهرك واخشهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى

وقال آخر

وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري إذ لا مساسا

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الأقرب والأبعد

ومن كلام أبي الدرداء رضي الله عنه وجدت الناس اخبر تقله إني تقول ابيهم عند تجربتهم اخبر تقله ونظم ذلك بعضهم على سبيل التلميح فقال

تبا لشيء كيف أملا من الناس وقد اشهروه بباب اعتزاله

قلت لما بلاهم عن خبرة * رضي الله عن أبي الدرداء

* ذكر السليك وغزوه *

هو السليك بن عمرو بن يثربي بن سنان بن عمير بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم الشعر لمقاعس وقيل في نسبه غير هذا والصحيح ما ذكرناه ويعرف بالسليك بن السلكة كما ترى وهي أمه وكانت أمة سوداء وهو من أغربة الشعراء ويعرف أيضا بسليك المقانب وهو شاعر جاهلي فارس وهو أحد صعاليك العرب واللصوص الغزاة الذين كانوا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل مثل المنتشر بن وهب الباهلي وأوفى بن مطر المازني وعمرو بن براق والأزدي وتأبط شرا والشنفرى وأمثالهم ولا يكون السليك من بينهم والعرب تزعم أنه كان يسبق الخيل وعرف له بينما أربع وعشرون خطوة وكانوا أيضا أحد أغربة العرب في الجاهلية أي سودانهم وهم عنترة بن شداد وخفاف بن ندبة وأبو عمير بن الحباب والسليك هذا وهو آخر الأربعة الذين استثناهم عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حراها أو عبداها وقد تقدم ذلك في ترجمة عمرو بن معدي كرب حكى المنتجع بن نبهان قال كان السليك السعدي إذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فإذا كان الصيف وانقطعت غارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فإذا أخفق أغار على ربيعة وكان يصير الظباء على رجليه وكان يقول اللهم إنك تهيئ ما شئت لمن شئت إذا شئت اللهم إني لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة لكنت أمة اللهم إني أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة وذكروا أنه أملق

حتى لا يشعر له شيء فيخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب
بإبله، حتى أمسى في ليلة مقمرة باردة فاشتمل الصماء ونام، وهو أن يرد فضل ثوبه على
عضده اليمنى ثم ينام عليها، فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل ثم قال له: استأسر،
فرفع السليك رأسه وقال: الليل طويل وأنت مقمر، فذهبت مثلا، ثم جعل الرجل يلهزه
ويقول: يا خبيث استأسر، فلما آذاه أخرج السليك يديه فضم الرجل ضمة ضرط
منها، فقال السليك: أضرطا وأنت الأعلى! فذهبت مثلا، ثم قال له السليك: من
أنت؟ فقال: أنا رجل افتقرت، فقلت: لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني، قال: فانطلق
معي، فانطلقا حتى وجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعا حتى أتوا
الجوف جوف مراد الذي باليمن، فإذا نعم قد ملأ كل شيء من كثرته، فهابوا أن يغيروا
فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب، فقال لهما السليك: كونا قريبا حتى آتي الرعاء
فأعلم لكما علم الحي أقريب هو أم بعيد، فإن كانوا قريبا رجعت إليكما، وإن كانوا بعيدا قلت
لكما قولا أومي إليكما به فأغيرا، فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يستنطقهم حتى
أخبروه بمكان الحي فإذا هو بعيد إن طلبوا لم يدركوا، فقال السليك للرعاء: ألا أغنيكم؟
قالوا: بلى، فرفع عقيرته يتغنى ويقول:

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي ... إلا عبيد وآمٍ بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تغدوان فإن الربح للغادي

الآمي جمع أمة، والربح ومعناه مثل الغلبة، فلما سمعا ذا الاثنان أتياه فأطردوا الإبل
فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم. وحكى أبو عبيدة أن حيا من بكر بن
وائل أرادوا الغارة على بني تميم فتفرقت كلابهم فأبصرت السليك فقالوا: إن
علم بنا السليك أنذرهم، فبعثوا فارسين على جوادين يريدان السليك فبصرا به،
فلما رآهما خرج يمحص كأنه ظبي، وطارداه سحابة يومهما فلم يشقا له غبارا،
فقالا: هذا النهار ولو جن عليه الليل لفتر، فجدا في طلبه فإذا أثره متفاج في الأرض،
وإذا به قد رغى في الأرض وخرمها، فقالا: قاتله الله ما أشد متنه، ولعل هذا كان من
أول الليل ولو امتد به الليل لفتر، فاتبعاه حتى أصبحا فإذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها
كنانته وندرت قوسه مما خبطت، ووجدا قصبة منها قد ارتزت في الأرض ونشبت،
فقالا: ما له أخزاه الله فما رأينا أشد منه، وإن نتبعه أبدا، وانصرفا عنه، وتم

الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد المسافة فقال

فكذّبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذّب أكذب
ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها إلى الحيّ موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همّام متى يدع يركبوا

فطرقهم قوم فنجوا وكذبه الباقون فوردت عليهم الخيل فما كثتهم قال المبرد وحدثني التوزي قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العجم فقال إن العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه وكان السليك قد نزل على قوم من كنانة ضيفا فأكرموه وجمعوا له إبلا كثيرا وكان قد أسنّ وشاخ وافتقر فعزوه فقالوا له إن رأيت أن ترينا ما بقي من عدوك فعلت قال نعم ابغوني أربعين شابا وائتوني بدرع عظيمة ثقيلة فاختاروا من شبابهم أربعين أقوياء عدائين وأتوه بدرع كما وصفا فلبس الدرع وعدا فعدوا وسبقهم وقال للشبان إن تعلقوا بعدوا خلفه فنزعهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم عاد إلى القوم يخفق والدرع عليه وكان سبب قتله فيما حكاه الأصمعي قال إن السليك لقي رجلا من خثعم ومعه امرأة له فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذاك لك على أن لا تحيس بي ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه على ذلك وخلف عند امرأته رهينة ورجع إلى قومه من عندها السليك وجعلت تقول أحد من خثعم فأتى أخا فيهم فقتله فيقول

وما خثعم إلا لئام أذلة * إلى الذل والإسماء منها تنتمي

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعميين فعدوا إلى السليك فلم يشعر إلا وقد كمنا له في الجبل وليس له طريق إلى العدو فقال

من مبلغ قومي أني مقتول * يا رب نهب قد تركت مجزول
ورب زوج قد نكحت محكول * ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه فقتلاه وفي ذلك يقول أنس بن مدرك الخثعمي

إني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر
غضبت للمرء إذ نيكت حليلته * وإذ يشد على وجعائها الثفر

يقول إني لما قتلت سليكا صار الناس يطالبونني بذنبه وكان وعدي فيه كما يضرب الثور

فيتناول البقر فيشرب وتزعم العرب أن الجن تركب الثور عند الماء فيمنع البقر من الشرب فكانوا يضربون الثور لذلك قال

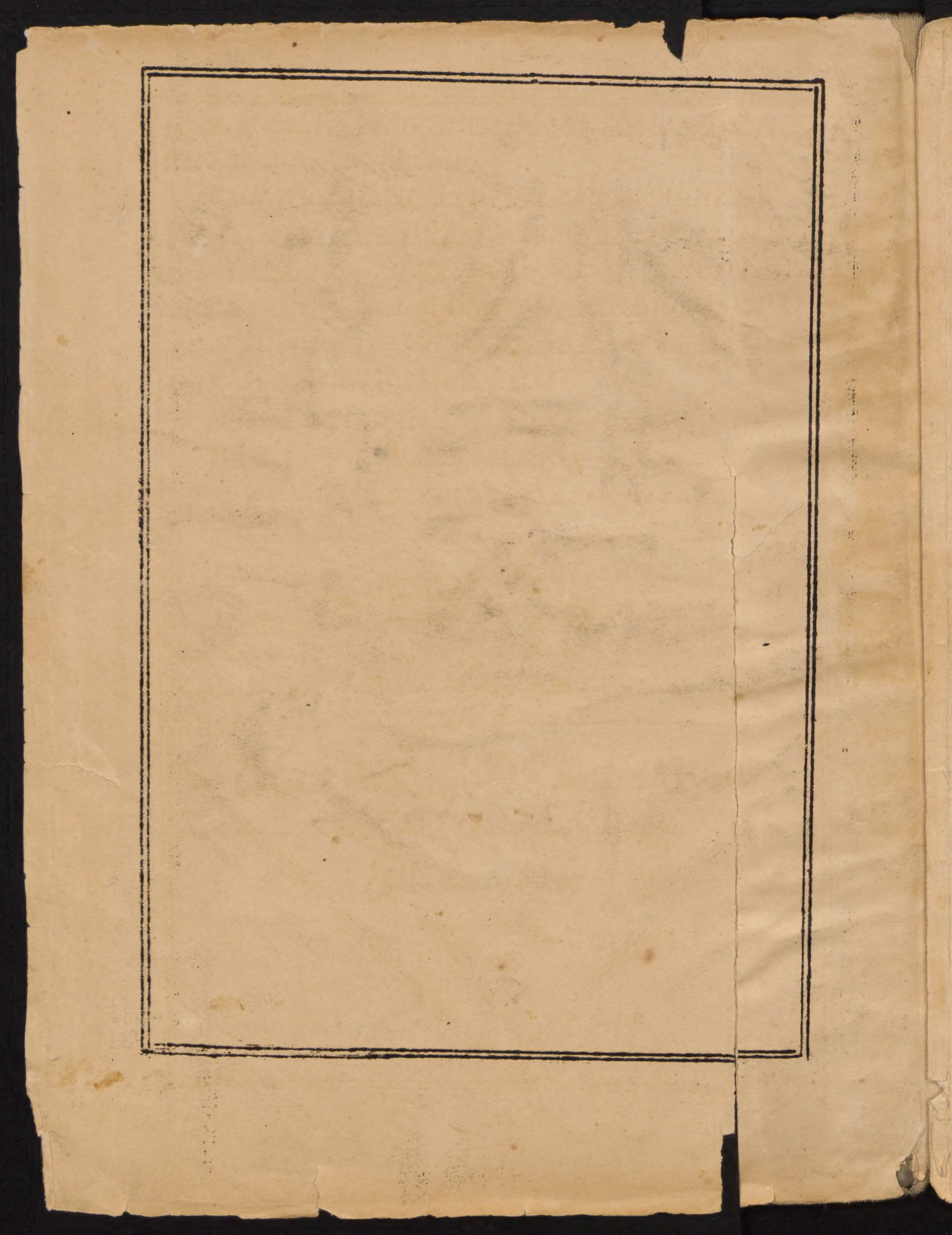
لكالثور والجني يركب ظهره * فما ذنبه إن عافت الماء مشربا

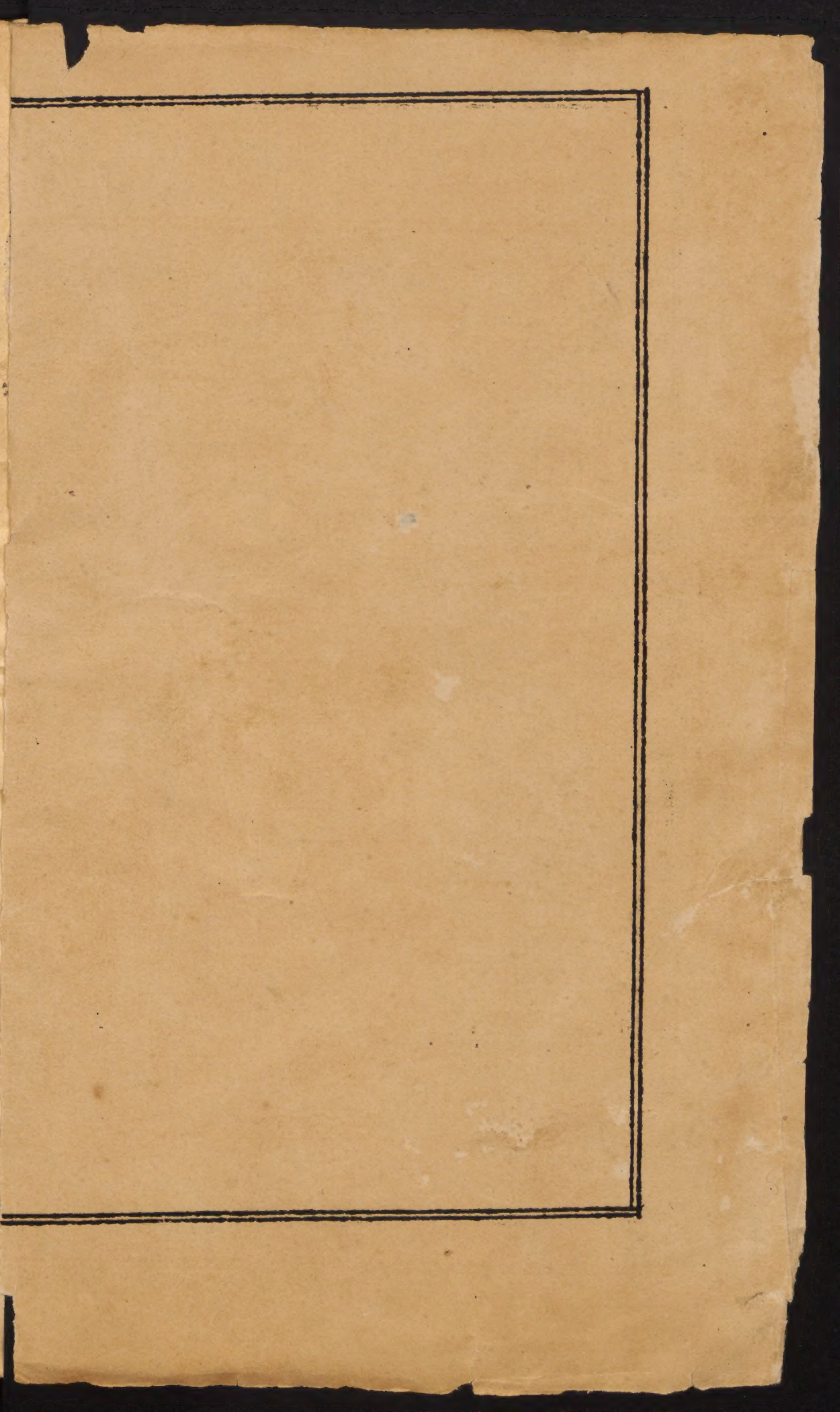
وذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني من أخبار السليك شيئا كثيرا ونقل عن المفضل قال كان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها وأشدهم عدوا على رجليه لا تعلق به الخيل وكان يقول اللهم إنك تهيئ ما شئت لمن شئت إلى آخر ما تقدم آنفا بقية كلامه ومن شعر السليك قوله

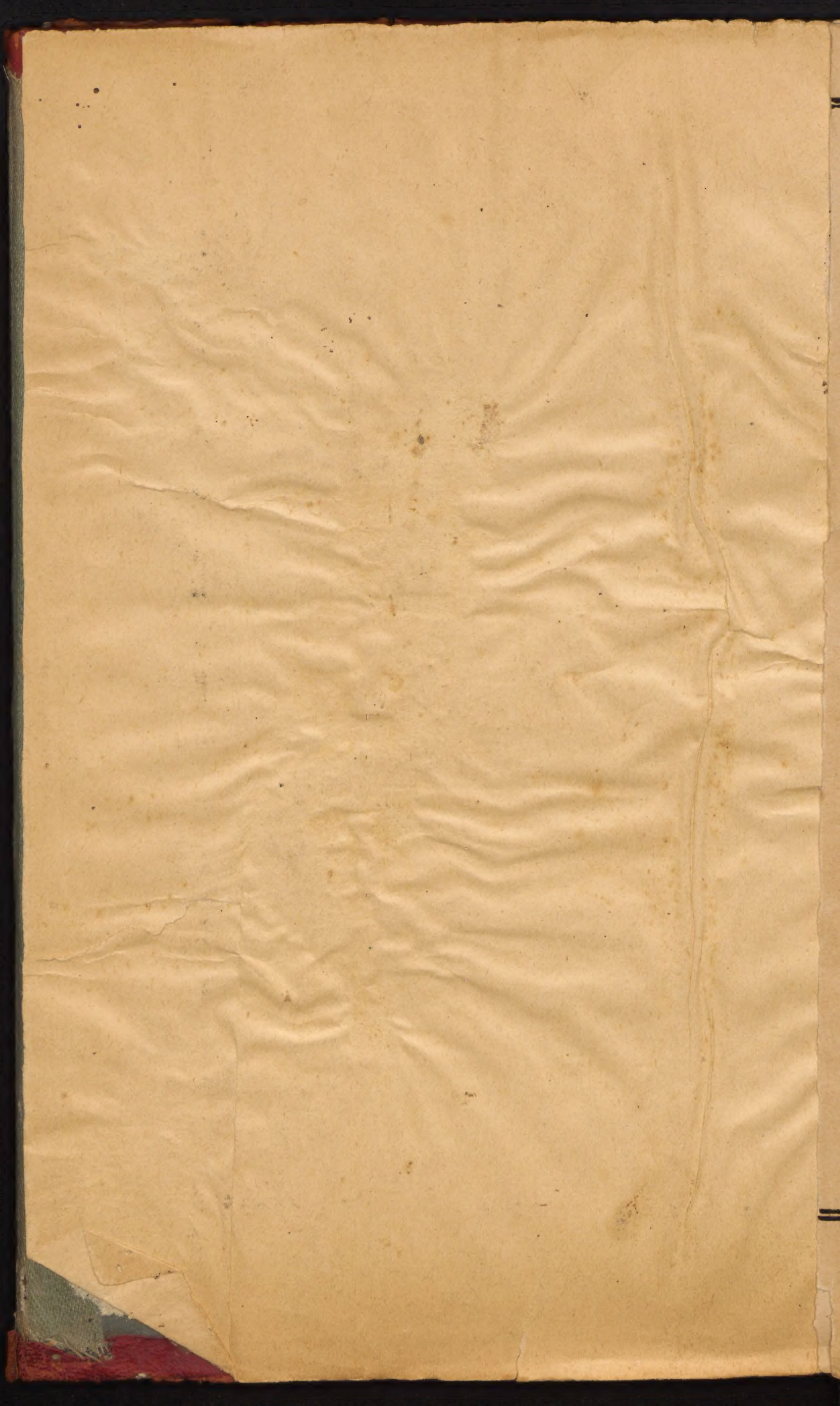
ألا عتبت علي فصارمتني * وأعجبها ذوو اللمم الطوال
فإني يا ابنة الأقوام أربي * على فعل الوضي من الرجال
فلا تصلي بصعلوك نؤوم * إذا أمسى يعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب * بنصل السيف هامات الرجال
أشاب الرأس أني كل يوم * أرى لي خالة وسط الرجال
يشق علي أن يلقين ضيما * ويعجز عن تخلصهن مالي

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال أي فهو لم تكن له لمة طويلة لأنه كان أسود ابن أمة كما مر وقوله فلا تصلي أي فلا تتصلي قوله يشق علي البيت إنما توجع لهن لأنهن كن إماء والله أعلم

انتهى النصف الأول بحمد الله
تعالى وعونه ويتلوه الثاني
أوله قوله
وكن نريم
الغرفين
تنح








Widener Library
3 2044 083 573 600